

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

دور التوسعات العسكرية في ظهور و تطور النظم الإدارية و الاقتصادية
للإمبراطورية الإخمينية
559 ق م إلى 330 ق م

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ القديم

إشراف الأستاذ الدكتور:
رحماني بلقاسم

إعداد الطالبة:
طاهري خديجة

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د.ة/ ويزة آيت عمارة	رئيسا	جامعة الجزائر 2
أ.د/ بلقاسم رحماني	مشرفا ومقررا	جامعة الجزائر 2
د.ة/ دليلة بورني	عضوا	جامعة الجزائر 2
د.ة/ أم هاني رمضاني	عضوا	جامعة الجزائر 2
د/ محمد كاكي	عضوا	جامعة الجلفة
د.ة/ جميلة خالفي	عضوا	جامعة خميس مليانة

السنة الجامعية: 2022/2021

إهداء

إلى أبي وأخي الأصغر
إلى كل من وقف بجانبني

شكر وعرهان

أأقدم بالشكر الخالص إلى أستاذي المشرف

الأستاذ الدكتور بلقاسم رحمانى

شكر وامتنان لكل أساتذتى وللأساتذة أعضاء اللجنة

المقدمة

سابقا لم تتوفر الدراسات التاريخية التي تتناول جميع جوانب حضارة الفرس الإخمينيين بشكل كافٍ، رغم وجودها إلا أنها كانت تفتقد للدقة نظرا للطريقة التي دونت بها المصادر القديمة تاريخ هذه الإمبراطورية التي تظهر من خلال شواهدها الأثرية أنها تحوز على موروث ثقافي وحضاري واضح، إذ أن هذه المصادر قد نشطت وكتبت خلال الفترة التوسعية للفرس الإخمينيين وصادمهم مع الإغريق، لتتواجد العديد من المصادر التي تسهب في إبراز الصراع المحتدم الذي حركته قوتان ساهمتا في تغيير مسار تاريخ تلك المنطقة بغرب آسيا.

لقد ساهم العديد من المؤرخين الإغريق والرومان بتدوين مجريات الحروب الفارسية الإخمينية الإغريقية، وذكر التغيرات السياسية والصراعات الداخلية التي كانت تجري داخل البلاط الفارسي الإخميني بين الحكام والقادة العسكريين، الأمر الذي أدى إلى انحصار الكم المعلوماتي فيما يخص الجانب الحضاري الثقافي والإقتصادي، ومما زاد في صعوبة الإلمام بالتاريخ الفارسي الإخميني عدم وجود مؤرخين محليين كانوا من المفروض أن يدونوا تاريخها الخاص إذا ما قورنوا بالمؤرخ الإغريقي هيرودوت، فلولا العلاقة التي اتسمت بالعداء والتوتر بتلك الشعوب عبر الفترات التاريخية التي مرت عليها لما نالنا هذا الكم اللابأس به من المصادر التاريخية رغم فقر محتواه إذا أردنا أن نختص بدراسة معينة لإحدى الجوانب الحضارية.

لقد أهملت مظاهر التحضر التي سادت آنذاك بشكل كبير خلال فترة حكم الإمبراطورية الفارسية الإخمينية الحضارية والثقافية والاجتماعية والإقتصادية، بحيث أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين كانت خارج دائرة الإهتمام، ولم تسلط الدراسات السابقة الضوء عليها بشكل يوحى أن لهذه الإمبراطورية مكانة هامة في المساهمة الحضارية على غرار حضارة بلاد ما بين النهرين، الحضارة المصرية، الإغريق والرومان بشكل خاص.

على الرغم من كل المعوقات التي شهدتها الدراسات التي تعنى بحضارة الفرس الإخمينيين إلا أننا لا نستطيع ردها خارج الركب الحضاري، فقد شهدت هذه المنطقة تأسيس إمبراطورية قائمة بحد ذاتها استمرت قرنين من الزمن، حيث ضمت مناطق شاسعة، وأقواما مختلفة وشعوبا قد سبق وأن تمتعت باستقلالية في الحكم كما كانت مركزا للحضارة فيما سبق، مما جعلها تشكل مزيجا مختلطا للعديد من الثقافات تحت لواء واحد.

لقد كوّن الباحثون في التاريخ القديم قبل فك رموز الكتابات القديمة في الشرق الأدنى القديم، صورة نمطية عن الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، وذلك من خلال المؤلفات الإغريقية واللاتينية وحتى المؤلفات الدينية، الأمر الذي جعل الدراسة محدودة إلى حد ما، وصبت في قالب واحد وهو القالب العسكري الحربي.

الآلة الحربية التي تمتعت بها الإمبراطورية الفارسية الإخمينية ميزتها عن باقي القوى آنذاك، ساعدتها في التوسع على حساب المناطق المجاورة بوتيرة سريعة، وكان جيشها من أقوى الجيوش في التاريخ القديم كما كان حكامهم من أقوى القادة العسكريين ذوي كفاءة وخبرة ساعدتهم في إنشاء نظام عسكري مميز ترع على عرش أنظمة الإمبراطورية.

أولى الحكام الفرس الإخمينيون جل اهتمامهم في بناء القوة العسكرية، ومن خلالها استطاعت الإمبراطورية مد نفوذها من مصر إلى الهند ومن غرب روسيا إلى المحيط الهندي، وكانت المنحوتات الجدارية المتواجدة في العاصمة الفارسية الإخمينية بيرسيبوليس على صخرة بيهستون وبمدينة سوسة تمثل مظاهر القوة العسكرية ووقائع الانتصارات الحربية على الشعوب التي ضمتها ضمن حدودها الجغرافية، وبالتالي أصبح لدى الإمبراطورية مهمة لتنظيم هذه الأقاليم.

لقد اعتبر النظام الإداري الذي من خلاله سيرت به الإمبراطورية أقاليمها المتفرقة أحد أقوى الأنظمة الإدارية في التاريخ القديم، والذي لا زال معمولاً به حتى وقتنا هذا، تميز هذا النظام بالكفاءة والليونة جعله يمد في عمر الإمبراطورية زهاء قرنين من الزمن، إلا أن وجود أنظمة سابقة على سبيل المثال النظام الآشوري يقوض من فرضية وجود نظام سابق قبل نشوء الإمبراطورية الفارسية الإخمينية أي قبل سنة 559 ق م، مما يفتح باب التساؤلات حول أصل النظام ومدى مساهمة التوسعات العسكرية في شهرته خاصة أن الإمبراطورية الفارسية الإخمينية في أصلها مؤسسة عسكرية بالدرجة الأولى.

وكما نعرف أن النظام الإداري محور الأنظمة، أما في قضية الإمبراطورية الفارسية الإخمينية نجد أن المؤسسة العسكرية الرأس المتحكم بباقي الأنظمة بدءاً بالإداري وصولاً للاقتصادي، هذين العنصرين محور دراستنا استناداً على المخلفات الأثرية التي تؤكد مدى قوة الإمبراطورية عسكرياً، إدارياً واقتصادياً.

تكمن أهمية الموضوع الذي أنا بصدد دراسته في إبراز دور التوسعات العسكرية للإمبراطورية التي أدت إلى نجاحها في إرساء نظام إداري واقتصادي محكم وثابت باعتبار النظامين في طليعة الأنظمة التي تسود أية إمبراطورية أو دولة، ومما يزيد أهمية الموضوع قلة المعلومة رغم توفر المصادر الأدبية، فالذي سبق مما ذكرناه أن معظم المصادر في أصلها إغريقية يوضح لنا شح المادة حول المؤسسة الإدارية وخاصة الاقتصادية منها التي بالكاد نجد لها ذكراً سوى من خلال النظام الضريبي، فالتطور التي كانت عليه الإمبراطورية من خلال تجهزتها لم يُذكر بإنصاف على أساس التحضر، وإنما ذكر إستناداً على قاعدة عسكرية حربية بحتة وأيديولوجية تصب في إطار الصراع التقليدي الفارسي الإخميني الإغريقي، هنا يكمن جوهر الموضوع ووجوب التعمق في دراسته في ظل نقص المصادر الأدبية الفارسية والأثرية إلى حد ما.

لقد كانت الفترة الممتدة ما بين 559 إلى 425 ق م الأهم من حيث استمرارية التوسعات العسكرية في عهد ملوك الإمبراطورية المتعاقبين من قورش الثاني إلى أكسيركسيس الأول مم أدى إلى ظهور نظام إداري و الذي عدّ ثورة في التنظيمات الإدارية التي سادت عبر التاريخ القديم من حيث السلاسة واللين الذين تميز بهما في عهد الإمبراطورية الإخمينية مستمرا إلى عهد باقي ملوكها وصولاً إلى داريوس الثالث 330 ق م هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن التوسعات العسكرية ساهمت في زيادة ثروات الإمبراطورية الإخمينية من حيث توسيع نطاق الأراضي الزراعية التي كانت تتمتع بها المناطق التي كانت خاضعة للإمبراطورية والمناطق التي خضعت فيما بعد، مما دعاها للسير وفق نظام اقتصادي خاص بها يعتمد في أساسه على جباية الضرائب المفروضة على الشعوب الخاضعة والتابعة للإمبراطورية وتنظيم التجارة من خلال إقامة طريق ملكي الممهد للطريق المعروف بـ *The Silk Road* طريق الحرير، والذي من المرجح أن أحد الملوك الإخمينيين قد استغله وهو داريوس الأول إذ تحكّم عبّره بالقوافل الناقلة للبضائع التجارية التي كانت تمر عبّره، الأمر الذي سمح لبعض الولايات التابعة للإمبراطورية الفارسية الإخمينية بالتحكم في التجارة البرية على سبيل التخصيص لا التعميم، مع ملئ الخزينة الملكية بشتى الغنائم الثمينة من مختلف المعادن النفيسة من خلال الضرائب التي كانت تفرض لمرور هذه القوافل، والتي كانت ملكاً مطلقاً وخصاً للملك وله حق التصرف فيها، كما أنشأ احد ملوكهم الطريق الملكي *The royal road* الذي ربط بين

الساتريات The Satrapies التابعة للإمبراطورية الإخمينية بهدف التنظيم والتحكم في التجارة أيضا خاصة ولايات البحر الأسود.

ارتبط تطور الإمبراطورية ارتباطا وثيقا بالمجال العسكري بالدرجة الأولى والذي أثر بشكل كبير في تطور النظام الإداري والاقتصادي، ومدى نجاعة كليهما خاصة وأنهما من دعائم قيام أي حكم قديما أو حديثا، وأمام قوة ونجاح الإمبراطورية الفارسية الإخمينية في تسيير هذا الملك الشاسع، يكمن الهدف الذي دفعني للخوض في دراسة هذه تاريخ هذه الإمبراطورية من الجانب الإداري والاقتصادي وبقائها على نفس الوتيرة في تسيير الساتريات.

كان اختياري للفترة الممتدة ما بين 559 ق م إلى غاية سنة 330 ق م لعدة اعتبارات، أولها أنها تمثل عمر هذه الإمبراطورية، ثانيا أنها من أهم المراحل في التاريخ الفارسي القديم نظرا للأحداث الفاعلة من خلال ملوكها في العالم القديم سياسيا وعسكريا، والتي ساهمت في تغيير الإدارة والاقتصاد والمعاملات التجارية البرية والبحرية في آسيا والبحر الأبيض المتوسط، أين اندرجت دراستي تحت عنوان:

دور التوسعات العسكرية في ظهور و تطور النظم الإدارية و الاقتصادية للإمبراطورية الإخمينية 559 ق م إلى 330 ق م.

أغلب الأبحاث التي تناولت تاريخ الإمبراطورية الفارسية اهتمت بالجانب الحربي، واصفة إياه بالهمجي إن صح المصطلح بالنسبة لهذه الإمبراطورية وغفلت عن ما أحدثته هذه التنظيمات من تغيير مقارنة بالأنظمة التي سبقت، ومن خلال المعلومات التي قمت بجمعها والتي توفرت لدي صغت الإشكالية التي تخدم الهدف المرجو من بحثي هذا انطلاقا من إشكالية رئيسية جاءت كالتالي:

ما مدى نجاح التوسعات العسكرية التي قامت بها الإمبراطورية الفارسية الإخمينية في إرساء نظام إداري متطور ومختلف، ونظام إقتصادي متكامل، شامل ومستحدث عكس الأنظمة السابقة؟ وتفرعت عن الإشكالية مجموعة من الإشكاليات الفرعية جاءت بما تخدم جزئيات بحثي هذا، من أهمها:

- 1- من هم الفرس الإخمينيون وما علاقتهم بالمملكة الميديّة وهل كانت مملكة قائمة بحد ذاتها؟
- 2- هل كانت القوة العسكريّة التي اشتهر بها الفرس الإخمينيون المساهم الأكبر في مدّ النفوذ الفارسيّ الإخمينيّ وما هي المقومات الحربيّة التي ساعدت على نجاح هذه التوسعات؟
- 3- هل نجحت الإمبراطوريّة الفارسيّة الإخمينيّة في إرساء نظام إداريّ أصيل لم يتأثر بأنظمة الممالك السابقة، وهل ما جاء به داريوس من خطة تنظيميّة للمؤسسات الإداريّة وما تميّزت به من سلاسة في توجيه أقاليم الإمبراطوريّة المتفرقة قد كان ناجعاً؟
- 4- كون الشعب الفارسيّ الإخمينيّ ذا نزعة حربيّة خالصة، هل مدّ النظام الإقتصاديّ في نفوذ وعمر الإمبراطوريّة جنباً إلى جنب مع النظام العسكريّ والإداريّ؟
- 5- ما مدى اعتماد الإمبراطوريّة الفارسيّة الإخمينيّة على مناطق النفوذ وعلى أي أساس قامت التقسيمات الإداريّة، وهل كان لها الأثر البالغ بتداعي إرث الإمبراطوريّة؟

إعتمدت في إنجاز هذا العمل على منهجين:

المنهج الوصفي: القائم على وصف سيرورة التوسعات العسكريّة ودورها في ظهور النظام الإداريّ والإقتصاديّ وتطورهما، **والمنهج التحليليّ:** من خلال تحليل المعطيات الإداريّة والإقتصاديّة التي ساعدت في الإبقاء على عمر هذه الإمبراطوريّة في ظلّ التوسعات العسكريّة والتي استمرت لحدّ ما حتى نهاية حكم آخر ملوكها، و نظراً لقلة المادّة التاريخيّة، ارتأيت أن اعتمد على استنتاجات من أجل الوصول إلى بعض الحقائق التاريخيّة و التي أهملتها المصادر الكلاسيكيّة.

نظراً لطبيعة الموضوع الذي قمت بدراسته والإشكاليات الذي تضمنها بحثي هذا ولتذليل الصعوبات التي واجهتني في فصل المادّة العلميّة، ارتأيت أن أقسمه وفق خطة منهجيّة تكونت من مقدمة جاءت ملّمة بجميع العناصر الأساسيّة الخاصّة بالبحث العلميّ، وفصول لتخدم ما أنا بصدد تقديمه.

حيث تناولت في **الفصل الأول** الطليعة الجغرافيّة والبشريّة لبلاد فارس والتي كانت مهداً لاستقرار الشعوب الهندو- أوربيّة، هذه الدراسة مهمّة بالنسبة لنا خاصّة في معرفة البيئّة التي نشطت

فيها الإمبراطورية، فتحديد الموقع الجغرافي والفرع الأسري الذي انبثق منهما العرق الفارسي أو الآري له أهمية بحيث سنحاول توضيح هاتين التسميتين وتبيان سبب اختلافهما رغم أنهما يعودان لنفس الشعب وهو الفارسي أو الفرس وهو المصطلح أو التسمية التي سنسير من خلاله لإكمال دراستنا هذه وتوضيح مراحل هجرتهم واستقرارهم النهائي في الهضبة الإيرانية.

كما تناولت في **الفصل الثاني** تشكل أول كيان سياسي يشترك مع الفرع الأسري الفارسي، من خلال الأسرة الميدية، بحكم أنهم أبناء عمومة مع إبراز دورهم في إنشاء أول إمبراطورية، والتي انتقلت بشكل تلقائي للفرع الفارسي الإخميني إثر التدهور الأخلاقي، الذي شهدته ميديا في شخص ملكها أستياجس، هذا وقد أدرجت ملامح من الحضارة الميدية التي ازدهرت في تلك الفترة، بحيث جعلت للميديين حضور ثقافي مميز.

أما **الفصل الثالث** تضمن البدايات الأولى لنشوء الإمبراطورية الفارسية الإخمينية وتوسعها بقيادة قورش الثاني، وكيف كان قضائه على الممالك المعاصرة له الأثر الكبير في الصعود بالقبيلة الفارسية إلى مصاف الإمبراطوريات الكبرى، ونبذة عن تنظيمات الجيش الفارسي باعتبار فترة قورش فترة حربية أكثر منها تنظيمية.

أما **للفصل الخامس** فقد خصصته للتوسعات الكبرى بقيادة الملك داريوس الأول وطريقة اعتلائه العرش، وكيف كان له الفضل في تغيير الخارطة الجغرافية للعالم القديم بضم مناطق عديدة، بحيث أصبحت فترة حكمه وحكم وريثه أكسيركسس المحدد الرئيسي لمعالم الإمبراطورية الفارسية الإخمينية من الناحية الجغرافية، تلك التوسعات المتتالية التي جعلت داريوس يأمل أن يضم بلاد الإغريق، الأمر الذي أدخله في صراعات سميت بالحروب الفارسية الإغريقية.

جاء **الفصل السادس** مبرزاً للإنجازات والإصلاحات التي قام بها داريوس الأول على الصعيد الإداري، بحيث سار على نظام إداري اعتبر من أقوى الأنظمة في العالم القديم، من حيث التسلسل الهرمي للوظائف والموظفين وحرية التحكم، هؤلاء الموظفين الذين قلدوا مناصب كانت السلطة فيها تحاكي سلطة الملك على المناطق التي سميت بالساترية، بحيث كانت للساتراب مطلق الصلاحية على الساترية، بما يخدم السلطة العليا المتمثلة في شخص الملك، كما حاولت إبراز ديناميكية الإدارة والسلاسة في التسيير لأهم ساتريات الإمبراطورية.

الإقتصاد الذي يعد من الدعائم الرئيسية في استمرارية القوى، كان لا يقل عن النظام الإداري الذي أرسته الإمبراطورية الفارسية الإخمينية قوة، وهو ما حواه **الفصل السادس**، الذي حاولت من خلاله إظهار ومدى نجاح النظام الضريبي التي فرضته الإمبراطورية على الساتريات، والاقتصاد الفارسي من الجانب الإنتاج المحلي الزراعي والصناعي، ومن جانب التجارة الداخلية والخارجية مع دراسة للتنظيمات الاقتصادية التي سارت عليها الإمبراطورية، وإنشاء الطرق التي تحكمت من خلالها في اقتصاد العديد من الولايات التابع لها المترامية الأطراف، والتي كان إنتاجها يصب معظمه في الخزينة الملكية المتواجد مركزها في العاصمة الإخمينية بيرسيبوليس، والتناول بالذكر بعض المعطيات الاقتصادية لأهم ساتريات الإمبراطورية الفارسية الإخمينية.

كما نعرف أنه لكل إمبراطورية ودولة مرحلة ضعف قد أدت لزوالها، وهو ما تناولته في **الفصل السابع**، والذي وضحت من خلاله الأسباب التي أدت إلى انهيار الإمبراطورية الإخمينية والتي لعب فيه تشديد التنظيمات الإدارية والإقتصادية دورا كبيرا، والأزمات التي عاشتها الإمبراطورية الفارسية الإخمينية في أهم ساترياتها، والصلاحيات الممنوحة للساتراب من طرف الملك، التي أدت إلى سطوته من خلال إعطائه الحق في التحكم في المسؤولين الإداريين وحتى حق التصرف في القوات التي كانت موجودة على رأس كل ساترية، وكان لأمثال هؤلاء الفرصة في التمرد على الملك وممتلكاته حتى حاولوا أن ينصبوا أنفسهم طغاة على الساترية، الأمر الذي أدى إلى انهيار الإمبراطورية ومقتل آخر ملوكها. أما الخاتمة فهي حوصلة لكل ما قمت بتناوله في الفصول المكونة لهذا البحث.

اخترت المصادر التي استقيت منها كل ما يتعلق بدراستي وبما يتلاءم وطبيعة الموضوع، والتي تمثلت في أولى المصادر وأهمها وهو مصدر المؤرخ الإغريقي **هيرودوت التواريخ**، الذي يتناول الحروب الفارسية الإغريقية بالتفصيل، بحيث كانت روايته كاملة وواسعة نسبياً وقريبة من الترتيب الزمني القريب من الأحداث الرئيسية، غير أن هناك ثغرات في السرد، والأهم من ذلك تبنيّه للطرح الإغريقي للأحداث والموجود في أغلب المصادر الإغريقية والمعروف بالتحيز، لكن لا ننكر وصوله لمواد من الدرجة الأولى ملموسة سواء شفوية كانت أو مكتوبة، وقام بالتعامل معها بما يليق بالهدف الذي من خلاله قام بتأليف هذا المصدر.

أما المصادر المتمثلة في ديودور Diodorus وبلوتارك Plutarch، مبنية على أعمال سابقة، فبخصوص ديودور يعتبر قصيرا من ناحية الإلمام بتاريخ الفرس الإخمينيين، ومن الواضح أنه قدم مصدره على شكل ملخص لمصادر أخرى، أما بلوتارك لا يتمتع مصدره بالاستمرارية أو اكتمال الأحداث بالنسبة لحياة مختلف شخصياته، فهو أساسا ألف من أجل دراسة شخصيات معينة، وعليه فهو بعيد عن السياق كل البعد عن السياق السياسي التاريخي، على عكس مصدر الطيب كتسياس رغم إنقاذ القليل منه إلا أنه يحوي معلومات مهمة تصب في قالب سياسي تاريخي يعتبر أكثر شمولاً من هذه المصدرين خاصة فيما يتعلق بأحداث القصر.

يعتبر هيروودوت كمؤرخ نزيه نوعا ما إن قارناه بثوسيديد Thucydides، فهو لا يستنقص من الشعوب على حساب الإغريق، غير أن ثوسيديد يمثل صورة نمطية عن التنميق بحيث تناول التدخل الفارسي الإخميني في الشؤون الإغريقية أثناء الحرب البيلبونية بشكل مقتضب خاصة وأنها الإمبراطورية كانت على مشارف الإنهيار، فلا نجد في مؤلفه شيئا عن التاريخ السياسي والحضاري للإمبراطورية، أما هيروودوت ينقل المعلومات الأولية ثم يناقشها مع عرض المادة من وجهته الخاصة مما يتيح للدارس إيجاد الاختلاف والمقارنة، يحترم جميع الأطراف، ولا يعتبر أي مجتمع أقل شأنًا من المجتمع الإغريقي، لكن غالبا ما يُشكك في ممارساته وأساليبه من خلال السرد، رغم ذلك يقدم هيروودوت بعض التحيز للجانب الإغريق كما ذكرنا، حيث يعاب على هيروودوت في بعض الأحيان تعاضيه عن الأسباب التي أدت بالحروب الفارسية الإخمينية، لكن الأسلوب الماهر الذي أدى بالأحداث لأن تظهر بشكل تاريخي ممنهج هو ما جعل لمصدره تلك الأهمية.

كان أكسينوفون ولا يزال، من المؤرخين للتاريخ العسكري للإمبراطورية الفارسية الإخمينية والأبرز من بينهم، خاصة فيما يتعلق برواياته عن قورش الثاني وكيفية صعوده للحكم على أنقاض المملكة الميدية، كما يحكي تجربته الشخصية المتمثلة في انخراطه في جيش قورش الصغير أثناء حملته على شقيقه ارتكسيركسس الثاني، إذ من الممكن أن يصل مصدره إلى مستوى ما كتبه هيروودوت، رغم ما كتبه عن قورش الثاني الذي لم يعاصره أو حتى كان قريبا من فترة حكمه السياسية، هنا يجب أن تأخذ رواياته عن مؤسس الإمبراطورية بشيء من الحذر، ومن الممكن أنه استقى معلوماته من هيروت، لكن يبقى هذا الطرح غير مؤكد، لأن كلاهما كان ناقلا للمعلومة، هذا بالإضافة لتراجيديا

أيجيلوس وهي عبارة عن مسرحية كتبها عن معركة سلاميس سنة 480 ق م، المميز فيها أنها لا تنتمي لفئة الميثولوجيا على غرار قصائده الأخرى، بل كتراجيديا تاريخية عقب الخسارة التي تكبدها أكسيركسس، مثلت لمؤرخي التاريخ القديم أنها مصدر للإحتفالية بالنصر الإغريقي، اعتبرت كمادة لتحفيز الجيوش وتعبئة الشعب وتشجيعهم، ولم تكن مصدرا تاريخيا يعتمد عليه إن غتمدنا عليه بشكل أساسي.

من المراجع أو البحوث الحديثة في تاريخ الأمبراطورية الفارسية القديم، نجد كتاب الباحث الفرنسي بيير براينت Pierre Briant من أهم المراجع التي تناولت الإمبراطورية الفارسية الإخمينية من قورش الثاني إلى الإسكندر المقدوني من جميع الجوانب السياسية، الدينية، الإدارية، المجتمع، الإقتصاد، ولم يترك أي تفصيل من تفاصيل إلا وأدرجها لكي يلم بجميع محطات تاريخ الإمبراطورية ويقع في المرتبة الأولى بالنسبة لمدى الاعتماد عليه، هو والكتاب المشترك بين دندمايف ولوكونين Dandamaev, Lukonin، وهو من أهم المراجع خاصة في الدراسة البشرية للمنطقة ومؤسسات الإمبراطورية الفارسية الإخمينية الإجتماعية والإقتصادية.

كما كان للمراجع باللغة العربية مكانة مهمة في تحرير هذه الأطروحة، وعلى سبيل المثال نذكر كتاب قورنايية والفرس الإخمينيون لجميلة عبد الكريم محمد، وأحمد أمين سليم بكتابه دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم في جزئه الخامس، والعديد من المصادر والمراجع التي تصب كلها في صلب الموضوع وبما يخدم فصول الأطروحة.

لم تكن المادة العلمية قليلة بخصوص تاريخ الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، إن تعلقت بالتاريخ السياسي العسكري، بقدر ما كانت تفتقر لبعض الجوانب، التي من الممكن أن تكون ذات فائدة في بحثي هذا، فطريقة العرض أو كمية المعلومات جاءت لخدمة أيديولوجية، سواء من الناحية العسكرية أو حتى من الناحية الحضارية، الأمر الذي شكل صعوبة لدي خاصة في تجميع المادة العلمية وصبها في قالبها الإداري والاقتصادي.

أتقدم بالشكر لكل من ساعدني على تحرير هذه الأطروحة بدءا بمشرفي الذي لم يبخل علي بالنصيحة، وهو من دعمني في التقدم بالبحث، إلى أن وصل لمرحلته هذه، وفي الأخير أتمنى أني وفقت لحد ما في الإمام بموضوعي هذا، وأني قدمت ولو بشكل بسيط طرحا للجانب الإداري والاقتصادي للإمبراطورية الفارسية الإخمينية، هذا الجانب من المشرق الذي لم تتداوله جامعاتنا بالبحث.

الفصل الأول

الفصل الأول: دراسة جغرافية وبشرية لبلاد فارس

- 1- الشعوب الهندو أوروبية
- 1-1 أصل الشعوب الهندو أوروبية
- 2-1 هجرات الشعوب الهندو أوروبية
- 2- الفرس الإخمينيون
- 1-2 أصل الفرس
- 2-2 الرقعة الجغرافية واستقرار الفرس
- 1-2-2 جغرافية فارس
- 2-2-2 المقومات الطبيعية لفارس
- 3-2 الشعوب المجاورة للفرس
- 1-3-2 العيلاميون
- 2-3-2 اللولوبو
- 3-3-2 الغوتيون
- 4-3-2 الكاشيون
- 5-3-2 الميديون
- 1- ميديا أتروباتين
- 2- ميديا الصغرى
- 3- إشكالية كتابة التاريخ الفارسي الإخميني (559-522 ق م)
- 1-3 المصادر الأدبية والأثرية
- 2-3 مشكلة الأيديولوجية السياسية لمصطلح الفرس الإخمينيين

1- الشعوب الهندو أوروبية:

ينحدر البشر من مجموعات إثنية متعددة، ولدراسة أصل هذه الشعوب علينا أن نبحث في جذورهم، وعن الأماكن التي جاءوا منها سواء، أكانت هذه الأماكن موطنهم و مستقرهم الأول والأخير أم منطلقا لهجرات مختلفة، كانت نتيجتها انتشارهم في مناطق متفرقة.

1-1 أصل الشعوب الهندو أوروبية:

الهندو أوروبيين نسبة للسانهم، وتنتمي هذه الأقوام عموما إلى أوكرانيا 4000-5000 ق م¹، ويرمز لهم ب PIE*، إلا أن الأبحاث الحديثة أثبتت أن الأمر أكثر تعقيد مما يبدو من خلال الآثار الحديثة والدلالات اللغوية والتحليلات الجينية التي عثر عليها مؤخرا، لن ننكر أن منطقة أوكرانيا قد لعبت دورا هاما وحاسما في انطلاق وانتشار جميع اللغات الهندو- أوروبية، فهناك إجماع أن المتحدثون الأصليون باللغة الهندو اورورية ينحدرون من المنطقة المقابلة لشرق العراق حاليا، جنوب أرمينيا، شمال غرب إيران، شرق الأناضول، أذربيجان الإيرانية، وربما ألبانيا قديما².

كشفت التحليلات الجينية أن إكتشاف الزراعة في الهلال الخصيب وانتشارها فيما بعد خارج الشرق الأدنى قام به أسلاف ما لا يقل عن ثلاث جينات متميزة وعائلات اللغة وهي كالتالي: بروتو-حامية-سامية Proto Hamito-Semitic، بروتو-عيلامية-درافيدية Proto-Elamo-Dravidian وبروتو-هندو-أوروبية Proto-Indo-European، وهي اللغات التي يتحدث بها غالبية الأوروبيين والإيرانيين، ظف إلى ذلك الهنود الذين ينحدرون من المزارعين هندو-أوروبيين³.

¹ Kaveh Farrokh, Shadows in the desert : Ancient Persia at War, Osprey Publishing, GB, 2007, p 14.

*- PIE بالإنجليزية Proto-Indo-European وتعني الناطقون باللغة الهندو أوروبية ومن المرجح أن يكون استعمالها قد استمر وصولا للألفية الثالثة قبل الميلاد في حدود 3500 ق م أي بعد ثورة العربات بحوالي قرن أو اثنين، للمزيد أنظر:

Robert Drews, Militarism and Indo-Europeanizing of Europe, Routledge, USA, 2017, p 1.

² Kaveh Farrokh, op. cit, p 14

³ Ibid

يبدو أن الاقتصاد الزراعي المعروف بثقافة الحلف* Halaf Culture قد وقع منذ 12000 ق م في المنطقة الشرقية من الهلال الخصيب، يتشكل النشاط الاقتصادي هذا عبر قوس يمتد من الجبال الكردية في غرب إيران عبر سهل بلاد ما بين النهرين، وعبر سوريا وأجزاء من الأردن إلى مناطق بلبنان وفلسطين، كما أسفر المسح الأثري عن وجود أدلة عن بعض الحيوانات المستأنسة وأولى المعدات الزراعية ومعدات تصنيع الحبوب في شمال وشرق العراق وغرب إيران¹.

2-1 هجرات الشعوب الهندو أوروبية:

هاجرت الأقوام الهندو أوروبية إلى أوروبا وغرب آسيا واستقروا بها واندمجوا بين البدو الشماليين**، ليصبح الهندو أوروبيين من الشعوب الناهضة القوية التي تقطن أوروبا وأمريكا اليوم، غير أن استقرارهم لم يدم حيث انقسمت هذه الشعوب لتنتشر بشكل متفرق وينتهي بها المستقر في منطقة واسعة تبدأ غرباً من الحدود الشرقية للهند متجهة نحو الغرب لتعبر من خلال أوروبا حتى المحيط الأطلسي ومن هنا سميوا بالشعوب الهندو أوروبية، لأن الهجرات هي من حددت إثنية هذه الشعوب، ليقابلها في الطرف الثاني من الجنوب الشعوب السامية التي سكنت من بابل شرقاً إلى فينيقيا والممالك اليهودية نحو الجنوب حتى قرطاجنة وبعض المدن السامية التي أسسها الفينيقيون في غرب البحر الأبيض المتوسط².

* - ثقافة الحلف: أو الثقافة الحلفية واحدة من أبرز سمات عصور ما قبل التاريخ لمنطقة الشرق الأدنى القديم أرخت ما بين 5200 و 4500 ق م، ظهرت الأعداد الكبيرة لهذه الفترة في منطقة شمال العراق وسوريا وجنوب تركيا، تشترك هذه المستوطنات في تركيبة مادية فريدة من نوعها تتميز بشكل خاص في الفخار من تزيين وزخرفة، للمزيد انظر:

Stuart Campbell, The Halaf Period in Iraq: old sites and new, The Biblical Archaeologist, December, 1992, p 182.

¹ - Kaveh Farrokh, op. cit, p 14.

** - البدو الشماليون: هم البدو الرحل الذين قطنوا المناطق الشمالية الواقعة على نطاق واسع شمال نهر الدانوب باتجاه الشرق على طول الشاطئ الشمالي للبحر الأسود، مخترة جنوب روسيا لتتوغل في آسيا شمالاً وشرقاً حتى بحر قزوين، للمزيد أنظر: جيمس هنري برستيد، إنتصار الحضارة: تاريخ الشرق الأدنى القديم، ترجمة أحمد فخري، المركز القومي للترجمة، مصر، 2011 ص 238

² - جيمس هنري برستيد، إنتصار الحضارة: تاريخ الشرق الأدنى القديم، ترجمة أحمد فخري، المركز القومي للترجمة، مصر، 2011 ص ص 238-239.

كانت لهجرات الهندو أوروبيين دواعي عدة، منها الضغط الذي كانت تعاني منه هذه الشعوب لكونها قد أدت دورا محركا في العالم القديم ولا يعرف عنه شيئا، ويبدو أنهم انقسموا لمجموعتين كونتا موجة الهجرة، المجموعة الأولى والتي نسميها بالفرع الغربي التي اتجهت نحو البحر الأسود، عابرة البلقان مختزقة البوسفور في آسيا الصغرى واستقروا بين الآسيويين الذين من المرجح أنهم السكان الأصليين لتلك المنطقة، وسرعان ما أصبحوا العنصر المهيمن من حيث السكان وشكلوا الكونفدرالية الحثية وكانت إمبراطوريتهم إحدى أبرز القوى الغربية نشاطا في ذلك الوقت، ممدة بذلك توسعها في آسيا الصغرى، حيث شنت غارات على بابل ونهبوها، ومع ذلك فشلوا فيما بعد وتراجعوا عن مسعاهم في السيطرة على بابل، تلت هذه الفترة (الألفية الثانية قبل الميلاد) ركود مؤقت ومن ثمة انتعاش في النصف الثاني من الألفية، وخلالها واجه الحثيون العديد من الممالك المجاورة، لا سيما مملكة الحوريين وحكام ميتاني، الأمر الذي جعلهم في مواجهة مع مصر، ومع سوريا وفلسطين في أوج توسعها¹.

لعبت الهجرات دورا مهما في التاريخ البشري، وهي تعتبر من الظواهر الغير طبيعية، كون الأسباب التي تفضي للهجرة يجب أن تكون قاهرة لأن تجعلهم يغيرون مكان استقرارهم، ومع اكتشاف الزراعة واستئناس الحيوانات (الماشية) وتزايد أعداد السكان وتغير المناخ، يمكن أن نعد هذه التغيرات سببا وجيها للهجرة، بالإضافة إلى نزوح شعوب دخيلة مما يخل في توازن السكان الأصليين، وحدوث كوارث بيئية²، وكون الشعوب الهندو أوروبية زراعية فما كان عليها إلا أن تهاجر لإيجاد مناطق نفوذ سواء للزراعة أو الصيد³، وأصبح توسع الحضارات الأولى سببا آخر للهجرة، حيث نجد التواجد السومري في المناطق التي كانت آهلة بالهندو أوروبيين ومن بعدهم الأكاديون، الممالك الحورية وأخيرا أورارتو وآشور⁴.

¹ - Roman Ghirshman, Iran from the Earliest Times to The Islamic Conquest, Penguin Books, GB, 1954, p 6.

² - Stanislav A. Grigoriev, Ancient Indo-Europeans, RIFEI, Russia, 2002, p 420.

³ - Kaveh Farrokh, op. cit, p 14.

⁴ - Stanislav A. Grigoriev, op. cit, p 420.

أما المجموعة الشرقية فسموا بالآريين وهم: الأرمن، الفرس، الميذ، البلوش والباشتو وغيرهم ممن استقر في أفغانستان وشمالي الهند¹، وعليه فإن القبائل الغربية التي تمثل كل من أوروبا وأمريكا أبناء عمومة الهندو أوروبيين (القبائل الشرقية)²، أو الهندو آريين أو الإيرانيين، وهي موجة الهجرة التي أنحدرت من سهل أواسط آسيا وعلى الأرجح من منطقة إيرانويج التي تقع بين نهر سيحون وجيحون التي تضم مدن خوارزم وسمرقند، بينما هناك وجهات نظر أخرى أن الموطن التي انطلقت منه هذه القبائل هي منطقة القفقاس أو القوقاز، وكان مستقرهم الأولي في بحيرة أورميا، ومنها كان انتشارهم جنوبا على حدود المناطق المجاورة، وكانت من أبرز تجمعاتهم هناك قبيلتا الميديون والفرس، حيث كانت إيران مسرحا رئيسيا لهجرات القبائل الآرية³.

إذن للشعوب الهندو أوروبية إيدولوجية لغوية أكثر منها عرقية، بموجب المفردات الهندو أوروبية التي تخص المناطق الجغرافية، النبات والحيوان⁴، ومن فروع عائلة اللغات الهندو أوروبية والهندو إيرانية تكونت لغات معظم الشعوب المهاجرة، غير أن بعض فروع هذه الهجرات قد نست لغاتها بسبب اختلاطها بلغات المراكز الحضارية التي حلت عندها وكتبت بطريقتها لتدون في الأخير بالخط المسماري، حتى أنهم انصهروا لغة وحضارة، متناسين بذلك أماء أجدادهم، للتغير أسمائهم للأسماء البابلية والتي دونت أيضا بالخط المسماري، وكما تأثروا أثروا بغيرهم من الممالك على سبيل المثال أثرهم على الآشوريين حيث تتواجد بعض المفردات الميتانية⁵.

تصف المعطيات اللغوية التي جاءت ضمن مفردات اللسان الهندو أوروبي أن موطن هذه الشعوب تميز تضاريسيا بتنوعه وهو عبارة عن مناطق جبلية وشبكة متشعبة من الأنهار وطقس معتدل وتشابك نباتي فريد من نوعه مما يلائم المناطق الجنوبية المعتدلة، والتضاريس الجبلية أمر أكده الباحثون أمثال غامكر يليدزة وإيفانوف الذين وضعوا قائمة للمفردات الهندو أوروبية تحوي كلمات توحى

¹ - أحمد محمود خليل، مملكة ميديا، مؤسسة موكرياني، العراق، 2011، ص 13.

² - جيمس هنري برستيد، المرجع السابق ص 256.

³ - سامي سعيد الأحمد، تاريخ الشرق الأدنى القديم إيران والأناضول، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق، 1989،

ص 77

⁴ - أحمد محمود خليل، المرجع السابق، ص 14.

⁵ - سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص 79.

باستقرارهم في مناطق جبلية أو سفحية من خلال كلمات وهي، (قمة جبل)، (جبل صخرة حجر)، (جبل هضبة)، (عال)، (بلوط)، (بلوط جبلي)، (رياح شمالية جبلية)¹، ووجود بعض المصطلحات التي تدل على الطبيعة الرعوية والزراعية لهذه الشعوب مثل (صوف) (عربة) (عجلة) (محور العجلة) (أغنام)²، إذن الهندو أوروبيين من عائلة اللغات مميزين بلسانهم لا بإثنتهم، وهم بطبيعتهم رعاة ومزارعين ومحاررين أشداء.



خارطة رقم (1) خارطة توضح هجرات الشعوب الهندو أوروبية³

¹ - بونغارد، ليفين، الجديد حول الشرق القديم، ترجمة جابر أبي جابر، خيرى الضامن، دار التقدم موسكو، روسيا، 1988 ص 273.

² - Robert Drews, op. cit, p 1.

³ - <https://www.maps.com/blogs/journeys/indo-european-migration-routes-4000-1000-bce>

2- الفرس الإخمينيون:

1-2 أصل الفرس:

ينتمي الفرس إلى شعوب الآرية التي استقرت في شمال وشرق البحر القزويني حاليا كازخستان، واشتقت هذه الصفة من كلمة آري والتي تعني (الرجل النبيل) ، وينحدر الآريون من الشعوب الهندو أوروبية، كما صنفت اللغة الفارسية القديمة من ضمن اللغات الهندو أوروبية¹، تاريخيا وجغرافيا من الصعب أن نحدد متى أو كيف جاء الفارسيون للهضبة الإيرانية²، إلا أن الهجرات هي كما هي موضحة قد ساهمت في انتشار هذه الشعوب، ومن بينها الفرس، إذ أن الفرع الشرقي لهذه القبائل والتي يمثلها الإيرانيون(الفرس) قد انطلقت في موجة هجرة قادمة من ترانسوكسيانا(بلاد ما وراء النهر) في محاولة البحث عن مستقر لهم ولم يتمكنوا من الإنتشار في هندوكوش(جبال) نظرا لتواجد كل من منطقتي أراخوزيا وكذلك البنجاب في أيدي الفرع الشقيق الآريين (مستقبلًا الهند) الذين استوطنوا سابقا إثر الغزو الهندو إيراني، لذلك أجبر الوافدون الجدد لسلك طريق آخر متجهين غربا نحو الهضبة على طول الطريق المؤدي من باكتريا إلى قلب إيران التي كانت أقل خصوبة من الهند كون ميزتها الفارقة أراضيها الشاسعة³.

أشير للفرس باسم **بارسوماش (parsumash)** من قبل الآشوريين، وبالإغريقية ب **بارسيس (Persis)**⁴ وقد أشير لهم باسم المنطقة التي كانوا فيها، **بارسوا (persua)** نسبة للقبيلة بشكل أدق وأدى قدومهم للإحتلال بالشعوب المضيفة على مدى الطريق من القوقاز إلى الجنوب الإيراني الذي كان أهلا بالقوقازيين وسكان آسيا الغربية والسكان العيلاميين الدرافيديين⁵.

¹ Michael Burgan, Empires Of Ancient Persia, Chelsea House, USA, 2010, p 20

² Janos Harmata, History of Civilization of Central Asia, Vol₂, Shrizainendra Press, India, 1999, P 35.

³ Roman Ghirshman, op. cit, p 74

⁴ Daniel, Elton L, The History of Iran Greenwood Histories of the Modern Nations, Greenwood Publishing Group, USA, 2001, p 35.

⁵ Kaveh Farrokh, op. cit, pp 24-25.

فارس أو إيران كلاهما صحيح عند الإشارة إلى نفس الكيان، كانت إمبراطورية تقع بين الحضارات العظيمة كالصين والهند إلى الشرق، والعالم الإغريقي الذي حدد الإمبراطورية الإخمينية أول مرة باسم فارس أي الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، رغم أنه من الممكن أن يشير الإيرانيون إلى موطنهم باسم إي-ران (Eire-an, Ir-an)، وكان الإيرانيون الأصليون عائلة واحدة مكونة من شعوب تنتمي لنفس الجذور تضم (الميديين، الفرس، الإيرانيين الشماليين الذين انقرضوا على الأغلب، السقا والسارماتيين) ومن تجمع هؤلاء نشأت إيران أو بلاد فارس، أمة متعددة اللغات والأعراق والأديان، لا تتكلم إيران اللغة الفارسية الجديدة فحسب بل يتكلم سكانها عددا كبيرا من اللغات الإيرانية مثل الكردية والبلوشية واللورية والمازندانية، حتى الناطقين باللغة التركية التي تمتد حتى أذربيجان الإيرانية إلى الشمال الغربي، والناطقين باللغة العربية بساحل الخليج الفارسي وخوزستان في الجنوب الغربي¹.

2-2 الرقعة الجغرافية واستقرار الفرس:

1-2-2 جغرافية فارس:

تمركزت قبائل الفرس في جنوب زاغروس حول الأراضي المنبسطة أو المنخفضة لـ **مرو دشت (Marvdasht)** بين نهري الكور (**Kur**) والبولفار (**Polvar**) شمال شيراز الحالية واعتبرت هذه المنطقة كموطنهم الأم والتي بنوا فيها أشهر قصورهم²، وكانت أول إشارة لبلادهم بارسوا في عهد شلمنصر الثالث سنة 834 ق م في الحوليات الآشورية³.

إن المواقع التي هاجرت لها القبائل الفارسية مختلفة ومتفرقة، وليس من السهل تحديد موقعهم بشكل دقيق في بداية استقرارهم⁴، إلا أن الهضبة الإيرانية أصبحت مستقرهم النهائي قبل التوسع العسكري الذي بدأ منذ تولي قورش الثاني عرش حكام الفرس (559-530 ق م).

¹ - Kaveh Farrokh, op. cit, p 8.

² - Daniel, Elton L, op. cit, p 35.

³ - Tom Holland, The Persian Fire, Anchor Books, USA, 2007, p 9.

⁴ - Pierre Briant, A History of the Persian Empire, from Cyrus to Alexander, translated by Peter T, Danie Eisenbranus, USA, 2002, p 9.

كلمة الأري تعني النبيل كما جاء سابقا أو السيد أو الرجل الحرّ في اللغة الإيرانية القديمة، وهو المصطلح الذي يعطي لإسم إيران وجودا جغرافيا كبلد، الشعوب القديمة الوحيدة التي لازالت تشترك هي والإيرانيين في نفس المصطلح آري هي الشعوب السلتيّة قديما وأحفادهم الإيرلنديين حاليا، وعليه فإنّ إسم إيران أرض الآريين مشتق من آريانام Arayanam حيث أصبح فيما بعد إيران (Eran, Eiran)¹.

ورد إسم الفرس جنبا إلى جنب مع القبائل الميديّة مترادفين خلف بعض، حيث عاشوا في بداية استقرارهم كرعاة مزارعين وقبائل رحل أقاموا في بعض الوديان بالهضبة جنوب شرق سلسلة زاغروس غرب فارس، حيث ذكروا باسمهم القديم غوتي (Guttis)^{2*}

استعمل مصطلح الفرس والفراسيون، من طرف المملكة البريطانية المتحدة بشكل استثنائي، والذي أطلق على الفترة التي تؤرخ للقرن السادس قبل الميلاد إلى القرن الثالث بعد الميلاد، وفي سنة 1935م سنّ الشاه رضا (1926-1941م) مرسوما مضمونه، أن مصطلح إيران سوف يستخدم في المراسلات الرسميّة والدبلوماسية وبصفة مشتركة من قبل الشعب الإيراني باستثناء الفترة الممتدة من القرن السابع ميلادي إلى القرن الثالث عشر ميلادي (وصولاً إلى الحرب العالميّة الثانية، تأمين المحرقات، وأزمة مصدق، والحساسيّة الكبرى اتجاه الوطنيّة الإيرانيّة) وعليه فقد أصبحت تسمية إيران والإيرانيين متداولة على نطاق واسع في الغرب، وإلى حد الآن فمصطلح الفرس والفراسيون بقي مرفوضا حتى من الإيرانيين أنفسهم³

¹ - Kaveh Farrokh, op. cit, p 17.

* - هي إحدى الشعوب التي ذكرت في النصوص الآشورية، ويذكر في تقاليد بلاد ما بين النهرين أنهم السكان الذين اتخذوا الجبال مسكنا لهم في منطقة زاغروس الوسطى غرب إيران: للمزيد أنظر: Trevor Bryce, The Routledge Handbook of the People and Places of ancient western Asia, Routledge, USA, 2009, p 265.

² - Marshall Cavendish, World and its peoples, Marshall Cavendish publishers UK, 2006, p 461.

³ - Garthwaite Gene R, The Persians, Blackwell Publishing USA, 2005, p 1.

غير أن بعض المؤرخين الإيرانيين يذكرون أن فارس ما هي إلا جزء من إيران هذا ما أوردته هوما كاتوزيان، وأن الفرس جزء واحد من الشعب الإيراني، لكن في بعض الأحيان لمصطلح فارس دلالة جغرافية أوسع من إيران، ذلك أن هذا المصطلح قد ضم أراضٍ كبيرة من إيران الحالية وخارجها خاصة في الفترة القديمة، في حدود ما يسمى بالإمبراطورية الفارسية¹.

الهضبة الإيرانية، عبارة عن مثلث يقع بين المنخفضين وهما الخليج الفارسي نحو الجنوب والبحر القزويني من الشمال، بالإضافة إلى أنها كالجسر بين وسط وغرب آسيا، حيث يحوي الخليج نتوءات، تشكل رابطاً بين هضاب آسيا الداخلية إلى هضبة آسيا الصغرى نحو أوروبا هذه الجغرافية كانت مسرحاً للقسم التاريخي من اسم هذه الهضبة والذي لعب دوراً مهماً لآلاف السنين من التاريخ البشري، يحد هذا المثلث جبال تتميز بعلوها والتي تحيط بهضبة والتي تقع في وسطها، تلك المنطقة عبارة عن صحراء تشكلت الطبقة الرملية منها إثر جفاف البحر فالجبال الغربية أو ما يسمى جبال زاغروس تنحدر من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي، حيث تمتد على طول 620 ميل* وبعرض 120 ميل، يقدر علو السلسلة الجبلية بين 3280 و 5570 قدم**، تتخللها بعض الانحناءات الموازية يتخللها وادٍ بطول 30 إلى 60 ميلاً طولاً وبعرض 6 إلى 12 ميلاً، ومن وسط سلسلة جبال زاغروس تبرز نتوءات تمتد غرباً نحو سهل بلاد ما بين النهرين، تشكل منحى نحو نهر الدجلة وبذلك تقترب من الفرات، هذه النتوءات لديها شكل الفأس الصغيرة، حيث تشكل تهديداً من الأعلى للسهل إلى أدناه، وتلك المنطقة أصبحت تسمى لوريستان **Luristan** الآن².

¹ - هوما كاتوزيان، الفرس إيران في العصور القديمة والوسطى والحديثة، ترجمة أحمد حسن المعيني، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، لبنان، 2014، ص 15

* - 1 ميل = 1,848 كم، أنظر محمد صبحي بن حسين حلاق أبو مصعب، الإيضاحات العصرية للمقاييس والمكاييل والأوزان والنقود الشرعية، مكتبة الجيل الجديد، اليمن، 2007، ص 71.

** - 1 قدم = 30,8 سم، المرجع نفسه، ص 66

² - Roman Ghirshman, **op. cit**, pp 21-22

أما المنطقة الشمالية من المثلث تميزت بوجود السلسلة الجبلية البرز التي توجد فيها أعلى قمة في جبل "ديمفاند Demavend" حيث يقدر علوها بحوالي 19.000 قدم، تلتف على الساحل الجنوبي لبحر قزوين وتشكل بذلك حاجزا عاليا وضيقا، إذ تفصل المنطقة الساحلية المتميزة بخصوبتها ومراعيها عن المنطقة الصحراوية الداخلية، ومن نهاية جبل البرز Elburz من جهة الجنوب يصل إلى أذربيجان في الوسط ليمتد إلى بحيرة أورميا Urmia، وهي المنطقة الأكثر أهولا بالسكان في إيران¹.

تحوي المنطقة المحيطة ببحيرة أورميا وديانا تحيط بها مراعي خصبة صالحة للعديد من المحاصيل الزراعية (الدخن، القمح، القطن، الأرز، التبغ، أشجار الخروع، ومن الجهة الشرقية للسلسلة تشكل جبال خوراسان والتي تتميز بارتفاعها القصير، كما أنها سهلة العبور، مع احتوائها على وديان تحيط بها مراعي خصبة هي الأخرى، تنمو فيها مختلف المحاصيل (القمح والشعير، الأرز، القطن، الكروم ونبات الخشخاش)، تعتبر هذه المنطقة مخزن الحبوب في إيران. أخيرا الجبال المحيطة بالمثلث الإيراني تكتمل بسلسلة جبلية أخرى جنوبية يميزها "جبل ماكران Makran" تخترق هذه السلسلة ممران، الأول يؤدي لبندر عباس Bandar Abas، والتي كان مينائها مزدهرا في السابق أعلى الخليج العماني، أما الآخر فيقود نحو بلوشستان كويتا Balushistan Quetta، هذا من الجهة المحيطة بالهضبة الإيرانية أما وسطها، فهو عبارة عن منخفض صحراوي كبير، وتعد من أكثر الصحاري القاحلة في العالم، وهي قسمان دشت كاوير Dasht-i-kavir من الشمال، ودشت لوت Dasht-i-lut في الجنوب، حيث تشكل تلك المنخفضات من مجموعة من المناطق الموحلة والمستطحات المالحة، والتي تؤكد لنا استحالة العيش فيها ولا حتى استصلاح أراضيها، غير أنه وفي بعض الأماكن التي توجد على حواف هذه الحفرة الصحراوية، أين تقل ملوحة الأرض تظهر واحات، والقليل ممن استطاعوا الوصول لصحراء آسيا الوسطى على غرار صحراء غوبي Gopi، والمنطقة الأهم من كل هذه المناطق هي خوزستان في الجنوب الغربي والتي كانت تسمى قديما سوزيانا susiana وما هي إلا امتداد جغرافي واضح لبلاد ما بين النهرين، تتوغل داخل سلسلة جبال زاغروس Zagros، حيث شكلت انعكاس للمنطقة الجبلية بلورستان²، ولقد شكلت هذه السلسلة منذ زمن سحيق مركز

¹ Roman Ghirshman, op. cit, pp 22.

² Ibid, pp 22-24.

قوة وضعف إيران قديما، من هناك جاءت الكنوز بمختلف معادنها وأحجارها، وجاءت أنهارها ووديانها ومراعيها الخصبية بمختلف محاصيلها¹، ومن هنا وبالنظر للمقومات الجغرافية التي تمتعت بها تلك المنطقة، نجد أن كل الظروف كانت تسنح للإستييطان وإنشاء إمبراطورية تعادل قوتها باقي القوى التي كانت تنشط آنذاك خاصة المجاورة لهم، وقد ساعد في ذلك تعود الفرس على البيئة القاسية والمناطق الجبلية الوعرة هذا بالنسبة للمنطقة بشكل عام.

إذن فارس أو إيران يحده من الشمال بحر قزوين، كما أن لها حدودا مشتركة مع العراق، أفغانستان، الخليج العربي وبحر عمان، وتحيط بالهضبة الإيرانية الجبال من كل الجهات كما ذكرنا سابقا، (من الشرق جبال سليمان المتوازية، الغرب جبال كردستان، زاغروس من الشمال إلى الجنوب التي تشكل انحدارا إلى أن تصل إلى بحر عمان شمالا، أيضا جبال البرز والتي تمتد من الجنوب الشرقي حتى رأس الخليج العربي²).

2-2-2 المقومات الطبيعية لفارس:

أما المنطقة بشكل أكثر دقة ونقصد بذلك إيران الموقع الذي جرى فيه تأسيس الإمبراطورية الإخمينية والإمبراطورية الساسانية، وهي المنطقة التي برزت فيها أكبر قوتين وأسرتين ملكيتين وهما الفارسية الإخمينية والساسانية.

جاءت في اللغة الفارسية القديمة باسم "بارسا" وأما في اللغة الفارسية الجديدة "فارس" وكتب بالأحرف اللاتينية كالتالي (Fares, parsa)، هنا نبدأ بالجزء الجغرافي المسمى إيران، يفضل الجغرافيون والباحثون التاريخيون وصفها بأنها سلسلة من الهضاب تمتد من الخليج الفارسي إلى وسط صحاري إيران، والتي تضم أوسع هضبة، والتميزة بخصوبتها ومن الممكن أن نصفها بالثلة، حاليا تسمى ماروداشت، أين المخلفات الأثرية للحضارة الفارسية الإخمينية، تتواجد في تلك المنطقة وديان مجراها من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي ما بين تلال سلسلة جبال زاغروس، أين توفرت كل

¹ - George G. Cameron, **History of Early Iran**, The University of Chicago Press, USA, 1936, pp 1,2

² - جميلة عبد الكريم محمد، قوريناثة والفرس الإخمينيون، منذ إنشاء قوريني حتى سقوط أسرة باتوس، دار النهضة العربية، لبنان، 1996، ص 25

الموارد البشرية بصفة تكاد تكون دائمة على مر الأزمان لبناء وازدهار العديد من الإمبراطوريات، حيث قدر مستوى التساقط السنوي لشيراز قدر بـ 350 مم بالمقارنة مع آلاف المليمترات التي تسجل على الشريط الساحلي لبحر قزوين¹، تشير إلى نسبة الجفاف في الجنوب، تعتبر دراسة الجغرافيا الطبيعية للعديد من المناطق مهمة لكونها توضح الحالة الاقتصادية للإمبراطوريات والممالك والدول قديما وحديثا، فكان الإيرانيون في الهضبة الإيرانية يتقاسمون نفس الحيز الجغرافي، بصحاريه وأنهاره وبحيراته مما نتج عنه العديد من الأجناس البشرية والإثنيات، العديد من اللغات واللهجات، وأساليب عيش متعددة ومختلفة والتي تطورت في الوديان المعزولة، وعليه من الأهمية البالغة أن ندرس تلك المناطق من العالم²، والتي كانت أراضي مشتركة ومن أهمها (إيران الحالية، أفغانستان، توركمانيستان، أوزباكستان وطاجاكستان)³.

كان المسح الجغرافي للهضبة الإيرانية وآسيا الوسطى حديثا نسبيا، إلى أن اهتموا لمنهجية الدراسة عن طريق تجميع البيانات والمعطيات للحرارة واستخدام المياه، هذا من جهة ومن جهة أخرى الجغرافيا التاريخية للمنطقة التي كانت في المقام الأول من اهتمامات الأكاديميين الذين نادرا ما غامروا في هذا المجال، وبالتالي الوقوع في الثغرات والمفاهيم الخاطئة واختلافها، ونظرا للأهمية الإستراتيجية للمنطقة التي تضم كل من فارس وأفغانستان⁴.

حرص الجنود الروس والبريطانيون فيما سبق على رسم خرائط للمنطقة الداخلية، مما نتج عنه، وجود صور وخرائط تحوي تفاصيل عن هذه المنطقة، ليست مرتبطة بالمصادر الكلاسيكية، هذه الأعمال من شأنها أن تساعد الطلاب على التعرف على جغرافية كل من فارس وأفغانستان ووسط آسيا، كما كان كل من هيروودوت وسترابون وبليينوس وإيزيدور قد أعطونا لمحة جغرافية عن إيران

¹ - Richard N. Frye, The History of Ancient Iran, Verlag C.H Beck, Germany, 1984, p 8.

² - Ibid, p 6.

³ - Pirouz Mojtahed- Zadeh, Iran : An Old Civilization and a New Nation State, part₁ : The Iranian Tradition of Statehood, FOCUS on Geograghy, vol49, n°4, spring 2007, p 20

⁴ - Richard N. Fraye, op. cit, p 1.

القديمة وآسيا الوسطى مما يتيح لنا أن نتصور الخريطة القديمة لبلاد فارس، ولا ننسى الجغرافيين الذين كتبوا باللغة العربية أو الفارسية مثل كتاب حدود العالم، والصينيين من خلال رحلات الرهبان البوذيين والفرس أنفسهم¹.

منذ أزمان سابقة وحتى الآن، حزننا على العديد من الخرائط المفصلة بشكل دقيق عن معظم إيران، أفغانستان، وآسيا الوسطى، وقد قام الإتحاد السوفياتي سابقا بوضع خرائط تحدد المنطقة من أفغانستان إلى إيران ووسط آسيا سنة 1960 م من طرف اللجنة الجيولوجية للإتحاد السوفياتي، في حين أن الولايات المتحدة الأمريكية قد رسمت خرائط للطرق حول العالم من خلال مهندسيها، أما الجيش الألماني قد وضع خرائط سنة 1930 م، وهي من الخرائط الجيدة في وصف المنطقة الداخلية².

2-3 الشعوب المجاورة للفرس:

الشعوب التي استوطنت في الماضي أي في الفترة التي تسبق الألفية الثانية قبل الميلاد، واستقرت بجمال زاغروس، كانت تنتمي لمجموعة القبائل والتجمعات القبلية التي سميت بهذا الإسم أي الهندو- إيرانيين، وهذا لكي نميزها عن باقي الشعوب الأخرى، ومن الشعوب القوقازية نجد العيلاميين والكاشيين وشعوب غوتيوم Gutium، وبعض الشعوب التي تتمتع بالحكم الذاتي والتي كانت متواجدة في الهضاب الأخرى، والتي لها علاقة من بعيد من ناحية اللغة واللهجة التاميلية Tamil والتي هي متداولة الآن في الهند، وبهذا يجعلنا نتجه بالقول بأن عناصر من هذه المجموعة كانت تقطن المناطق الداخلية من الهضبة الإيرانية³.

¹ - Richard N. Fraye, op. cit, pp 1- 4.

² - Ibid, p 6.

³ - George Cameron G, **Ancient Persia**, Yale University Press, USA, 2011, p 138.

2-3-1 العيلاميون:

بحلول الألفية الثانية، وجدت سلالة وطنية في عيلام، حيث لقب ملوكها أنفسهم بـ رسول الآلهة، الأب، ومملك أنزان أو أنشان، وسوسة، ووجدت آثار تدل على نشاط العيلاميين في تلك الفترة، وهي عبارة وثائق ذات صفة مالية كتبت بالأكدية¹.

تمركز العيلاميون جنوب غرب إيران حالياً، عرفوا عن أنفسهم باسم *Haltamti* والتي تحولت فيما بعد إلى *elamtu* باللغة الأكادية (هي كلمة اشتقت من الإسم الأصلي)، اعتبرت سوسة وأنشان المركزين الرئيسيين للحضارة العيلامية².

من باب التدقيق فإن مصطلح عيلام يعرف نسبة للناطقين باللغة العيلامية، وهي غير معروفة وتعتبر لغة عائلية يعني لغة تختص بفئة أو مجموعة بشرية معينة، بالرغم من اتصالها بالسلف المزعوم الدرافيديون، فبالنسبة للغة الدرافيدية الحديثة نجدتها في بلوخستان وأفغانستان، في براهوي شمال الهند، النيبال (في كورخ ومالتو)، كما نجدتها في جنوب الهند وشمال سريلانكا (على سبيل المثال التاميل، مالايالام، كانادا والتلغو)، من الممكن انه توجد تجمعات بشرية لا تتكلم العيلامية، تعيش في جنوب غرب إيران، أو الأجزاء المجاورة لها، الذين يستعملون العيلامية في الكتابة ويعرفون عن هوياتهم بأسماء تنتمي لإثنية عرقية معينة، ذلك أن وجود بعض النقوش والتي تحمل أسماء عيلامية، ليس بالضرورة أن يكون الأشخاص الذين ذكرت أسمائهم في تلك النقوش عيلامية في الأصل، أما من الناحية الجغرافية فهناك لغط كبير وعدم وضوح لمختلف المدن العيلامية، كما أن مواقعها تنعدم سواء في النقوش التي نسبت لهم أو حتى في نقوش بلاد ما بين النهرين، بالرغم من تعددها وكثرتها إلا أنها غير واضحة، كما أنها مجهولة المركز، بالإضافة إلى أسماء البلدان التي ذكرت أيضاً، لكن من المستطاع ان نصنف المناطق من خلال الأسماء الشخصية للأفراد على سبيل المثال (مارشاشي، شيريهوم، باشيما، شيمشاشي، زابشالي.. إلخ)، لكن النتيجة أو المشكل يكمن في أن الأسماء العيلامية ليست بالضرورة أن تنسب لأفراد ذوي أصول عيلامية، إذن ومهما يكن فإن جنوب غرب إيران كانت

¹ R. Ghirshman, op. cit, p 63.

² Marsha E. Ackerman, **Encyclopedia of world History : The Ancient World Prehistoric Eras to 600 C.E**, vol₁, Facts On File, USA, 2008, p 128.

منطقة ذات تعدد لغوي ثقافي، حتى أن العيلاميين أنفسهم قاموا بالإغارة على نفس المناطق التي كانت على أرضها، والتي ضمت تجمعات بشرية أخرى، وصولاً إلى الإمبراطورية الإخمينية¹.

لقد كانت الوثائق المالية التي كتبت بالأكدية، لا تتم عن انعدام للحضارة العيلامية ذلك أن وجود العديد من الكلمات العيلامية الأصلية، تؤكد التطور الحضاري المحلي لهذه المملكة، وهي واضحة بشكل كبير في موضوع الديانة، فقد عبدت الآلهة شالا وقرينتها إنشو شيناق، وكاننا أكثر شعبية من الآلهة في المعبد البابلي².

لقد استوطن العيلاميون منطقة خوزستان وجنوب لورستان وفارس، وهي مناطق مختلفة كل الاختلاف عن بعضها البعض من الناحية البيئية، فالسهول التي تتميز بأراضيها الطينية وسط وجنوب خوزستان، وهي كرخ، داز شور، وانهار كارون، إذ تشكل مسطحا مائيا واسعا تكسره فقط تلة والمسماة حفت، ومجموعة الدلتا المسماة دزفول، في منطقة مستوى تساقط الأمطار فيها قدر بـ 300 مم سنويا، هذه الأنهار تعتبر عنصرا حيويا للماء من أجل السقي والزراعة، كما أنها طرق لعبور القوارب التي تؤدي إلى الخليج الفارسي (العربي)، وهي مهمة للصيد والتجارة، تقدر الحرارة في خوزستان بستين درجة مئوية في الصيف، فالجو شديد الحرارة في هذه المنطقة، هذا دليل على وجود الهجرة بين الأراضي المنخفضة والعالية، فالوديان التي تتواجد في سلسلة جبال زاغروس والمتجهة شمالا لها خاصية مميزة للجذب فهي ملائمة للحياة عليها منذ آلاف السنوات، مع كتلتها الحيوية الغنية من خلال التساقط الكثيف للأمطار، والطقس البارد، كما أن أودية زاغروس جنوب لورستان وجنوب فارس توفر فرصا اقتصادية لا حد لها، تتركز على الأغنام والأبقار، سواء من ناحية الرعي أو انتشار المزارع، والجهة الشرقية من نهر قارون حيث ترتفع الأرض شيئا فشيئا نحو رام هرمز، وبهبهان وشرق غاشساران ودوغونبادان، وهي مناطق تظهر بيئة المرتفعات الحقيقية تتخللها العديد من الينابيع والوديان الغنية بالمقومات الزراعية، لتستمر نحو الشرق، إذ ترتفع الوديان عن مستوى البحر بـ ألف متر، هذا الإرتفاع يجعل الأرض تزداد جفافا لكنها في نفس الوقت لا تفقدها قيمتها فيما يخص

¹ Touraj Daryaei, The Oxford Handbook of Iranian History Oxford University Press, USA, 2012, pp 37-38.

² R. Ghirshman, op. cit, p 63

تواجد وإقبال ثقافات العديد من التجمعات البشرية، وهذا ما نجده في سهل ماروداشت شمال غرب شيراز، الذي كان مركزا للعديد من المواقع المهمة لما قبل التاريخ على غرار تل المشكي، تل الجري، تل الباكون والعاصمة الإخمينية بيرسيبوليس وبالطبع مركز العيلاميين آنشان حاليا تل المليون¹.

الهدف من دراسة تاريخ العيلاميين هو الإحاطة بالتاريخ السياسي للمنطقة والتي انبثقت منه الحضارة الفارسية الإخمينية، ذلك أنها السبابة في الركب الحضاري في تلك المنطقة، لنقل أن العيلاميين كانوا كقاعدة لتواجد الفرس أو بوابة لخروجهم على الساحة التاريخية كقوة تحت قيادة قائد.

بناء على العديد من المعطيات السابقة يبدأ التاريخ السياسي العيلامي بشكل عام منذ ظهور وبرزهم من ناحية اللغة والتي جاءت في نقوش بلاد ما بين النهرين، تبدأ من مرحلة الكتابة بسوسة، والتي قدرت سنة 3400 ق م إلى سنة 2700 ق م، وهي الفترة التي ظهرت فيها الكتابة عندهم².

أما التاريخ السياسي بشكل خاص حدد منذ حوالي 2500 ق م إلى بداية الحضارة الفارسية الإخمينية سنة 539 ق م، بالرغم من وجود دلائل على تواجد تجمعات إثنية عيلامية خلال فترة حكم الإمبراطورية الإخمينية والفترة البارثية، بالإضافة لأولئك الأقوام الناطقة باللغة العيلامية في خوزستان في العصر الوسيط، لا نستطيع القول بأن العيلاميين وأجدادهم هم أول من استوطنوا جنوب غرب إيران³.

عثر بحفريات مواقع ما قبل التاريخ في خوزستان ب (علي كوش، تل سبز وشوغاميش)، وفي فارس (تل المشكي، تل الجري، تل نور أباد، تل اسبيد، تل الباكون) لكن لا توجد لدينا طريقة لمعرفة إذ كان سكان هذه المناطق يتكلمون العيلامية، كان أقدم مصدر يؤرخ لوجود دولة اسمها عيلام كان في عهد الملوك السومريين، أين ذكرت عيلام فقد هوجمت من طرف إنميراغيسي الملك الأول لمملكة كيش، كما أن أوان الحامية العيلامية، يحمل ملوكها أسماء عيلامية، قاموا باحتلال مملكة أور، لكن للأسف طرح تساؤل حول تواجد هذا الملك من عدمه، كما هو الجزء المتعلق بالفترة ما قبل الأكادية

¹ - Touraj Drayae, op. cit, p 63.

² - Marsha, op. cit, p 128.

³ - Touraj Drayae, op. cit, p 40.

في سجلات الملوك السومريين، وعندما نصل لفترة حكم إياناتوم اللاغاشي حوالي 2460 ق م، نجد أنفسنا فوق أرضية مزدحمة بالأحداث، حيث ذكرت نقوش هذا الملك أنه قام بمهاجمة العيلاميين مرتين، في المرة الأولى وصل إلى ميشيما والتي تقع على طول شمال شرق ساحل الخليج الفارسي (العربي)، ربما بين بوشهر وشط العرب وفي ذكر آخر لهم بصفة مغايرة في فترة حكم سرجون الأكادي (2334-2279 ق م) بعد ابتداء نظام الدولة المدينة حوالي 2350 ق م، وخلال مد غزواته من بابل إلى أناتوليا وسوريا في الشمال وإيران في الشرق، حيث قام بحملة ضد أوركسا (URUxA) "محور عيلام" في السنة الأولى من حكمه وضد عيلام نفسها في السنة الموالية، وفي النقوش اللاحقة لسرجون والتي تؤرخ لوقت مبكر من الألفية الثانية قبل الميلاد، تذكر أنه قام بحملة أخرى ضد شيريهوم والتي من الممكن أن تتموقع على طول ساحل الخليج الفارسي أسفل ميشيما؛ سوسة في حد ذاتها؛ أوان؛ باراهشوم؛ مارهاشي(باراهشي)، والتي هي الآن معروفة الموقع، حيث تقع في الشرق الإيراني حول سهل جيروفت، كما أن هناك العديد من المناطق التي لا تزال مجهولة الموقع¹.

رغم من الحملة التي قام بها سرجون على عيلام وباراهشي، إلا أنها ظلت تستمع باستقلاليتها في الحكم، وكانت لديها القدرة على إدارة شؤونها، وفي ظل التوسع الأكادي كان لا بد لها أن تصطدم بعيلام والأسرة الأوانية التي حكمت فيما بعد مجموعة من السكان الذين كانوا منتشرين عبر الهضبة الإيرانية².

بلغة الأرقام فإن القوة الديموغرافية والإنتاجية للعيلاميين جعلتهم ندا منافسا للإمبراطورية الأكادية، ولحد الآن وعلى الرغم من الحملات الناجحة ضد عيلام، استمرت المواجهات بين القوتين ليتعامل الخصمان في كل مرة بلغة السلاح في المنطقة المنخفضة من بلاد ما بين النهرين، كما أنها كانت منافسا قويا من ناحية التجارة في الخليج الفارسي(العربي)³.

¹ - Touraj Drayae, op. cit, p 40.

² - Mario Livrani, **The Ancient Near East : History, Society and Economy**, -2 USA, 2014, 135.

³ - Ibid.

وليس بعيدا عن هذه الفترة قام ابنه ريموش والذي حكم بين (2278-2270 ق م)¹، كان قد كبح جماح المتمردين في العديد من المدن السومرية، الثورة الأولى التي حدثت في أور، لاغاش، أوّما وكازاللو(من جهة الشمال)، كما قام بعمل اتفاق مع الموجة الثانية من التمرد والمرجح أنّها الجهة المدعومة من عيلام، حيث استعاد ريموش السيطرة على سومر، وقام بمهاجمة حليف عيلام باراهشي زاهارا مباشرة وفاز بالمعركة بين سوسة وأوان، حيث زعم ريموش أن الإله إنليل أعطاه جل الأراضي(ويقصد بذلك السهول الغربية لبلاد ما بين النهرين)، وكل الجبال(الحد الخارجي) من أخفض منطقة في البحر إلى أعلاها².

كما قام ابنه مانيشوتوشو(2269-2255 ق م) بالهجوم على عيلام، ولم يعرف بالضبط ترمين حملات نارام سين حفيد سرجون الأكادي على عيلام(2218-2245 ق م)، ولكن منذ حكم شار-كالي-شري(2217-2193 ق م)، استقر الحكام الأكاديون في سوسة، مما يرجح أنّهم كانوا يعتبرونها كمقدمة لجسر استعمل للهجمات الأكادية على تلك المنطقة، وأكثر من ذلك، فخلال حكم نارام سين نعر على نص عيلامي جديد ونادر من سوسة وهو عبارة عن معاهدة بين حاكم مجهول الهوية والاسم وبين الحاكم الأكادي، بالرغم من طرح العديد من الباحثين، التاريخيين فرضية أن يكون هذا الحاكم المجهول "هيتا أو خيتا"، الملك الحادي عشر للملكة أوان حسب ما جاء في سجلات أوان وشيماشكي أيضا والتي عثر عليها في سوسة وهذا تخمين مؤكد، إذ يذكر الملك في سجلاته أثناء تأسيس دولته "عدو نارام سين هو عدوي، وصديق نارام سين هو صديقي" في حين أنه وعد بأنه سيفي بنود المعاهدة، ولن يتساهل مع أي عمل عدائي ضد أكاد³.

في أوائل القرن الثاني قبل الميلاد غزا العيلاميون بابل، حيث أسس أحد أمرائهم أسرة في لارسا، واختفوا قرابة قرن من الزمان، وأثناء محاولة طرد البابليين للكاشيين تصدت لهم عيلام والتي قامت بالضربة الأخيرة، ففي بداية القرن الثالث قبل الميلاد، نشأت أسرة جديدة في عيلام كانت بمثابة العصر الذهبي لهذه المملكة، مؤلفة من مجموعة الملوك المدونة أسماؤهم(شوترك-ناهوتي)

¹ Marsha, op.cit, p 7

² Mario Livrani, op. cit, p 135.

³ Touraj Daryaee, op. cit, p 40.

و (كوتير-ناهونتي) و (شلهاك-أنشوشناك)، حيث أسس هذه الدولة (أونتاش حوبان) أو (أونتاش جال)، والذي تميز بأنه بناء جيد إذ بنى مدنا جديدة وعمّر المدن القديمة ورسم مبانيها، وفي مجال المصنوعات المعدنية، وصلت في عهده المملكة إلى درجة عالية من حيث الجودة والإتقان، وذلك ما نراه في التمثال الذي عثر عليه وهو تمثال زوجة الملك (أونتاش حوبان)، الملكة نابيراسو، ووصلت عيلام ذروة ازدهارها في عهد الملك (شوترك-ناهونتي الأول 1207-1171 ق م تقريبا)، الذي شيد معابد في كل المدن الهامة في المملكة، كما قام بخطوة حربية وهي غزو بابل وطرده آخر ملوك الأسرة الكاشية (ووضع مكانه ابنه كوتور-ناهونتي)، والذي جلب تمثال الإله مردوخ إله بابل الوطني¹.

وفي عهد الملك شلهاك أنشوشناك (1165-1151 ق م تقريبا) استطاع أن يمد احتلاله إلى الشمال في منطقة ديبالي، فوصل حتى إقليم كركوك واستمر في التقدم شمالا حتى أن وصل إلى آشور، ثم نزل حاصر بابل، وتمكن من بسط نفوذه على وادي دجلة كله، ومعظم شواطئ الخليج العربي وسلاسل جبال زاغروس، وبذلك تكونت دولة موحدة تحت الحكم العيلامي لأول مرة، حيث شملت هذه الدولة كل غرب إيران الذي ضم أقاليم الجب مما نتج عن تلك الانتصارات أن عادت الدولة العيلامية إلى مجدها وأحييت تراثها، ببعث الكتابة م قبل العيلامية، حيث ترتب عن ذلك التعصب ضد كل ما هو أجنبي ودخيل عن الثقافة العيلامية، أصبح أنشوشناك إلهها وطنيا، كما ألهمت عائلته كما هو الحال معه خلال حياتهم، وخير دليل على ازدهار الدولة في عهدهم هي تلك المخلفات الأثرية من فنون وعمارة، ومن أشهر المدن التي شهدت وتكرزت فيها تلك النهضة مدينة سوسة².

كأي دولة ازدهرت ثم انهارت، وكان انهيارها هذه المرة متسارعا، وكانت النهاية على يد نبوخذ نصر الأول الملك الرابع لأسرة إيشين (1125-1104 ق م)، والذي فوضه الإله مردوخ لتحرير إله بابل من قبضة العيلاميين، وبعد محاولات عديدة من الهجوم على عيلام، نجح في استرجاع تمثال الإله مردوخ وإعادةه إلى بابل بعد أن أخذه العيلاميون خلال عهد كوتير ناهونتي، وذلك أنه وخلال مواجهات انتهت بالمجابهة مع الملك العيلامي هوتيلوتوش إنشوشيناك في معركة بالقرب من نهر

¹ - أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (مصر، العراق، إيران)، ج5، دار النهضة العربية، لبنان، 1989م، ص ص407.

² - المرجع نفسه، ص 408.

أولاً (كلخ) مرغماً إياه عن التراجع عن بسط سيطرته على عيلام، حيث أنهت هذه المواجهة، حكم الشوتروكيدز وبذلك انتهت الفترة العيلامية المتوسطة، واختفى أي ذكر للملك انشوشيناك في السجلات البابلية اللاحقة في عهد نبوخذ نصر الأول، غير أن بعض الدلائل تبين لنا استمرار تواجدهم لسنوات أطول، وذلك على الأراضي العليا وراء جيوش الملك البابلي¹.

وكانت نهاية التواجد العيلامي في الحقبة المسماة بالفترة العيلامية الجديدة والممتدة من (1100-539 ق م)، يبدو أن دور عيلام في شؤون غرب آسيا قد تقلص إلى حد كبير، وفي الواقع ليس لدينا مصادر مكتوبة تعطينا معلومات حول الفترة العيلامية الجديدة خلال 350 سنة الأولى من تاريخها، باستثناء إشارة آشورية لمشاركتها في التحالف العسكري الذي دعم الملك البابلي مردوخ بالاسو-إكبي ضد الملك الآشوري شمشي أداد الخامس في مواجهتهم العسكرية في دور-بابسوكال سنة 814 ق م، وفي عام 720 ق م، ادعى الملك الآشوري سرجون الثاني الذي تم تنصيبه حديثاً آنذاك أنه انتصر على الملك العيلامي هوبان-نكاش (743-717 ق م) في مدينة دير في منطقة ديبالى شرق بابل العراق، ولكن ما جاء في السجلات البابلية، كان الملك العيلامي هو من فاز في تلك المواجهة، يشير المؤرخ برينكمان أن النتيجة النهائية لم تكن محسومة، وكانت كل مرة تسير في طريق مسدود، حيث كان العيلاميون يتفوقون على الجيش الآشوري في الميدان، وبسطوا سيطرتهم على أراضي جنوب دير، لكن الآشوريون احتفظوا بالسيطرة على المدينة، وتشير المصادر البابلية أن قوة العيلاميين تجددت في عهد شتروك-ناهونتي الثاني (716-699 ق م)، الذي صعد العرش بعد وفاة هومانيكش، وشقيقه وخليفته هالوشو (693-699 ق م)، هذا الأخير قد استولى على العرش إثر انقلاب في القصر².

لقد دفع التوسع الآشوري العنيف بابل وعيلام إلى تشكيل تحالف ضدهم، حيث سعى كل من شتروك-نهونتي وشقيقه، إضعاف سيطرة الآشوريين على المناطق الواقعة شرق دجلة من خلال دعم الكلدانيين عن طريق زعيمهم القبلي مردوخ-أبلا-ايدينا الثاني (ميروداخ بالادان من السجلات

¹ - Touraj Daryae, op.cit, p 45.

² - Trevor Bryce, **The Routledge handbook of the peoples and places of ancient western Asia (The Near East from the Early Bronze Age to the Fall of the Persian Empire)**, Taylor & Francis e-Library, UK, 2009, 323.

الآشورية)، الذي ظفر بالحكم في بابل حوالي سنة 721 ق م، ووحّد البلاد ضد الحكم الآشوري، غير أن كفاح مردوخ-أبلا-أيدينا المطول مع الآشوريين كُلى بالفشل في النهاية، غير أنه عندما حاول الملك الآشوري سنحاريب مطاردته عبر المستنقعات جنوب بابل، تبعته القوات العيلامية إلى هناك في الأراضي الساحلية (حوالي 700 ق م)، ردت هالوشو العيلامية وذلك بشن هجوم على الشمال من مدينة سيبار البابلية، حيث أسر ولي العهد الآشوري آشور-نديشومي، والذي تم تعيينه ملكاً على بابل من قبل والده سنحاريب، وقد تم نقل الأمير الآشوري إلى عيلام، حيث تم إعدامه على الأرجح، هذا وقد وضع العيلاميون عينهم ورجلهم ورجال أو شيزيب على العرش البابلي مكان الأمير المعدوم حوالي سنة 694 ق م¹.

في السنة الموالية، قام سنحاريب بخوض معركة ضد القوات العيلامية البابلية المشتركة بالقرب من نيبور، التي كانت تحت سلطة نرغال الذي استولى عليها سابقاً، وتمكن من الانتصار الذي أعاد له الثقة وثبت سلطته على بابل مجدداً، حيث تم أسر نرغال واقتيد إلى نينوى لكي يعدم، حاولت هالوشو الهروب والعودة إلى سوسة، لكنه قتل هناك من طرف شعبه، وخلف من طرف كودور (ربما فرع قبلي عيلامي)، والذي عرف باسم كودور-ناهوندو (من خلال حوليات سنحاريب)، والمعروف تاريخياً باسم كوتور-ناهونتي الثاني حيث وفي عام 680 ق م لجأ حاكم سيلاند نابو-زير-كيي-ليزير إلى عيلام لإحباط محاولة جيوشه الاستيلاء على أور من طرف الملك الآشوري اسرحدون، غير أنه أعدم من طرف الملك العيلامي، الذي تم تنصيبه حديثاً هومبان-هالتاش الثاني الذي خلف والده هومبان-هالتاش الأول في السنة السابقة، هذا الفعل الذي قام به الملك العيلامي ربما كان تعبيراً عن حسن نية اتجاه الآشوريين لا أقل، إذ أن العلاقات الآشورية العيلامية قد بقيت متوترة خلال فترة حكمه القصيرة، على الأرجح بسبب الطموحات الإقليمية العيلامية العالية المستمرة للحصول على بابل².

¹ - Trevor Bryce, op.cit, p 223.

² - Ibid.

2-3-2 اللولوبو:

اللولوبيون هم من الأقوام الجبلية التي سكنت جبال زاغروس، تمركزوا على الطريق المؤدي من بغداد إلى كرمنشاہ ومن ثم إلى همدان وطهران، حيث امتد توسعهم إلى سهل شهرزور قريب السلیمانية حالياً، حيث تذكر المصادر صدامهم مع الملك الأكادي سرجون، الذي توغل حفيده نرام سين داخل أراضيهم وانتصر عليهم، إذ خلد انتصاره هذه في منحوتة على الصخر في أعالي جبال قره داغ عند ممر دربندی گاور¹.

من الواضح أن الوضع الجيوسياسي لمجموعة قبائل اللولوبو قد تغير مع مرور الوقت، وهذا بدليل بعض النقوش، كانوا من بين الشعوب والأراضي المدججة ضمن نطاق الإمبراطورية الأكادية، حيث ووفقاً لأسطورة هذه الأخيرة فقد استولى اللولوبو على مدينتي بوروشاندا في شرق الأناضول وشوبات إنليل في شمال بلاد ما بين النهرين، ثم شرعوا في حملتهم التدميرية انطلاقاً من غوتيوم العيلامية والأراضي البابلية وصولاً إلى الخليج الفارسي².

عانى نرام سين في مواجهاته مع قوم اللولوبي، والذين كانوا عازمين للإطاحة بالمملكة التي تركها سرجون الأكادي لأولاده وأحفاده، حيث اكتشفت اللوحة في موقع السالف الذكر في سوزا، وكان انتصاره على ملك ذكر اسمه وهو الملك ساتوني، وإلى جانب هذا فإن تحديد الموقع يأتي بالمقارنة مع جغرافية حملات الآشوريين التي ذكرت في الألواح، حيث يمكن استنتاج موقع شهرزور من القائمة الجغرافية لإمبراطورية سرجون الأكادي، والتي تضع اللولوبي مباشرة بعد أرابنجا (كركوك)، ومن هذا المركز سار اللولوبيون، حتى وصلوا منطقة زوهاب حالياً بالقرب من سار بول، هنا عثر على الصخور المنحوتة المعروفة والتي تجسد شخصيات ونقش أنوباني ملك اللولوبو المعروف، والذي ذكر في نقوش لولوبي باللغة الأكادية، والتي تصف اللعنة التي يتميز بها هذا الملك ضد أي معادي، حيث اعتبر

¹ - أسامة عدنان يحيى، تاريخ الشرق الأدنى القديم دراسات وأبحاث، آشوربانيبال للكتاب، العراق، 2015، ص 55.

² - Trevor Bryce, op. cit, p 424.

عدوا خطرا بالنسبة لهم خاصة لامتلاكه تلك اللعنة التي رافقته دائما، كما ذكر اسم ملك لولوبي آخر في نقوش نارام سين وهو الملك دوني¹.dunni.

لقد احتوت جغرافية سرجون الأكادي عدة مناطق وذكر أنه احتلها منها: أراضي أرابخا، لولوبي، أرمانوم، غوتيوم، باراشي، توكريش، أنشان(أنزان) وعيلام، والتي كلها يمكن اعتبارها أنها تشمل تقريبا المنطقة الجبلية بأكملها في جنوب غرب فارس².

ويبدو أن نجمة نارام سين تدل على أن موطن اللولوبي بدا أنه في المنطقة مباشرة إلى شرق اربيل وألتين كوبريل مع مركزها في رانيا، والتي ظلت بلا شك مركزا لموروثهم في السنوات اللاحقة، بالإضافة لنقوش نارام سين تؤكد نقوش ملكهم أنوبانيي فكرة عن التراث المادي لهؤلاء الشعوب لنطلق عليهم "متسلقي الجبال"، حيث يظهرون وهم يرتدون سترات أو سترات خفيفة، مع جلد حيوان على أكتافهم، اللحية قصيرة، شعر مجدول (يبدو أنها ثقافة البحر الأبيض المتوسط)، لم يكن لدى ملوكهم سلطة مركزية، بل كانوا منقسمين إلى مجموعة عشائر صغيرة لدى كل منها حاكم مستقل، وكان اتحادهم يتحقق فقط في حالة المداهمة من أي طرف خارجي معادي³.

أشير إلى اللولوبي مرة أخرى في سجلات شولغي(2094-2047 ق م)، الحاكم الثاني من سلالة أور الثالثة، الذي يدعي أنه شن تسع حملات ضدهم، حيث احتفل في السنة 44 من حكمه بفوزه التاسع على الملك سيموروم وأقوام اللولوبو، حيث سيقى هذا الأخير قوة رئيسية في عالم الغرب الآسيوي لعدة قرون قادمة، حيث يذكر الملك الآشوري أداد نيناري(1307-1275 ق م) أن اللولوبو من الشعوب التي غزاها، وكذلك ابنه شلمنصر الأول⁴.

¹ I.E.S Edward, The Cambridge Ancient History : Early History Of The Midle East, Cambridge University Press, UK, 1971, pp 443, 444

² I.E.S Edward, op. cit, p 444.

³ The Cambridge Ancient History : Early History Of The Midle East, and the Aegean Region C. 1380-1000 B.C, Cambridge University Press, UK, 1975, p 504- 505.

⁴ Trevor Bryce, op. cit, p 425.

ذكروا في عهد ابن شلمنصر الأول توكولتي نينورتا الأول، وفي القرن 12 ق م في عهد الملك البابلي نبوخذ نصر والملك الآشوري آشور- رشي إيشي الأول، حيث يذكران حملتهما ضد اللولوبو وجاء ذكرهم عند تيجلات بلاصر الأول (1114-1076 ق م)، الذي يدعي انه قام بغزو أراضي اللولوبو، ومن المؤكد أن هذه الحملات جاءت على ضوء التهديدات التي كان يشكلها اللولوبو وهجماتهم المتكررة ضد الأراضي البابلية والآشورية، وعلى الرغم من أن جميع الحملات ضدهم كانت ناجحة، ربما حقق الآشوريون نوعاً من الهدوء النسبي والمؤقت لجيرانهم الشرقيين، غير أن أراضي اللولوبو قد ذكرت مرة أخرى عندما غزاها الملك الآشوري أداد نيراري (911-891 ق م) في حملته على الزاب الأدنى، ومرة أدت إلى إخضاعهم، كما قام أشورنا سيربال الثاني (883-824 ق م) بمواجهتهم، وبعد عدة عقود تجددت مواجهتهم مع الآشوريين في عهد شلمنصر الثالث (858-824 ق م)، وفي بداية عهد سرجون الثاني (721 ق م)، استخدم مصطلح اللولوبو رمزياً للإشارة إلى مقاطعة زامو، وعلى هذا النحو فقد بقيت اللولوبو واحدة من المناطق الشرقية ترتبط بالملك سرجون الثاني بالتبعية في السنوات الأولى من حكمه، حيث كافأهم سرجون في عام 716 ق م على ولائهم عندما غزا الدول المتمردة في الجوار التي حاولت الانضمام إلى مملكة أورارتو وضم واحدة من تلك المدن والتي تدعى كاراللا إلى إقليم اللولوبو¹.

3-3-2 الغوتيون:

استوطن الغوتيون المناطق التي تقع جنوب تلك التي كان يسكنها اللولوبو وتمركزوا في همدان وما يحيط بها من مناطق وسط جبال زاغروس، ذكروا جنباً إلى جنب مع اللولوبيين، كانوا من ضمن الشعوب التي هزمها نارام سين حين غزا اللولوبو، هم من كانوا السبب في انهيار الإمبراطورية الأكادية حوالي 2230 ق م وخلال العهد الآشوري الوسيط في عهد الملك أرك- دين- أيلي (1219-1245 ق م)، قام بالهجوم عليهم كما هاجمهم أداد- نيراري أثناء هجماته على اللولوبو، هذا وقد أخضعهم الملك الآشوري شلمنصر الأول، كما يردون في مدونات توكولتي نينورتا الأول باسم وقد خضعوا له، وهاجمهم آشور- ريش- إيشي، كما أخضعهم الملك أدد نيراري الثاني لسلطانه².

¹ - Trevor Bryce, op.cit, p 425.

² - أسامة عدنان يحيى، تاريخ الشرق الأدنى القديم دراسات وأبحاث، آشوربانيبال للكتاب، العراق، 2015، ص 56-57.

4-3-2 الكاشيون:

قدوم الكاشيين إلى بابل مع وجود شواهد تاريخية تدل على ذلك، هو في حد ذاته حجة، بالنسبة لتوافد عرق آخر من الهندو- إيرانيين على هذه الأرض (الهضبة)، فبالرغم من أن الكاشيين ليسوا هم الوحيدين، الذين ينتمون لهذا العرق، فهم لديهم خبرة عبر التاريخ في التواصل وإقامة العلاقات مع الشعوب الهندو- إيرانية، فالمنطقة التي استقبلت العديد من الآلهة الغير قوقازية معبده لم تكن سوى آلهة إيرانية، ومعرفة كيفية اندماجها لم تكن بتلك الصعوبة، فعبير سهوب تركستان من السهول الشمالية للقوقاز والبحر القزويني، اجتاحت القبائل الهندو- إيرانية برؤسائها ومحاربيها وأحصنتها إيران كما قلنا في بداية الألف الثانية قبل الميلاد دفعة واحدة حيث حطت على الهضبة، بعد ذلك تقسمت قواهم إلى قسمين قسم منهم نحو الجنوب الشرقي للهند، بهدف فرض لغتهم على الأقوام الخاضعة وتطويرها إلى ما كان يعرف باللغة السنسكريتية، أما الفرع الآخر (وصفوا بأنهم قليلون)، تقدموا نحو جنوب إيران، من هناك عرف الكاشيون إله الشمس " سوريا "، وسيد الآلهة " ماروت "، وإله العواصف " بوريا"، وعرفوا الأحصنة القوية التي زادت من قوة محاربيهم الذين تميزوا بالشراسة، كما عرفوا الثيران التي استعملت في الحرث (الثيران التي تمشي ببطء)¹.

مهما يكن فالجنح الغربي للوافدين الهندو- إيرانيين، لم يستقروا نهائياً فوق سلسلة جبال زاغروس حيث قام قادتهم بالمضي نحو المنحى الجنوبي لنهر الفرات أين استقر الميثانيون هناك بعد رحلتهم الطويلة للتمتع بحكم ارسقراطي (غير أن هذا الطرح مشكوك فيه)، لكن أسماءهم لم يكن مشكوكاً فيها، فهي في أصلها تعود إلى الأصول الهندو- إيرانية، وليس بعيداً عن هذه الفترة فأبناء هذا الفرع وهم الهندوسيون، في وقت لاحق قد تبنت آلهتهم أسماء هندو- إيرانية (إندرا، فارونا، ميترا، وناستيا)، عرف محاربوهم باسم مارايا *maraya* وهي كلمة شائعة ومألوفة في اللغة السنسكريتية والتي تعني الأبطال، فوثائقهم عن تدريبهم للأحصنة تكشف عن أصلها الهندو- إيراني حتى ربما الأعداد السنسكريتية².

¹ - George Cameron G, op. cit, pp 138,139.

² - Ibid, 139.

لقد سكن الكاشيون قبل مجيئهم لبابل السلاسل الوسطى لجبال زاغروس (أب لورستان الآن)، غير أن نفوذهم امتد شمالا وشرق هذا الإقليم، حتى أن بعض الباحثين يعتقدون أن سيطرتهم وصلت حتى المنطقة المحيطة بهمذان، حيث يوجد أقدم ذكر للكاشيين من خلال وثائق تعود إلى القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد (في عهد الملك بوزور - أنشو شناق)، غير أنهم لم يكونوا ذوي حدث في الألف الثالثة قبل الميلاد، عرفوا عند الآشوريين باسم "كاس"، حيث يذكر سترابون أن الشعوب الكاشية تتواجد في الشرق من بحر قزوين شمال طهران حاليا، كما يعتقد أن هذه الكلمة قد قورنت بالكلمة اليونانية كاسيتيروس والتي تعني (المعدن الذي يجلب من بلاد الكاسيين)، كما كان اسم همذان قبل مجيء الميديين "أكيسيا" *Akessia*، وفي الآشورية "كاركاس" بما معناها "مدينة الكاسيون"¹.

لقد سيطر هذا الفرع من الشعوب الآرية على بابل وبدأ العصر البابلي القديم (2000-1595 ق م)، واتخذوا بابل عاصمة لهم في الفرات جهة شمالي سومر وأكاد، في حين وضع البابليون أيديهم على المناطق الشرقية في عيلام وكوتيوم (غوتيوم)، وعلى خلفية هذه التوترات، زحف الكاشيون وهم أيضا من الشعوب الآرية إلى الجبال، وقاموا بهجماتهم على بابل وسيطروا عليها وذلك كان في عهد الملك الكاشي آكومي الكبير (1725-1704 ق م)، واستمر حكمهم إلى سنة 1160 ق م (ستة قرون)، إلى حين قدوم الآشوريين الذين قضوا على حكمهم هناك².

لقد أصبح الآشوريون القوة المهيمنة نهاية القرن 19 ق م إلى القرن 18 ق م، حيث يتحكم أحد الملوك الآشوريين بغربي آسيا، من بحر قزوين شمالا وشرقا على سواحل البحر الأبيض المتوسط جنوبا وغربا، قام الآشوريون في تلك الفترة بإرساء حكم اتسم بالقسوة على تلك الشعوب التي سكنت المنطقة في غربي آسيا، وكأي مملكة من القوة إلى الضعف حيث مرت بمرحلة فقدت فيها هيبتها وعاودت النهوض في القرن 15 ق م، ولكن بصعود أقوام آرية جديدة والمتمثلة في الميتانيين (الحوريين) استطاعوا أن يوحدوا المملكة الآشورية، وأصبحوا أحد المؤثرين غربي آسيا منافسين للحثيين في آسيا الصغرى، وللمصريين في سوريا³.

¹ - أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 406.

² - أحمد محمود الخليل، المرجع السابق، ص 21.

³ - المرجع نفسه، ص 22

لقد شهدت ثقافات حضارات العصر البرونزي المبكر في إيران أزمة حوالي القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، حيث تخلت الشعوب عن المدن وفضلت العودة للمجتمع القروي الزراعي، حيث تميزت هذه القرى باقتصاد رعوي وتنظيم اجتماعي وسياسي ذو طابع محلي، حيث لم تؤثر عملية التراجع هذه على إيران فقط فحسب، بل على آسيا الوسطى ووادي السند، هذه الحقيقة تشير إلى أن التراجع ربما لم يكن نتيجة ظروف محلية فقط بل كان بسبب عوامل أكثر تعقيدا¹.

وفي النهاية أدت هذه التغيرات إلى تطوير طرق جديدة لاستغلال الموارد فهذا التحول ليس كنتيجة وإنما كسياق لتغيير وضعية عيش سكان المنطقة، والتي تميزت بانتشار الشعوب الهندو- إيرانية في الجنوب، ومن المعتقد أن الهجرة الأولى من هذه الموجة التي تنسب لما قبل هندو- إيرانية قد وصلت بالفعل إلى جنوب غرب إيران في وقت مبكر من بداية الأزمة وإعادة بعث الحياة في تلك المنطقة، أدت هذه الموجة الأولية إلى انتشار الهندو- إيرانيين وأسمائهم التي نجدها عند مملكة المياتيين والماريانيين، والحروب التي حدثت هناك أي في الهلال الخصيب، والتي تبين تواجد العربات التي تجرها الأحصنة وهي العلامة المسجلة للهندو- أوربيين والإيرانيين، وإذا شهدت سوريا وبلاد ما بين النهرين انتشارا لأنواع جديدة من التقنيات الحربية وأسماء مختلفة عن الأسماء الأصلية، من الممكن أيضا أن إيران قد وصلها هذا التغيير، إذن هذه الموجة رافقتها تأثيرات في المجال العسكري والتقنيات الحربية².

لم تكن الهضبة الإيرانية الحالية عند وصول مجموعة القبائل الرعوية الهندو- إيرانية في الفترة 1500- 1000 ق م، حيث لا يمكن حتى الآن وصف عمليات المسح والتنقيب في فارس في نموذج موحد أو ربطها بمجموعات عرقية أو هويات ثقافية معينة³، إذ ربما الشعوب الهندو- إيرانية مصطلح يدل على الشعوب الناطقة باللغة الهندو-أوروبية والتي هاجرت بلغتها وأفكارها وتقنياتها، والتي تم تفسيرها على أنها تحول ضخم في تركيبة السكان، حيث أدى التوسع الذي حدث سنة 2000 ق م خلال فترة العصر الحجري الحديث، حيث تمثل هذا النموذج في مجموعة من المحاربن والذين حملوا معهم تقنيات حربية تمثلت في مهارات الفروسية والأسلحة من معدن البرونز، فكانوا

¹ - Mario Levirani, op. cit, p 554.

² - Ibid.

³ - Javier Álvarez-Mon, Mark B. Garrison, David Stronach, **Elam and Persia**, Eisenbrauns, USA, 2011, p 91.

عبارة عن فرق هاجرت في موجات انطلقت من السهوب والتي عبرت أوروبا وآسيا للسيطرة على المزارعين، واستمر تواجدهم في تلك المنطقة بجانب المجتمعات التي تأثرت بهذه الموجات والتي بقيت تعتمد على الزراعة والرعي، ولاستكمال الاستراتيجية الاقتصادية التي تعتمد على الزراعة والرعي أضف إليها تقنية صناعة المعادن¹.

وعليه فإن الهندو- إيرانيين ينحدرون من الأقوام الهندو أوروبية(المشتركة في اللغة، تكنولوجيا العربات الحربية إن صح التعبير) التي اجتاحت العديد من المناطق منها بلاد ما بين النهرين، الإغريق، أوروبا، الأناضول، الهضبة الإيرانية، الهند، والمناطق الحدودية للصين، حاملة معها تغييرا لغويا، وعسكريا، حيث مثلت هجرتهم واحدة من أكبر وأعتى الغزوات في التاريخ القديم، لقد تميزت عرباتهم بخفة وزنها، حيث طغت تقنياتهم على ثقافة السكان الأصليين من أوروبا الغربية إلى حدود الصين، وواحدة من تلك المجموعات ونقصد بها الهندو- إيرانية هي من غزت بلاد ما بين النهرين، وانضموا إلى واحدة من الشعوب الأصلية هناك والذين يطلق عليهم الحوريون، وشكلت مملكة ميتاني² في أعالي بلاد ما بين النهرين تركزت في منطقة خابور في نهاية القرن السادس عشر قبل الميلاد³.

غزت قبيلة أخرى من الهندو- إيرانيين جنوب بلاد ما بين النهرين وعيلام، حيث شكلت جزءا من المملكة الكاشية الجديدة، وقبيلة ثالثة تنقسم إلى الآريين والإيرانيين: احتل الإيرانيون الهضبة الإيرانية، وغزا الآريون الهند ودمروا حضارة هارابان التي كان عمرها آنذاك ألف عام، وقبيلة أخرى تدعى قبيلة الأرجيفيون The Argives قامت بغزو اليونان، كان الهندو-إيرانيون أول من طور العربة الحربية وجعلها خفيفة كما ذكرنا وجعلها عربة بعجلتين تجرها الخيول(وكما جلبوا معهم هذه التقنية فيعتقد أنهم من ابتدعوا النار ربما يقصد بها العبادة)، فالكلمة الآرية للعربة الحربية أصبحت مصطلحا مستعملا في جميع لغات الشرق الأدنى وخارجه، حيث تم العثور على كلمة ratha في اللغة اللاتينية والتي جاءت على النحو التالي: rota وهي بالآرية تعني تدريب الخيول⁴.

¹ Peter Bogucki, **Encyclopedia of society and culture in the Ancient World**, -
vol₁, Facts On Files, USA, 2008, p 708.

² Alfred S. Bradford, **With Arrow Sword and Spear : A History of Warfare in the Ancient World**, Greenwood Publishing Group, USA, 2001, p 13.

³ Trevor Bryce, op. cit, p 477.

⁴ Alfred S. Bradford, op. cit, p 13.

معرفتنا عن المملكة تأتي من المواقع التي حددت في بلاد ما بين النهرين وهي تل براك، تل الحميدية وتل موزان في منطقة خابور ونزي تل الريمة في العراق، ومدن العصر البرونزي المتأخر غرب سوريا، حيث حوت هذه المناطق آثارا للمملكة الميتانية على سبيل المثال راس الشمرأ أوغاريت قديما حيث تميزت تأثيرات هذه المملكة في نوع السيراميك الفاخر الذي وجد هناك، حيث ذكرت مملكة ميتاني لأول مرة في السجلات المسمارية أوائل القرن الخامس عشر قبل الميلاد عاصمتها واشوكاني، حيث يدعي العلماء أن مركزها في تل الفخارية على الرغم من أنه لا يزال النقاش يدور حول موقعها الدقيق، كانت قوة عالمية إن صح التعبير عن طريق رسائل الملوك الميتانيين الموجودة في تل العمارنة سنة 2008 م في مصر، حيث تم ذكر ثلاث زيجات سياسية بين ثلاث بنات ملوك ميتانيين وهم: (أرتاتاما الأول، شوتارنا الثاني وتوشراتا) وثلاث فراغنة مصريين (تخوتمس الرابع، أمينوفيس الثالث وأخناتون) في القرن الرابع عشر قبل الميلاد¹.

تم احتلال مملكة ميتاني من قبل الحثيين، حيث سقطت على يد الملك الحثي سوبلوليوما سنة 1327 ق م حيث سقط آخر مقل لها وهو كرشميش، وقتل الملك الميتاني توشراتا فيما بعد، وتم تثبيت ابنه شتيواز كحليف للحثيين، غير أنه بقي كلعبة في يديه، وقد استمر ذكر مملكة ميتاني أو اسمها فقط حيث وجدت في سجلات الملك الآشوري تجلات بلاسر².

أما الموجة الثانية فقد تمثلت في الأقوام الإيرانية، والتي كان للمملكة الآشورية اتصال بها، ومنها الميديون الذين استوطنوا جبال زاغروس، لذا من المحتمل أن المنطقة قد تجذرت فيها اللغة والثقافة الإيرانية ما بين سنة 1300 ق م و900 ق م، أدى ذلك إلى اختفاء طبقة ما قبل الهندو-أوروبية، هذا العنصر الذي كان يمثل قوة في تلك المنطقة من مملكة أورارتو إلى عيلام³.

يمكن أن نعرف عن الشعوب الإيرانية على أنها أمم بمعنى العصر الحديدي أي ككيانات تحدد من خلال العرق واللغة، متحدنين من خلال القرابة والجوانب اللغوية والدينية، كل أمة كانت تنقسم إلى قبائل ثم إلى كيانات ثانوية، اختلف هذا الهيكل السلطوي باختلاف نوعية الإنتاج والمناطق التي

¹ Daniel. T. Potts, *A Companion to the Archaeology of the Ancient Near East*, vol₁, Wiley Blackwell, UK, 2012, p 570.

² Trevor Bryce, op.cit, p 478.

³ Mario Levirani, op.cit p 554.

استوطنوا فيها وكذا باختلاف التنظيمات السياسية، فكانت الدول الرئيسية آنذاك الميديين في زاغروس الشمالية، والفرس في منطقة آنتشان القديمة، الهيركانيين والبارثيين شرق بحر قزوين، البكتريين والصغديين شمال هندو كوش، والأريين، الدرانجيانين والأرخوزين في وسط إيران، ولم تكتمل الصورة الموحدة لهذه القبائل إلى بعد تأسيس الإمبراطورية الإخمينية، غير أنها جاءت قبل ذلك في المصادر الآشورية أو في القصص الإغريقية قبل ظهور الإمبراطورية الإخمينية، فبالرجوع إلى المصدر الآشوري خلال القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى القرن السابع قبل الميلاد، كانت هذه المجموعات القبلية لا تزال متقلبة نسبيًا، وفي وقت لاحق تحولت من عدم الاستقرار إلى الاستقرار بفضل المستوطنات والإنتاج، كان نتاجه تشكيل نظام سياسي احتلت فيه كل أمة منطقة معينة وفقا للأدلة الأثرية والنصية، حيث لعبت الزراعة في اقتصاد الشعوب الإيرانية في تلك الفترة ما بين 1300 ق م و600 ق م دورا هاما، وكذا الرعي بالأبقار في الوديان الخصبة، والخراف والماعز في المناطق الجبلية والشبه قاحلة جنبا إلى جنب، بجانب أشكال أخرى من تربية الحيوانات وهي تربية الخيول وخاصة في زاغروس الشمالية (الميديون والمانيون)، والإبل الباكترية (التي لديها حدبتان) والذي انتشر من آسيا الوسطى إلى الهضبة الإيرانية، مما يجعلنا نستنتج أن زيادة الخيول والجمال هي زيادة الإمكانيات العسكرية والتجارة المحلية، ومما زاد في انتباه إمبراطوريات بلاد ما بين النهرين نحوهم في المنطقة¹.

2-3-5 الميديون:

هاجر الميديون جنوبا إلى أعالي الهضبة الإيرانية خلال الألفية الثانية قبل الميلاد، حيث استقر الميديون في شمال جبال زاغروس في لوريستان بشكل دقيق في نقطة مهمة على الطريق الرئيسي بين بلاد ما بين النهرين والهضبة الإيرانية، ومن هناك يؤدي إلى وسط الصحراء الإيرانية وفي النهاية إلى الصين، نتيجة ذلك كانت ميديا على اتصال دائم بالدول المحيطة²، ويمكن تقسيم ميديا إلى ثلاثة أقسام بحسب المناطق التي كانت القبائل الميديية متمركزة على أرضها، وهي متفرقة:

¹ - Mario Levirani, op.cit p, pp 554,555.

² - Marsha, op.cit, p 269.

1- ميديا أتروباتين:

شملت المقاطعات الشمالية لنهر آراس مارا إلى الجنوب إلى الحدود جبال الوند، والتي تضم منطقة بحيرة أورمية، ونهر جغتو وما يحيط بها من أنهار أخرى، وحوض نهر سفيدرود الذي يعبر جبال البرز قرب مدينة رشت والذي يصب في بحر قزوين، وعليه يحتل هذه القسم البلدان التالية: أذربيجان وكردستان الحالية.

2- ميديا الصغرى:

وتشمل بعض المناطق التي جاءت بين انشاءات سلسلتين جبليتين متصلتين بجبال البرز، تمتد من الجنوب نحو بحر قزوين في الشمال، وأعلى قمة في جبل ديماوند.

3- ميديا بارتياكينا:

المنطقة الواقعة بين سلسلتين جبليتين، بدايتها من جبل رود لتلتي بجبال زاغروس، يمر بينهما نهر زودك، كنت تحد هذه المنطقة في القديم مملكة أورارتو غربا مع أرمينيا في وقت متأخر¹، لقد سيطر الإيرانيون على الموارد الثمينة والطرق التجارية التي أنشئوها بأنفسهم مما جعل أعين الآشوريين عليهم، تلك الطرق التي ربطت الهلال الخصيب بآسيا الوسطى (منها اللازورد الأفغاني، والقصدير) هذه الموارد التي عادت مرة أخرى إلى الشرق الأدنى بعد غياب دام حوالي الألف سنة، كما ساعد استقرار الشعوب الإيرانية الزراعية في أصلها على انتشار أنظمة الري، هذه الأخيرة كانت مختلفة عن تلك التي استخدمتها الحضارات الأخرى في العصر البرونزي المبكر، كان هذا التغيير استجابة للتغير السطحي للتربة للمناطق الغربية والمناطق التي تقع حول الدلتا، والتي تم دعمها من خلال بناء قنوات جوفية (قناة qanat)، حيث كانت أكثر ملائمة للمناطق الجبلية².

¹ - أسامة عدنان يحيى، المرجع السابق، ص 59.

² - Mario Levirani, op.cit p 556.

في الوقت الذي كانت فيه المملكة الآشورية تمثل القوة المهيمنة في الشرق الأدنى القديم، والتي كانت مستمرة في توسعاتها، حتمت عليها تلك التوسعات الاتجاه نحو جبال زاغروس والمناطق المحاذية لها والتي كانت الشعوب الإيرانية تستوطنها وخاصة الميديون والفرس، حيث استرعتها السيطرة على الطرق التجارية العالمية التي ساعدت الشعوب الإيرانية في إنشائها وهو طريق الحرير، وبالتالي المواجهة الحتمية مع الإيرانيين والغزو الممنهج لميديا وإن لم يفعلوا، فستقطع اتصالاتهم شرقا مع آسيا الوسطى وفي الشمال مع المناطق المتخمة للقوقاز، وبالتالي محاولة فك الخناق والحصار الاقتصادي الذي تمثله ميديا¹.

من خلال هذه الأسس الزراعية الرعوية، ووحدها الاجتماعية والسياسية وكفاءتها، تمكنت الشعوب الإيرانية من النمو على حساب مجموعات ما قبل الهندو-أوروبية، ومع ذلك فقد بلغ مركز البحث التاريخي الأوروبي في تأثير الجانب الاجتماعي السياسي للجماعات الإيرانية، إلا أن الجوانب الاجتماعية الناجحة ترتبط جزئيا بالتطور الاقتصادي والتقني المذكور سلفا، فالابتكارات في الري كفلت زراعة مناطق جديدة وبالمثل تربية وتدريب الخيول والتي لم تعد مرتبطة بالعربة الحربية فقط بل استعملت للتنقل ونقل الأسلحة والعتاد الحربي².

إذن سيكون لميديا دور في الساحة السياسية والعسكرية في الشرق الأدنى القديم، وستكون ندا لأكبر ممالك وإمبراطوريات العالم القديم، باعتبار أن ميديا هي القاعدة الأساسية لانطلاقة الإمبراطورية الإخمينية، وستكون سببا رئيسيا مع تضافر عدة عوامل أخرى في سقوط الممالك على غرار الآشوريين والليديين، والبابليين، فهذه الأقوام الهندو-إيرانية من الأقوام الحربية في تكوينها، تقوم على الغزو لبطس سلطانها، وقد ساعدها ولوجها للعالم الإقتصادي من خلال الزراعة والرعي وتربية الحيوانات، زاد من قوتها وخاصة بعد سيطرتها على طريق الحرير الشريان الرئيسي للتجارة في العالم القديم.

¹ - أحمد محمود الخليل، المرجع السابق، ص 31.

² - Mario Levirani, op.cit p 556

3- إشكالية كتابة التاريخ الفارسي الإخميني (559-522 ق م)

يمثل تاريخ الفرس القديم وخاصة الفرس الإخمينيين في هذه الفترة، حلقة مفقودة من بين التواريخ القديمة، حيث تميز بفقْدان مصادره المحلية، وهي إحدى السمات المميزة في التاريخ الإخميني على عكس معظم الشعوب القديمة الأخرى، غير أنه يوجد لديهم تاريخ شفوي، لكن عكس الملوك الآشوريين لم تكن لديهم سجلات حولية، خلّدت أعمالهم البطولية في ساحات المعارك أو نشاطات أخرى مثل رحلات الصيد¹.

3-1 المصادر الأدبية والأثرية:

لم تكن هناك وقائع شاملة دونت من طرف المؤرخين القدامى الذين عايشوا الملوك الكبار، والذين كانوا داخل البلاط الملكي الفارسي الإخميني، أمثال كتسياس وهو طبيب يوناني في البلاط الإخميني مؤلف كتاب بيرسيكا، والذي تفاخر بأنه كان له حق الوصول للسجلات الملكية، والتي كانت تخضع لقوانين معينة خاصة فيما يتعلق بأحقية الاطلاع عليها ولقانون خاص قد كتبت على أساسه المنجزات القديمة، ومع ذلك لا يوجد أي دليل آخر غير هذا الدليل على وجود شواهد أدبية عن التاريخ الفارسي الإخميني، بصرف النظر عن القصة التي تنسب إلى الإسكندر المقدوني التي تقول أنه هو وعلماءه قد أحرقوا كل مخطوط يتعلق بتاريخ الإمبراطورية المنهارة والذي أشار إليه الطبيب اليوناني².

لقد كانت الوثائق الإدارية، تلك الوثائق التي ربما أشارت إليها المؤلفات التاريخية اليونانية والرومانية، والتي ربما قد أحرقها الإسكندر المقدوني، والتي أشير إليها في سفر عزرا (1:6-2)* في

¹ - Pierre Briant, op.cit, p 5.

² - Ibid, p 6.

* - سفر عزرا (1:6-3) «حِينَئِذٍ، أصدَرَ الْمَلِكُ دَارِيُوسُ أَمْرًا بِالْبَحْثِ فِي السَّجَلَاتِ الْمَحْفُوظَةِ فِي بَابِلَ. ² فَتَمَّ الْعُثُورُ فِي أَحْمَثَا، مَقَرِّ الْمَلِكِ فِي إِقْلِيمِ مَادِي، عَلَى مَخْطُوطَةٍ كُتِبَ فِيهَا: هَذِهِ مُذَكَّرَةٌ...³ فِي السَّنَةِ الْأُولَى مِنْ حُكْمِ الْمَلِكِ كُورَشَ، أصدَرَ الْمَلِكُ الْأَمْرَ التَّالِيَّ حَوْلَ بَيْتِ اللَّهِ الَّذِي فِي مَدِينَةِ الْقُدْسِ: لِيُبْنَ الْبَيْتَ الَّذِي...»، للمزيد أنظر:

العهد القديم 491-490 pp, World Bible Translation Center, USA, 2006,

التوراة الكتاب المقدس لليهود أو بالأحرى كانت تلك الوثائق الإدارية عبارة عن محفوظات إقطاعية أو ملكية، حيث يتم الاحتفاظ بسجل مكتوب لأهم القرارات ك (منح الأراضي وإعادة التعيينات على سبيل المثال، وكذلك الوثائق المالية)، والتي وجدت في العديد من الساتريات التابعة للإمبراطورية والعواصم الملكية كانت حاضرة وبقوة، والتي ذكرها هيرودوت الذي استطاع الوصول إلى قائمة الجزية التي كانت قد فرضتها الإمبراطورية الإخمينية على الأقاليم التابعة لها، غير أنه ليس من المستبعد أنه حصل عليها من خلال مقابلاته مع السكان المحليين لتلك المناطق وتسجيلها عن طريق السرد الشفوي، وهي الطريقة المذكورة في العديد من المناسبات عند تتبع كتاباته¹.

لقد ظهرت مشكلة أخرى في دراسة الحكم الفارسي الإخميني، وهي إشكالية تتبع الحكم الفارسي بعيدا عن الأرض الأم التي انطلقت منها القبائل الهندو-إيرانية في غياب المنافسين الأشداء للإمبراطورية الفارسية، هذا لا يعني أن الإمبراطورية لم تبذل أي جهد لتقليص نفوذ بقاياها في المقاطعات التابعة لها، والتنبيه إلى إنشاء بنية تحتية فعالة للحفاظ على المجال الحدودي للإمبراطورية والذي سيفسر لنا النجاح الباهر للإسكندر المقدوني في تدميرها، وكرد فعل عن هذه الصورة النمطية السلبية، قام العلماء والمؤرخون بتكثيف الدراسة في تاريخ الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، وقد أكدت بعض العوامل والتي سنذكرها في سياق البحث والتي من شأنها الإبقاء على سيرورة الحكم، وذلك على الرغم من الثورات الداخلية التي كانت تنشط بشكل متكرر، بما في ذلك فقدان حامية مصر (لنحو ستين عاما) والتي كانت تعتبر مهمة بالنسبة للإمبراطورية الإخمينية، وبالرغم من محاولات الانفصال الكثيرة، والأزمات المتعاقبة للقصر بما في ذلك المؤامرات خاصة بالنسبة لقتل الملوك، اعتبرت الإمبراطورية التي ضمت أراض لمجموعة هائلة من التنوع السكاني تعايشوا معا لأكثر من مائتي سنة، فالسؤال المطروح هنا ليس في كيفية انتهاء هذه الإمبراطورية بهاته السرعة المفاجئة؟ إنما في كيفية نجاحها الكبير والملفت للنظر، ومع مدى توسع أراضيها تزداد التساؤلات حول التنظيم الذي اتبعته في تسيير شؤون الإمبراطورية واسعة المجال².

¹ Pierre Briant, op.cit, p 5

² Amélie Kuhrt, **The Persian Empire : A corpus of sources from the Achaemenid period** , Routledge USA, 2007, p, p 2.

هذا وقد كانت الأرض التي استقرت عليها الإمبراطورية الإخمينية، الموطن الأصلي للعلاميين، غير أنه لم تكن لهم أي اتصالات إثنية أو لغوية من ناحية التقاليد مع الفرس، حتى أنهم تواجدوا في تلك المنطقة مع العلاميين في نفس الوقت وهذا بعد إعطائهم الموافقة من الملوك العلاميين¹.

لم يلقَ تاريخ الفرس القديم أي اهتمام ولو بسيط، وعلى سبيل المثال فالديانة الفارسية القديمة كانت ولا تزال تحتل مناقشات دون جدوى، خاصة فيما يتعلق بالفترة الفارسية الإخمينية، فغياب الممارسات الواضحة لملوك الفرس الإخمينيين وسكان الإمبراطورية ما زال إشكالا وثغرة في تاريخ الفرس الإخمينيين الديني².

يمكننا الإقتراب من فهم حقيقة الفرس الإخمينيين وتتبع تاريخهم واستخراج المعلومة المراد البحث عنها من المؤلفات الإغريقية وكيفية إخراج المعلومة التي تمثل وجهة نظرهم وتمحيصها، لجعل دراسة التاريخ الفارسي الإخميني تحرز نوعا من التقدم، وذلك من خلال دراسة المؤلفات الإغريقية القديمة ومحاولة تحليل الأمور المبهمة من خلال دراسة الأدلة من المصادر اللاحقة، وربما ليس بالإمكان إعادة بناء تلك الدراسة، إلا بدراسة وجهات النظر والمصادر المختلفة، من الكتابات الإغريقية وتوجهاتها باعتبارها العدو التقليدي، والسجلات الأثرية للعاصمة الفارسية الإخمينية بيرسيبوليس، والمقولات الكبرى للملوك الأوائل وخاصة داريوس وأكسيراكسيس غير أن هذه المصادر لها نطاق محدود من المعلومات، إذ أن أغلب الملوك الفرس يصوغون قراراتهم حسب مصالحهم الخاصة³.

لا يمكننا التقليل من قيمة المصادر الشفوية التي تتناول جزءا من التاريخ الفارسي الإخميني خاصة، وفي منطقة الشرق الأدنى بشكل عام حيث كانت الأغاني والتلاوات والترانيم بواسطة ما يسمون "سادة الحقيقة" الجوس، حيث يعتمد الفرس أنفسهم على الذاكرة وينقلون أفعال ملوكهم، وأبطالهم الأسطوريين من جيل إلى جيل عن طريق المشافهة وأصبحت تقليدا بين شبابهم أن يحتفظوا

¹ - Muhammad Abdoukadyrovitch Dandamaev, **Political History of the Achaemenid Empire**, translated by W. J. Vogelsang, E.J. Brill, The Netherlands, 1989, p 1.

² - Thomas Harrison, **Writing Ancient Persia**, Bristol Classical Press, USA, 2011, p8.

³ - Ibid, p 19.

بهذه القصص لتكون جزءاً لا يتجزأ من الخيال الجماعي الفارسي، وقد خلطوا التاريخ بالقصص الشفوية وأضفوا عليه صبغة الخيال الأسطوري، خاصة فيما يتعلق بالأنساب وسلالة الفرس من خلال ما جاء على لسان ملوك الفرس الإخمينيين¹.

إذن، يبقى الجانب الإغريقي متذبذب في نقل المعلومة، وعلى الرغم من أن الفرس قد شكلوا مادة حية في ذاكرة الإغريق خلال فترة الحروب الفارسية رغم وجود محاولات فردية لمؤرخين إغريق أمثال كتسياس كنيديوس طبيب البلاط الفارسي الإخميني خلال القرن الرابع قبل الميلاد، فهو يعتبر من أهم من جرب العيش داخل حدود الإمبراطورية وداخل القصر، وتعتبر تجربته الشخصية من أهمها وأندرها ذلك أنها كانت من خلال اتصال مباشر واحتكاك بمن كانوا ينشطون داخل البلاط الفارسي الإخميني وبالأخص الملك بما أنه الطبيب الخاص بالقصر وحاشيته، خاصة وأن نسخة هيروودوت المتعلقة بفترة قمبيز كطاغية مجنون ربما تأتي من مصدر مصري أو فارسي².

لم تكن لمن كانوا داخل البلاط الملكي الإخميني نية في تدوين التاريخ، والأحداث التي كانت تجري في الفترة الممتدة لحكم الملوك الفرس الإخمينيين، ما عدا تلك الانتصارات التي خلّدت بإسم الملك والتي نقشت على العملات النقدية والجداريات المنقوشة الغائرة في الجبال، وكذلك الأختام التي كانت تابعة للملك والبلاط، غير أنها لم يكن تاريخها مدروسا بعناية، أي لم يكتب عليها التاريخ بالضبط، كما أن الفرس أنفسهم لم يهتموا أطر زمنية دقيقة لأحداثهم، حيث ترك الفرس وخاصة الإخمينيين ذاكرتهم التاريخية في يد غيرهم، هنا اعتبر الوضع غير عادي إذ يجب على الباحث أن يعيد بناء السرد بطريقة موضوعية خاصة في التاريخ الإخميني، أثناء استخراج المعلومات من كتابات الشعوب الخاضعة، وخصوصهم على غرار الإغريق والرومان، ومن هنا فإن تاريخ قوة وسلطة الفرس الإخمينيين نسب منذ فترة طويلة للمؤلفين اليونانيين³.

¹ - Pierre Briant, op. cit, p 6.

² - Thomas Harrison, op. cit, p 20.

³ - Pierre Briant, op. cit, p 7.

فحتى أواخر القرن التاسع عشر ميلادي، كانت دراسة التاريخ الإخميني تستند تقريبا بالكامل على المصادر الإغريقية والكتب المقدسة على غرار العهد القديم والإنجيل، فبالنسبة للإغريق، نحن مدينون بالمفاهيم الغربية في كتابة التاريخ والتأريخ، حيث تركت الإمبراطورية الفارسية الإخمينية انطبعا لا يحى من ذاكرة المؤرخين اليونانيين في وقت مبكر ممن عاصروا هذه الحقبة، ومن خلال خلفائهم الرومانيين الذين أروخوا من بعدهم¹.

من السهل أن نفهم بشكل واضح أن كتب معظمهم خصصت لإحياء ذكرى الإغريق، في أثينا خلال القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد، حيث تم بناء هذه الذاكرة التاريخية والتي وضعت بعناية إلى حد كبير على أساس المواجهات مع الفرس والانتصارات التي حققوها على "برابرة آسيا"، ومن بين هذه الكتابات يحتل مكانة خاصة وبارزة من بين المؤلفات التاريخية عن الفرس الإخمينيين: تاريخ هيرودوت المنسوب لنفس المؤلف المذكور في العنوان، فهو على عكس معارضيه، لم يظهر أي دليل على العداء الممنهج للفرس، وذلك من خلال الإتهام الموجه له من قبل بلوتارك "كونه صديقا للبرابرة (philobarbaros)"².

عدّ الناتج من عمل هيرودوت هذا، فهم وشرح الأصول الفارسية، مهما كانت بعيدة عن حيز الحروب، فهو يعطينا ميزة الفصول المثير للإهتمام حول أحداث التاريخ الفارسي (من غزوات قورش والاستيلاء على مصر من قبل قمبيز، وانضمام داريوس الأول إلى البلاط الفارسي الإخميني والإصلاحات التي قدمها خاصة من ناحية تنظيم الجزية)، وكذلك استطراد هيرودوت في تناول التنظيم الداخلي للشعب الفارسي وعاداته الإجتماعية الرئيسية، وبطبيعة الحال تاريخ طويل جدا عن الثورة الأيونية (500-493 ق م)، والحروب الفارسية (490-479 ق م)، على الرغم من الفجوات

¹ Matt Waters, **Ancient Persia : A Concise History Of the Achaemenid Empire 550- 330 BCE**, Cambridge University Press, USA, 2014, p10.

² Pierre Briant, op.cit, p 7.-

وأوجه القصور فيها، غير أن النهاية المفاجئة للمؤلف في عام 479 ق م، تترك المؤرخ هيرودوت ومؤلفه وسرده للتاريخ الفارسي الإخميني يتيما بين مجموعة المؤلفين الذين عاصروه والذين جاءوا من بعده¹.

لقد اعتبر كل من هيرودوت واكسينوفون مرجعين أساسيين لمعرفة التاريخ الفارسي الإخميني سواء من الجانب السيئ أو الإيجابي من السرد التاريخي (وهذا ما ينطبق على كل جزء منه)، كمظهر من مظاهر التحيز اليوناني، فعدم معرفتنا بتاريخ الإمبراطورية الفارسية الإخمينية تؤكد الأجزاء الغربية الشمالية الغربية (لاسيما منطقة الساحل أيونيا الإغريقية)، والعالم الإيجي، غير أن شرق إيران وآسيا الوسطى كانا عنصرين مهمين في الإمبراطورية كما أكدته العديد من المصادر التاريخية، بالرغم من غياب المعلومات التي تختص بالإدارة الفارسية لهذه المناطق المهمة، وإن وجدت فهي متقطعة ومتضاربة بشكل كبير، إذ ينعكس النطاق الجغرافي الهائل للإمبراطورية الفارسية الإخمينية في المصادر وهذا ما يفسر وجود عدة لغات، وتنوع التقاليد المحلية-الشفوية والمكتوبة- وبالتالي يوفر عدة وجهات نظر مختلفة، بالمقابل يطرح العديد من خيبات الأمل فيما يختص بتدقيق المعلومة في دراسة تاريخ الإمبراطورية الفارسية، حيث أن العديد من التقاليد واللغات التي تم تناقلها لم تكن مفهومة بشكل جيد، بمعنى آخر وببساطة هي ضائعة².

ككل باحث في تاريخ الإمبراطورية الفارسية كثير منهم يواجه مهمة شاقة لجمع وغرلة هذه الأدلة المتباينة، خاصة أمام تعدد اللغات التي وجدت في مخلفاتها الأثرية، ومن اللغات ذات الصلة بدراسة التاريخ الفارسي الفارسية القديمة الأفستية، العيلامية، الأكادية (اللغة البابلية)، الآرامية، العبرية، الهيروغليفية، اليونانية، اللاتينية والفريجية، وكان فك شفرة اللغات القديمة في القرن التاسع عشر مثل الهيروغليفية والأكادية العيلامية والفارسية القديمة (النصوص المسمارية)، قد فتح آفاقا جديدة للتاريخ الفارسي القديم والتي لا يزال يجري استكشافها، وخاصة وجهات النظر المختلفة

¹ - Pierre Briant, op.cit, p 7.

² - Matt Waters, op.cit, p 10, 11.

والجديدة للمادة الإغريقية والتي شكلت الجزء الأكبر من قاعدة السرد لكثير من التاريخ الفارسي القديم¹.

تمثل المادة المتوفرة لدراسة الإمبراطورية الفارسية الإخمينية صعوبة كبيرة ليس لأنها مختلفة ومتفرقة، بل لأنها متباينة للغاية، فالعديد من الشعوب التي احتضنتها الإمبراطورية كانت لها تقاليدھا الخاصة، وفي كثير من الأحيان بقيت تقاليدھا راسخة ولم تتبدل من بينها ذاکرھا ويظهر ذلك من خلال كتابتها ولغتها، فنھا، دينھا، مؤسساتها سواء على الصعيد الاجتماعي أو السياسي وعادات الأكل، التي تم تعديلھا بطرق مختلفة مع مرور الوقت لأنها تفاعلت مع النظام الفارسي، لكن العديد من الفنون المحلية والتقاليد ظلت ولم تمت، وهذا ما يساعد على شرح بعض التنوع الكبير والواضح في الأدلة المتاحة للمؤرخ، مشكلة أخرى تضاف إلى التنوع، وهي التاريخ أو الوقت المحدد للأحداث التي كانت تؤرخ للإمبراطورية الفارسية الإخمينية، والتوزيع المكاني، فهناك مصادر تناولت مدة زمنية محدودة مثلا أواخر القرن الخامس وتاريخ مبكر من القرن الخامس قبل الميلاد، كما ركزت على مناطق محددة من الإمبراطورية مثلا الجزء الغربي، والشمال الغربي في حين لم تكن ملمة بأغلب المناطق التي احتلتها الإمبراطورية، فهي تظهر النقص الفادح في الإمام بأغلب حدودها الزمنية والجغرافية².

بالعودة لباقي المصادر الإغريقية، نجد أن ثوسيديد كانت له مصلحة جانبية من تناول نبذة عن التاريخ الفارسي الإخميني، أما بالنسبة إلى أكسينوفون وديودور الصقلي نھجھم غير المتوازن يميل إلى أن يضفي على الجانب المتوسطي وزنا غير مناسب، بصرف النظر عن مؤلفه أناباريس، وحتى هجومات الإسكندر المقدوني، قام المؤرخون القدامى باختراق أعماق مناطق الإمبراطورية، حيث خصص المؤرخون أعمالا تخص التاريخ الفارسي القديم لكنها منقوصة³.

تعتزنا مطبات بخصوص كيفية أو ما يجب إتباعه في دراسة وفھم التاريخ الفارسي الإخميني، ونجاح النظام بلا شك في ضم العديد من المناطق الشاسعة والمتنوعة معا لمدة قرنين من الزمن، فالأدلة التي بحوزتنا لا تسمح لنا بتركيب الأجزاء المختلفة معا لإنتاج دراسة كاملة وعميقة عن مختلف

¹ - Matt Waters, op.cit, p 10, 11.

² - Amélie Kuhrt, op. cit, p 6.

³ - Pierre Briant, op.cit, p 7.

الأحداث التي جرت خلال تلك المدة الزمنية، ومن أجل الوصول إلى الحقيقة والخطوط العريضة للتاريخ الفارسي الإخميني، نحن مضطرون إلى الاعتماد بشدة على المؤرخين اليونانيين والرومانيين، وهذا الشيء الذي لم يفعله الفرس أنفسهم في هذه الفترة باستثناء نوع من أنواع الكتابة التاريخية والذي نسب إلى البابليين، واعتبرت تغطية بسيطة لفترة من الفترات التي مرت بها الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، غير أن الاعتماد على المصادر الكلاسيكية الإغريقية والرومانية، يعطينا نظرة غير متوازنة وأحادية البعد عن الإمبراطورية، والتي نحتاجها دائما لتكون على دراية باتجاهات الدراسة، ورغم معاصرة بعض المؤرخين لفترة من فترات الإمبراطورية على غرار هيروودوت وثوسيديد واكتسياس واكسينوفون، كانت في جمعهم أحداث كثيرة وجوانب من الحياة داخل وخارج البلاط الملكي، إلا أن كتاباتهم اتسمت ببعض التشويه والمبالغة، لذا علينا توخي الحذر في تناول هذه المعلومات، إذ يجب وضع الأحداث في أطرها العلمية أي لا يمكن تقديم معلومة أو تأخيرها على حساب الأخرى لنعتني بذلك بالترتيب الموجب اعتماده في أي دراسة للأحداث التاريخية، في حين أننا لا نستطيع أن نتفادى القيود الزمنية والمكانية المذكورة في المؤلفات أو تجاهلها¹.

بالتالي تقدم المصادر الكلاسيكية مجموعة متنوعة من وجهات النظر التي يغلب عليها الإنحياز عن التاريخ الفارسي بشكل عام والفترة الإخمينية بصفة خاصة، وربما تعتبر نظرة أقل وضوحا بشكل مباشر، منذ الوهلة الأولى عند اطلاعنا على كتاباتهم، وعكس المصادر الفارسية وهنا نقصد المصادر الأثرية وهي من الأدلة الدامغة غير القابلة للنقاش، تعتبر أدلة توفر للباحث الوصول لحقيقة الفرس الإخمينيين دون وسيط، ورغم تواجد بعضها في المناطق المتفرقة من أنحاء الإمبراطورية، إلا أن أكثرها انحصر في العاصمة الإخمينية بيرسيبوليس، في الفترة التي تمتد من أواخر القرن السادس إلى أوائل القرن 5 ق م، مع مراعاة أن بعض النقوش بقيت غامضة إلى حد الآن، حيث تمثل هذه النصوص 5٪ من إجمالي النصوص المحررة في بيرسيبوليس².

¹ - Amélie Kuhrt, op.cit, p p 6,7.

² - Thomas Harrison, op.cit, p 22.

في حين أن النقوش والأدلة والمخلفات الأثرية تعتبر المرجع الواضح في فهم الإمبراطورية ومؤسستها، لكن تبقى ناقصة بشكل يكاد يكون شاملا إذ نجد من بين تلك الشواهد الأثرية جداريات تمثل قوانين وتخليد لبعض الانتصارات، وأختاما ملكية إدارية وقبوراً صورت مجد الملوك الفرس الإخمينيين في فترة كانت محدودة، وهنا يقع الإشكال إذ مهمتنا شبه مستحيلة لتمييز الأحداث الملموسة عن الحقائق الأبدية¹.

مع وجود الإشكال في تقييم الشواهد الأثرية، إلا أنه من حسن الحظ يمكن أن تتوفر قراءة إخمينية محفزة من خلال البيانات الملكية التاريخية، والسجلات التي تؤرخ للسلطة المركزية مثل النقوش الملكية التي تعكس حقيقة رؤية الملوك الكبار حول قوتهم وفضائلهم، وإمبراطوريتهم، كما أنها توفر معلومات ذات أهمية قصوى في أنشطة البناء الخاصة بهم، وتبقى تلك المجموعة من الأرشيفات التي كتبت على مادة الطين، والتي أطلق عليها ألواح بيرسيبوليس والمكتوبة بالمسمارية واللغة العيلامية، والمليئة بالكلمات الفارسية القديمة المرجع الأهم، حيث يمكننا أن نستشف من خلالها صوراً عن البيروقراطية الفارسية الإخمينية ومجموعة من الأوراق الإدارية التي بالكاد نجد لها في المصادر الكلاسيكية، وهي بالنسبة للغرب مادة حية من ورثة التقاليد الآشورية والبابلية، فهي نفس الصورة التي تنقلها الوثائق الآرامية العديدة الموجودة في مصر، البعض منها كانت وثائق ملكية، إذن هي شواهد تدل على طريقة تدخل السلطة المركزية في الشؤون المحلية للمناطق الخاضعة لها من استصدار وثائق بلغتهم المحلية، يبين استمرار اللغات واللهجات المحلية في ظل حكم الإمبراطورية الفارسية والمصرية القديمة على حد سواء، هذا ولقد قام المؤرخون الإغريق بنقل رؤية هليستينية عن تاريخ وعادات الإمبراطورية (أي بما يخدم دواخلهم الشخصية)، كما حدث تماماً مع كتب العهد القديم والإنجيل (في كل من نحميا و عزرا واستير وجوديت)، والتي تظهر بشكل يهودي ممنهج، لكن المؤرخ لا يملك أدنى خيار في إقصاء مصدر من آخر أو معلومة من أخرى، مما يجزنا إلى الاعتماد الساحق على هذه المصادر في ظل غياب المعلومة، حيث يصبح الوضع أكثر حرجاً عند الاستغناء عنها في دراسة تاريخ الإمبراطورية الفارسية الإخمينية².

¹ - Thomas Harrison, op.cit, p 22.

² - Pierre Briant, op.cit, p 8.

يضاف إلى هذه الوثائق الأثرية المكتوبة أدلة أثرية أخرى، من خلال دراسة ما عثر عليه من نقود ترجع لتلك الحقبة الزمنية، ودراسة فن النحت والبناء وطريقة صقل الحلي وصنعها بمختلف أشكالها ومعادنها والتي اشتهرت بها الإمبراطورية، والمناطق الخاضعة لها والتي تم اكتشافها من بحر إيجه إلى نهر السند، فالمؤرخ لديه الحق في الوصول إلى الوثائق المثيرة للاهتمام والتي تزخر بها مختلف المتاحف الوطنية الإيرانية والمتاحف الأجنبية، ولكن حتى وبعد أن يهتم الباحث بجمع المعلومات حول هذه المخلفات، تجابهه صعوبة شديدة فهي موزعة بشكل غير متقارب من حيث المكان أو الزمان، فبعض أجزاء الإمبراطورية ومنها ساتريات الهضبة الإيرانية، آسيا الوسطى، ووادي السند، تخلو تقريبا من أي وثائق مكتوبة، فحتى غزو الإسكندر المقدوني لم يكن لدينا الحد الأدنى من الوثائق المكتوبة، ومن ثم بروز الأدلة الأثرية وثقلها القوي، هو ما مثل صعوبة كبيرة في التفسير¹.

في حين أن بعض المناطق قد تم توثيق تاريخها بشكل جيد بصرف النظر عن بلاد فارس نفسها (الألواح العيلامية) ونخص بالذكر سوزيانا أو سيوسيانا (والتي تحتوي على أدلة نصية وأثرية على حد سواء مشاريع عمرانية ملكية)، مصر (الوثائق الآرامية من جزيرة أليفونتين (الفيلة) وسقارة، وورق البردي، والنقوش الهيروغليفية)، بابل (بالآلاف الألواح)، وبشكل واضح آسيا الصغرى (ليس فقط من خلال المؤرخين اليونانيين، ولكن من خلال الأدلة الأثرية المتأخرة التي جاءت باللغة الإغريقية والآرامية أو الإغريقية والآرامية لمن خضعوا لمرسوم النفي الملكي الفارسي في أناتوليا)².

إذن، الاعتماد على المصادر الكلاسيكية بنية الحصول على تسلسل للأحداث أو الوصول إلى التفاصيل التاريخية الواردة فيها وارد، لكنه يصبح أكثر إشكالية وأكثر تعقيدا عند مواجهة الإيديولوجية الإغريقية، خاصة في ظل طغيان السرد الأثيني، والأساطير المبالغ فيها، والتي امتلأت بها المصادر، والتي تغلب المجد الإغريقي على حساب الهدف المراد توضيحه، وقد يكون هذا انحرافا في المفاهيم المعقولة، وهذا يحد من أمل الكتابة التاريخية الدقيقة أو تلك التي من الممكن أن تكون أكثر شفافية³.

¹ - Pierre Briant, op.cit, p 9.

² - Ibid.

³ - Thomas Harrison, op. cit, p 35.

2-3 مشكلة الأيديولوجية السياسية لمصطلح الفرس الإخمينيين:

كنا قد سبق وذكرنا أن إيران وفارس مصطلحان يدلان على كيان واحد، وأن الفرس قبيلة من القبائل الآرية التي تنحدر من الفرع الهندو أوروبيين، إلا أن مصطلح الإخمينيين عند الإغريق يأتي من عبارة (أسرة الإخمينيين) أو الأسرة الإخمينية، ويرجح أن هذا المصطلح قد نسب لمؤسس هذه الأسرة وهو الزعيم الفارسي أخيمينيس (Achaemenis) والذي من المرجح أيضا أنه حكم آنشان، ويوصف بأنه زعيم لا ملك، ذلك أنه لم تكن هناك مملكة تنزوي تحتها القبائل الفارسية، ومن المفترض أن قورش قد تعصب لهذه التسمية، إذ نجد اسمه جنبا إلى جنب مع الإخمينيين أي قورش الإخميني، ويمكن القول أنه أراد أن يصنع مجدا للشعب الفارسي ويرفع مكانته في ظل إنتمائه للهندو أوروبيين بسبب أن هويتهم قد ذابت بوجود تحت نير الحكم الميدي (المملكة الميديّة التي سنأتي على ذكرها بالتفصيل في الفصل التالي)¹، غير أن بعض المؤرخن يعتقدون أن شخصية أخيمينيس شخصية خيالية وأسطورية اخترعها داريوس الأول (522-486 ق م) ليصبغ تربعه على عرش الإمبراطورية الفارسية الإخمينية شرعياً².

إذن أخيمينيس زعيم الفرس وهو أب الفارسيين ومنه اشتق مصطلح الفرس الإخمينيين، وعليه فأخيمينيس هو والد تياسبس (Tiespes) (640-675 ق م) ملك آنشان والتي يرجح أن تكون مدينة داسجيدي اي سليمان (Dasjidi i- Solaiman) والد قورش الأول جد قورش الثاني³.

تختلف أسماء أب وأجداد داريوس الأول عن قورش الثاني حيث نجد داريوس نجل هيستاسبس (Hystaspes) ابن ارسامس (Arsames) ابن اريارامنس (Ariaramnes)

¹ - Jamie Stoks, Encyclopedia of The People of African and Middle East, Infobse publishing, USA, 2009, p2.

² - Richard Nelson Frye, Religious themes and text of Pre-Islamic Iran and Central Asia : Cyrus no Achaemenid, Wiesbaden, Germany, 2003, p112.

³ - Roman Ghirshman, op. cit, pp 119-120.

بالمقابل نجد أسماء تعكس عدم الإنتماء لسلالة تياسبس وهم: قورش الثاني ابن قمبيز الأول (Cambyse 1) ابن تياسبس (Tiespes)¹.

يأتي التاريخ الفارسي الإخميني مسجلا تحت إسم الفرس الإخمينيين، من خلال النقوش التي أرخت في فترة داريوس الأول، فهو الذي أقحم إسم أخيمينيس في شجرة الأسرة الفارسية لتصبح الأسرة الفارسية الإخمينية، ولتشكل بذلك أول إمبراطورية قائمة بحد ذاتها، وإضفاء الشرعية التي تعطيه الحق في تولي عرش الإمبراطورية والشروع في إنهاء بناء معالمها، ومن المرجح أو الأكيد أن لداريوس صلة القرابة بالدم لفرع قورش الثاني وهو الأمر الذي عزز جرأته في تنصيب نفسه كملك فارسي إخميني، وبتولي داريوس الأول عرش الإمبراطورية ينتهي اللفظ الحاصل حول مصطلح الفرس الإخمينيين، فلا نستطيع أن نذكر مصطلحا دون آخر خاصة وأن الملوك الذين تولوا على عرش الإمبراطورية الفارسية الإخمينية ينحدرون من سلالة داريوس الأول حتى آخر ملك من ملوكها داريوس الثالث، فلا نجد بعدها أثرا لسلالة قورش الثاني ضمن ملوك الإمبراطورية.

فلمع اسم الفرس بوجود المملكة الميدية وانتهى بوفاة الوريث الوحيد لقورش الثاني، إذن سيكون لميديا دور في الساحة السياسية والعسكرية في الشرق الأدنى القديم، وستكون ندا لأكبر ممالك وإمبراطوريات العالم القديم، باعتبار أن ميديا هي القاعدة الأساسية لانطلاقة الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، وستكون سببا رئيسيا مع تضافر عدة عوامل أخرى في سقوط الممالك على غرار الآشوريين والليديين، والبابليين، فهذه الأقوام الهندو-إيرانية من الأقوام الحربية في تكوينها، تقوم على الغزو لسيط سلطانها، وقد ساعدها ولوجها للعالم الإقتصادي من خلال الزراعة والرعي وتربية الحيوانات، إزدياد قوتها وخاصة بعد سيطرتها على طريق الحرير الشريان الرئيسي للتجارة في العالم القديم وهو ما سأتناوله في الفصل التالي.

¹ Richard Nelson Frye, Religious themes and text of Pre-Islamic Iran and Central Asia, p 112.

الفصل الثاني

الفصل الثاني: المملكة الميمنية وعلاقتها بالفرس الإخمينيين

1- نشأة المملكة الميمنية

1-1 الميديون والفرع الفارسي

2-1 أهمية آنشان الجيوسياسية

3-1 الإطار الجغرافي للقبائل الميمنية

2- التاريخ السياسي للمملكة الميمنية

1-2 الميديون ككيان سياسي

2-2 علاقة الميديون بالشعوب والقوى بالمنطقة

1-2-2 السيميريون والإسكثيون

2-2-2 علاقة الميديون بالفرس

3-2-2 صراع الميدين للتوسع

3- حضارة الميدين

1-3 المؤسسة العسكرية الميمنية

2-3 الإدارة في عهد الميدين

3-3 ميديا إجتماعيا واقتصاديا

4-3 العمران الميدي

1-4-3 تلة بابا جان أة (بابا جان تبه)

2-4-3 نوش-أي-جان

5-3 اللغة والدين في المملكة الميمنية

1- نشأة المملكة الميديدية:

لا نستطيع فصل تاريخ الفرس الإخمينيين عن الميديين، بسبب أن هذين المصطلحين يأتيان مترادفين ومتلاحقين إن أردنا تتبع هجراتهم للهضبة الإيرانية، فهما قبيلتان لنفس الفرع الأسري الآريين الذين ينحدرون من سلالة الهندو أوروبيين، وبما أن القبيلتين وردتا جنبا إلى جنب في السجلات الآشورية، تداخل التاريخ الفارسي الإخميني والميدي ببعضه البعض فتارة نجد أبحاث باسم المملكة الميديدية تتضمن التاريخ الفارسي الإخميني منذ تاريخ مؤسس الإمبراطورية، وأبحاثا أخرى تنسب التاريخ الفارسي الإخميني للمملكة الميديدية، وإن تداخل تاريخهما فما هو إلا إنتماء وجيرة.

1-1 الميديون والفرع الفارسي:

لم يولي الباحثون الإهتمام بدراسة تاريخ الميديين من قبل، إذ أنهم وعلى غرار الفرس ينتمون للفرع الآري المنحدر من الشعوب الهندو أوروبية، حيث استقروا في الألف الثانية قبل الميلاد وعلى الأغلب في أواخره في جهات هضبة إيران الغربية، فالتاريخ المبكر لهاتين القبيلتين (الميديون والفرس) يعتبر شائكا وفقا للفرضيات التي طرحت سابقا وتلك المطروحة حديثا، وباختلاطهم بالشعوب المستضيفة نتيجة الهجرة، شكلوا شعبين كانا بمثابة جيران¹.

كان تواجد الميديين حول بحيرة أورميا* (Urmia) سعيًا في إيجاد مناطق إستقرار، ويبدو أن الزعيم المسمى خشاثريتا أو فراوورتيس (Khshathrita Phraortes) قد نجح في توحيد الميديين رغم التوترات التي سادت المنطقة².

¹ - أندريه إيمار، جانين أوبوايه، تاريخ الحضارات العام، الشرق و اليونان القديم، ترجمة: فريد م. داغر و فريد ج. أبو ريحان، ج 1، منشورات عويدات، بيروت-باريس، 1986م، ص. 214.

* - بحيرة أورميا: من أكبر البحيرات الضحلة المالحة في العالم يبلغ طولها 5000 كم² تقع بحيرة أورميا في شمال غرب إيران في جبال زاغروس قرب مدينة أورمية بين المحافظتين الإيرانيتين أذربيجان الشرقية وأذربيجان الغربية، لتشكل خطا فاصلا بين أذربيجان وكردستان من الجهة الجنوبية، تضم مجموعة عرقية وقبلية تميزها منذ العصور القديمة، فمن الناحية الأثرية فهذه المنطقة مهمة خاصة فيما يتعلق بآثار التي أرخت للألفية الثانية قبل الميلاد، للمزيد أنظر:

Micheal D. Danti, Hasanlu V : the Late Bronze and Iron I periods, the University of Pennsylvania Museum of Archaeology and Anthropology, USA, 2004, pp 2-3.

² - Roman Ghirshman, op. cit, p 98.

على الأرجح أن الميديين قد برز اسمهم ما بين القرنين 8 و 9 ق م كمجموعة قوي ساهمت في سقوط أعتى الممالك في الشرق الأدنى القديم المملكة الآشورية¹، ولقد واجه الميديون الإسكثيين* أثناء زحفهم اتجاه بحيرة أورميا، بيد أن تواجد الإسكثيين لم يمنعهم من بسط قوتهم في تلك المنطقة².

أما ميديا تعني الوسط بالسنسكريتية والأفستية(لغات قديمة تنتمي للهندو أوروبية) باليونانية القديمة **Mardai** أماداي في اللغة الآشورية **Amadai** و مرتا **Marta** في أفستا الصغرى، وجميعها تأتي بمعنى "المحارب" أو "المقاتل" أو "المتنرد الجبلي"³.

أشار هيروودوت للعديد من القبائل الميديّة والتي ذكرها بأسمائها وهي ست قبائل: البوساي(**Busae**) باريتاسني(**Partaceni**) ستروكاتي أو ستروخاتي(**Struchates**) الأريزانتيين (**Arizanti**) بوداي(**Budii**) ماجي(**Magi**)⁴.

ظهور هذه الممالك الإيرانية الغربية ليس مجرد صورة عن وجود أدلة متاحة، كونها كانت قريبة من الإمبراطورية الآشورية، بحيث كانت تخضع بصفة دائمة للضغط والتأثير الثقافي الآشوري، إنما أدى هذا الوضع إلى تحولهم من مجموعات قبلية إلى كيانات سياسية أكثر صلابة واتحادا، فكانت التأثيرات دافعا قويا لبروز الميديين ككيان سياسي⁵.

¹ - Amelie Kuhrt, op. cit, p 19.

* - الإسكثيون: **Scythian** عاشوا أوائل عصر الحديد، أقاموا في المناطق الشمالية للبحر الأسود (سهول البونتيك Pontic Steppes) عرفوا تاريخيا بفروسيتهم و خبرتهم في ركوب الخيل و حوض الحروب، للمزيد أنظر: E. V. Cermenko, The Scythians 700-300 BC, Osprey, Publishing, USA, 1983 P 3.

² - Roman Ghirshman, op. cit, 98.

³ - John L. Mckenzie, Dictionary of the Bible, Touchstone, USA, 1995, p 559.

⁴ - Herodotus, Histories, translated by Pamela Mensh, Hackett Publishing, USA 2014, book1, 101.

أنظر أيضا: Strabo, The Geography, translated by Horace Leonard Jones, Vol7, The Loeb Classical Library, GB, 1983, book 1. 16, 18.

⁵ - Mario Liverani, op.cit, p 557.

لقد تناولت المصادر الآشورية ذكر حادثة قدوم الأقوام الهندو-إيرانية ومنها الفرس والميديون، وقد ذكروا أكثر في القرن التاسع قبل الميلاد من خلال هذه المصادر، كانت هذه الأقوام أكثر انتشارا وأكثر أهمية، وقد ذكرت قبائل أخرى بجانب الميديين والفرس في المصادر، لكنها بقيت مجهولة الهوية¹. قبل قدوم قورش الثاني وتوسعته بداية من سنة 550 ق م، بالكاد شهد عالم الشرق الأوسط وجود أمة اسمها الفرس، وحتى حلول القرن السابع قبل الميلاد، ذكر القليل عن هذه الأقوام، كما كان هناك شبه انعدام للأدلة الأثرية والمكتوبة، وتحديث عنهم السجلات على أنهم أقوام رعوية، في منطقة كانت تشكل جزءا من مملكة عيلام².

2-1 أهمية آنشان الجيوسياسية:

تل المليون حاليا (Tell e- Malyan)، بدأت الحفريات بهذه المنطقة في سنة 1971 م، وكانت مناصفة بين متحف الجامعة، جامعة بنسلفانيا و الباحث سامنر(Sumner)، كانت مركزا للحكم العيلامي، كما كانت العاصمة الأولى للفرسيين، تقع على امتداد القطاع الشمالي الغربي لنهر الكور، تقريبا 500 كلم شرق سوسة، حيث تعلو هذه المنطقة مجرى مائي داخلي يقع بين تلال سلسلة جبال زاغروس غرب مدينة فارس على علو يقدر ب 1600 متر³، تقع جنوب إيران في محافظة مارودشت، 50 كلم شمال غرب شيراز، 43 كلم غرب بيرسيبوليس⁴.

لأكثر من 1500 عام احتلت أرض آنشان، مكانة بارزة في التاريخ السياسي لجنوب غرب إيران، يشهد ذكر آنشان لأول مرة في النصوص الأكادية والسومرية في أواخر الألفية الثالثة قبل الميلاد، وخلال الألفية الثانية والأولى قبل الميلاد حيث ارتبط اسمها بالعيلاميين، إذ كان لملوكهم تقليدا

¹ Edwin F. Bryant and Laurie L. Patton, The Indo-Aryan Controversy :

Evidence and Inference in Indian History, Routledge, USA, 2005, p 339.

² Karen Radner, State Correspondence in the Ancient World, From New Kingdom Egypt to the Roman Empire, Oxford University Press, USA, 2014, p 112.

³ Elizabeth Carter, Ken Deaver, Excavations at Anshan (Tal-e Malyan): The Middle Elamite Period, UPenn Museum of Archaeologie, USA, 1996, p 1, 2.

⁴ Trevor Bryce, op. cit, p 46.

وهو ربط أسمائهم بلقب ملك أنزان (آنشان **Anshan, Anzan**) وسوشان (سوسة **Susa**)، وفي منتصف الألفية الأولى قبل الميلاد أصبحت موطناً للفرس الإخمينيين¹.

لقد اشتهر إقليم آنشان في القديم، حتى أنه ومن شهرته أصبح يطلق على جميع بلاد عيلام، ودعا الإغريق بلاد عيلام والعيلاميين نسبة لعاصمتهم سوسة، وهي موطن للعديد من الاتصالات والتبادلات الثقافية منذ عصور ما قبل التاريخ، وقد استوطنتها العديد من الأقوام المختلفة غير العيلاميين والتي لم يعرف أصلها².

حاول العديد من الباحثين تحديد موقع أو مدينة آنشان في العديد من أجزاء المختلفة في جنوب إيران، وذلك في عام 1970 م، حيث تم اقتراح موقع أثري كبير في فارس يدعى المليان ليكون الموقع المفقود لهذه المدينة، وتم اقتراح هذا الموقع بناء على الأدلة التاريخية والأثرية، ويبدو أنه مدعوم من خلال اكتشاف مدينة أثرية من العصر الإسلامي تدعى آش والتي كانت تقع بالقرب من المليان، ومن بين اثنين من اللهجات المحلية هناك في فارس توجد لهجة آش والتي من المرجح أنها تدرج من اسم مدينة آنشان، ويظهر ذلك من خلال الآثار التي عثر عليها في المليان سنتي 1971 و 1972 والتي تعود للفترة العيلامية، تحمل تكريسات للمعبد الذي يوصف بأنه موجود في آنشان، مما يؤكد المقترح في التعريف بموقع هذه المدينة وإمكانية معالجة تاريخها المبكر، وكذلك نلاحظ المرجع النصي الذي جاء باللغة العيلامية والذي يذكر إقليم أوان **Awan**، فمن الممكن أن يكون اسماً مستعاراً لأنشان في فترات مختلفة لنفس المنطقة³.

لقد تبين ارتباط أوان بآنشان في التاريخ القديم، في بعض الأحيان في وقت متزامن ولكن ليس في نفس النص، ويبدو أن سلالة اللاحقة لملوك أوان من الفترة العيلامية القديمة هم من أصبحوا ملوك آنشان وسوسة، فالانقسامات السياسية لأوان، سوسة، عيلام، وشيماشكي والتي كانت معاصرة لفترة

¹ Ilya Gershevitch, *The Cambridge History of Iran: The Median and Achaemenian Periods*, vol2, Cambridge University Press, UK, 1985, p 25.

² طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج2 حضارة وادي النيل، جزيرة العرب وبلاد الشام، بعض الحضارات والأمم القديمة، بلاد إيران والإسكندر والسلوقيون، اليونان والرومان، دار الوراق، العراق، 2011، ص ص 425:426

³ Ilya Gershevitch, *op. cit*, p 25.

ملوك أوان، ستستمر في السلالة اللاحقة، فالأدلة تشير إلى وجود اسم بديل ربما اسم عيلامي قديم والمسمى آنشان، في الفترات اللاحقة من حكم العيلاميين والسومريين¹.

وجدت غرف دفن لوحظت عليها تأثيرات ميديية في شمال بلاد ما بين النهرين بمنطقة تل أربيد (Tel Arbid)، حيث بدأت عمعالم تواجههم منذ الألف الأولى قبل الميلاد، في المواقع الأثرية التالية: نوش إي جان (Nuch-i-Jan)، بابا جان (Baba Jan) و حسانلو (Hassanlu)².

عندما استقر الميديون والفرس لأول مرة في الشمال الغربي لإيران، كانا أول شعبين يقومان باستعمال العربة المجرورة بأحصنة، والتي كانت تساعدهم في التجارة والمعارك، حيث كان الجيش الميدي من الجيوش المحترفة بالنظر لتلك الفترة، والذي جعلها تحتل المنطقة التي تسمى حاليا إيران (في القديم كانت تسمى عيلام) سنة (705 ق م)³.

عرفت المنطقة وخاصة زاغروس وسوسيانا بالنسبة لبلاد ما بين النهرين على أنها بلاد عيلام، حيث كانت تكمن أهميتها في أنها منطقة تجارية وزراعية بالدرجة الأولى، بما فيهم آنشان ومختلف الجبال والسهول الساحلية على طول الجانب الشرقي من الخليج⁴، حيث وجد على إثر الحفريات ما يدل على نشاط زراعي ينسب لفئة المزارعين الذين وفدوا على المنطقة⁵، بالرغم من التاريخ الثقافي والسياسي الطويل لعيلام، إلا أن معرفتنا به في الواقع محدودة للغاية حتى مع وجود العديد من النصوص لبلاد ما بين النهرين حوت أحداثا وأسماء وملوك عيلامية في فترات زمنية محددة، إلا أنه هناك القليل من المعلومات لوضع الخطوط العريضة لتاريخها السياسي والإداري⁶.

¹ - Ilya Gershevitch, op.cit, p 26.

² - Bonatz Dominik, Rainer M.Czidon & oth, **Fundstellen Gesammet, Schriften Zur Archäologie und Geschicht Altvorderasiens**, tharrassowitz, Verlag, germany, 2008, p 55.

³ - April Fast, Iran the People, Crabtree Publishing, USA, 2005, p 6.

⁴ - Jane R. McIntosh, Ancient Mesopotamia : New Perspectives, ABC-CLIO, USA, 2005, p p 14, 15.

⁵ - Garthwaite Gene R, op. cit, p 11.

⁶ - Ibid, p 25.

لا بد أن يكون اسم أنشان الاسم الأصلي لفارس وهذا طرح آخر نظرا للبلاد التي استقر فيها الفرس والتي أطلق عليها بارسا أو بيرسيس المشتقة من اسم بارسوا باللغة الأجنبية الأجنبية، وهذه كانت منطقة في بلاد الميادين والتي تقريبا تطابق مع كيرامانشان حاليا، من ماهيداشت إلى سخنا على طول الطريق الرئيسي من بابل إلى أغباتانا، فهنا ينسب أرست هرتزفيلد أنشان إلى الفرس على أنها موطنهم ومستقرهم في بادئ الأمر، على عكس آخرين ممن قالوا أنها موطن الملوك العيلاميين، والدليل على ذلك أنها كانت عاصمة من عواصم ملوك الفرس، فتلك المنطقة ترتبط بالفرع القبلي "الفرس" وهم كانوا من الأوائل الذين استقروا وارتبط اسمها بقبيلتهم، وهذا ما جاء عند البابليين وليس الآشوريين كما نعتقد، وبالتالي استبدل بـ فارس أو بارسا¹.

لقد تبين ارتباط أوان بأنشان في التاريخ القديم، في بعض الأحيان في وقت متزامن ولكن ليس في نفس النص، ويبدو أن سلالة اللاحقة لملوك أوان من الفترة العيلامية القديمة هم من أصبحوا ملوك أنشان وسوسة، فالانقسامات السياسية لأوان، سوسة، عيلام، وشيماشكي والتي كانت معاصرة لفترة ملوك أوان، ستستمر في السلالة اللاحقة، فالأدلة تشير إلى وجود اسم بديل ربما اسم عيلامي قديم والمسمى أنشان، في الفترات اللاحقة من حكم العيلاميين والسومريين².

تنص قائمة الملك السومري على أن مملكة أور* Ur قد أخذت ملكيتها إلى أرض أوان والتي يزعم الباحثون أنها أنشان، وقيل أن ملك كيش قد غزا أوان ونقل ملكه إلى كيش، وكما ذكرنا فقد غزا سرجون الأكادي بلاد عيلام بما فيها أوان وسوزيانا، كما أخذ مانيشوتوشو في أكاد ثورة حاكم

¹ Ernst E . Herzfeld, Iran In Aancient East, Archaeological Studies Presented In The Lowell Lectures At Boston, Oxford, University Press, UK, 1941, p 181.

² Ilya Gershevitch, op. cit, p 26.

* - مملكة أور: مدينة أور القديمة تل المقيّر الحديثة أو تل المقيّر (Tall alMuqayyar)، تقع على بعد حوالي 225 كم جنوب شرق موقع بابل وحوالي 16 كم من الجانب الغربي لنهر الفرات، بحيث كان النهر يصب قريبا من هذه المنطقة قديما، لكن التغيرات البيئية تركت آثار هذه المنطقة مدفونة تحت التراب بعد أن كانت أرضا خصبة ومروية، في عصر الأسرات المبكرة أصبحت أور عاصمة جنوب بلاد ما بين النهرين بأكملها تحت حكم ملوك السلالة الأولى لأور لبلاد سومر(القرن 25 ق م)، حيث عثر على مقابر تحوي كنوزا من الذهب والفضة والبرونز والأحجار الكريمة، لا تعكس الثروة الهائلة التي خلفتها هذه المملكة وإنما تعكس التطور الحضاري والفن التي كانت تتميز به هذه الآثار الثمينة، للمزيد أنظر:

Kathlren Kuiper, Mesopotamia : the world's earliest civilization, Britannica Educational Publishing, USA, 2011, pp 194,195.

آنشان خلال الإمبراطورية التي أنشأها سرجون الأكادي، في حين أن سجلات سرجون في حد ذاتها لا تذكر منطقة آنشان، كما لم يشر مانيشوتوشو لأوان، غير أن نارام سين يذكر معاهدته مع ملك أوان التاسع أو الحادي عشر الملك خيتا، وفي ذروة الأحداث التي تضمنت سقوط خليفة خيتا الملك كوتيل انشوشناك حوالي 2220 ق م، يذكر حاكم لاغاش جوتيا في نفس هذه الفترة تقريبا أنه غزا مدينة آنشان في عيلام، ومن هنا نستنتج أن آنشان كانت مقاطعة رئيسية لأوان، والاختفاء المفاجئ لأوان يمكن تفسيره على أنه كان بسبب تطور سيرورة الأحداث التاريخية¹.

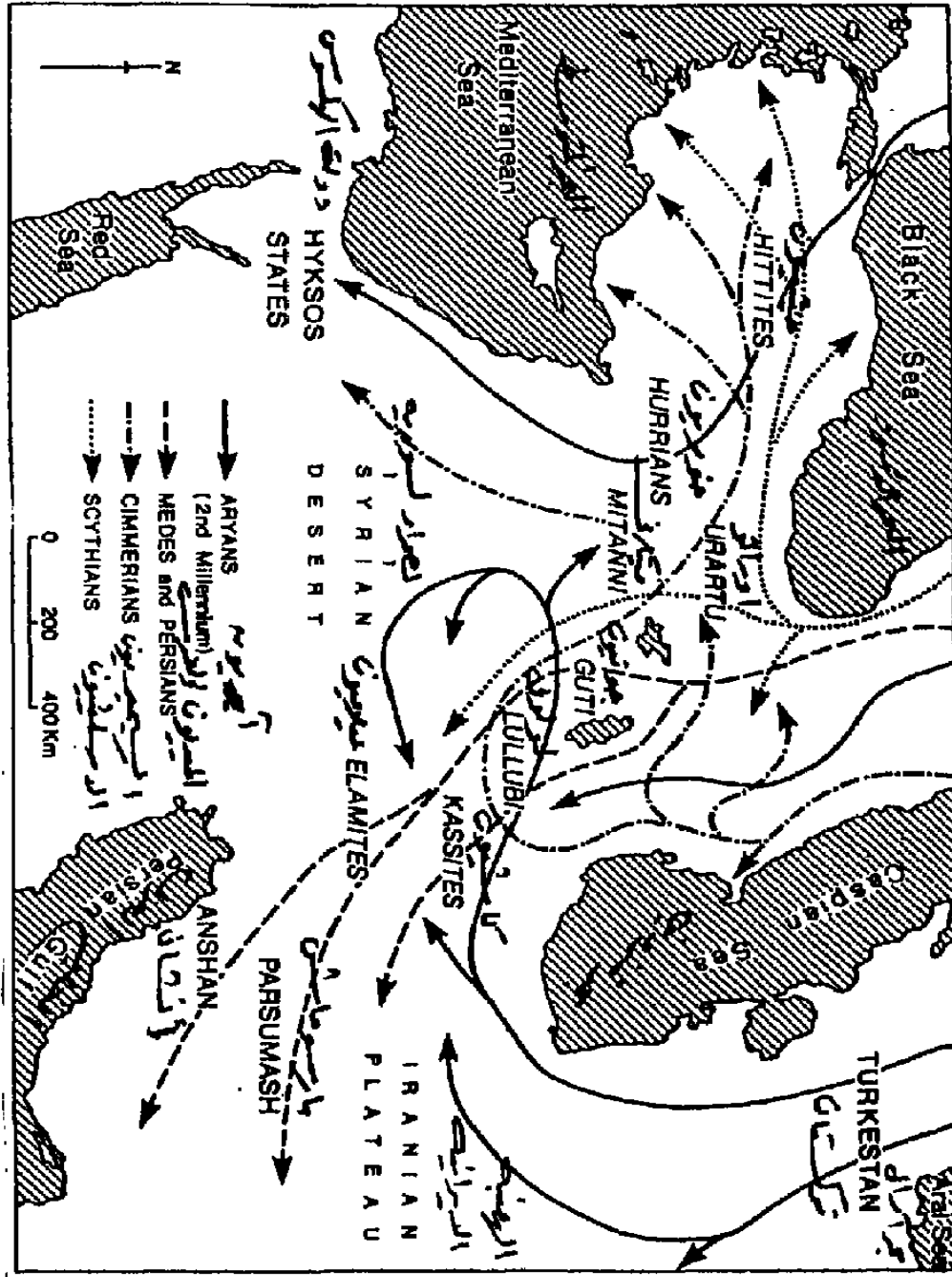
لقد تبين ارتباط أوان بآنشان في التاريخ القديم، في بعض الأحيان في وقت متزامن ولكن ليس في نفس النص، ويبدو أن سلالة اللاحقة لملوك أوان من الفترة العيلامية القديمة هم من أصبحوا ملوك آنشان وسوسة، فالانقسامات السياسية لأوان، سوسة، عيلام، وشيماشكي والتي كانت معاصرة لفترة ملوك أوان، ستستمر في السلالة اللاحقة، فالأدلة تشير إلى وجود اسم بديل ربما اسم عيلامي قديم والمسمى آنشان، في الفترات اللاحقة من حكم العيلاميين والسومريين².

تقوم مدن وممالك ثم تختفي فجأة كأنه لم يكن لها وجود على الإطلاق، بسبب طول الحقبة التاريخية القديمة، وبعدها الزمني الواضح عن الأحداث التاريخية اللاحقة مما يوقع الباحث في فرضية النفي أو القبول، وفرضية وجود منطقة من عدمها في ظل ذكرها المتقطع، والمحدود كأن تكون حيزا جغرافيا حقيقيا تردد ذكره عبر أزمنة مختلفة بنفس الاسم، أو بتغير طفيف في كتابته وذلك أيضا يخضع للاختلاف اللغوي أو تطور اللغات واللهجات المحلية هذا من جهة، أو إما أن يكون للاسم هالة أسطورية أو دينية، فيأتي ذكره إما في تقاليد الحضارات القديمة أو الكتب المقدسة فقط، لذلك نرى ذكر بعض المناطق الجغرافية وأسماء بعض الملوك في فترة زمنية محددة باسم معين، لا يتردد مرة أخرى في حقبات زمنية أخرى لاحقة، كما هو الحال بالنسبة للموطن الأصلي الذي جاءت منه الأقوام الهندو- إيرانية والذي أتى ذكره في الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية الأستا باسم

¹ - Ilya Gershevitch, op. cit, p 26.

² - Ibid.

أريانا-قادز¹، وقد أطلق هذا المصطلح على الأقوام الآرية، كم سوا المنطقة التي هاجروا إليها باسم أريانا الكلمة المشتقة من آري².



خارطة (2) توضح هجرة الميديين والفرس³

¹ - خليل عبد الرحمان، الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، ط 2، روافد للثقافة و الفنون، سوريا، 2008م، ص 133

² - جميلة عبد الكريم محمد، المرجع السابق، ص ص 52؛ 26.

³ - حسين محمد محي الدين السعدي، تاريخ الشرق الأدنى القديم ج 2، دار المعرفة الجامعية، مصر 1995 م، 226.

لقد احتلت أنشان وسوسة مكانة هامة بعد العيلاميين عند الفرس الإخمينيين، وقد حمل ملوك الفرس نفس تقليد الملوك العيلاميين بشأن أنشان (ملك أنشان)، وأولهم قورش الثاني، حيث أصبحت أنشان جزءاً من إقليم المسمى آنذاك فارس، حيث عثر على إثر المسح الأثري للفخار المتواجد في الطبقات السطحية في تل المليون، عثر على قطع عبارة عن شقائف تعود إلى الفترة الإخمينية، مما يؤكد تواجد العنصر الفارسي الإخميني في أنشان، كما ذكرت أنشان في النقش رقم 40 لصخرة بيهستون* من عهد داريوس الأول¹، حيث أتت هذه النقوش بثلاث لغات: العيلامية، البابلية الأكادية واللغة الفارسية القديمة، والتي كتبت بالخط المسماري².

إذن، وبالرغم من عدم معرفتنا بالموقع الجغرافي لمدينة أنشان من المصادر التاريخية القديمة للملوك السومريين والبابليين والعيلاميين الأوائل، والذي من الممكن أن يعطينا دعامة تاريخية لا شك فيها، ساعدت الحفريات لمختلف الطبقات بالإضافة للشواهد الأثرية وأظهرت لنا الموقع المرجح لأنشان القديمة والذي تمركز في تل المليون، والذي اعتبر موقعا استراتيجيا في الجانب التجاري والزراعي الاقتصادي.

لقد أستقر الميديون ليوثقوا حكمهم ويسيطوا قوتهم، وكان لهذه القوة الفتية شأن في الساحة السياسية في العالم القديم، وكأي شعوب مهاجرة من مكان لمكان، لا بد من وجود توترات من أجل البحث عن مناطق نفوذ للاستقرار ولا بد من حشد القوة للدفاع عن هذه المراكز.

* - صخرة بيهستون: بيهستون (باختاران، إيران): عبارة عن قرية تقع أسفل جبال زاغروس، في الغرب الإيراني، شمال شرق بغداد تقريبا حوالي 20 ميل (32 كلم)، شرق باختاران (كيرمان شاه قديما)، وهي تمثل أيضا الطريق الملكي القديم من إيران إلى العراق، تضم آثار للملك الفارسي داريوس الأول فيم يعرف بنقش بيهستون، الذي يصوره هو و مجموعة من حاشيته، و تقابله مجموعة من الأسرى مكبلين اعتبر هذا تخليدا لنصره على الميديين، و البابليين، و شعوب أخرى حاولت الثورة في عهده، نحت هذا العمل في قاعدة جبل (Bagastan)، جبل الآلهة (Mountain of the Gods)، بدأت أشغال البناء والتشييد أواخر 521 ق م، و أهي بنائه سنة 519 ق م للمزيد أنظر:

Trudy Ring, Robert M. Salkin & oth, Internatinal dictionary of Historic places Middle East and Africa, vol₄, Fitzroy Dearborn Publishers, USA, 1996, p 120.

Ilya Gershevitch, op. cit, p 34.⁻¹

A.T.Olmstead, Darius and his Behistun Inscription, The American Journal, -² of Semitic Languages and Literatur, Vol55, No4, 1938, p 392.

3-1 الإطار الجغرافي للقبائل الميديّة:

استقر الميديون في جبال زاغروس الشمالية كما ذكرنا سابقاً (لوريستان في إيران حالياً)، أرض الجبال العالية والوديان الغنية والمليئة بالأنهار، كانت للمملكة الميديّة عاصمة واسمها **أكباتانا*** **أغباتانا** (همذان حالياً)، كانت تقع فوق نقطة حرجة على الطريق الرئيسي بين بلاد ما بين النهرين والهضبة الإيرانية¹.

لطالما كان التاريخ الفارسي الإخميني يعاني من نقص التوثيق بدءاً من تداخله مع التاريخ الميدي حتى اعتلاء داريوس الأول وقصة النسب التي ابتدعها ليضفي الشرعية لتسيده عرش الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، وإن كانت الوثائق متوفرة، فإنها غالباً ما تكون صعبة القراءة، وإن كانت مقروءة فلا يمكن فهمها بسهولة، ويجب التكهن بما يأتي بين السطور².

لقد استقرت هذه القبائل الناطقة بالهندو أوروبية في جبال زاغروس الوسطى غرب إيران بشكل محدد، حيث تم توثيق ذكرهم لأول مرة منتصف القرن 9 ق م في النصوص الآشورية، عندما قام شلمنصر الثالث بحملة عسكرية على أرض الشعب الميدي في عامه الرابع والعشرين (835 ق م)، ومن المؤسف أن لا نجد نصوص منفصلة مكتوبة باللغة الميديّة تؤرخ لفترة تواجدهم، سوى تلك النصوص التي أتت فيما بعد باللغة الفارسية القديمة، وهي عبارة كلمات متفرقة تلمح لوجود الميديين، حتى أن الشعوب التي شابهت الميديين الأصليين بنمط حياتهم نسبت لهم³.

* - **أكباتانا** أو **أغباتانا Ecbatana**: عاصمة الميديين، وهي مدينة تقع في الغرب الإيراني حالياً همذان، اتخذها قورش الثاني عاصمة له، وهي ملاصقة لهضبة نوش إي جان (Nush-i Jan)، عثر فيها على القليل من الآثار والنقوش التي تعود للمملكة الميديّة أنظر:

Ian Show, Robert Jameson, Dictionary of Arcaeology, Wiley Publishers, UK, 1999, p 389.

¹ - Marsha E. Ackermann, op.cit, p 269.

² - Abolala Soudavar, Astyages, Cyrus and Zoroaster: Solving a Historical Dilemma, Iran Journal of the British Institute of Persian Studies, vol50, 2012, p 45.

³ - Trevor Bryce, op. cit, p 461.

2- التاريخ السياسي للمملكة الميدية:

كان للميديين باع طويل في التغيرات التاريخية في العالم القديم، بحث شغلوا جزءاً من سقوط ممالك قوية، وغيروا مجرى التاريخ، فهذه الأقاليم بحكم عصبيتها القبلية ونزعتها الحربية قد تحينت الفرصة في بسط قوتها وإعلاء إسمها بين القوى القديمة

1-2 الميديون ككيان سياسي:

بين القرنين التاسع والسابع قبل الميلاد، شهدت المنطقة التي تسمى بالهضبة الإيرانية تطورات تاريخية وسياسية، والتي سجلتها المصادر الآشورية حيث اختصت سجلاتها الجهة الغربية للهضبة فقط، بالقرب من زاغروس، حتى الأدلة الأثرية تبدو واضحة ودقيقة أكثر بالنسبة للجهة الغربية، بدلا من الجانب الشمالي والشرقي للهضبة الإيرانية، وأفضل من يشهد على تاريخ المنطقة: هي مملكة المانائيين والتي تقع في الجنوب الشرقي لبحيرة أورميا وتقع بين أور وآشور والميديين، ثم مملكة ايليبي في لوريستان، أما القبائل الميدية فقد استقرت في المنطقة الواسعة بين زاغروس والصحراء الوسطى في ديمواند(جبل بيكني أتى ذكره في المصادر الآشورية)، لكن ظهور هذه الممالك الإيرانية الغربية ليس مجرد صورة عن وجود أدلة متاحة، كونها كانت قريبة من الإمبراطورية الآشورية، كانت هذه الممالك تخضع بصفة دائمة للضغط والتأثير الثقافي الآشوري، وأدى هذا الوضع إلى تحولهم من مجموعات قبلية إلى كيانات سياسية أكثر صلابة واتحاداً¹.

بدأت بوادر تشكيل كيان سياسي للقبائل الميدية من القرن الثامن قبل الميلاد إلى القرن السادس قبل الميلاد، استجابة للضغط الممارس عليها من الإمبراطورية الآشورية إلى الغرب، حيث بدأت في الاندماج في دولة موحدة، وجعلت تحركاتها تسير نحو الإقليم وخارجه مما شكل ضغطاً على جيرانها².

¹ - Mario Liverani, op.cit, p 557.

² - Karen Radner, op. cit, p 112.

أدى الضغط الذي مارسه الإمبراطورية الآشورية إلى عدة صدامات عسكرية والتي بلغت ذروتها في عهد سرجون الثاني وإسرحدون، وعلى الرغم من ذلك يجب الإشارة إلى أن هذه الهجمات والتدخلات العسكرية لم تكن سوى نتيجة لعدة تفاعلات سياسية وتجارية هذه التفاعلات تدل على اهتمام الآشوريين بالموارد الاستراتيجية للمنطقة ومحاولة تحويل الطبيعة العدوانية لهؤلاء القوم، إلى قوة يمكن التحكم فيها ولتكون قوة فعالة تخدم مصالح الإمبراطورية الآشورية، لكن السيطرة الآشورية لم تنجح في التحرك بعيدا وراء زاغروس، واستمرت معظم المحاولات في التركيز على الطريق الرئيسي (طريق خراسان) من بابل متبعين نهر ديبالى مارين عبر كرمشاه، وعبر المجعات المائية في بيهستون لتمس أغباتانا مستمرة في الشمال الشرقي وصولا إلى آسيا الوسطى، وقد كانت الخطة الأولية والتي أثبتت أنها قصيرة الأجل، هي محاولة تثبيت سلسلة من المحافظات الآشورية، وخلق مراكز جديدة على هذا الطريق وتحويل منطقة هارهار المحلية إلى كار شارروكين واللانزاش إلى كار سنحاريب، بيد أن المحاولة الآشورية لم تستمر، بلا حدث انحدار أثر على منطقة زاموا(التي كانت جزءا من الإمبراطورية وقت آشوربانيبال الثاني)¹.

لم يكن قدوم الميديين لوحده إلى المنطقة بل رافقهم فرع آري آخر، والمسمى بالفرس حيث كانوا جنبا إلى جنب فهم يرتبطون ببعضهم البعض بصلة القرابة العرقية، وسوف يكون لهما اليد الكبرى في سقوط الإمبراطورية الآشورية، ولقد كانت أول إشارة للميديين في عهد تجلات بلاصر الأول سنة 1100²، وقد ذكر الميديون (مادا Mada) في التاريخ القديم أيضا في عهد الملك الآشوري شلمنصر الثالث (858-824 ق م)³.

لقد كانت أول حملة لشلمنصر الثالث على الأقوام الميديية سنة 834 ق م، وفي أول حملة لهذا الملك، تلقى هدايا من سبعة وعشرين ملكا من بارسوا وهي المنطقة التي كانت تقطنها الأقوام الهندو-

¹ - Mario Liverani, op.cit, p 557.

² - أسامة عدنان يحيى، المرجع السابق، ص 60.

³ - Kaveh Farrokh, op, cit, p 25.

إيرانية بمن فيهم الميديون والفرس والفارسية على حد سواء ذلك أن كلا المصطلحين يمثلان كيانيين يتصل كل منهما بالآخر¹.

كان على الآشوريين أن يواجهوا خطر الشعوب أمثال الميديين، السيميريين والسكيثيين، وكانت أخطرتهم الشعوب الميديية بحكم أنها من المجموعات المتنقلة، تفتقد للحضارة، تكمن قوتها في تعداد البشري، حيث تتفوق على الآشوريين من هذه الناحية، غير أن الميديين أقدم من سابقهم وأكثر تحضراً منهم².

اتصلت الجيوش الآشورية في حملاتها على زاغروس بقبائل إيرانية، وهي الميديون والفرس كم ذكرنا، والتي كانت مستمرة في تنقلها بين بحيرة أورمية ونجد همذان، وكذا جيوش الملك الآشوري شمشي أدد الخامس (823-810 ق م)، حيث يذكر أنه قد هزم أحد زعمائهم الإيرانيين في الإقليم الواقع بشمال أورمية، وقد غزا 1200 مدينة (يسمي الآشوريون المدينة قرية)، كم تماسست الجيوش الآشورية مع الشعوب الميديية في عهد الملك أدد ناراري الثالث في الجزء الكائن بين بحيرة أورمية وهمذان وقزوين، هذا وقد وصف الملك الآشوري تيجلات بلاصر الثالث ومن أتى بعده، وصف الأقسام الميديية بأهم أشداء، وقد أتت المعلومات عنهم من هاته الفترة في الجبال التي سبق وأن ذكرناها والتي أتت في المصادر الآشورية تحت اسم جبال بكني (جبال حجر اللازورد)، وهي جبال ديماوند³.

استطاع الميديون إخضاع الأقسام الفارسية في الجنوب الغربي من إيران- والتي سنأتي بذكرها في سياق البحث- وبسط سلطانهم عليهم، حيث كانت هذه الأقسام بمثابة جيران الميديين ومرتبطين بهم تحت مسمى المصاهرة، وأواخر القرن التاسع قبل الميلاد، من جهة أخرى لم يكن للمملكة الآشورية أي سلطان على الميديين، ذلك لأنهم استطاعوا أن يوحدوا مجموعاتهم القبلية المتنقلة تحت لواء الزعيم الميدي دايوكس أو دايوكو، حيث اتخذ أكباتانا أو أغباتانا (همذان حالياً) عاصمة للمملكة الميديية، مع

¹ - Ilya Gershevitch, op. cit, p 61.

² - محمود أمهر، في تاريخ الشرق الأدنى القديم، در النهضة العربية، 2010م، ص 272

³ - طه باقر، المرجع السابق، ص 434

العلم أن اتحاد القبائل الميديية بعد أن كانوا يعيشون على الطابع البدوي، قد استغرق وقتاً طويلاً بالمقارنة مع نظيرتها السومرية والمصرية¹.

يقول هيرودوت: " بنى دايوكو هذه الجدران لنفسه وحول مكانه الذي يتواجد فيه؛ كان الناس يسكنون في العراء ولم تكن لديهم جدران، وعندما بنيت كان دايوكو أول من أرسى دعائم الحكم، بحيث لم يستطع أي شخص التقدم في حضرته، حيث يتعامل الناس مع رسل الملك فقط، ولم يكن لأي شخص الحق في رؤية الملك"².

لم يكن دايوكو زعيماً عادياً، بل كان شخصاً ذا استراتيجية كبيرة، وكان صاحب مشروع نهضة القبائل الميديية، حاول تعزيز الجبهة الداخلية في المجتمع الميدي، ومعروف أن المعلومات عن المملكة الميديية وقيامها، ومواجهاتها للظفر بالحرية والتحول إلى واحدة من أكبر الإمبراطوريات في غرب آسيا، لا تزال مجهولة وهو ما واجهه كل من بحث في تاريخ ميديا، وليس أمامنا سوى تتبع تاريخها المرتبط بالمملكة الآشورية بحكم أنها من ساهمت في القضاء عليها³.

قام دايوكو ابن الزعيم الميدي يدعى فراورتييس، والذي كان على رأس الحكم عندما كانت القبائل الميديية مبعثرة في قرى، وكتحصين لمملكته، بأمر دايوكو أو بالأحرى أجبار أفراد المجتمع الميدي ممن أصبحوا تحت لوائه ببناء العاصمة سالفة الذكر، وإحاطتها بسبعة جدران ملتصقة ببعضها البعض، وامتدت فترة حكمه 53 سنة⁴.

لم يأت في المصادر الأولى من التاريخ القديم ونقصد بها المصادر الآشورية وغيرها من المصادر الأثرية المكتوبة بالمسمارية، أي ذكر للملوك الأوائل لميديا الموحدة، وقد انفرد المؤرخ الإغريقي هيرودوت بهذه الأسماء التي لا يزال الباحثون مشككين حول صحتها، حيث ذكر أسرة ملكية واحدة حكمت ميديا، وهو ما جاء خلافاً لما ذكرته سجلات الملوك الآشوريين حول دحرهم لعدة زعماء

¹ - حسن كريم الجاف، تاريخ إيران السياسي: من التاريخ الأسطوري حتى نهاية الدولة الطاهرية، المجلد الأول، الدار العربية للموسوعات، لبنان، 2008، ص 22

² - Herodotus, 1.99.

³ - أحمد محمود الخليل، المرجع السابق، ص ص 51، 52.

⁴ - George G. Cameron, op, cit, p 175.

ميديين، منهم ثلاثة ذكرهم إسرخدون وهم: بارتاكا(في المنطقة المسماة أصفهان)، زاناسانا في بارتوكا(والمرجح أنها بارثيا) ورماتايا في أوروكانزابارنا(والمرجح أنها في منطقة همذان الحالية)، لذلك ليكن في علمنا أن ما جاء به هيرودوت لا يتطابق تماما مع ما جاءت به المصادر الأثرية للملوك الآشوريين وما حوته سجلاتهم التي أرخت لحروبهم الطويلة مع مختلف قوى الشرق الأدنى القديم¹، حيث سيتضح من خلال تناولنا لفترات حكم الملوك الميديين الذين جاؤوا بعد موحد القبائل الميديّة، مدى الاختلاف الواضح بين السجلات وتاريخ هيرودوت فيما يتعلق بأسماء الملوك الميديين.

لبعض الكتاب رأي آخر، فمن كان حاكما على المنطقة بالقرب من شمال غرب إيران هو دايوكو، حيث جاء في سجلات سرجون الثاني باسم دايوكو الميسي *Dahyuka Of Misi* وهي مقاطعة مانائية².

كما ذكر في سجلاته في القرن الثامن قبل الميلاد خمسون قائدا ميديا³ ربما كانت الكتابة التي جاءت في سجلات سرجون هذه مشابهة للاسم الذي جاء به هيرودوت *Deioces*⁴، وهو المتفق عليه في العديد من المناسبات التي ذكر فيها تأسيس المملكة الميديّة، وكان دايوكو أو دايوكوس هو الاسم المكرر في مختلف المصادر الكلاسيكية القديمة، ليعتمد عليها الباحثون التاريخيون في عصرنا هذا، وفي ظل غياب المصادر والمعلومات الكافية التي تؤكد أسماء هؤلاء الملوك، فما علينا إلا أن نقارب العديد من وجهات الاختلاف الحاصلة في تحديد هؤلاء الزعماء، لكي يكون لبحثي استمرارية في سياق المعقول القريب للمعلومة الصحيحة.

تذكر السجلات الآشورية في عهد الملك سرجون الثاني أنه دايوكو قد نفى هو وعائلته من قبل الملك حوالي 775 إلى سوريا، وفي هذه الفترة وفي غياب الزعيم الميدي، حاول الملك الآشوري تثبيت عدة بؤر استيطانية، كانت إحداها تسمى تاه-ا-ران *Tah-a-Ran* وهي طهران الحالية⁵.

¹ - Mario, Liverani, op.cit, p 560.

² - Kaveh Farrokh, op.cit, p 29.

³ - Marsha E. Ackermann, op.cit, p 269.

⁴ - Herodotus, B1.73.

⁵ - Kaveh Farrokh, op.cit, p 29.

هذا وقد كانت المملكة الآشورية، تقوم بحملاتها العسكرية ضد الممالك ومناطق النفوذ الأخرى، من أجل فرض القوة والسيطرة، حيث وصفت هجماتها بالشرسة والعنيفة ضد شعوب العالم القديم، وكان الهدف من معظم حملاتها هو النهب وجمع الغنائم، ولكن وبعد ظهور القوى الأخرى وبداية ضغطها على موارد المملكة الآشورية، غيرت هذه الأخيرة من سياستها الحربية، إذ قامت بفرض السيطرة على الشعوب المغلوبة، وبعثها في مناطق وأراضي غير أراضيها الأصلية، بمعنى النفي والتهجير، وجلبت الأقوام التي تميزت بإثنياتها العريقة، إذ قامت بفرض ضرائب مجحفة في حق الشعوب الخاضعة، مع بقاء هذه الأراضي من ضمن الملكية الآشورية¹.

بجول النصف الأول من القرن الثامن قبل الميلاد، كانت ميديا محاطة بأربع ممالك إقليمية قوية وهي: مملكة المانائين (ميثانيا) في الشمال الشرقي، مملكة أورارتو* في الشمال الغربي، مملكة آشور في الغرب ومملكة عيلام في الجنوب، إضافة إلى دولة الإسكيث في شمالي ميديا بالقرب من القوقاز، وكانت ميديا من بين هؤلاء التي لا توجد لديها سلطة منظمة، وبدراسة الوضع المتوتر بين هذه القوى الإقليمية، اهتدى دايوكو لمراعاة مسألة (ترتيب الأولويات)، فلم يكن بتلك السذاجة بأن يدخل في مواجهة مباشرة مع هذه القوى الإقليمية، خاصة وأن المملكة الآشورية كانت تسيطر على مناطق شاسعة، تمتد من حدود أفغانستان إلى السواحل الشرقية للبحر الأبيض المتوسط تتضمنها مصر أحيانا، حيث استطاع أن يلج بين تقاطعات المصالح، ولقد جعل نفسه تابعا هو وقبائله لمملكة المانائين في الشمال الشرقي من أذربيجان، ليصد عنه الاعتداءات وليحتمي بها من الخطر

¹ - Muhammad A. Dandamaev and Vladimir G. Lukonin, The culture and social institutions of ancient Iran, Cambridge University Press, USA, 1989, p 47.

* - أورارتو: مملكة من ممالك الشرق الأدنى القديم، ازدهرت بين القرن التاسع قبل الميلاد إلى سنة 585 ق م في حدود غرب آسيا وشرق آسيا الصغرى في أعالي أرمينيا، كان مؤسس المملكة يدعى أرامي Aramé لقب نفسه بملك الملوك، دخلت في صراع مع المملكة الآشورية الحديثة، أنظر:

Curzon Press, England, M. Shahin, The Kingdom of Armenia : A History, 2001 p43.

الخارجي، هذا وقد عقد تحالفا فيما بعد مع مملكة أورارتو في الشمال الغربي (بحكم القرب الثقافي بين هؤلاء الثلاثة)¹.

قريبا ما ستقوم المملكة الآشورية بإرساء ثلاثة أقاليم من الجهة الشرقية لحدودها، ستكون ماداج (ميديا) إحداها، وبوصول النصف الثاني من القرن الثامن قبل الميلاد، دخلت بابل في صراع مع المملكة الآشورية، محاولة استرجاع استقلالها عقدت تحالفا مع الدولة العيلامية والتي وجدت نفسها منجرة في حروب طويلة مع آشور، وفي سنة 720 ق م وقعت معركة دامية في حصن "دير" بين العيلاميين بقيادة ملكهم هومبان نيكاش الأول والآشوريين، هذا وقد قام الزعيم البابلي مردوخ أبلا إيدينا بإقحام نفسه عمدا بالظهور في ساحة المعركة عند تهاوي قوة الآشوريين، ليتوفى بعده هومبان نيكاش سنة 717 ق م، حيث استولى ابن أخيه على العرش، والذي أثبت ولاءه من خلال تحالفه العسكري مع البابليين، وفي سنة 716 ق م استولى ملك أورارتو روسا على 22 حصن مانائي، حيث حاول واحد من حكام أحد المناطق التابعة للمملكة المانائية وهو دايوكو من الإفلات من الآشوريين ومع ذلك فقد تم القبض عليه في سنة 715 ق م واقتيد إلى محافظة حماة في سوريا².

اضطر الملك الآشوري سرجون الثاني من أن ينشغل بأمر الميديين، محاولا القضاء على زعمائهم، وعلى إثرها قام بحملة ضدهم عام 713 ق م أخضع فيها 142 زعيما ميديا، البعض منهم يتواجد فيما وراء همدان وقد خلد انتصاراته عليهم متباهيا بهزيمته لهم في سجلاته التي نسبت إليه، ولم يكن هؤلاء سوى رؤساء قبائل كان قد وحدهم الملك الميدي دايوكو، الذي نفاه سرجون³.

إذن نفى الملك الآشوري سرجون الثاني الزعيم الميدي، لكن وبعد فترة غير معروفة أرجع دايوكو إلى آشور ليكون تحت أعينهم والبقاء تحت الحكم الآشوري قسرا، وكان الهدف من هذه الحركة ربما هو تبيان أن لا قوة فوق قوة الآشوريين، وأن على من يثير البلبله ويتحدى المملكة الآشورية عليه أن يدفع الثمن بأن يقتاد إلى المكان الذي حارب ضده، غير أنهم أثبتوا إلى جانب ذلك نوعا من اللين ذلك أنه وفي العادة يستعملون القوة في دحر أعدائهم، كما أنهم يستمتعون في إذلالهم، وهو

¹ - أحمد محمود الخليل، المرجع السابق، ص 43.

² - Muhammad A. Dandamaev and Vladimir G. Lukonin, op. cit, pp 47, 48.

³ - أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 496.

الأمر الغريب، فالأرجح أن السماح بالعودة للزعيم الميدي إلى آشور بمقربة من ميديا هو الاستفادة منه لتهدئة الأوضاع التي لا تكاد تنضب، لا سيما أن ميديا تتوسط كل من عيلام و المملكة المانائية وأورارتو ومملكة الإسكثيين، هذه الأقاليم الخمسة كانت مسرحا للعديد من التوترات التي كانت تنغص على آشور بين الحين والآخر¹.

كانت العاصمة التي أنشأها الملك الميدي دايوكو والتي أسماها أكباتانا، وسماها الآشوريون بدورهم " بيت دايوكو "، تمثل للميديين موردا مهما لمختلف الثروات الطبيعية، حيث وجد دايوكو في موطنه الحديد المعادن المهمة مثل: الحديد، النحاس، الرصاص، الذهب، الفضة، الرخام والأحجار الكريمة، ومع ذلك فقد عاشوا نوعا ما حياة زراعية، لقد كانت أكباتانا حلم السيطرة الآشورية ويعني اسمها ملتقى الطرق الكثيرة²، وكما هو المعروف تاريخيا أن الطريق الذي يسلكه التجار هو نفسه الذي تسلكه مختلف فئات المجتمع من سياسيين، ورجال الدين، والجيش³.

كما ذكرنا آنفا فإن دايوكو الملك مؤسس المملكة الميدية الأولى في التاريخ القديم بإجماع أغلب المؤرخين الكلاسيكيين والباحثين في التاريخ القديم، دام زهاء ثلاثة وخمسين سنة والأرجح كان بين (727-674/675)⁴، حيث خلفه ابنه خاشتارتا أو فراوورتيس وهو لا يقل عن والده أهمية في التاريخ القديم لمنطقة الشرق الأدنى القديم، والذي حكم بحسب هيروودوت ما يقرب 22 سنة من 675 إلى 653 ق م⁵.

تم في عهد فراوورتيس توسيع نطاق المملكة الميدية⁶، حتى وبالعودة لحقيقة اسم فراوورتيس نجد أن هناك لغط كبير ولا يزال لحد الساعة، فالذي أتى به هيروودوت يتعارض مع الاسم الذي جاء في نقش داريوس الأول والذي جاء أيضا في السجلات الآشورية، حيث ذكر في هذه الأخيرة على أنه زعيم زاغروس الذي كانت المملكة الآشورية تعاني من هجماته المتكررة والذي تحالف مع الجماعات

¹ - أحمد محمود الخليل، المرجع السابق، ص 45.

² - طه باقر، المرجع السابق، ص 437.

³ - أحمد محمود الخليل، المرجع السابق، ص 46.

⁴ - المرجع نفسه.

⁵ - George G. Cameron, op.cit, p 29.

⁶ - حسن كريم الجاف، المرجع السابق، ص 22.

الأخرى، وقد تردد اسمه مرارا وتكرارا على أنه نفس الشخص باسم خاشترينو و خاركاشي، وعليه تم افتراض القصة الممنهجة على أن خاشترينو هو نفسه الزعيم الميدي الذي ذكره هيروودوت باسم فراوورتيس، بالتأكيد كانت القاعدة السياسية للزعيم خاشترينو على نطاق واسع في الأراضي الميديية، ولكن ما يلفت النظر أن ميدي في زاغروس كغيرها من المناطق المجاورة بقيت مجزأة سياسيا حتى منتصف القرن السابع قبل الميلاد، فالمناطق كانت تحت إمرة حكام محليين صغار، الذين كانوا في كثير من الأحيان في صراع مع بعضهم البعض، فلا المعلومات التي ذكرها هيروودوت ولا اكتسياس تؤكد توحيد القبائل الميديية على الأقل أواخر القرن الثامن قبل الميلاد، وعليه فيفترض أن ما جاء به هيروودوت عن توحيد الميديين هو عبارة عن ملحمة مبنية على قصة متداولة في إيران الإخمينية، والذين يحتفلون بالمآثر البطولية للعديد من المحاربين في زاغروس¹.

أما فراوورتيس الذي ذكر في نقوش داريوس الأول، يقصد به المتمرد الذي خرج عن حكم داريوس وحاول الإطاحة بحكمه على أنه الحاكم الميدي الذي حاول استرجاع الجحد الميدي والتحرر من بوتقة الحكم الفارسي الإخميني²، غير أن غيرشمان يفضل اسم خاشترينا على خاشترينو وكلاهما اسمان للزعيم الميدي³.

إذن سنسقي على اسم خاشترينا، على أنه نفس الاسم الذي ورد في السجلات الآشورية وهو نفسه الذي ورد في نقوش الملك الإخميني داريوس الأول، وعليه فقد شكل زعيم زاغروس خاشترينا خطرا واضحا على المملكة الآشورية كما دخل في صراع مع القوى الجديدة.

2-2 علاقة الميديون بالشعوب والقوى بالمنطقة:

لم يكن الميديون كيانا هادئا بل قوة ضاربة لها تأثيرها، كما كانت لها علاقات تربطها بغيرها من الشعوب والقوى الفاعلة في العالم القديم، حيث أصبح كل من تصادم مع الميديين يحسب لهم ألف حساب قبل التفكير بالإحتكاك بهم، وعليه قد ربطتهم بها علاقة اتسمت بالتوتر في غالب الأوقات.

¹ Amélie kuhrt, op. cit, p 20

² Tom Holland, op. cit, p 52.

³ Ghirshman, op. cit, p 29.

1-2-2 السيميريون والإسكيثيون:

عاش السيميريون في شمال جبال القوقاز في روسيا، والمرجح أنهم كانوا على علاقة بالتراقيين، والأكيد أنهم جماعة مختلطة بتعاقب الحقبات التاريخية، حيث ظهرها جنوب الجبال، والذين أشير إليهم في التاريخ سنة 714 ق م، ذلك أنهم من المحتمل أن يكونوا السبب في سقوط مملكة أورارتو، وكان الملك الأورارتي روسا ابن ساردوري (713-735 ق م) من عاني بين يدي السيميريين، والذي عانى أيضا بسبب حملات سرجون الثاني في حملته الشهيرة على مملكة أورارتو في السنة الثامنة من حكمه، عند مسيرة الملك الآشورية في حملته على بارسوا (إقليم فارس)، وإقليم المانائين¹.

أما الإسكيثيون سقا بارادرايا قد قاموا بغزو كرميا شبه جزيرة القرم في الفترة من 780 ق م إلى 750 ق م، حيث حاصروا وحطموا البنية التحتية للسيميريين في أوكرانيا وفر الناجون من السيميريين (الذين ظل الإسكيثيون يطاردونهم عن كثب)، إلى القوقاز، دخل الإسكيثيون الشرق الأدنى من خلال القوقاز²، اعتبر الإسكيثيون جماعة من البدو الرحل الإيرانيين من آسيا الوسطى، استقروا في شمال إيران³.

كلتا الجماعتين ونقصد بذلك الإسكيثيون (جاءوا في التوراة في سفر إرميا أو حزقيا باسم اشكناز، أشكوزا أي الإسكيثيون)⁴، السيميريون ذكروا في المصادر الآشورية ابتداء من نهاية القرن الثامن قبل الميلاد، عندما ظهرها لأول مرة على حدود المملكة الآشورية، ثم تبعهم السكيثيون وهو ما جعل الآشوريين أن يميزوا بين الشعبين داعيا على التوالي كيميري Gimirri وإشكوزا Ishkuza، وكان اسم ساكاي معروفا لدى الآشوريين أيضا، على سبيل المثال نقش مكتوب في حوالي 640 ق م يذكر توغدام ملك عمان ماندا (يعتبره دياكونوف أن يشير إلى السيميريين)، والساكا (في رأي دياكونوف السكيثيين من غرب وسط إيران)⁵، يذكر هيروودوت أن السكيثيين هاجموا المصريين

¹ Richard Nelson Fey, op. cit, 70-

² Kaveh Farrokh, op. cit, p 29. -

³ Mario Liverani, op. cit, p 563. -

⁴ Ernst Herzfeld, op. cit, p 194. -

⁵ Muhammad A. Dandamaev and Vladimir G. Lukonin, op. cit, p 50. -

ونهبوا جزءا من سوريا المسمى فلسطين، حيث أقنعهم الملك المصري بيسماتيك بعدم غزوهم بإعطائهم الهدايا¹، اعتبر السيميريون والسكيثيون جماعتين متصلتين بالقرابة (فكلتاهما تتكلمان اللهجة الإيرانية القديمة)، وقد لاحظ دياكونوف أن الآشوريين ناهيك عن البابليين لا يفرقون بين السيميريين والسكيثيين بشكل واضح².

اعتبر السيميريون والاسكيثيون من العشائر الحربية، لقد تميزوا بالقسوة والوحشية يركبون الخيول البرية بدون سرج، وبحكم أنهم قبائل متنقلة فقد كان مسكنهم عبارة عن عربة، من صفاتهم الغزو والنهب، حيث عثر على أحد القبور للسكيثيين في جنوبي الاتحاد السوفيتي سابقا، توضح أنهم كانوا يدفنون مع ملوكهم الحلي والكنوز الذهبية والأواني³.

لقد اتسمت علاقة الميديين وهاتين الجماعتين بالودية، حيث ضم خاشثارتينا إليه المجموعتين بعقد تحالف معها، كما ضم قبائل الفرس، وإن كانت حادثة ضمهم وصفت بالقسرية إذ قام بشن هجوم لإخضاعهم⁴.

وثق خاشثارتينا بوعود السكيثيين بالإبقاء على التحالف، غير أنه جوبه بالخداع حيث تحالف السكيثيون مع المملكة الآشورية والتي كان خاشثارتينا في صراع معها (حتى أن أحد ملوكها والمدعو باربوتوا طلب يد أحد الأميرات الآشوريات وقد قوبل طلبه بالقبول، حتى وإن لم يتحدث التاريخ عن هذه القصة)، وهذا أثناء محاولته الهجوم على نينوى للقضاء عليها حيث اعتبرت هذه الخطوة بمثابة الانتحار بالنسبة للقائد الميدي، حيث غدر من الخلف من قبل ابن باربوتوا مادياس وقضى نجه سنة 653 ق م، حيث استفاد السكيثيون من هذا الانقلاب ووجهوا هجوماتهم نحو ميديا واحتلوها بعد انضمام السيميريين لهم بعد هروبهم إثر النصر الذي حققه آشور بانيبال خليفة أسرحدون، وبحسب هيرودوت فقد كانت مدة احتلالهم للمملكة الميديية ما يقرب 28 سنة (653-625 ق م)، نهبوا خلالها آسيا الصغرى، شمال سوريا، فينيقيا، دمشق وفلسطين حيث ذكرت هجوماتهم في مذكرات

¹ - Herodotus, B1. 105.

² - Muhammad A. Dandamaev, op. cit, p 51

³ - أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 497.

⁴ - أحمد محمود الخليل، المرجع السابق، ص 52.

إرميا الذي وصفهم بكلمات مرعبة على غرار: "مدمرة الأمم، العربات كالعاصفة، خيوله أسرع من النسور... ويل لنا"¹.

قبل وفاته عام 669 ق م قام الملك الآشوري أسرحدون بتقسيم المملكة الآشورية وجميع المناطق التابعة لها بين ولديه آشوربانيبال وأعطاه آشور، في حين حكم شماش-شوين-أوكين بابل كملك تابع لأخيه، وفي سنة 652 ق م زادت حدة التوتر بينهما حيث تمرد، وأقام علاقات سرية مع الملك العيلامي هومبان-نيكاش الثاني، ومع الملك المصري، والقبائل العربية من السهوب السورية، وحكام المدن السورية، وزعماء القبائل الكلدانية في جنوب بابل، غير أن القوات الآشورية نجحت في سحق القوات البابلية العيلامية بالقرب من قلعة دير، وبسبب دسياسة قام بها آشوربانيبال سنة 652 ق م، وقع انقلاب في البلاط العيلامي وقتل إلى إثرها الملك هومبان-نيكاش، وفي عام 648 ق م سقطت بابل في يد الآشوريين، وهزم العيلاميين سنة 646 ق م²، بعد هذه المستجدات، سيخلف كياكسارس خاشترتا، والذي سيقوم بدور مهم في قلب موازين القوى في الشرق الأدنى القديم، وأوعز له جميع المؤرخين والباحثين تأسيس المملكة الميديية في شكلها النهائي ككيان سياسي موحد.

2-2-2 علاقة الميديون بالفرس:

الفرس، أو الفرس الإخمينيون، من الأقوام الهندو أوروبية كما ذكرنا وهم جيران الميديين وقد هاجروا إلى زاغروس واستقروا على الهضبة الإيرانية، فتاريخهما يكاد يكون مرتبطا ببعضه البعض بشكل واضح بحكم أنهما متجاورتان سواء في الجغرافيا أو حتى في القرابة، إذن ينحدرون من نسل جدهم الأكبر أخمينيس (بالفارسية القديمة هاخامانيش Hakhāmanish)، عادة ما يوصف أنه الزعيم الأسطوري المؤسس للأسرة الملكية الإخمينية، ابنه المسمى تياسبس Teispes والذي جاء في اللغة الفارسية القديمة باسم Chishpish، وهو الملك الفارسي الأول الذي لقب الملك الأعظم لآنشان، وبحسب المعطيات فهو ووالده أخيمينس المزعوم هم من يوعز إليهم إرساء الحكم الإخميني في

¹ R. Ghirshman, op cit, pp 98, 99

² Muhammad A. Dandamaev, op. cit, pp 53, 54.

آنشان بارسوا أو بارسواش وبارسوماش، والذي تحالف مع المملكة العيلامية ضد الملك سينحريب¹، أقام الفرس الإخمينيون على سفوح جبال بختياري إلى الشرق من شوشتار والواقعة على نهر قارون، وقد خضع هؤلاء الأقوام للنفوذ العيلامي، واستغل الصراع الآشوري العيلامي ليمتد على عيلام وإن خضع للملك الميدي خاشتاريتا².

يذكر هيرودوت أسماء القبائل الفارسية وهي ليست نفسها أسماء القبائل الميديّة، وهي كالتالي: البانثاليون، الديروسيون والجرمانيون والدائيون، المارديون، الدروبكيون، الساغارتيون³، ذكر الفرس لأول مرة في عهد الملك العيلامي هوبان-إيمينا (692-688 ق م)، الذي قاد حملة على المملكة الآشورية بالتحالف مع البابليين⁴، وأقدم ذكر لهم عند الآشوريين في عهد الملك شيلمنصر الثالث عام 844 ق م، حيث أشير إليهم باسم بارسوا parsua، تشير المعلومات المتفرقة عن اتحاد القبائل الفارسية الذي كان أواخر القرن الثامن قبل الميلاد من قبل أخمينيس زعيم قبيلة باسارغادا⁵.

يذكر التاريخ أن مدة حكم تياسبس امتد من حوالي 635 ق م إلى 620 ق م⁶، وقبل وفاته وبعد ضمه آنشان وبارسوا، قسم تياسبس مملكته بين ولديه أريارمنيس (حوالي 640-590 ق م)، حيث أصبح باسم التقسيم الجديد الملك الأعظم، ملك الملوك، ملك أرض فارس، وبين قورش الأول والذي كان الملك الأعظم لبارسوماش، ومن حسن الحظ هناك نقيشة وجدت في همذان كتبت باللغة الفارسية القديمة على لوح من الذهب، عثر على اسم أريارمنيس محفورة عليها، كتب فيها: يقول الملك هذه الأرض أرض الفرس، والتي أملكها، والتي فيها الخيول الجميلة والرجال الطيبين، إنها الأرض العظيمة، أعطاهما لي الإله أهورامازدا، وهي لوحة معروفة من أقدم الألواح التي ترجع للعهد الإخميني، والتي تحمل أقدم نص فارسي قديم، تبين مدى التطور والتقدم الحضاري الذي كان يحصل منذ بداية القرن السابع قبل الميلاد، من قبل القبائل الفارسية، خاصة في حالتها، إذ كانت شبه

¹ - Ilya Gershevitch, op.cit , p 34.

² - حسن محمد محي الدين السعدي، المرجع السابق، ص ص 254، 255.

³ - Herodotus, 1. 125.

⁴ - R. Ghirshman, op. cit, p 119.

⁵ - أسامة عدنان يحيى، المرجع السابق، ص ص 66، 67.

⁶ - Mario Liverani, op.cit, p 540.

بدوية، وشبه مستقرة¹، ومن المرجح أن هذا اللوح قد كتب وقد وجد في هانغماتانا Hangmatana وهي العاصمة إكباتانا².

لقد حاز الملوك الفرس على غرار الميديين على أهمية في السجلات الآشورية، فقد كان ذكرهم يرتبط عادة بالتمرد، والخروج عن طاعة الحاكم آنذاك فقد كانوا قوماً يحبون الحرية، ذوّوا نزعة حربية وعليه ذكر قورش الأول الابن الأكبر للملك الفارسي تياسبس، في نص آشوري فيما يتعلق بتدمير عيلام باسم كوراش Kurash ملك بارسوماش، في عهد آشوربانيبال، الذي أذعن لسلطة الملك الآشوري، وأرسل ابنه لينيوى لإظهار حسن النوايا، يبدو أن قورش الأول كان قائداً سياسياً في بارسواش وحاكم مقاطعة أنشان العيلامية سابقاً والتي ربطناها مع مقاطعة فارس، وقد بقي اسم أنشان اسماً تقليدياً في جنوب بلاد ما بين النهرين لمنطقة فارس الشمالية وصولاً إلى الحقبة الجديدة من بابل³.

يقول آشوربانيبال في كتاباته عن ملك بارسوماش: " كوراش ملك مدينة بارسوماش، لقد سمع عن جيروقي ونصري على العيلاميين، أرسل ابنه الأكبر أروكو مع جزيته إلى نينيوى عاصمة بلدي، في إعلان عن طاعته⁴ [v.k]u-raš h.an-za-an-x-ra DUMU še-iš-be-iš-n[a] بالإنجليزية "Cyrus, the Anšanite, son of Teispes," وباللغة العربية كالتالي: " قورش، الآنشاني، ابن تياسبس"⁵، ترددت حادثة تسليم قورش ابنه كرهينة للمملكة الآشورية في الكثير من المراجع، غير أنه شكك في صحة هذه القصة⁶، لعب الفرس دوراً ثانوياً مع الميديين طوال القرن السابع قبل الميلاد، وسيصبحون تابعين تماماً في عهد الملك الميدي كياكسارس⁷.

¹ R. Ghirshman, op. cit, p 120.

² A. T. Olmstead, op. cit, p 29.

³ Ilya Gershevitch, op. cit, p 33.

⁴ Muhammad A. Dandamaev, op. cit, p 54.

⁵ Javier Álvarez-Mon, Mark B. Garrison, op. cit, p 188.

⁶ Elton L. Daniel, op. cit, p 36

⁷ Marsha E. Ackermann, op. cit, p 270.

2-2-3 صراع الميديين للتوسع:

كان التفوق الذي أحرزته المملكة الآشورية على المملكة العيلامية، مجرد نصر من سلسلة الانتصارات التي كانت تحققها على الشعوب الأخرى، وعلى أنه تم تثبيت جو هادئ على إثرها على طول حدود المملكة الآشورية، ولكن كان هذا الهدوء الذي يسبق العاصفة، حيث بدأ تفكك المملكة الآشورية حوالي سنة 630 ق م، عندما بدأت مراكزها المتفرقة في التنافس والصراع مع بعضها البعض، حيث اندلعت انتفاضة ضد الهيمنة الآشورية في بابل في عام 626 ق م من طرف نابوبلاصر حاكم آشور في المنطقة البحرية (منطقة المستنقع في جنوب بابل)، حيث رأى أنه حان الوقت لتجديد الكفاح البابلي ضد الحكم الآشوري، ليكون بمثابة الملك المستقل لبابل، وقد جدد التحالف التقليدي البابلي الكلداني في جنوب بابل ومع عيلام وفي نوفمبر 626 ق م، تم الاعتراف بنابو بلاصر رسمياً باعتباره ملك أكاد (وهو الاسم التقليدي شمال بابل)، وأسس سلالة كلدانية جديدة أو بابل جديدة، وسيدخل مع آشور في سلسلة مواجهات حربية يطول أمدها¹.

سوف يكون المحرك الرئيسي في تغيير موازين القوى في العالم القديم: المملكة الميديّة والفرس الإخمينيون، ذلك أنهم كانوا سببا في سقوط العديد من القوى المحركة للساحة السياسية في العالم القديم، وستشهد المنطقة بعد ثورة الميديين عن طريق زعيمهم كياكسارس أوج قوتها وعلى يده توحدت ميديا في شكلها النهائي ككيان سياسي متكامل.

في سنة 625 ق م استلم كياكسارس (هفاخشاترا بالميديّة Huwakhshatra) عرش المديين عقب مقتل والده في المواجهة مع المملكة الآشورية، قام بإلحاق الهزيمة بالسكيثيين، الذين غزو ميديا في العقود الأولى من القرن السابع قبل الميلاد²، وقد قاد معركة كللت بالنجاح ضد الآشوريين، وكانت هذه المعركة هي من حددت شخصية الملك الميدي السياسي هو ومن جاء بعده، حيث

¹ - Muhammad A. Dandamaev, op. cit, p 54.

² - Ibid, pp 54, 55.

دامت مدة حكمه أربعين سنة (625- 585 ق م)، وقد قام بالهجوم على آشور وعاصمتها نينوى¹.

لقد عانت شعوب غربي آسيا ما مدته ألف سنة من قسوة الإمبراطورية الآشورية، من عنف وبطش وهمجية، وكالعادة فقد استند الملوك الآشوريون في بطشهم هذا على المرجعية الدينية، فكانوا يقدمون أنفسهم على أنهم مبعوثوا الإله آشور ومن أجل الإله آشور، وهناك شعبان تحملا عنف الآشوريين هما الميديون والبابليون².

لقد شهدت المملكة الآشورية هجوما مزدوجا من طرف ملك بابل الجديدة نابوبلاصر وحلفائه من بينهم المملكة الميديية بقيادة ملكها كياكسارس³، أول هجوم للمملكة الميديية لآشور كان سنة 614 ق م⁴.

هاجم كياكسارس آشور وعاصمتها واحتل المقاطعة الآشورية أرافا arrafa ثم اتجه قاصدا نينوى، ولم ينجح في احتلالها، ولكن في خريف 614 ق م قاموا بمحاصرة آشور، ودمروها تدميرا شاملا، وأبىد سكانها، حيث سجلت الأحداث في السجلات البابلية، وذكرت التدمير المخيف الذي جاء على يد الميديين⁵، وهذا بعد مرور سنة من الاستيلاء على أرافا، حيث استولى على كالخو أو كلخ ثم آشور كما ذكرنا، حيث شهد الزحف الميديي انضمام الجيش البابلي، وواجهت آشور أكثر الشعوب قوة وهم الميديون، وأعقب الانتصار الأولي الميديي البابلي زواجا سياسيا بين نابو بلاصر وابنة الملك الميديي كياكسارس، حيث عزز هذا الزواج العلاقات الميديية البابلية، غير أن المشاكل الداخلية أجبرت كلا الجيشين على الانسحاب قبل أن يستمروا في الانتصارات، ليتولى الآشوريون المبادرة ويشنون هجمة معاكسة على بابل، لكن بحلول العام الموالي انقلبت الطاولة لصالح الميديين

¹ - Maria Brosius, The Persians, Routledge Publishing, USA, 2006, pp 4 ; 7.

² - أحمد محمود الخليل، المرجع السابق، ص ص 60؛ 61؛ 62.

³ - Nigel Stillman, Nigel Tallis, Armies of the Ancient Near East, 3000 BC to 539 BC Organisation, Tactics, Dress and Equipment, A WARGAMES RESEARCH GROUP PUBLICATION, 1984, p 32.

⁴ - Gene R. Garthwaite, op. cit, p 24.

⁵ - Muhammad A. Dandamaev, op. cit, p 55.

والبابليين حيث وجدت نينوى نفسها محاصرة من قبل جيشيهما، حيث سقطت المدينة بعد ثلاثة أشهر، وكان هذا إيذاناً بالسقوط الفعلي لآشور، في حين سقطت باقي المدن الآشورية بحلول نهاية سنة 612 ق م، صمد خلالها القائد الآشوري آشورباليث الثاني في حران في الغرب حتى أجبر على ترك المدينة، تقدم بعدها البابليون، في حين استعاد المصريون السيطرة على فلسطين بالرغم من دعمهم فلول الآشوريين، وبعدها جاءت الضربة القاضية والأخيرة سنة 605 ق م عندما تولى عهد بابل نبوخذ نصر، حيث هزم المصريين مرتين في كركيميش وفي هاماث على الحدود المصرية، وأباد جيشهم تقريبا، حيث كانت المقاومة الآشورية في نهايتها، وأصبحت أراضيها جزءا من المملكة البابلية الجديدة الصاعدة¹.

امتدت القوة الميديّة في جميع أنحاء زاغروس وما وراءه، ومن الجهة الجنوبية كان الميديون يسيطرون على فارس، ومن الشمال والغرب سيطر الميديون على باقي زاغروس، وشمال بلاد ما بين النهرين، وشرق الأناضول والتي شملت بلاد السكيثيين، واعتبرت مملكة ذات موقع استراتيجي².

سمي كياكسارس بحسب سجلات نابوبلاصر (أو كما يطلق عليها بطريقة أخرى سجلات اغاد) ملكا لأومان ماندا، غير أنه وفي نفس التسلسل الزمني للوقائع التي انتهت بسقوط آشور، سمي ببساطة الميدي، ومن جهة هناك نفس الوقائع للسجلات، تقول بأن ملك أومان ماندا جاء ليقدّم الدعم لنابوبلاصر، عندما كان هذا الأخير يواصل حربه ضد الجيش الآشوري في سوريا، وبالانتقال لسجلات أخرى، يجدر بنا ذكر أن نقيشة لاحقة باسم نابونيد يسمي استياجس ملك ميديا، وكذا الأسطوانة الشهيرة التي ذكر فيها استيلاء الفرس الإخمينيين على ميديا، يذكر فيها ملك أومان ماندا، ولا نستطيع أن نجزم من كان ملكا على أومان ماندا، فالذين كانوا في تلك المنطقة من القبائل الهندو-أوروبية والسيميريين كانوا إحدى هذه القبائل، وتبقى الشعوب من أومان ماندا التي شاركت

¹ Peter Knight, Ancient Mesopotamia New Perspectives, ABC-CLIO's, USA, 2005, p 108.

² Gene R. Garthwaite, op. cit, p 24.

في حصار نينوى من أعمال السجلات البابلية، ذلك أنهم لم يستطيعوا التفريق بين الميديين والشعوب الأخرى¹.

في 605 ق م، توفي نابو بلاصر، وترك إرثه بين يدي ولده نبوخذ نصر الثاني، حيث قام بغزو المدن الفينيقية، على الرغم من نداءات الاستغاثة لطلب المساعدة العاجلة من طرف مصر، وفي سنة 598 ق م وإيقناع من الملك المصري الفرعوني نيخو انفصل ملك يهوذا يهوآكيم عن بابل، وعلى إثرها حاصر نبوخذ نصر القدس واستولى عليها في 16 مارس 597 ق م، وتم ترحيل أكثر من ثلاثة آلاف يهودي وأصبحوا فيما يسمى بالأسر البابلي، وعين نبوخذ نصر ملكا على صدقيا بحسب ما جاء في الموروث الإغريقي، تطلبت الحملة على القدس طلبا للمساعدة من الملك الميدي كياكسارس وبعد فترة وجيزة قرر فرعون مصري جديد يدعى أبرياس محاولة تثبيت سلطته في فينيقيا والاستيلاء على مدن غزة، صور وصيدا، حتى أنه أقنع ملك صدقيا بالتمرد على الحكم البابلي، وعليها قام نبوخذ نصر بإجراء حاسم وقاد حملة أعاد بها القوات المصرية إلى حدوده السابقة، وفي عام 587 ق م قام بحصار القدس لمدة ثمانية أشهر واستولى عليها، وعلى إثرها أصبحت مملكة يهوذا ضمينا تابعة للمملكة البابلية الجديدة كمقاطعة بابلية².

تم تقسيم المملكة الآشورية بين المملكة الميديّة والمملكة البابلية الجديدة على طول الحدود التي تمر على ما يبدو من الفرات أعلى كركميش إلى الجنوب من حران وما يقرب من ذلك على طول سلسلة جبال سنجار، عبر دجلة إلى الجنوب من آشور على طول السلسلة الجبلية حميرين أو هميرين عبر وادي ديايلى، إلى الحدود الشمالية الغربية من الجبل المحاذي لبلاد عيلام، ويبدو أن المثلث الآشوري (نينوى أربيل وآشور) قد تم دمجها ضمن الممتلكات الميديّة، في هذه الأثناء جزء من البدو الرحل الإيرانيون، انتقلوا إلى هذه المنطقة، وستبدأ العلاقات الميديّة والبابلية في التدهور على أي حال، ففي التسعينات من القرن السادس قبل الميلاد، كما كان متوقعا فسينفجر هذا الصراع قريبا³، وهو ما ذكرناه بالنسبة لسقوط مملكة يهوذا في يد البابليين.

¹ - Muhammad A. Dandamaev, op. cit, pp 55, 56.

² - Muhammad A. Dandamaev, op. cit, pp 59, 60

³ - Ilya Gershevitch, op. cit, p 125.

بالنسبة لمملكة المانائيين، فقد جنحت للجانب الآشوري في آخر أيامها، وذلك أثناء صراعها مع المملكة الميديّة والبابليّة، مما جعل كياكسارس يشن هجوما عليها، بغية تثبيتها وهو ما حصل سنة 590 ق م، رغم أن المملكة الآشورية قد حسم أمرها، كما استولى الميديون على أراضي السكيثيين وبما في ذلك مملكتهم، إذ حدث وأن اشتبكت بعدها المملكة الميديّة ومجموعة منفصلة من السكيثيين بما يسمى ببقايا هذه المملكة ممن نجوا وتمركزوا في أذربيجان حاليا، كما سقطت مملكة أورارتوا، حيث فقدت كل من أورارتو والمانائيين استقلالية دولهم أمام المد الميديّ ففي 590 ق م ذهب كياكسارس في حربه الغرب من هذه الممالك والمتواجدة في آسيا الصغرى، وقال أنه لم يستطع زعزعة استقلالها¹.

استنادا إلى بيوتروفسكي، كانت مدينة تشيباني الأورارتية في الحدود الشماليّة لمملكة أورارتو(الآن كرمير بلور بالقرب من إيريفان حاليا)، دمرت ولم يعرف على وجه التدقيق من دمرها، السكيثيون أم الميديون، إذ أن الأسلحة التي استخدمتها الجيوش التي هاجمت هذه المدينة استعملت الأسلحة السكيثية أو السكيثو-ميدية إن صح التعبير منها السهام، غير أنه وجود الأسلحة السكيثية يؤكد وجود صراع ميدي اسكيثي، ونتيجة لهذا الصراع، انتقلوا من خارج القوقاز إلى أراضي الليدية².

تقدمت المملكة الميديّة لمملكة الليدية بطلب تسليم ثلة الهاربين من المجموعة السكيثية، بحكم أن المملكة الليدية كانت حليف لنظيرتها الميديّة منذ زمن الحرب مع الكيميريين، حيث تقدمت مجموعة من الميديين لليديا وطالبت الملك الليدي ألياتيس، هذا الأخير الذي رفض تسليم اللاجئين السكيثيين، وكان هذا سبب الحرب الميديّة الليدية، والتي سيطول مداها(590/ 589- 585 ق م)³.

استمرت الحرب الميديّة الليدية خمس سنوات، لم يستطع فيها أي من الطرفين تحقيق نصر حاسم، بسبب واقعة كانت قد حدثت أثناء احتدام المعارك، وهو كسوف الشمس الذي فسره الطرفان المتخاصمان بأنه فال سيء في 29 ماي 585 في هاليس، وهكذا انتهت الحرب، وبوساطة بابلية(من طرف الملك البابلي والذي جاء بحسب هيروdotot باسم لاينيتوس، والذي رجح من قبل

¹ - Muhammad A. Dandamaev, op. cit, p 60.

² - Ilya Gershevitch, op.cit, pp 125, 126.

³ - Ibid, p 126

الباحثين بأنه ملك بابل المستقبلي نابونائيد وهو رأي خاطئ)، وملك قيليقيا سينييس، وبموجب معاهدة أبرمت بين الطرفين، أنشأت الحدود بين المملكة الليدية ومملكة ليديا على نهر هاليس، كللت المعاهدة بزواج سياسي بين ابنة الملك الليدي أليانس المدعوة أريانس وابن الملك الميدي كياكسارس المدعو أستياجس، وفي نفس السنة (585 ق م)، توفي كياكسارس تاركا ميراثه لابنه¹.



المملكة الميديّة (The Median Empire) ■

الإمبراطورية البابلية الكلدانية (The Babylonian empire) ■

المملكة المصرية (The Kingdom of Egypt) ■

المملكة الليدية (The Lydian Kingdom) ■

خارطة رقم (3) توضح المملكة الميديّة (550 ق م) و الممالك المجاورة لها (بتصرف)²

وهكذا انتهى فصل من فصول التاريخ القديم بنهاية أهم وأكبر ممالك العالم القديم وهي المملكة الآشورية، وأصبح غربي آسيا مقسما بين أربع دول كبرى، هي: مملكة ميديا، مملكة بابل

¹ - Muhammad A. Dandamaev, op. cit, p 61.

² - Kaveh Farrokh, op. cit, p 31.

الحديثة، مملكة ليديا في آسيا الصغرى والمملكة المصرية، لكن ميديا هي وحدها التي يمكن أن نسميها إمبراطورية، فبفضل كياكسارس امتدت المملكة الميديية من أفغانستان شرقاً إلى حدود ليديا (وسط تركيا حالياً)، إلى الساحل الشمالي الشرقي للبحر الأبيض المتوسط غرباً، ومن بحر قزوين والقوقاز شمالاً إلى مضيق هرمز في الخليج الفارسي (العربي) جنوباً، وكان هو موحد الشعوب الآريانية في غربي آسيا، وضمها في دولة واحدة¹.

3- حضارة الميديين:

لقد كان للحضارة الميديية موروث لا بأس به، سواء في العصور التي سبقت بروزها ككيان سياسي موحد، أو بعد تثبيت مملكتها في غرب آسيا، مما يجعلنا نتأكد من وجود مملكة متكاملة في مؤسساتها العسكرية، الإدارية والدينية، وهنا واعتماداً على المصادر والمراجع المختلفة التي تناولت التاريخ الميدي والذو هو جزء لا يتجزأ من التاريخ الإيراني، باعتبار أن الإمبراطورية الفارسية الإخمينية امتداد للمملكة الميديية بحسب الباحثين، وهذا ما سنراه من ما سأتناوله من مخلفات حضارية ميديية على الهضبة الإيرانية.

3-1 المؤسسة العسكرية الميديية:

لقد كانت قدرة الميديين على إلحاق الهزيمة بالمملكة الآشورية، دليلاً على وجود قوة وجيش عسكري متكامل، فلولا قدرته لما استطاع التفوق على أول وأكبر قوة حربية آنذاك، أو قاربه في القوة مما يعني أن الوحدة الإثنية والدينية والثقافية كانت العوامل الأساسية في إنشاء جيش قوي متماسك، فالأكيد أن الميديين هم من أنشأوا جيشاً متميزاً، وكان ملوك الفرس الإخمينيين الأبرز في معرفة مزايا الجيوش الميديية².

لقد تحدثت العديد من المصادر الكلاسيكية الإغريقية وسجلات ما بين النهرين عن الجيوش الميديية، حيث يذكر تجلات بلاصر الثالث (سنة 744 ق م)، أنه تقدم هو وجيوشه لمحاربة القوات الميديية، وأنه استعمل كل أسلحته لمواجهتهم، وفي عهد سرجون الثاني في سنة 716 ق م وسجلاته التي يتحدث فيها عن معركة قد قادها ضد الميديين على الجبال، وتقدمه نحوها، والمعلومات عن

¹ - أحمد محمود الخليل، المرجع السابق، ص 71.

² - المرجع نفسه، ص 186.

إخضاعها وفرض الجزية عليها سنة 714 ق م في السنة السابعة، ومن ثم حملته الشهير في السنة الثامنة من حكمه سنة 714 ق م وكذا إخضاعهم مرة أخرى للجزية سنة 713 ق م، بالإضافة إلى حملة سنحاريب سنة 703 ق م، اسرحدون وأشوربانيبال¹.

لقد جاء ذكر القوات الميديية في النصوص البابلية باسم أومان ماندا وتعني القوة المرعبة، واشتهر الجيش الميدي بأسلحته المميزة بين الأمم، وبعد سقوط المملكة الميديية في يد الفرس، استعملوا القوات الميديية في تكوينهم للجيش وحروبهم التوسعية، كان سلاحهم القوس والنشاب والرمح الميديية، وقد شكلوا القوة الضاربة في الجيش الفارسي، أتوا في المرتبة الثانية بعد فرقة الخالدين الفارسية وهي الأكثر تميزاً، والحقيقة أن الجيش الأول الميدي كان يتألف في الأصل من المتطوعين، هنا نجد أن الفرق واضح بين المتطوع في الجندية، والمقاتل المجند، لم يقل الميديون شجاعة عن المقاتلين الفرس².

لقد كانت الجيوش الميديية تعتمد في قتالها على الأحصنة، وكانت هذه ميزة من ميزات المقاتل الميدي، حيث أن تجهيزات الجيش الميدي هي نفسها تجهيزات الفرس الإخمينيين، وفي الواقع أن زي الحرب المتمثل في الدرع ليس فارسياً في الأصل بل هو ميدي، وأثناء خدمتهم ضمن الجيش الفارسي الإخميني، كانوا ينادونهم هم والآريانيون بالرجال الآريين (موطنهم قبل الهجرة)، تشابه الميديون والفرس من حيث تكوين الجيش، وعلى عكس الفرس فهم يرتدون العمائم وليس قبعات، وسلاحهم الرمح، والسهم الميديية، هذا وقد كانت حملة أكسيركسيس على الإغريق (480 ق) هي من أرتحت لمواصفات الجيوش الميديية، حيث يذكر هيرودوت أن الميديين يجاربون على ظهور خيولهم المسماة بخيول الناسايان أو النازايان، وهي سلالة أصيلة وكان امتطائها يعزى دائماً للميديين، حيث سميت بهذا الاسم نسبة إلى سهل واسع كانت تقطنه القبائل الميديية والمسمى سهل نازايان، كانت خيول النازايان تمتاز بكبر حجمها وقوتها، ولونها المتميز والغالب على أغلب الأحصنة

¹ - Amélie Kuhrt, op. cit, pp 22 ; 24, 25, 26.

² - أحمد محمود الخليل، المرجع السابق، ص ص 186، 187.

وهو اللون الأبيض، إذ استعمله أكسيركسيس في حملته وكانت العربية التي تحمله يجرها هذا النوع من الخيول¹.



صورة رقم (1) لوحة من آثار مدينة نينوى تظهر فرسان آشوريين على أحصنة ميادية المرجح أنها أتت كجزية لآشور من (قسم أرشيف الفن بمتحف اللوفر)²

¹ Herodotus, Histories, translated by A. D. Godley, vol3, Harvard University press, William Heinemann LTD, Great Britain, 1982, Book 7. 62 ; 64 ; 66,67 ; 40.

² Tom Holland, op. cit, p 201.

هذا وقد كان الإيرانيون منذ هجرتهم إلى الهضبة الإيرانية، أقوام أشداء ، بحكم أنهم كانوا يتنقلون ضمن قبائل، وغير مستقرين وهذا يتطلب تكوين حربي للذود عن قبائلهم وحماية ممتلكاتهم¹، حيث تكون بنيتهم الاجتماعية من المواطنين الذين أطلق عليهم اسم (كارا Kara)، وهي كلمة تعني المحاربين كان يطلق على المواطنين الأحرار المسلحين، وقد شكل هؤلاء القسم الأعظم من المجتمع الميدي، وعليه طبع هذا اللقب على جميع المواطنين الأحرار في كل أراضي ميديا وذلك تحت اسم الثوار، اعتبروا أحرارا من الجانب المدني، والحقوق وحتى المهني، حيث يقول دياكونوف: " فقد قضي على الإمبراطورية الآشورية بأيدي هؤلاء الثوار، وتأسست الإمبراطورية الميديية القوية الكبرى بواسطة مساندة هؤلاء الثوار"².

أما الجيش المنظم فقد سمي عند الميديين بـ سبادا (*Spada* أو *Taxmaspada*)، وهو الجيش الذي أعيد تنظيمه، وعلى الأرجح اعتمد على بعض الخصائص التنظيمية العامة للجيش الآشوري، فيمكن العثور على *Spada* المحترف في *Kara* حيث نجد هذا المصطلح عند الرجال المقاتلين، وهو تصميم أول جيش لقورش الثاني، حيث أصبح الفرس الإخمينيون ورثة لثقافة الميديين العسكرية بما فيه المصطلحات الخاصة بالجيش، وبحلول أوائل 600 ق م أصبح الجيش الميدي في عهد كياكسارس أكثر قوة وتديبا، بقيادة جيدة (*asabari*) ومعناه راكبوا الخيول وهم من يكونون قوات الفرسان، وكانت هذه الفرقة فعالة في الإطاحة بالمملكة الآشورية، بالتنسيق مع البابليين والسكيثيين، بالإضافة إلى سلاح الفرسان، نظم كياكسارس وحدات منفصلة من رماة السهام (*anuvaniya*) ورماة الرماح (*rsika*) والتي كانت واحدة منها على الأقل من ضمن القوات المحاصرة، ثم قوات المشاة (*pasti*)، إذ تم تجنيدهم من السكان الفلاحين المقيمين في إيران، هذه الفكرة التي نقلوها عن الآشوريين³.

¹ - Ernst Herzfeld, op. cit p 193.

² - أحمد محمود الخليل، المرجع السابق، ص 180.

³ - Kaveh Farrokh, op. cit, p 33.

بشأن الأسلحة الميديية فهي الأخرى قد خضعت للتغيير، حيث وبحسب الاكتشافات الأثرية، وجدت قطع تشمل لجام ومعدات أحصنة من معدن الحديد، والتي تميزت بحجمها الكبير جدا وهذا يعزى لأحصنة النازايان، هذه السلالة من الأحصنة التي استمر البارثيون والساسانيون في امتطائها واستعمالها في الجحافل الحربية الثقيلة، وأما الزي الذي ارتداه عادة الجنود الميديون في الحرب، قد صور في جداريات بيرسيبوليس والتي تصور النبلاء الميديين يرتدون سترات بأكمام طويلة، كانت في العادة من الجلد، وسراويل ضيقة، ونصف أحذية ناعمة ربما من الجلود، هذا النوع من اللباس ساد بين الشعوب الإيرانية التي استقرت الآن في شرق الأناضول، والهضبة الإيرانية، آسيا الوسطى وأوروبا الشرقية، كما تميزو بارتداء غطاء الرأس وعلى قطع خاصة توضع على الحديد ودعمها للرقبة، وإضفاء الطابع الرسمي عليه، يمكن أن ننسب هيئة الحصان الميدي من الوفد الميدي مع الأحصنة، في النقش البارز من العاصمة الفارسية الإخمينية بيرسيبوليس، والذي يظهر الفرس مع ذيل معقود وطقم زينة خاص بالحصان، قد يكون هذا مؤشرا على المرتبة أو المكانة، وممن ساهموا في صعود القوة العسكرية الميديية هم السكيثيون الذين يقيمون الآن في شمال وغرب إيران في ذلك الوقت، إثر طردهم هم والسيميرون من الأناضول إلى شمال غرب إيران من طرف الليديين، وهذا ما عزز بشكل كبير سلاح الفرسان لـ *spada*، أثبت السكيثيون أهميتهم في تطوير مهارات الفروسية والرماية للعناصر الميديية¹، كما عاملهم كياكسارس بشكل جيد وأوكل لهم تعليم أبنائه المهارات الحربية، وبفضلهم أصبح الميديون رماة سهام مهرة².

2-3 الإدارة في عهد الميديين:

لا تتوفر مصادر كثيرة ودقيقة عن النظام الإداري الذي كان سائدا في مملكة ميديا، لكن يوجد ما يؤكد أن الزعيم الميدي دايوكو، هو أول من وضع الأسس الأولى للنظم الإدارية لميديا، وانتقل بميديا من المجتمع القبلي إلى مجتمع منظم وموحد، وأمر ببناء عاصمة للمملكة وهي أكباتانا³.

¹ - Kaveh Farrokh, op. cit, pp 33, 34.

² - Herodotus, 1.73.

³ - أحمد محمود الخليل، المرجع السابق، ص 184.

يذكر هيرودوت أن دايوكو كان رجلاً بارزاً في بلده ميديا وهي جزء لا يتجزأ من العديد من البلديات الميديّة، بدأ مهامه بتثبيت القانون وممارسته بشكل جدي ومستمر، وبصرامة من أي وقت مضى على الرغم من أن هناك حروباً وفوضى في الأراضي الميديّة، رغم أنه يعرف أن الظلم هو عدو العدالة، وقد رأى فيه جميع الميديين بعد أن رأوا معاملته جميع مواصفات الشخص الحكيم، لذا اختاروه أن يكون قاضيهم (وأنه هو المرغوب لأن يجوز على السلطة السيادية) بصدق وعدل تامين، وعلى ضوء خصاله، لم يلجأ الميديون لغيره قط في قضايا العدل والتحكيم¹.

لا شك أن المؤسسات الإدارية كانت تشمل جميع الجوانب السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية، فبعد سقوط المملكة الآشورية سنة 612 ق م هيمن على غربي آسيا سياسياً واقتصادياً ثلاث ممالك وهي مملكة ميديا ومملكة بابل الكلدانية في العراق حالياً ومملكة ليديا في آسيا الصغرى ومن المفترض أن التنظيم الإداري الميدي قد تطور عبر فترات الزمن التي عاشتها المملكة الميديّة، وأصبحت أكثر رسوخاً وتنوعاً وفعالية من فراورتييس لكيكاسارس وإلا فكيف استطاع هذا الأخير أن يواجه المملكة الآشورية وكيف استطاعوا في النهاية تدميرها، ولا يتأتى هذا الفوز دون أن تكون الدولة الغالبة متكاملة ككيان سياسي من إدارة وجيش وهذا ما جعلها تصمد من 612 ق م إلى 550 ق م، فمن الممكن أن المؤسسات الإدارية في الإمبراطورية الإخمينية كانت تشبه على الأرجح المؤسسات الإدارية في آشور وأورارتو، ولكن أكثر تنظيماً ودقة من الأخيرتين، وفيما بعد اتبع الفرس الإخمينيون نفس النظام الذي كان متبعاً في المملكة الميديّة، ومن حيث الكفاءة، يذكر أن جانوس هارماتا J. Harmatta في السبعينات من العشرين بترميم البنية الإدارية للمملكة الميديّة، واعتبر أن تنظيمها الإداري من المستويات العالية في التاريخ وكشف الغطاء عن بعض الغموض الذي اكتنف المؤسسة الإدارية الميديّة، والذي استند على ثلاثة أسس وهي، أولاً: استخدام الإخمينيين للمصطلحات الميديّة المتعلقة بإدارة الدول، ثانياً: استمرارية العمل على أساس الهيكل التنظيمي للإدارة الميديّة، ثالثاً: الاستمرارية في التشكيلة الحكومية بناء على الأمرين السابقين².

¹ - Herodotus, 1. 96.

² - أحمد محمود الخليل، المرجع السابق، ص ص 184 - 186.

3-3 ميديا إجتماعية واقتصادية:

تكون المجتمع الميدي من المواطنين الأحرار، الذين كانوا في معظمهم محاربون ومسلحون، ويذكر أن في فارس وميديا على حد سواء، كان اسم (كورتش) (kurtash)، يطلق على مجموعات مختلفة من العاملين، وذلك على عمال الورشات (المعامل)، والذين كانوا يسمون كورتش كينوشكي أي العمال الخصوصيون، أي أن مهنتهم الحرفية كانت محددة مثل: الحفر على الحجر...، صناع النحاس وآخرين، مع العلم أن كورتش كلمة عيلامية وهي تقابل كلمة Grda بالإيرانية القديمة، وكان الرعاة وأصحاب المهن الحرة يعتبرون ضمن هذه الفئة، كان الكورتش من جنس النساء والرجال على حد سواء أطلق عليهم (يوهوتي-مانيش) أي صفوف الشباب، وكانوا أناسا أحرارا ولم يكونوا أسرى أو عبيد¹.

من سمات الشعب الميدي الزراعة والرعي²، وكان على كل شخص في المجتمع أن يتقن أمور الفلاحة والبستنة والزراعة بشكل عام، لهذا كان على النبلاء تعلم ذلك حتى وإن كانوا ينحدرون من السلالة الملكية والنبلاء يعني نواب الملك، القادة ورؤساء الجيش، لذا عليهم أن يكونوا جزءا من هذا المجتمع أي من ناحية العمل والإنتاج الزراعي¹⁸¹، بالرغم من وجود فئات مجتمعية متفاوتة (مجتمع مبني على طبقات على أساس الثراء والحيازة على امتيازات)¹⁸²، هذا وقد تبين مدى رفاهية اقتصاديات المملكة الميديية وغناها، وهذا ما سجلته، السجلات الآشورية فيما يتعلق بالجزية التي كانت تدفعها ميديا، عندما كانت تحت احتلال المملكة الآشورية، مثلا في عهد تجلات بلاصر من سنة 744 ق م حيث تلقى الملك الآشورية جزية تمثلت في عدد غير معلوم من الخيول والبغال والجمال الباكثيرية (باختيار)، ذات الحدبتين، والماسية والأغنام، وجزية أخرى في عهد سرجون الثاني

¹ - أحمد محمود الخليل، المرجع السابق، ص 181.

² - عادل هاشم علي، الدولة الميديية أول إمبراطورية في تاريخ إيران القديم (745-550 ق م)، مجلة دراسات إيرانية، العدد 13، 2011، ص 53

³ - أحمد محمود الخليل، ص ص 181، 182.

في السنة الثامنة من حكمه أي سنة 714 ق م (خيل سريعة، وجمال وأبقار كبيرة وصغيرة)، وفي عهد اسرحدون السنة الخامسة أي 676 ق م، جلب من ميديا حجر اللازورد، الخيول، الماشية، الجمال¹.

4-3 العمران الميدي:

في القرن السابع قبل الميلاد والنصف الأول من القرن السادس قبل الميلاد كانت ميديا هي مركز الثقافة المادية والحضارة الإيرانية ووضعتها، أو بالأحرى الثقافة التي استعارها الفارسيون بطريقة أو بأخرى، وقاموا بتطويرها لاحقاً، وكانت الحفريات الأثرية في الفترة التي نسبت إلى التواجد الميدي في المنطقة هي أساساً مجرد البداية، والتي كانت عام 1974 م، من طرف المركز الإيراني لدراسة علم الآثار، الذي بدأ في إجراء تحقيق منهجي في المواقع التي استقرت فيها القبائل الميديدية في منطقة همذان، وحتى ذلك الوقت حفرت فقط الطبقة الخاصة بالمخلفات الحضارية للفترة الإسلامية المبكرة، بحيث تم حفر الطبقات الخاصة بالفترة الساسانية، وهناك اكتشفوا بقايا من الهندسة المعمارية الميديدية وجدت في حفريات منطقة غودن أو جودن تيبّي (تلة غودن)، وبابا جان تيبّي والعديد من المواقع الأثرية، والعديد من الحصون والقلاع الأورارتية، والفترة المبكرة من الإمبراطورية الإخمينية، ومع ذلك وبحلول أواخر عام 1975 م، تم دراسة موقعين فقط يعودان للفترة الميديدية وهي مستوطنات: بابا جان تيبّي، ونوش إي جان تيبّي، ودرستا دراسة كاملة ولكن بشكل نسبي²، أسفرت الحفريات، عن بقايا معمارية كبيرة يجب وضعها جزئياً في الربع الثاني من الألفية الأولى قبل الميلاد، بالإضافة إلى عدد من المسح الجغرافي المتكرر للعديد من الأودية مثل (كانغاوار، ماهي داشت، مالايير، آراك وبوروجيرد)³.

احتوت المنطقة التي استقر فيها الميديون والفرس، والتي كانت بمعزل عن الهلال الخصيب، والمتكونة من سلاسل جبلية قطعت الأرض من جهة البحر وبقية القارة (قارة آسيا)، حيث اعتبرت هذه السلاسل والتي تمثلت في زاغروس والقوقاز (Kaw-Kuh-Sus)، والهندو كوش إذ عاش

¹ - Amélie Kuhrt, op. cit, pp 22 ; 25, 26.

² - Muhammad A. Dandamaev, op. cit, p 62.

³ - Ilya Gershevitch, op.cit, p 832.

معظم الناس على حافة هضبة عالية في وسط المنطقة أو الوديان الجبلية، أين يمكن العثور على الحديد والنحاس، الأحجار الكريمة وشبه الكريمة في هذه الأرض¹.

تم فحص موقع نوش أي جان في غرب إيران بشكل مفصل، مما يؤدي إلى اقتراح أن الموقع قد فقدت فيه الآثار التابعة للفترة الميديية منذ سنة 550 ق م، وإن كان هذا الطرح يقف عند فئة من العلماء، غير أن هناك من يعارض هذه الفكرة، بأنه لم تكن هناك مخلفات ميديية في الفترة ما قبل الإمبراطورية الإخمينية².

تقف الحفريات على عرش المصادر التي تؤرخ لوجود الشعوب والحضارة الميديية، وعلى نحو محترف، قام العالم دافيد سترونك David Stronach إثر التنقيب السنوي الناجح في اكتشاف آثار تلة نوش-أي-جان بالقرب من البلدة الحالية ملايار جنوب همذان، وكتابة التقرير السنوي لهذه التنقيبات، غير أنه ورغم الفترة ما بين 700 إلى 600 ق م والتي ازدهرت فيها ثقافة المعابد والحصون، لم يجد نقوش تدل على الاستيطان في تلك المنطقة، وعليه يجب الاعتماد على بقايا المواد الموجودة لإعادة بناء صورة عن مكان استيطان الميديين في المنطقة، بالإضافة إلى موقع نوش-أي-جان، هناك موقعان آخران من الطبقات الميديية، وهما تلة بابا جان بالقرب من هارسين (حارسين) إلى الغرب من نوش-أي-جان في لوريستان (لوريستان)، وتلة غودين (جودين) بالقرب من منطقة كانغاوار، وكان اكتشاف سنة 1967 ق م لقصر واسع فيه قاعة بأعمدة في تلة غودين، اعتبر الاكتشاف ثنائياً، إذ اكتشف حصن في نوش-أي-جان، تشير للحس الفخم للملوك الميديين في هذه الفترة، وسعيهم في التحصين ضد أعدائهم³.

اعتبرت المواقع الثلاثة (نوش-أي-جان، غودين، بابا جان)، مراكز قوة المملكة الميديية وهذا على المستوى المحلي، ومما يدعم فكرة أنها كانت أكثر من مجرد كنفدرالية من دويلات صغيرة⁴، حيث

¹ - Douglas Carnine, Carlos E. Cortés and others, World History : Ancient Civilizations, McDougal Littel, USA, 2006, p 129.

² - Vesta Sarkhosh Curtis, Sara Stewart, Birth of the Persian Empire, I.B.Tauris & Co Ltd, USA, 2005, op. cit, p 6.

³ - Richard Nelson Frye, op. cit, p 65.

⁴ - Maria Brosius, op. cit, p 4.

اعتبر الموقعان للمخلفات الأثرية الميديّة: نوش-أي-جان و غودين قاعدة لهندسة القصر الإخميني في عهد داريوس الأول¹، غير أنه لم يصل إلى مستوى الشواهد الأثرية التي تنسب إلى العهد الفارسي الإخميني².

بالإمكان إستغلال هذه الشواهد في التأريخ لهذه المملكة، التي كانت عنصرا فعالا في تلك الحقبة، ومن محركي مجرى الأحداث في التاريخ القديم، فالطابع المعماري دليل على وجود تمدن وتطور حضاري للمملكة.

وما أكد اتصال هذين الموقعين ببعضهما البعض وعلاقتها بالفترة الميديّة، هي المصادر الكلاسيكية، وما تؤكده تأثير الفن الميدي على هندسة القصور الفارسية الإخمينية كما ذكرنا سابقا³، وهنا نستعرض المواقع والطبقات التي حوت لقي أثرية تعود للعهد الميدي.

1-4-3 تلة بابا جان أو (بابا جان تبه):

تعتبر تلة بابا جان من أوسع المناطق التي تحتوي على مخلفات فترة العصر الحديدي الثانية والثالثة، في وسط هضبة دلفان بحوالي 170 كلم شمال غرب خورّامآباد في الإقليم الإيراني لوريستان، كانت الحفريات برعاية معهد الآثار لجامعة لندن 1966-1969 م بأمر من غوف، حيث تتكون المنطقة من العديد من التلال، وجدت بها ثلاث مراحل للاستقرار البشري (الاستيطان)، تمتد تقريبا من القرن السابع قبل الميلاد(والتي تسمى مانور)، (33×34 متر) مع فناء مركزي يحيط بها من الغرب إلى الشرق غرف طويلة مستطيلة الشكل، وتحيط بها منازل صغيرة بجدران أساساتها من الحجر، كانت تقع على التلة المركزية، تم تحصين الواجهة الخارجية للمانور بسبعة أبراج (في الزوايا وفي وسط كل جدار)⁴.

¹ Maria Brosius, op. cit, p 74.

² Gene R. Garthwaite, op. cit, p 24.

³ John Curtis and St John simpson, The World of Achaemenid Persia : History, Art and Society in Iran and the Ancient Near East, I.B.Tauris & Co, USA, 2010, p 195.

⁴ Muhammad A. Dandamaev, op. cit, pp 62, 63

لقد حوت مجتمعات الاستقرار معابد وأبراج وقاعات بأعمدة ومستودعات وحصون مما يناسب المراكز المحلية التي حوت السكان الذين انتشروا عبر هذا الإقليم، حيث تذكر المملكة الآشورية هذه المدن في سجلاتها، حيث أطلقت عليها اللقب الآشوري *bēl āli* بمعنى (سيد المدن)، هذا اللقب استخدمه الآشوريون لتسمية ملوك ميديا نسبة للمستوطنات المتفرقة، وهنا وجود هذه القرى والمخيمات الموسمية يتوافق مع الاقتصاد الزراعي التي تميزت به الشعوب الهندو-إيرانية، هذا وقد وجدت المدن المحصنة مليئة بمساحات التخزين والتي تشير إلى مزيد من الاقتصاد التجاري والعسكري وعلى سبيل المثال الكنز الشهير زيوي (مجموعة من القطع الأثرية من العاج والمعادن وجدت في قبر ويعد في السوق السوداء)، والذي نسب لمملكة المانائين، تبين هذه الكنوز عن مدى بذخ حكام هذه المناطق والسيطرة الكبيرة على الأنشطة التجارية القائمة بين المملكة الآشورية والهضبة الإيرانية، كما يعطينا فكرة عن للتقدم الحضاري¹.

لقد تم إعادة بناء مانور مرة أخرى، وبدلاً من الفناء أقيمت قاعة محاطة بالأعمدة، حيث يؤدي الرواق من الجنوب الشرقي، أين تم اكتشاف أنقاض المبنى الأكثر اهتماماً وهو عبارة عن حصن على تل صغير شرق التل المركزي، حيث احتلت وسط الحصن قاعة كبيرة مربعة (طولها 11 متراً لكل جانب)، يحيط بها من الشرق والغرب والشمال غرف مستطيلة²، وربما كان تدمير الحصن واحتراقه قد يكون مرتبطاً بالمرحلة الثانية للاحتلال التي تعرضت لها المملكة الميمنية من طرف المملكة الآشورية في المنطقة في عهد الملك سنحاريب³.

مما يشير إلى وجود نوع من التعبد الديني، وجد في نفس الحصن مداخن متشابهة، وتم العثور على مواقد في القاعة وفي الممرات الشرقية والغربية، من الممكن أنها استخدمت هذه المواقد بقصد العبادة، حيث وجدت لوح من الحجر شبيه بقاعدة تمثال مغطاة بالحجارة، أين عثر تحتها على قطعة من تمثال طيني صغير مزينة دس وراء المنصة⁴.

¹ - Mario Liverani, op. cit, pp 557, 558.

² - Muhammad A. Dandamaev, op. cit, p 63.

³ - Trevor Bryce, op. cit, p 98.

⁴ - Muhammad A. Dandamaev, op. cit, p 63.

كان للغرف التي وجدت في الحصن، أعمدة خشبية مسطحة وفي الساحة قاعة تستند على أربعة أعمدة خشبية، تم اكتشاف العديد من شظايا من السيراميك المطلي بما يسمى بسيراميك "أسلوب لوريستان"، كان مخصصا للأرضيات، أين اكتشفت غرفة على شكل حرف T باللاتينية (12×10.5 متر) في الجزء الأوسط، بنيت على الغرفة الشرقية للحصن، وبسبب ذلك كانت تسمى الغرفة التي حوت الديكورات الملونة بـ "الحجرة المرسومة" وكانت بلا شك لغرض العبادة، ومعبّر في الجزء الغربي يؤدي إلى غرفة مغلقة صغيرة، في الجدار الشرقي للحجرة المرسومة يوجد موقد كبير، في حين أن الجدار الغربي مزين بنوافذ مزيفة، وأعمدة بزوايا بارزة وحادة، كانت الجدران مغطاة بعدة طبقات من الجص الأحمر والأبيض، وكان السقف مدعوما بأعمدة خشبية مزينة باللون الأحمر على قواعد حجرية، حيث تم العثور على بلاط من السيراميك مربع الشكل في هذه الغرفة، وواجهات الجدران تحوي رسومات على شكل صلبان باللون الأحمر على خلفية باللون الأبيض القشدي، تعرض الحصن للاحتراق مرتين الأولى كما ذكرنا في عهد سنحاريب والثانية جاءت بفترة ليست بعيدة عن الأخرى، هذا وقد تحولت بعده الغرف المجاورة إلى إسطبلات وورش عمل في الفترة الثانية من القرن السابع قبل الميلاد، والتي انتهت أيضا بتعرضها للاحتراق، وعثر في الإسطبل الموجود في موقع الحجرة المرسومة على عظام خيول وحمير محترقة، وعليه تم التخلي عن هذا المستقر نهاية القرن السادس قبل الميلاد، ومن بين الاكتشافات في بابا جان، قطعة أثرية من البرونز "لمعبود من لوريستان"، ودبوس شعر برأس على شكل نمر يستعد للقفز، وكمية كبيرة من قطع سيراميك لوريستان¹، وأطلقم أحصنة من البرونز أيضا في لوريستان².

كما تميز فخار لوريستان بأصالته، وهو ما وجد العديد منه في هذا الموقع أي في بابا جان تبه، والمتمثل في خاصية الأواني الكبيرة وأباريق الشاي بإبزيم قائم بذاته ومقابض ملتوية، مزينة برسومات على شكل صلبان تصميمات مثلثة، ملونة بالأسود والبنّي على خلفيات باللون الأصفر الفاتح، وفخار سيراميك لماع³.

¹ - Muhammad A. Dandamaev, op. cit, pp 63, 64

² - Ernst Herzfeld, op. cit, p 172.

³ - Muhammad A. Dandamaev, op. cit, p 64.

3-4-2 نوش-أي-جان:

كشفت التنقيبات من موقع نوش-أي-جان 60 كم جنوب مدينة همذان (أكباتانا القديمة)، عن بقايا محفوظة بشكل جيد لأربعة مباني متميزة من الآجر الطيني، تم تأسيس أولها حوالي سنة 750 ق م على ضوء احتمال بداية إعطاء الأمر ببناء هذا المبنى، هذه المباني الرئيسية تتكون من المعبد المركزي ويقع في الوسط، ومعبد غربي وحصن وقاعة بأعمدة، في حين أن المباني الثلاثة الأولى بالإضافة إلى الحلقة البيضوية للجدار الخارجي، قد تكون بنيت بتمعن وعناية، ويبدو أن قاعدة الأعمدة تمثل إضافة متأخرة نسبياً إلى المخطط الشامل، يحتل المعبد القمة والذي تأسس مباشرة على قاعدة من الصخور، على شكل معين برسم فني، والبناء لديه جدران متصاعدة بشكل متدرج مع زوايا مدعومة، تتخلل المخطط الداخلي غرفة صغيرة، ومنحدر حلزوني (الذي يتيح الوصول إلى غرفة في الطابق الأول فوق غرفة الانتظار ومنها إلى السطح)¹.

يوجد في هذا المخطط معبد داخلي على شكل مثلث (11 × 7 متر)، مزخرف بتجويفات صغيرة غائرة في الجدران، بالإضافة إلى وجود نوافذ وهمية، مع ديكور من الصلبان معقوفة على طول جدران القاعة، يشبه المعبد برج طويل بنتوءات (احتفظت الجدران بشكلها وحتى ربما طولها فقد كانت على ارتفاع يصل إلى ثمانية أمتار)، على يسار الباب الوحيد المؤدي إلى الغرفة المركزية وجد مذبح حوله جدار من الطوب منخفض حيث يبلغ ارتفاعه 80 سم، المذبح عبارة عن عمود متوج بأربع قواعد (على شكل أوعية)، تزداد تباعاً في الحجم (بشكل متدرج)، بنيت من الآجر الطيني غطيت بطلاء أبيض، ربما تم إيقاد الشعلة المقدسة من المعبد على طول الطريق المؤدي صعوداً إلى السطح، كانت المنطقة الداخلية المركزية للمعبد والتي ربما كانت لطقس إشعال النار المقدسة قد صمم بعناية بحيث كان ارتفاع النقطة التي توضع فيها الشعلة لا يقل عن 6 متر، وكيفية وصول الزيت قد صممت بطريقة ذكية، بحيث يبقى على النار مشتعلة ولا تنطفئ، وتم تغطية جوانب المذابح بشكل مدروس ليبقى عليه سليماً، على أن لا تصله الأيدي البشرية².

¹ - Ilya Gershevitch, op.cit, p 833.

² - Muhammad A. Dandamaev, op. cit, p 66

إذن هذا البناء المخطط له بشكل دقيق، والتصميم المدروس بذكاء، لا يمكن أن يكون قد وضع على عجل، خاصة إن كانت هذه المملكة يترصد بها الأعداء، وفوق كل هذا فهذا المذبح يعطينا دليلاً على قدسية النار عند هذه الأسرة الملكية، وطقس النار في حالة وفاة أحد حكام هذه الأسرة (تنطفئ النار عند موت أحد الملوك الميديين) ، ومن جهة أخرى أن ملئ المعبد بالمذابح من أجل إقامة منصة أو قاعدة من أجل تشكيل معبد جديد مختلف في التصميم ولغرض العبادة ولكن بطريقة أخرى¹.

أما آخر مبنى في نوش-أي-جان، عبارة عن حصن كبير (25×22 متر)، بني قرب نهاية المعبد المركزي، تم تعزيز جدرانه بواسطة دعائم (ستة على الجدران القصيرة، وسبعة على الجدران الطويلة)، مع منافذ لرمي السهام في كل واجهة من جوانب المبنى، مع غرفة حراسة وأربع مخازن موازية خصصت للحاميات العسكرية وكمستودعات وكلها تواجدت داخل الحصن، وبجانب السيراميك الذي وجد في نوش-أي-جان، عثر على الحلي وسبائك من الفضة، وبالرغم من أن هذا الموقع يفتقد للقطع الأثرية وخاصة الحلي التي تتميز بطابعها الفني والمثيرة للإعجاب²، كما وجد وعاء من البرونز يحتوي على أكثر من مائتي قطعة فضية، منها مجموعة من الخرز اللولبية والأعمدة الفضية، وربما السبائك تؤرخ لوجود نوع من العملة النقدية المستخدمة في إيران قبل إدخال أسلوب سك النقود في إيران³.

تم العثور على قاعة ذات أعمدة في نوش-أي-جان (نسب إلى الفترة الميدي)، وهو يشبه لحد كبير أكباتانا الإخمينية، فعلى سبيل المثال القاعة بأعمدة الموجودة في غودين تبه، لا تحتفظ بالسماط المميزة للأعمدة في موقع حسانلو، ومنصة للعرش بالقرب من الجدار الخلفي، ومذبح في الوسط ومقاعد طويلة على طول الجدران، وفكرة الحصن الموجود في نوش-أي-جان، تذكرنا بالبرج متعدد الحجرات في زاوية أبادانا داريوس الأول واكسيراكسيس في بيرسيبوليس⁴.

¹ - Muhammad A. Dandamaev, op. cit, pp 66, 67.

² - Ibid, p 67.

³ - Ilya Gershevitch, op. cit, p 834.

⁴ - Muhammad A. Dandamaev, op. cit, p 67.

مع موقعها الاستراتيجي المطل على سهل مالاير-جاوكر، تم نسب تلة نوش-أي-جان على أنها مقر استقرار الحكام الميديين، بالإضافة إلى حاشية الملك والحراس الملكيين، ويبدو أن المباني الداخلية داخل المجمع، قد تم تصميمها خصيصاً للأغراض الإدارية وممارسة العقائد الدينية، والتحصين الدفاعي، بالرغم من أنه لا توجد آثار في المنطقة المنخفضة من التلة، وفُسِّر ذلك بالفترة المبكرة للاستقرار الميدي في المنطقة، ترك الموقع بحلول أوائل القرن السادس قبل الميلاد، وعليه فقد كانت مهمة إعادة إحياء حفريات نوش-أي-جان إعادة لتشكيل مفاهيم علمية جديدة خاصة في ظل التطور في الآونة الأخيرة، وبعث ما يسمى بالمملكة الميديدية¹.

5-3 اللغة والدين في المملكة الميديدية:

يذكر سترابون أن اللغة الميديدية والفارسية متشابهة، وأن الباكثيرون والسوغديانيون يتكلمون نفس اللغة أيضاً، ولكن مع بعض الاختلافات الطفيفة²، وهي على العموم تنبثق عن اللغة الإيرانية القديمة، والآرية فرع من فروع اللغات الهندو-أوروبية، وهذا الفرع هو السنسكريتية والإيرانية القديمة، وعليه في بعض الأحيان، تقارب اللغة لا يعني بالضرورة التقارب الإثني أي العرقي، ولم تكن اللغة العيلامية هي اللغة المتحدث بها في تبة سيالك وسوسة في الألف الرابعة قبل الميلاد (المنطقة التي تواجد بها الإيرانيون القدامى)³.

لقد أخذ الفرس عن الميديين لغتهم الآرية، وحروفهم الهجائية التي يبلغ عددها ستة وثلاثين حرفاً، وهم من جعلوا الفرس يستبدلون في الكتابة الرق والأقلام بالألواح الطينية⁴، تختلف اللغة الآرانية والتي يتحدث بها الميديون عن اللغات السامية، وتعرف من كتابهم زندافستا وهي قريبة من لغة الفرس كما ذكرنا، حيث جاء اسم دايوكو ومعناه الضحاك أو العاض من اللغة الميديدية و فراوورتيس أي الحامي أو الحارس وكياكسارس أي حسن العين، وهل كانوا يكتبون، هي معلومة لم تؤكد بعد، والأرجح أنهم استعملوا الكتابة، وكان خطهم السفيني أو الإسفيني (الإسفين هو المسمار)

¹ - Trevor Bryce, op. cit, p 517.

² - Strabo, B 15. 2.

³ - Ernst Herzfeld, op. cit, p 180.

⁴ - ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، ج2، المجلد الأول، دار الجيل للطبع والنشر، لبنان، ب ت، ص 401.

كالآشوريين، وحروفهم سبعة وثلاثون والأصوات الأصلية ثلاثة وعشرون وعلومهم مما لا يعتد بها، أي لم يكتب التاريخ عن علومهم¹.

إن الخط والكتابة كانا موجودين على أرض ميديا في الألف الأولى قبل الميلاد، فهي الكتابة والخط الفارسي القديم أو للإخمينيين الأوائل، فهي نفسها المعروفة عند الميديين، وبتوسع ميديا على حساب الآشوريين، أصبحوا قطبا تجاريا وحضاريا وثقافيا في القرنين السابع والسادس قبل الميلاد².

وكسابقتها من مؤسسات الدول، لا يعرف عن الدين الذي اتبعه الميديون إلا القليل، وهذا راجع بالطبع لنقص المصادر المكتوبة والأثرية، وهو نقطة الضعف التي كان يعاني منها تاريخ المملكة الميديية، وبالنظر للفرع الذي أتى منه الميديون وهم الهندو-أوروبيين ومن دراسة ديانات الشعوب الأولى نجد أن البدائية كانت الصفة الطاغية في عبادات أغلب الشعوب القديمة، حيث عثر على العديد من الآلهة المجردة في مواقع إيرانية لفترة عصور ما قبل التاريخ، كانت هذه المجسمات ربما قرينا للإله، والذي ربما كان زوجا أو ابنا، ومما لا شك فيه أن هذا الدين البدائي هو من أوجد فكرة الزواج بين الأشقاء والشقيقات، وكانت هذه عادة شائعة في غرب آسيا، وورثها الفرس بدورهم عن أسلافهم الأولين³.

نحن نعلم أن هذه الديانات كانت مليئة بالعناصر الميثولوجية البدائية، حيث تقوم على أساس تعدد الآلهة من كلا الجنسية (ذكور وإناث)، والتي ترتبط بعناصر من الطبيعة، وعلى سبيل المثال نذكر الشمس التي نجدها مقدسة في العديد من الديانات البدائية على أنها عنصر مهم في العبادة، بالإضافة إلى القمر، الماء والهواء والتقلبات الجوية⁴.

دين الميديين من الأديان التي وضعها البشر، وأصول هذا الدين مبينة في كتابهم عن العقيدة الزرادشتية وهو كتاب الزندافستا، واعتبر الكتاب قديما حتى أن كتب قبل هجرات الميديين من موطنهم الأصلي أو قبل أن يعرفوا الكتابة، وعقيدتهم كما ذكرنا عبادة المادة، ونتج عن ذلك عبادة

¹ - هارفي بوتتر، موسوعة مختصر التاريخ القديم، مكتبة مدبولي، مصر، 1991 م، ص 88

² - أحمد محمود الخليل، المرجع السابق، ص 184.

³ - R. Ghirshman, op. cit, p 44.

⁴ - أحمد محمود الخليل، المرجع السابق، ص 189، 190.

الأصنام، ولمن بعضهم لم ينجوا بتلك العقيدة، فلجأوا إلى إصلاحها وكان رائد هذا الإصلاح رجل يقال له زورواسترا أو زرارادشت، وأوعز خلق الإنسان بروح صالحة، وكل ما يتمتع به للإله الذي سماه أهورامازدا، ونسب له كل الصفات الحسنة، وجعل له جنودا يخدمونه من الأرواح الصالحة كالملائكة، ولن يكون الخير هو الوحيد الذي يسود العالم بل هناك الشر الذي يقابله في الظرف المضاد¹.

لقد اعتبر زراداشت الدين الزراداشتي عنصرا روحيا، غير مجسد في آلهة مصنوعة من المادة الحية، يسمو فوق كل البشر، غير أن فئة من رجال الدين قد غيروا في تعاليم الديانة الزراداشتية، وأعادوا إحياء عبادة الأصنام، وهذه الفئة تسمى الموغ أو الماغوس والتي تعني الكهنة، كانوا رجال الدين في المجتمع الميدي والفارسي الإخميني أيضا، كان منصب الكهنة يخضع للنظام الوراثي، يشرفون على أداء الطقوس الدينية²، كانوا يفسرون الأحلام وهم لا يقلون هيبة عن الكهنة المصريين، حيث توكل لهم التضحية بالقرابين الحيوانية، وهم من كانوا يرددون الترانيم الإلهية³.

لقد برزت هذه التعاليم قبل هجرة الميديين إلى الهضبة الإيرانية، وقد استمرت ممارسة الديانة الزراداشتية، ولم تكن لهذا الدين صفة طبقية ولم يخدم طبقة معينة، فالدين للإله أهورامازدا، وشاعت صيغة الماغوس أو الجوس في ثقافات غربي آسيا بشكل عام، ودخلت أيضا في الثقافة العربية، حتى أن كل دين من أديان الفرس أصبح يعرف بالمجوسية، وأطلق المؤرخون في الفترة الإسلامية عن منظر الديانة الزراداشية مصطلح "نبي الجوس"، وعليه وحفاظا على هذه التعاليم الروحية للديانة المزديّة (نسبة لاهورامازدا)، استمرت ممارسة هذا الدين، وإذا افترضنا أن فترة نشاط هذا النبي إن صح التعبير كانت ما بين فترة مولده إن صح الإسقاط والتي تؤرخ 660 ق م إلى 583 ق م، أو 630 ق م إلى 553 ق م، أو 628 ق م إلى 551 ق م والمنطقة التي ولد فيها قرب بحيرة أورميا، وأن بروز القبائل الميديّة وتوحيدها إلى أن أصبحت مملكة وإنهاءها للمملكة الآشورية سنة 612 ق م نجد أن هذا الداعية عاش في الفترة الميديّة، وبالنظر لشيوع الفساد، والتبذير والبذخ الذي

¹ - هارفي بوتير، المرجع السابق، ص 89.

² - أحمد محمود الخليل، المرجع السابق، ص 190.

³ - Herodotus, 1. 120 ; 140 ; 132.

اتصف به حكام المملكة الميمنية في أواخر عهدها وتفشي الطبقيّة واحتلال المجتمع الميدي، نسقط تعاليم الدين الزرادشتي التي تحارب كل هذه الفئات وعلى ما جاء به زرادشت، إذن من الممكن أن يكون هذا الأخير ميدياً، وأن الدين الممارس فيما بعد، داخل البلاط الفارسي الإخميني في الأصل دين المملكة الميمنية¹.

إن المملكة الميمنية كانت الباب الذي انطلق منه قورش الثاني في سعيه لتأسيس أول إمبراطورية فارسية إخمينية، وقد ساعدت الخلفية التاريخية للملكة في إرساء المعالم الأولى لها، بالرغم من قلة الإهتمام من طرف الباحثين في التاريخ القديم، إلا أنها استطاعت أن تصمد لمدة طويلة في خضم الصراعات التي كانت تحدث آنذاك، وعليه نستطيع أن نقول أن المملكة الميمنية تواجدت رغم وجود بعض النقائص في الحكم وهو الحال الذي كانت عليه المملكة في ظل أصل هذا الشعب، فكان لحياة البدو الرحل الأثر الكبير في هشاشة واستمرارية الملك الميدي، وهذا راجع للطابع القبلي وقد ساعدت قاعدة الميدين كأول كيان سياسي وحد القبائل الميمنية تحت حكم ملكي، في إعطاء الفرس دفعة قوية لإرساء أولى دعائم الحكم الفارسي ليستكمل من طرف داريوس الأول الذي يذكره التاريخ كأول ملك يحمل صفة الملك الفارسي الإخميني في العالم القديم، وهذا ما سيحتويه الفصل الثالث.

¹ - أحمد محمود الخليل، المرجع السابق، ص ص 191؛ 193.

الفصل الثالث

الفصل الثالث: تأسيس الإمبراطورية الفارسية الإخمينية

1- نهاية المملكة الميديّة وصعود قورش الثاني

1-1 أستياجس

2-1 قورش الثاني

1-2-1 المعركة الأولى

2-2-1 المعركة الثانية

3-2-1 الحرب مع مملكة ليديا Lydia

4-2-1 غزو قورش لبابل

5-2-1 قورش واليهود

6-2-1 مخطط قورش لغزو مصر

7-2-1 حماية الحدود الشرقية لمملكة قورش

2- المؤسسة العسكرية الفارسية الإخمينية

1-2 التجنيد

2-2 تنظيمات الجيش الفارسي الإخميني

1-2-2 القوات البرية

1- المشاة

2- الفرسان

2-2-2 البحرية في عهد قورش الثاني

لقد عانت منطقة بلاد ما بين النهرين، والهضبة الإيرانية تغيرات سياسية واضحة، حيث سقطت المملكة الآشورية، واستعادت بابل على أنقاضها عهدا جديدا لتبرز مملكة جديدة سميت بمملكة باب الكلدانية، هذا وقد كان للميديين اليد الطولى في سقوطها من خلال ملكها كياكسارس، الذي كان قد نظم مملكته وجعلها من مصاف الممالك القوية، وبسقوط المملكة الآشورية، برزت أربع قوى سياسية وعسكرية هي المملكة البابلية الكلدانية الجديدة، المملكة الليدية، المملكة الميديية، ومملكة مصر.

1- نهاية المملكة الميديية وصعود قورش الثاني:

1-1 أستياجس:

كان أستياجس آخر ملوك الدولة الميديية، كانت أحداث السنوات الأولى من حكمه غير معروفة، أما المعلومات التي تأتي على ذكره وخاصة المصادر الكلاسيكية، تتناول فقط حيثيات سقوط مملكته، فما جاء في السجلات البابلية التي عاصرت حكمه لم تترك لنا تاريخا واضحا عن حكمه، بل بالعكس تركت لنا ثغرات كبيرة، وما أكثرها من مصادر كلاسيكية ويونانية تتحدث عن كيفية سقوط المملكة الميديية¹.

يأتي اسم أستياجس في اللغة الفارسية القديمة Arshtivaiga بمعنى "رامي الرماح"، غير أن اسمه لم ينطبق على هذه الصفة، بحيث أن المملكة في عهده شهدت الضعف ولا شيء سوى الضعف، وفي الأرض المقابلة أي في الأرض التي تسكنها القبائل الفارسية، خلف أريارمنيس ابنه أرسامس Arshama، ومن نفس السلالة منح قورش الأول الحكم ليس لابنه الذي قدمه كجزية Arukku، بل لابنه الأصغر قمبيز الأول (قمبوجية) الملك الأعظم ملك آنشان².

¹ Ilya Gershevitch, op. cit, p 142.

² A. T. Olmstead, op. cit, p 34.

لم يكن الملك الميدي حازما في حكمه ولم يكن قدوة شعبه في العدل، ولم يكن شخصية حربية، بل العكس فضل حياة الترف واللهو، بين جدران القصور الملكية وهذا راجع لما كانت تملكه المملكة الميديّة من اقتصاد، من جهة أخرى تصرف على عكس سلفه، حيث تخلى عن القيادة الجماعية وهي قاعدة دستورية مهمة بالنسبة للمجتمع الميدي، ومال للاستبداد ومارس الحكم المركزي بطريقة مباشرة، كما خاف ما اعتاد عليه أجداده من إقامة تحالفات مع القوى المجاورة وهذا لتحقيق التوازن بين القوى الإقليمية الرئيسية، مثل المملكة البابلية الكلدانية، وكان من أكبر أخطائه أنه دخل في صراع مع هذه الأخيرة، كما كانت المملكة في عهده تعيش حياة البذخ فملك والرعية أسرفوا في التمتع بما كانت تملكه المملكة، ونسوا حياة التقشف والجد، وهو ما جعل التناقضات الداخلية في قمة هرم السلطة الميديّة مما سبب الصراعات على السلطة والاستئثار بالمناصب أو إسناده لأناس غير أكفاء، وكل هذه الآفات أدت إلى تراجع العدل، ظهور الطبقة والفوارق الاجتماعية وكثرت المظالم، من جهة أخرى انفلت الحكم في عهده، إذ تسلط هو شخصيا على شعبه وتحول إلى طاغية همه الوحيد السلطة، بحيث تخضع له الرقاب، ومن الطبيعي أن يصل استبداده لخارج حدود المملكة الميديّة وكان الفرس من أكثر الشعوب التي تأثرت بهذا الظلم¹

نجد في تاريخ أستياجس الكثير من القصص الخيالية، والفلكور الشعبي، خاصة فيما يخص بروز قورش الثاني على الساحة، بالرغم من أن العديد من المصادر تناولت حياته العائلية².

لقد كان أستياجس يحدو حدو والده في التوسع، ولم يكن في نيته أن يقضي على نفسه بمواجهة القوى الكبرى في ذلك الوقت، وبدلا من ذلك وجه انتباهه إلى براري شمال وشرق المملكة الميديّة، بعيدا كل البعد عن قمرّة القيادة في الهلال الخصيب، فقاد رحلته الاستكشافية إلى الأراضي الوعرة في أرمينيا بما يعرف الآن بـ أذربيجان³.

نرى أن أستياجس يسير على خطى المملكة الآشورية المهزومة، ليلقن الهمجيين من وراء حدوده ويخيفهم بعظمة اسمه الملكي، وما زالت عادات وتقاليد شعوب الشرق الأدنى القديم غريبة عن

¹ - أحمد محمود الخليل، المرجع السابق، ص ص 78؛ 79؛ 80.

² - Richard Nelson Frye, op. cit, p 82.

³ - Tom Holland, op. cit, pp 6.

تلك التي لدى أهله، إذ لا يزالون على ما يبدو يعيشون عيشة البدو وشبه القبلية وهي الميزة التي كانوا عليها، ولشحن طموحاته رغم كل شيء، ظن الملك استياجس قوته لا تقل عن قوة ملك الليديين أو فرعون مصر، ومن الصعب توقع أنه كان يحكم من وراء خيمة، على أن ملوك العالم القديم على حد سواء وكأمر مفروغ منه، لديهم قصور وخزائن فيها كنوز، وعاصمة قوية ومحصنة، وبطبيعة الحال كان على استياجس أن يتمتع بكل هذه المزايا ليكون من مصاف الملوك العظام، وكحفاظ على هيئته، كان عليه أن يقدم دليلاً على عظمته كملك¹.

يذكر ول ديورانت، أن استياجس قد أثبت ما أثبتته التاريخ من قبل وهو أن الملك والملكية مغامرة لا يحمدها ولا يؤمن جانبها، وأن الذكاء المفرط وجنون العظمة يرتبطان بوراثة الملك، لقد ورث عن والده الحكم وهو مطمئن البال، بحيث استمتع بما هو ملكه، وغرق في الترف هو وشعبه².

2-1 قورش الثاني:

يذكر هيرودوت أن استياجس ارتبط بالفرس عن طريق المصاهرة، وهذا نوع من الزيجات السياسية، حيث قام بتزويج ابنته التي تدعى ماندانة إلى قمبيز الأول ابن قورش الأول أمير أنشان، وهذا لكي يضمن، الملك الميدي أن يكون الأمير الفارسي تحت أعينه، حيث أن الفرس كانوا جيران الميديين، كما حكموا العديد من القبائل المجاورة، قد تشابهوا في العديد من العادات والتقاليد³، وستنجب ابنته من يقوم بقلب طاولة الحكم ضده.

ومن القصص الغربية والطريفة، هي القصة التي ذكرها هيرودوت عن قرب سقوط الملك الميدي، هو رؤيته لحلمين قدر فسرهما كهنة البلاط الملكي (الموغ أو الماغوس)*، بان فيضان قد انفجر في الأسفل بين رجلي ابنته من المياه اجتاحت جميع آسيا وأغرق عاصمته، وهذا قبل أن تتزوج

¹ - Tom Holland, op. cit, pp 6,7.

² - ول ديورانت، المرجع السابق، ص 401.

³ - Herodotus, 1.107 ; 134.

* - الماغوس: **Magi** ماغي جمع الكلمة ماغوس **magus** باللاتينية مشتقة من الكلمة الإغريقية ماغوس **Magos** وهي كلمة محورة من الكلمة الفارسية القديمة ماغوش **magush** نرى هذه الكلمة في كتابات الإغريق والرومان، والتي أطلقت على كهنة الملك ومنها اشتقت كلمة الساحر **the magician** اعتبر الماغوس كاهنا وموظفا رسميا وهو اسم لقبيلة فارسية أيضا، أنظر: Matt, Water, op. cit, p 154. ، أنظر كذلك: Herodotus, B1.101.

ابنته مما ترك في نفسه الانزعاج، ولكن الآن ابنته تزوجت من الأمير الفارسي قميبيز الأول، ضنا منه أن يضمن بذلك جناح الفرس من عدم القيام بأي ردة فعل ثورية، بحكم أنه يعرف صهره منذ الولادة الذي وصف بأنه شخص طيب، وعندما تكرر الحلم، أرسل إلى الفرس بأن يحضروا ابنته على جناح السرعة، حدث وأن أصبحت ماندانة حاملا، من جهة أخرى أوصى رجلا من البيت الميدي يدعى هارباغوس، وهو من الأشخاص الذين يثق فيهم ثقة عمياء، طلب منه أن ينتظر لحين مولد حفيده على أن يأخذه لبيته ومن ثم عليه أن يقوم بقتله، ووعده بان يحقق رغبته على أكمل وجه، وهو الوعد الذي لم ينفذ، إذ قامت زوجة الخادم هارباغوس بتزجي زوجها بأن يعدل عن قتل الطفل، لكنه لم يفعل بل أرسله لأحد الرعاة ممن يخدمون تحت رعاية أستياجس، وطلب منه أن يقتله غير أن زوجة الراعي قامت بإقناع زوجها بالاحتفاظ به على أنه ابنتها من صلبهما، ووضعها مكان ابنتها المتوفي¹.

الآن قورش حي، وقد بلغ العشر سنوات من عمره، ومن الروايات التي رواها الفرس عن قورش في صغره لهيرودوت، أنه كان حكيما رغم صغر سنه، وأن حسن التسيير والذكاء وسداد الرأي قد كان فطرة فيه، كما كان طبع القيادة قد رافقه في مختلف سنوات عمره، وهذا الأمر الذي عرف عنه من قصته مع الأولاد حين كان يلعب معهم، أين قام بخلق نظام إداري لكي يسيّر مملكته الصغيرة (على أنه ملك فوق هذه المجموعة) وجعل لكل من الأولاد منصبا وحدد مهامهم، وحصل شجار بين الأولاد إثر معاقبة قورش الطفل، وكان هذا الطفل ابن أحد الرجال الميديين المعروفين، وكبر الشجار حتى وصل إلى مسامع الملك الميدي، والذي قرر أن يستدعي على إثره قورش لمسائلته إثر فقئ عين الطفل الذي عاقبه قورش أثناء اللعب².

عندما عرف أستياجس، أن هذا الطفل هو من نسله من تصرفاته وطريقة كلامه، وحتى ترتيب ملابسه، وتفظن أن حفيده لم يقتل كما أمر فاستدعى خادمه هارباغوس، ليستفسر لم ينفذ ما أمره به، فقد اعترف له الراعي بأن هذا الطفل ذو العشر سنوات هو حفيده، فأجابه هارباغوس أنه قد أمر الراعي بدوره ليقتل حفيده، وبأنه رأى الطفل يوارى الثرى أمام عينيه، وهو الأمر الذي لم يصدقه الملك، غير أن أستياجس قد أخفى غضبه، وطلب من خادمه أن يقدم فروض الولاء والطاعة، بأن

¹ - Herodotus, B1. 107-109 ; 113.

² - Ibid, B1. 114.

يرسل ابنه الذي كان في سن الثالث عشر لكي يكون في خدمة الملك استياجس، فقد ظن أن الملك الميدي قد عفا عنه بهذه الطريقة، وعلى إثرها عمد استياجس لإقامة وليمة، كان هرباغوس حاضرا فيها، وعندما أتم هذا الأخير وجبته، أخبره الملك الميدي أنه قد أكل من لحم ابنه، فصعق الخادم وأسرها في نفسه¹.

لقد أضمر هرباغوس الحقد للملك الميدي، وقد سعى جاهدا لكي ينتقم منه على قتل ولده، وقد تحين الفرصة لكي ينفذ انتقامه، ليراقب ترعرع قورش الثاني بين أحضان جده وأمام عينيه، كما علم انه أصبح محبوبا بين أقرانه، وهو الأمر الذي كان في صالحه لينفذ إنتقامه².

أعيد قورش لأمه، أين تلقى تعليمه الأولي، إلى أن وصل إلى سن الثانية عشر أو أكثر بقليل، وعكس زملائه فقد تعلم بسرعة فائقة ما يتعلمه الفتيان من سن الخامسة إلى السن الذي هو فيه، تعلم كل ما هو ضروري وقام بجميع الأشياء النبيلة والرجولية، وعندما سمع جده بخصاله أرسل له ولأمه بأن يأتوا عنده، لأنه أراد أن يراه حيث أخذته أمه بنفسها ليلاقي جده، وعندما وصل أخبره بأنه هو جده ووالد والدته، وبحسب أكسينوفون أن من طبيعة الفتى الطيبة، فقد عانق جده على الفور كأن لم يحمل في قلبه ضغينة من جهته جراء فعلته الشنيعة، وكأن العلاقة بينهما كانت ودية منذ وقت طويل، وقد رأى جده في أبهى حلة متزين بأفخم الثياب والحلي الثمينة، على عكس الفرس الذين اتسمت هيئتهم بالبساطة وعدم التكلف في اللباس أو حتى الأكل، فقامت والدته بسؤاله من هو الأوسم جدك أم والدك، فأجابها "والدي"، ومن ذكائه أردف قائلا: "جدي وسيم أيضا أوسم ممن رأيت من الميديين في البلاط أو في الشارع" فعانقه ووضع له أستياجس رداءا جديدا، وكرمه وزينه بالقلائد والأساور وهي من عادات الملوك الميديين (المعاطف الأرجوانية، القلائد، الأساور، والعباءات)³

أعطى استياجس لحفيده حصانا بلجام من الذهب بنفس الطريقة التي يسير بها الملك عادة، مما جعل قورش يشعر بالسعادة وهو يمتطي الحصان لأول مرة مرتديا الرداء الجميل الذي أهده له

¹ - Herodotus, 1. 118, 119.

² - Jacob Abbott, The History of Cyrus The Great, Cosimo Publishing, USA, 2009, pp 132, 133.

³ - Xenophon, The Education Of Cyrus : cyropaedia, translated by Wayne Ambler, Cornell University, USA, 2001, Book 1. 3. 1-3.

جده، وقد قام بتعلم كيفية ركوب الخيل، لأنه كان من النادر بين الفرس رؤية الحصان، لأنه من الصعب تربية الخيول وصعوبة ركوبها في منطقة مليئة بالجبال¹.

بعد عودة قورش الثاني لوالديه في فارس، وجد الراعي وزوجته (اللدان ريبانه)، أين أخبراه بقصة جده ومحاولة اغتياله وهو في المهد وكيف أنقذاه، وبعد أن كبر قورش الثاني وأصبح شاباً، تقرب منه هارباغوس، حيث أرسل له العديد من الهدايا متمنياً أن يكون هو غايته في تحقيق انتقامه من الملك الميدي أستياجس، ويكون عقابه على يد حفيده، خاصة وأن قوة أستياجس قد طغت وقسوته زادت على الشعب الميدي وعاث فساداً في مملكته وعاد بالسلب على شعبها، تحين هارباغوس الفرصة ودس السم في العسل، إذا قام بتحريض الميديين على ملكهم بعد أن أقنعهم بأنه لا يصلح لأن يستمر في الملك وذلك بعد أن شهدوا معاملته القاسية، وأقنعهم بأن قورش من له القوة في خلعه، وعدد خصاله الحميدة لكي يشعل في نفوسهم نار الانتقام².

أخبر هارباغوس قورش الثاني الذي أصبح ملكاً على الفرس خلفاً لوالده، في رسالة باسم الشعب الميدي، بأنه قد بايعه ليكون على رأسهم، وأنه سيساعده على تكوين جيش يسمح له بان يقود تمرداً على جده، وعليه أن يحث الفرس على القيام بثورة ضد الملك الميدي، وقد أعلمه قبل كل شيء أن جده سوف يوكل له قيادة الجيوش ضده، وهنا سيكون لهارباغوس مهمة إعادة وجهة الجيوش الميديّة وقلبها تحت قيادة الملك المستقبلي، وهذا أثناء مواجهة الجيوش الفارسية بقيادة القائد الشاب، حيث أقنعهم بأنه قائد الجيوش الفارسية بطلب من جده، وطلب منهم أن يقفوا بجانبه للدخول في مواجهة مع الجيوش الميديّة من أجل التحرر من حكم الملك الميدي، والذي هو جده³.

¹ Xenophon, Cyropaedia, 1.3. 3.

² Herodotus, B 1. 122, 123.

³ Ibid, B 1. 124, 125.

لقد استغل قورش الثاني مركزه المرموق وأسس عاصمة جديدة وهي باسارغادة، في هذا الوقت كانت بابل تحت حكم الملك نابونيد*، والذي كانت له أطماع في الاستيلاء على بعض الأقاليم التابعة للمملكة الميدية خاصة منطقة حران، فاتصل الملك البابلي بقورش ضمن محادثات سرية لعقد تحالف بينهما¹، وكان نابونيد شخصا هشاً سهل الانقياد خاصة من طبقة الكهنة، كان محبا لكل ما هو ثمين وكل ما هو أثري وأخلاق الماضي ومخلفاته المادية، حيث نصب على العرش سنة 555 ق م، ولم تكن شخصيته مناسبة لاحتلال هذا المنصب وخاصة في هذه الفترة الحرجة التي كانت تشهده المملكة البابلية، ومن سوء حظها أنها ستسقط على يد الفرس بقيادة قورش².

بصرف النظر عن العناصر الواقعية في الأساطير التي ترتبط بصعود قورش الثاني التي سجلها هيروdot، فيما يخص سير الأحداث الحربية بينه وبين الملك الميدي، المعلومات الوحيدة التي لدينا عن مجريات المعركة، تأتي من السجلات البابلية من عهد الملك البابلي الجديد نبونيد، وفي السنة الأولى من حكمه ادعى أن الإله مردوخ قد جاءه في المنام وأكد له أنه قريبا سوف يتخلص من التهديد الميدي في حران، وفي الحقيقة عندما حلت السنة الثالثة 553 ق م، أرسل مردوخ خادمه الصغير

* - نبونيد: **Nabonid** ملك بابل في الفترة (556-539 ق م)، الطفل الوحيد لوالديه اداد غوبي **Adad-gupi** حسب السجلات التي تنسب لوالده (كانت كاهنة عليا لإله القمر سين في حران، سوريا)، لم يرغب في الملكية بالرغم من أنه كان الشخصية البارزة في المؤامرة التي أدت إلى مقتل لاباشي مردوخ **Lābāši- Marduk** سنة 556 ق م، والده نابو بلاتسو ايكي **Nabû-Plātsuiqbi**، وغالبا ما يأتي اسمه في نقوش المباني بالصيغة التالية نابونيدوس **Nabonidus**، يحمل ثلاث ألقاب روبو إمكو **rubû emqu** (الأمير الحاكم)، روبو غيمالو **rubû gitmalu** (الأمير المثالي)، شكاناكو كيتودو **šakkanaku qitrudu** (الحاكم البطولي)، وعلى الرغم من أن والده جاء بهذا الاسم إلا أنه لا يوجد له ذكر على أنه والده في النقوش البابلية الحديثة، انتهى حكمه بغزو قورش الثاني لبابل حوالي 539 ق م، ولم يعرف مصيره بالتحديد، للمزيد أنظر:

Paul-Alain Beaulieu, *The Reing of Nabonidus King of Babylon 556-539 B.C.*, Yale University Press, USA, 1989, pp 67-68 ; 230.

¹ - طه باقر، المرجع السابق، ص 447.

² - Percy Sykes, *A History Of Persia*, vol1, Routledge Curzon, USA, 2004, p 132.

اردو إلى ملك آزران لمساعدته في هزيمة جده¹، الذي كان قد هاجم من قبل المملكة البابلية وجعل حلفاءه السابقين يتحولون لأعداء له².

النصوص التي تتناول انقلاب قورش على استياجس تطرح تساؤل، ما إذا كانت هذه العمليات العسكرية الموجهة ضد هذا الأخير، هي جزء من استراتيجية شاملة تهدف من البداية إلى مواجهة الميديين والليديين والبابليين على التوالي، وبالتالي إنشاء إمبراطورية موحدة من نوع آخر وتأسيس مملكة خاصة بالفرس، أم مجرد إنتقام لحفيد من جده؟³.

أقنع هارباغوس قورش الثاني، وأعلم جده بأن يلتقيا حيث جهز استياجس الجيش الميدي، ونصب على رأسه خادمه، متناسيا ما فعله بابه، ولم يلتحق أي جندي ميدي بصفوف جيش قورش الثاني⁴، وبالنظر للمعركة التي أسندت فيها قيادة الجيوش لهارباغوس، والتي انتقل فيها هذا القائد من الدفاع عن الملك الميدي إلى المحاربة بجانب قورش الثاني، يمكن أن نستنتج أن قورش كان من جهة في بلاط جده، وعندما اندلعت الثورة اندلعت من بلاد فارس، وفي كلتا الحالتين لم يكن قورش الثاني بعد ملكا على بلاد فارس، وغير أن المعلومة لم تكن صحيحة، فقورش توفي عام 529 ق م بعد حكم دام 28 سنة وهذا وفقا لما جاء به هيرودوت، أو حتى كتسياس الذي قال أنه حكمه دام ل 30 سنة، وعليه فإن حكمه في بلاده كان قبل وقت طويل من التمرد الذي أكدته السجلات البابلية على أنه حصل في سنة 553 ق م، وكان هذا خلال حكم والده قمبوجية، وهو الأمر الذي كان شائعا في حالة ما إذا كان الحاكم يدين بالتبعية لمملكة أخرى (كانت بلاد فارس تابعة للمملكة الميديية)⁵.

بالنظر إلى المصادر الكلاسيكية التي تناولت مآثر القائد الفارسي قورش مثل اكسينوفون وكتسياس، نجد أن القائد الفارسي هو من بادر بشن الهجوم على أكباتانا وهذا ما جاء عن لسانهم حول مسيرة قورش نحو العاصمة الميديية، غير أن السجلات البابلية تقول عكس ذلك ففي إحداها

¹ - Pierre Briant, op. cit, p 31.

² - أحمد محمود الخليل، المرجع السابق، ص 86

³ - Pierre Briant, op. cit, p 31.

⁴ - Herodotus, 1. 127.

⁵ - Ilya Gershevitch, op. cit, p 145.

تخبرنا أن أول من شن الهجوم والمبادرة بالحرب هو الملك الميدي استياجس¹، ومن الممكن أن هذا الطرح يعكس معاملة الملك الفارسي للميديين بعد انتهاء الحرب إذ لم يجز الميديون على نفس إمتيازات الفرس الإخمينيين².

يعاب على هيروdot حصره للأحداث إن صح التعبير بشكل واضح، فهو يذكر معركتين فقط من بين المواجهات التي كانت بين الملك وحفيده، الأولى التي أمر فيها استياجس هارباغوس بقيادة الجيوش متناسيا قضية إطعام هارباغوس من لحم ابنه، ومعركة ثانية قادها بنفسه وجها لوجه مع قوات حفيده، وهو الأمر الذي ذكره هيروdot، حيث اختصر المواجهة التي حدثت بين قورش واستياجس في أربع فقرات لا أقل ولا أكثر وأنهاها بسقوط استياجس في قبضة قورش بعد أن حكم ميديا لمدة 35 سنة وسقوط ميديا كمملكة استمرت 128 سنة، وهو الأمر الذي يعد نقصا أمام إسهابه ببداية نشوء قورش الثاني منذ ولادته حتى احتكاكه بجده، وأمام الحروب الفارسية والإغريقية، لأن من عادته سرد الأحداث بتفاصيلها الدقيقة³، كما ذكرت السجلات البابلية من عهد نابونيدوس أن أستياجس كان المبادر بالهجوم وليس قورش وهو ما يتعارض مع رواية هيروdot⁴.

فالمدة التي حشد بها قورش الثاني جيوشه لم تكن بالهينة مقارنة بسنه الصغير، فتوحيد القبائل يتطلب صبرا كما يتطلب الحنكة، ومن الواضح أن قورش كرّس سنوات لزيادة صلابته وسلطته ومساعيه المتكررة للإطاحة بجده والتي انتهت بتوحيد الجهود والإستيلاء على العاصمة أكباتانا عاصمة المملكة الميديية التي لا نعرف عن تاريخها بشكل مفصل ودقيق⁵.

¹ - Pierre Briant, op. cit, p 31.

² - Margaret Cool Root, The King and Kingship in Achaemenid Art Essays on the Creation of an Iconography of Empire, E.J. BRILL, The Netherland, 1979, p 37.

³ - Herodotus, B1.127-130

⁴ - Robert Drews, The Fall of Astyages and Herodotus' Chronology of the Eastern Kingdoms, Historia Zeitschrift für Alte Geschichte, vol 18, 1969, p 1.

⁵ - Max Mallowan, Cyrus the Great (558-529 B.C.), Iran Journal, **British Institute of Persian Studies**, Vol. 10, 1972, p8.

يعتبر طرح هيروودوت حول عدد المعارك التي واجه فيها أستياجس قورش الثاني، الأقرب للحقيقة، خاصة إن رجعنا للسجلات البابلية، نجد أن الوقائع البابلية تذكر أن جيوشا قد هاجمت قورش الثاني وهذا في نهاية المعركة والتي حدثت أثناء 550 ق م أو 549 ق م، غير أن القصة التي أتى بها هيروودوت يجب أن تعزز بما جاء به كتسياس حول وصفه المعارك¹، هنا يجب أن نراعي أن ما وصلنا من مؤلف كتسياس والمعنون بـ التاريخ الفارسي: حكايات الشرق، مجموعة شذرات من ثلاثة وعشرون كتابا قد كان مفصلا من ناحية سير المعارك، وعليه سنستعرض سير المعارك كما جاء بها كتسياس وهيروودوت:

1-2-1 المعركة الأولى:

هذه الشذرات التي تناولت سقوط المملكة الميدية وتولي قورش الثاني سدة الحكم على بلاد فارس والمملكة الميدية معا.

عند عودة قورش الثاني لبلاد فارس، أرسل معه أستياجس مجموعة من خدمه، وحين معرفة هذا الأخير بتفسير الحلم الذي يؤكد أن قورش الثاني سيصبح ملكا على ميديا، أرسل في طلبه لكي يعود إلى أكباتانا، وقد أقنع الخدم التابعين لأستياجس المرسلين له بأن يترثوا إلى اليوم الموالي، ثم عليهم الانطلاق مما جعله يقيم وليمة على شرف هؤلاء الرسل، وأغدق عليهم المأكولات والشراب والمسكرات إلى أن ناموا، وفي الصباح الباكر أرسل إلى والده بطلب إمداده بالجنود 1000 من فرقة الفرسان، و5000 من المشاة إلى هيربا (hyrba)* وتسليح بقية الجنود الفارسيين في نفس الوقت وبسرعة فائقة، وهو الأمر الذي لم يفهمه وبأنها أوامر الملك، إذ أنه لم يكشف عن السبب الحقيقي، وبعد الوليمة امتطى قورش الثاني وقائده أحصنتهم، ووصلوا إلى هيربا في الليل

¹ - Ilya Gershevitch, op. cit, p 145.

* - هيربا: من مدن المملكة الميدية، جرت على أرضها أولى المعارك بين قورش الثاني وأستياجس، أنظر:

Christopher Tuplin, Ctesias as Military Historian, Ctesias' World Harrassowitz Verlag, Germany, 2011, p 459.

حيث وجد القوات التي أرسلها له والده، ووضعها في خط المعركة وقد تمركز هو في الجهة اليمنى وقائده على اليسار¹.

تفطن مبعوثوا استياجس في الصباح الباكر، لاختفاء قورش وقائده وانطلقوا على أثرهما، محاولين اللحاق بهما بعد أن اكتشفوا أن قورش أعطاهم شراب مسكر بنية مبيتة، وعندما وصلوا إلى هيربا وجدوا الجيش مصطفا ومستعدا للقتال، وفي البداية أظهر قورش شجاعة مبهرة، إذ وبمساعدة ثلاثة من الفرسان الفارسيين قتلوا حوالي 250 من سلاح الفرسان، بينما هرب الباقون وأبلغوا الملك بتفاصيل الحادث، أين امتعض استياجس وغضب وعاقب رجاله، قام قورش بمحشد قواته الحربية إلى ما يصل إلى مليون من المشاة ومائتي ألف من الفرسان وثلاثة آلاف عربية حربية، وقادهم نحو بلاد فارس²، ربما كان العدد الذي ذكره كتسياس مبالغاً فيه على عكس هيرودوت الذي اكتفى بذكر عبارة قيلت عن قورش الثاني "جميع الرجال الفارسيين" وعدد القبائل الفارسية بالإضافة للرجال الفلاحين والرعاة الفرس، والذين ناداهم قورش للانضمام لجيشه، ونفس الشيء بالنسبة للملك استياجس لم يذكر هيرودوت عدد قواته³.

إضافة للقوات التي ذكرها كتسياس، كان والده قد حضر جيشاً موازياً يتكون من ثلاثمائة ألف من فرقة المشاة الخفيفة وخمسين ألف من الفرسان، ومائة اسكيثي يقودون العربات الحربية، وعندما اجتمعت القوات، كان قورش هو القائد⁴.

بخطوة ذكية قام قورش بنقل القاطنين في الأماكن الغير محصنة، إلى أماكن أخرى محصنة والتي لن تكون عرضة لهجمات استياجس و تحصن هو وجيشه في أماكن ضيقة على قمم الجبال، وقام قورش بصنع خط دفاعي من سلاح المشاة الخفيف peltast (هذه الفرقة تنحدر من بلدة تراقيا وهي كلمة مكونة من peltē وهذا اسم الدرع الذي يرتديه هؤلاء الجنود القادمون من هذه المنطقة)، وبعد فترة وجيزة وصل استياجس وهجم على المدن الفارغة، واستشاط غضباً، وأرسل إلى

¹ Ctesias, Persian History : Tales Of The Orient, translated by : Lloy -
Llewellyn-Jones and James Robson, Routledge, USA, 2010, books7-11.27. 28.

² Ctesias, books 7-11. 29, 30.

³ Herodotus, 1. 125 ; 127.

⁴ Ctesias, books 7-11. 30 ; 31.

قورش ووالده وهددهم مرارا وتكرارا، وذكرهم بوضعهم السابق، كيف كانوا يتسولون للمملكة الميدية¹.

قاد استياجس جيشه وهو في قمة الغضب إلى القتال، حتى أنه كان موقعه في الصفوف الأمامية من ترتيب المعركة، وبذلك كان على رأس قواته ممتطيا حصانه ويحيط به عشرون ألف من حراسه الشخصيين، وخرج قورش الثاني في منتصف الجيش من النخبة من الفرسان الفارسيين، جرت معركة رهيبية تكبدت فيها قوات استياجس خسائر فادحة، حيث قتل قورش وبقية الفرس عددا هائلا من رجال العدو، مما جعل الملك الميدي يتحسر بمرارة على فقدانه لقواته، أرسل على إثرها لأعتى جنرالاته وهددهم بأبشع العذابات إن لم يهزموا جيوش قورش الثاني².

وجد استياجس نفسه محاصرا، حيث ضيق عليه الحناق قورش الثاني، والملك البابلي نبونيد³، حتى أن قورش كان مقربا من ابن ملك أرمينيا أورانتس والمدعو تيغرانس، الذي ساندته، حتى أنه سماه بملك بلاد فارس وميديا⁴، أما الملك البابلي نبونيد لم يكن سليل نبوخذ نصر، بل أهم رجل في الدولة البابلية، كان قد بعث من قبل نبوخذ نصر في سنة 558 ق م لتسوية النزاع بين المملكة الميدية وليديا⁵.

2-2-1 المعركة الثانية:

لقد كان الفرس في خضم المعركة يحاربون بشق الأنفس لهول الجيوش الميدية التي كانت تهاجم موجة بعد موجة، مما أدى بجيوش قورش إلى التراجع، حيث شجع هذا الأخير القوات التي حضرت فيما بعد، على ضوء أنه قتل هو قائده عددا كبيرا من العدو، حيث نصحهم بأن يرسلوا زوجاتهم

¹ - Ctesias, books 7-11., 33.

² - Ctesias, books 7-11. 34.

³ - أحمد محمود الخليل، المرجع السابق، ص 86.

⁴ - Xenophon, cyropaedia 3. 1. 7.

⁵ - طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1، ط2، دار الوراق للنشر، لبنان، 2012، ص 607.

وأطفالهم إلى مدينة باسارغادة التي تقع في أعالي الجبال، على أن يسيروا في اليوم الموالي، على أن يكون النصر أو الانهزام، وأن الموت حق حتى على أمهر الجنود أو حتى القائد الأعلى¹.

آزر قورش الجنود، وخاطبهم إن أرادوا أن يعيشوا أحرار في بلد حر، "من الأفضل" لهم أن يعانون من أجل تحقيق هذا الهدف، وبمجرد قوله هذه الكلمات، أشعل في الجنود نار الحقد والكراهية تجاه الميديين، وعند الفجر فتحوا أبواب المدينة التي كانوا يتحصنون داخلها وساروا نحو المعركة يتقدمهم قورش، وجرت معركة طاحنة تكبدت فيها قوات قورش هزيمة من طرف قوات أستياجس التي أحاطت بالمدينة، هنا يذكر كتسياس أن أستياجس ألقى القبض على والد قورش (والذي جاء باسم آخر أتراداتس Atradates)، والذي أصيب بجروح خطيرة وهرب رجال قورش إلى باسارغادة أين تتواجد زوجاتهم وأطفالهم، وتوسل والد قورش للملك الميدي بأن يعفو عنه حيث رد عليه أستياجس بقوله: أنت كنت ساترابا جيدا، وكنت أكافئك على الدوام، هل هذا هو الشكر الذي أحصل عليه منك أنت وابنك، رد عليه والد قورش بأن ابنه جن ولا يعرف ما الذي أصابه حتى فعل فعلته هذه، وطلب من الملك الميدي أن لا يقتله أو يعذبه، فرد قائلا: لن أعذبك ولكن أقنع ولدك بأن يعدل عن فكرة محاربتني، وسوف أمنحك فرصة بأن يدفونك بجزارة تليق بك على أن لا تشارك في جنون ولدك².

هناك فرق بين ما ذكره هيروودوت والذي ذكره كتسياس، فهيرودوت لا يتناول فصل الانهزامات المتقطعة لقورش أمام جيوش الملك الميدي، ويذكر التفوق الذي يكاد تاما للقائد الفارسي، مع التنويه بالأسماء التي تختلف بشكل واضح بين المصدرين، وحتى تفاصيل بعض القصص التي جاءت في المصدرين، والتي يذكر فيها كتسياس أن قورش لم يكن حفيد أستياجس بل كان ابن أحد الساتراب حاكم ساترية فارس وعاصمتها المحلية باسارغادة، في حين تغيب قصة الانتقام التي كانت عند هارباغوس المذكورة سلفا، بالإضافة إلى اختلاف بسيط نجده عند أكسينوفون فيما يخص اسم القائد الميدي وخدام الملك أستياجس هارباغوس الذي نجده عند أكسينوفون أن من ساعد قورش على التمرد على حكم أستياجس هو الولد الأكبر للملك الميدي ذاته، كياكسارس وشقيق أم قورش

¹ - Ctesias, books 7-11. 35.

² - Ibid. 36, 37.

ماندانة، وعليه من المتعارف أن هيرودوت أقرب للحقيقة بالنسبة لسير أحداث اعتلاء قورش الثاني عرش بلاد فارس والمملكة الميديّة، ومما يؤكّد ذلك السجلات البابلية حتى وإن تناولت الشيء القليل عن أحداث سقوط المملكة الميديّة.

قضية الأسر تختلف فيها الشخصيات، فعند كتسياس نجد أن المأسور هو والد قورش الثاني، وهذا التفصيل الغائب في مصدر هيرودوت، الذي يقول العكس فهو يعطي الغلبة لقورش، وأنه هو من أسر استياجس في نهاية المعركة، التي تكاد أن تكون معركة واحدة عند هيرودوت¹، وفي الأمر الموالي يتفق المؤلفان أن استياجس قد تقدم نحو المدينة التي يتحصن بها قورش والتي ذكرها كتسياس على أنها باسارغادة²، وذكرها هيرودوت أن على أرضها انتهت آخر معركة بينهما³.

نعود لذكر سيرورة المعركة لكي نختم بها كيفية سقوط جيوش استياجس ونهاية المملكة الميديّة إذن، ذهب استياجس الآن في السعي وراء قورش الثاني وجيوشه في أعقاب الطريق التي سارت به بين الجبال، ليتمكن من الوصول والالتقاء بجيوش قورش، حيث بادر استياجس بالهجوم، وقاتل بشجاعة هو وجنوده على المنحدر الجبلي المليء بالغابات الكثيفة من أشجار الزيتون البرية، غير أن الفرس حاربوا بشجاعة أكبر من ذي قبل، مدفوعين بقورش وقائده الذي كان في كل مرة يذكر الجنود بأن يجموا زوجاتهم وأولادهم وأمهاتهم الطاعنات في السن في المقام الأول، وشحنوهم بحثهم على غسل العار الذي ألحقته بهم المملكة الميديّة من تشويه للذات الفارسية وإساءة المعاملة التي قبولوا بها دائما مما جعلهم يصدرون أصواتا تنم عن حنقهم، وأخذوا في الصراخ عندها سمعوا هذه الكلمات، وقاموا بهجوم عنيف على قوات استياجس، مم أجبره على التراجع⁴.

استأنف استياجس المعركة، حيث كان يزحف بصعوبة عبر المنحدر وأثناء ذلك، نزل قورش هو جيشه للمواجهة الأخيرة وحاربوا بشجاعة لفترة طويلة، وقد أمر استياجس جنوده بعدم التراجع حتى ولو كلفهم ذلك حياتهم، أعطى تعليمات للجنود بأن يقتلوا كل من يحاول الفرار أو يمتنع عن

¹ - Herodotus, B1.130.

² - Ctesias, books 7-11. 38.

³ - Herodotus, 1. 128.

⁴ - Ctesias, books 7-11. 40, 41.

صعود المنحدر الجبلي¹، بالرغم من وصف التفاصيل إلا أن المعارك بين قورش قد تكون استغرقت أكثر من ثلاث سنوات نظرا للتفاصيل التي ذكرت في السجلات البابلية، وهي على عمودين أي الأحداث كانت لثلاث فترات مختلفة والتدوين كان آنذاك بالسنوات².

واجه الفرس هجومات كاسحة من طرف جيوش استياجس التي قتلت العديد منهم، وواجهوا صعوبة في التصدي لهم، وعلى إثرها بدأوا في الفرار لقمة الجبل، حيث اختبأت النساء، وهنا يذكر كتسياس تفصيلا عن ما قامت به النساء من شد أزر الرجال وهو ما وصفه المؤلف بالشيء المخزي، حيث يذكر أن الجنود عادوا لمكان الحصن، وعندما رأت النساء عودة الرجال قاموا بالصراخ وتقطع ثيابهم إلى أين أنتم آتون أيها الجبناء، هل تريدون العودة للمكان الذي انطلقتن منه؟، شعر الجنود بالخجل، وعادوا أدراجهم على إثر هذه الفضيحة، إثر عدم سماعهم وعادوا مرة أخرى لمواجهة العدو، وعادوا في دفعة واحدة وبهجوم موحد، قتلوا فيها ما يقرب ستين ألف جندي ميدي، ومع ذلك لم يتخل استياجس عن الحصار، غير أنه خسر المعركة³.

هنا بعد هزيمة استياجس تسبغ الأحداث بطابع ديني وأن نصر قورش جاء بمساعدة إلهية، وأنه تم الاستيلاء على قوته من قبل الآلهة، حيث قام قورش في وقت لاحق من المعركة بالذهاب إلى خيمة استياجس، والتقط صولجانه، وأخبره قائده أوباراس (Obaras) أن الفرس يستحقون حكم الميديين، وقاموا بأخذ جميع الكنوز إلى باسارغادة بمعية قائده، وكانت الغنائم هائلة بالمقارنة بالمكان التي كانت فيه ونقصد بذلك الخيمة، ولم يمض وقت طويل بعد أن انتشرت الشائعات بأن نصر قورش إلهي وليس فقط من الرجال بل القبائل كلها⁴، هنا يتأكد ما جاء به هيروdot من أن القبائل الفارسية كلها انضمت لقورش بكامل فتاتها⁵.

هنا يذكر كتسياس أن الجيوش التي انشقت عن استياجس لم تكن الجيوش الميدية فقط التي ذكرها هيروdot بل كانت مجموعة مكونة من البارثيين، والسكيثيين والباكتريين، حيث سجدوا كلهم

¹ - Ctesias, books 7-11. 42.

² - HZFAG, p 2.

³ - Ctesias, books 7-11. 43, 44.

⁴ - Ibid, 7-11 45, 46.

⁵ - Herodotus, 1. 125.

لقورش، والحقيقة أن استياجس قد بقي مع عدد قليل من الحلفاء، حيث عاود قورش الهجوم على الملك الميدي وألحق به الهزيمة التي أنهت حكمه على الإطلاق¹.

الآن بعد أن أصبح سيد أكباتانا(عاصمة المملكة الميديّة سابقاً)، عرض قورش بشكل رمزي ورسمي انتقال السيادة إلى الفرس، الذين أصبحوا أسيادا للميديين بعد أن كانوا عبيدا لهم، وذلك في حفل رسمي، داخل الخيمة الملكية وأخذ عرش الملك المهزوم، واستيلائه على الكنز الملكي علامة من علامات القوة، وعليه فالغنائم التي أخذه قائده للعاصمة، ستكون موارد لا تنضب وتبقى تحت تصرفه للحملات القادمة التي سيقوم بها، وحرصا على أخذ مكان استياجس الملكي كخلف له، تزوج بابنته اميتيس Amytis، وعندما سمعت الشعوب الآسيوية التي ساندته، وقد قدموا أنفسهم تحت تصرفه بمجرد سماعهم بخبر زواجه من ابنة استياجس، وهذا ما يعزز رغبة قورش في إظهار نفسه "كغازي شهم" فهو نصير المهزومين الذين انضموا إليه بمحض إرادتهم ولم يرغمهم(أي بهذه الطريقة لن يصفوه بالمحتل)، ومن كانوا ضمن أجهزة المملكة الميديّة من الطبقة الأرستقراطية، لم يسعدوا بهذا الملك الجديد لأنه سيحرمهم من الأرباح التي أخذوها في عهد استياجس، وفي نفس الوقت كان قورش على استعداد لربط العلاقات مع السلالة الميديّة التي أطاح بملكها للتو، حيث كانت أكباتانا مركزا استراتيجيا ذا أهمية قصوى لمن أراد السيطرة على آسيا الوسطى، واستمر بأنه أحد الإقامات الملكية للملوك العظام إن صح التعبير، والواقع أن استيلاء قورش على أكباتانا قد أحدث ثورة عميقة في الوضع الجيوسياسي في جميع أنحاء الشرق الأدنى، واستلامه لمنصب جده يعني أن تبنى مسؤوليته وطموحاته الإقليمية².

نلاحظ تقارب الوقائع بشكل واضح ومؤكّد في تفصيل آخر، إذ يذكر كلاهما أن قورش قام بأسر أستياجس وهو الأمر المؤكّد في معظم المصادر³ بالإضافة إلى أكسينوفون الذي تناول مسألة

¹ - Ctesias, books 7-11. 46.

² - Pierre Briant, op. cit, pp 33, 34.

³ - Herodotus, 1. 128.

الهزيمة والآسر في خضم حوار دار بين قورش وابن الملك الأرميني تيغرانس*¹، كما تذكر السجلات البابلية حادثة أسر الملك الميدي على يد قورش الثاني².

يذكر هيرودوت أنه بعد سقوط استياجس كان الفرس أسياد آسيا على حد قوله، وهو ما يؤكد برنامجاً ممنهجاً أكثر منه إنجازاً محققاً، حتى ولو لم ير نبونيد فائدة في الصراع الفارسي الميدي، فنصر قورش الثاني جعله في وضع خطر من الآن فصاعداً، فقورش الميدو فارسي أصبح سيداً على المملكة الميديّة، وهذه الأخيرة كانت في عداء مع المملكة البابلية الجديدة فهما منافسان لبعضهما البعض وليساً حليفين، كما جلب ميراث الميديين مشكلة لقورش في الجبهة الغربية، كانت قد ربطت معادة بين الملك الميدي السابق استياجس والملك الليدي الياتس عام 585 ق م ، والتي بموجبها وضعت هاليس كحد فاصل بين المجال الميدي الليدي³.

الحقيقة أن نهاية استياجس عند هيرودوت لم تنته بقتله، بل يذكر أنه عفا عنه وعاش تحت رحمته إلى أن توفي، أو أنه نفى وقتل إثر حادثة، وحتى عند أكسينوفون وملحمته عن قورش، يذكر أنه أعدم من طرف هذا الأخير، وبالرغم من العديد من المصادر الكلاسيكية التي تقول بأن استياجس أعدم، نعتقد أنه عومل معاملة حسنة، في نفس الوقت أخذ قورش الثاني المبادرة، وقام كأبي حاكم جديد برحلة التوسع من جهة الشرق إلى ما وراء حدود المملكة الميديّة، وهي المنطقة غير المعروفة،

* - تيغرانيس: **Tegranes** تيغرانيس أو ديكران **Dikran** ملك أرميني عاصر فترة حكم قورش الثاني، يوصف بأنه أكثر الملوك استقامة في تاريخ أرمينيا القديم، مد يد المساعدة لقورش أثناء استيلائه على مملكة ميديا، أبقى الإغريق تحت سيادته، وزاد من ثروة مملكته كما دفعت العديد من البلدان الجزية له، ازدهرت أرمينيا في عهده بشكل كبير، زوج ابنته لأستياجس ضمن زواج سياسي، أمل استياجس أن يكون هذا الزواج طريقاً للتقرب من الملك الأرميني للإنتفاض عليه وإنهاء حكمه، لكن تحالفه مع قورش الثاني ثبط مساعيه وأدى إلى سقوط صهره، للمزيد أنظر:

Esat Uras, *Armenian History and the Armenian and the Armenian Question*, translated by Süheyla Arteme, Documentary Publications, Turkey, 1988, pp 255-256.

¹ - Xenophon, *Cyropaedia*, 3.1.10-11.

² - Richard Nelson Frye, *op. cit*, p 90.

³ - Pierre Briant, *op. cit*, p 34.

وعليه فالخطوة الموالية في خطة التوسع ستكون مملكة ليديا في الغرب¹، ستكون الخطوة الأولى في بناء المملكة الفارسية الأخمينية.

1-2-3 الحرب مع مملكة ليديا Lydia:

تميز النصر العسكري الذي حققه قورش في بناء العاصمة باسارغادة، التي أصبحت مركزاً للحكم الفارسي الأخميني، وعليه انطلق قورش في رحلة السيطرة على الأقاليم التي خارج مملكة ميديا، والتي تضم اورارتو والتي تقع حول بحيرة فان أو وان Van* ومملكة ليديا، التي كانت واحدة من أقوى وأعنى الممالك في القرن السادس قبل الميلاد².

تقع ليديا في آسيا الصغرى³، وهي من ممالك العصر الحديدي غرب الأناضول على الحدود مع فريجيا من جهة الشرق، ومن الغرب المستعمرات الإيونية، ووفقاً للمصادر الكلاسيكية الإغريقية، كانت سكان المملكة الليدية يسمون بالماليونيين، جاء اسم الليديين نسبة لملكهم المدعو ليدوس lydus من زمن لاحق، والذي حكم ليديا وأنه من نسل هرقل الذين يزعمون أن مؤسس هذه المملكة، وحسب التقاليد اليونانية فقد استمرت لمدة 505 سنة حتى أوائل القرن السابع قبل الميلاد، آخر عضو من هذه الأسرة اغتيل على يد أحد المفضلين عنده من طرف شخص يدعى غيغز، الذي أسس سلالة جديدة تسمى سلالة مرناد (Mermnad) 685 ق م عاصمتها سارديس (جاء في النصوص الآشورية باسم غوغو Guggu)، والذي توسع إقليمياً ليستكمل ما قام به أسلافه، مما جعل ليديا القوة المهيمنة في غرب الأناضول⁴.

يحتوي الموقع الذي تأسست فيه المملكة الليدية على موارد مهمة من أنهار وبحيرات واسعة، وأودية وتضاريس متنوعة من مرتفعات وجبال مليئة بالغابات مما جعل الوفرة في الخشب، والأراضي

¹ - Richard Nelson Frey, op. cit, p 92, Xenophon, Cyropaedia, B 1. 25-27.

* - بحيرة فان: أو وان بحيرة تقع في منطقة شرق الأناضول معروفة بموقعها الجغرافي التاريخي

أنظر: Tevor Bryce, op. cit, p 723.

² - Maria Brosius, op. cit, p 9.

³ - János Harmatta, History of Civilizations of Central Asia : The development of sedentary and nomadic civilizations : 700 B.C. to A.D. 250, vol2, UNESCO Publishing, France, 1994, 38.

⁴ - Trevor Bryce, op. cit, p 433.

الصالحة للزراعة والأراضي الغنية بالمعادن الثمينة وأبرزها الذهب، ذكر التاريخ المبكر لليديا باسم مايونيا عند هيرودوت وسترابون على عكس إلباذا هوميروس حوالي 700 ق م والتي لا تذكر شيئاً لا على اسم المنطقة ولا حتى ملوكها، ومما يعطينا لمحة عن تواجد ليديا وأحد ملوكها المرمانيون، هي تلك السجلات الآشورية من عهد آشوربانيبال، وأن بداية تأسيس مملكة ليديا يرجع إلى هرقل، نجد الفترة التي تليه دخلت فيه منطقة غرب الأناضول حالة فوضى، مما صعب علينا إيجاد مخلفات أثرية لهذه الفترة الانتقالية التي يمكن أن تؤكد أو تنفي هذه الظروف¹.

واجه ملوك أسرة مرمناد في الكثير من الأوقات هجومات من طرف السيميريين، الذين غزو الأراضي الليدية، حيث طلب غيغز المساعدة من الملك الآشوري، لكنه فقد هذه المساعدة عندما دعم المتمردين المصريين ضد آشور، وعلى إثرها قتل في أحد الصدامات مع السيميريين، مما أدى إلى تدمير جزء من عاصمة الليديين حوالي 644 ق م، واستمرت المواجهات بين السيميريين والليديين وصولاً لعهد الملك أليانس (حوالي 609 ق م-560 ق م)، الذي طرد الغزاة أخيراً من أرض ليديا، كما كان مخططها التوسعي قد جعلها في صراع مع المدن الأيونية على طول الساحل الغربي للأناضول، انتهى الصراع بضم المدن الأيونية باستثناء ميليتوس، التي اعترفت باستقلالها رسمياً بمعاهدة صاغها الملك الليدي، ومن جهة الشرق كان اليانس بحسب ما جاءت به المصادر الكلاسيكية الإغريقية قد واجه من جهة الغرب مملكة الميديين التي كانت تنفذ برنامجها التوسعي، استمر الصراع الميدي الليدي ما يقارب الخمس سنوات، وتوقفت المعارك بسبب ما يسمى بكسوف الشمس²، ويذكر التاريخ أن اليانس قد زوج ابنته في ميلاس إلى طاغية افسوس كرويسس، والتي كانت أمه زوجة اليانس الكارية، مما كان له نصف أخوة افسوسيين وميديين وأيونيين وحتى أنه كان من نسل غيغز³.

شهدت ليديا أزهى عصورها من خلال سلالة مرناد، وكان كرويسس أشهر ملوكها المحاط بالألغاز، حيث وصلت إلى ذروة ثروتها وقوتها، ازدهرت فيها التجارة والمؤسسة العسكرية، كما توفرت فيها الموارد الزراعية، واشتهرت بالتعدين خاصة المعادن النفيسة الذهب والفضة، ومن الملاحظ في تاريخ ليديا في عهد كرويسس أنها اخترعت النقود المعدنية في القرن السادس قبل الميلاد وهو الاختراع

¹ - Daniel T. Potts, op. cit, pp 898, 899.

² - Trevor Bryce, op. cit, p 433.

³ - Daniel T. Potts, op. cit, p 902.

الذي امتد بسرعة إلى العالم اليوناني، وكانوا يتكلمون اللغة الليدية حيث وجد مثال عنها في أربعة وستين نقشا يعود إلى القرن السادس والقرن الرابع قبل الميلاد ووجدت أغلبها على صخور قبر في ساردس، وهي عبارة عن اللغة الهندو-أوروبية لكنها غير مفهومة بشكل كامل¹.

كان سبب الحرب التي شنها الملك الليدي كرويسس، ما فعله قورش الثاني باستياحس الذي كان صهر الملك الليدي، على الرغم من أنه ربما كان يريد توسيع مملكته شرقا، وربما يريد أن يقوم بضربة استباقية ضد قوة متنامية وغير متوقعة من الجهة الشرقية لمملكته².

كان الملك الليدي الذي احتفل برفاهية مملكته، وبما يجوزه من أراض عبر الشرق الأدنى والإغريق، حيث سيطر على المدن الساحلية الإغريقية، والتي كانت ترسل إليه الجزية بشكل منتظم، كما أحكم قبضته على أناتوليا(الأناضول) إلا لىسيا، قيليقيا وتبال(كابادوكيا)، وقد كانت معاهدة 585 ق م بين المملكة الليدية والميدية، والتي تجعل هاليس الحد الفاصل للتوسعات الليدية هي الشوكة التي بقيت في حلق كرويسس ومنعته من مد نفوذه، فكانت فرصة الهجوم على قورش الثاني ستخلصه من قيود هذه المعاهدة³.

لدينا هيروdot من بين جميع المؤلفين الكلاسيكيين القدامى، الذي تناول الحرب الليدية الفارسية وذكر بالتفصيل حيثيات سقوط المملكة الليدية وكان المبادر فيها كرويسس⁴.

كان الجيش الليدي يتألف أساسا من قوات المشاة المدرعة بما في ذلك الإغريق الأيونيين من ساحل بحر إيجه، وكان الفرسان الدعامة الأساسية للقوات الليدية، التي تتميز فرسانها بإجادة رمي الرماح من على ظهور الخيول، وكان هذا أكبر تهديد لقورش (لقد ذكرنا أن قورش في أول لقاء له مع جده لم يعهد رؤية الحصان، وحتى الفرس لم يكونوا ذوي خبرة في امتطاء الحصان، وهذا راجع للمنطقة التي كانوا يسكنون فيها والتي هي مليئة بالجبال والمنحدرات)⁵ الأمر الذي جعله يستعين

¹ - Trevor Bryce, op. cit, pp 434, 435.

² - Kaveh Farrokh, op. cit, p 41.

³ - Pierr Briant, op. cit, pp 34, 35.

⁴ - Herodotus, B1.75.

⁵ - Kaveh Farrokh, op. cit, p 41.

بالجمال بدل الخيول لمواجهة سلاح الفرسان، تُظهر هذه الحركة ذكاء قورش ذلك أن الأحصنة تنفر من رائحة الجمال¹، كان كرويسس في حدود الخامسة والثلاثين من العمر في سنة 550 ق م، لكن كرويسس لم يحسب حسابا لقوة قورش الثاني وأنه فشل في اتخاذ الإجراء المناسب ضد خصمه، وهو الحاكم الذي حقق في نهاية المطاف هذه المكانة، ستصبح باقي تفاصيل حياته مبهمة ليغلب عليها فيما بعد الطابع الفلكلوري².

مهما يكن ففي حدود 548 ق م، ضاقت أفعال قورش الملك الليدي (ومن المرجح أنها لغرض التوسع)، قبل بدء النزاع أرسل كرويسس لمعبد دلفي يسأل عن ما إذا كان بإمكانه عبور نهر الهاليس لبدء الحرب مع قورش والفرس، وجاء الرد سريعا ضمن جواب كالتالي: إذا عبر قورش نهر هاليس سيدمر إمبراطورية عظيمة، معتقدا أن هذا يعني وبالتأكيد أنه يجب القضاء على قورش وتدمير الفرس، وعلى إثر هذا وضع خططه لصيف عام 547 ق م، ومن الطبيعي أن يكون لقورش جواسيس في ليديا، لأنه ليس الشخص الذي يؤخذ على حين غرة، وفي ربيع عام 547 ق م انتقل إلى الشمال الغربي مما جعله قريبا -ليس بنية مهاجمة- التحصينات البابلية على طول نهر دجلة، ترك هذه المنطقة، وواصل تقدمه نحو شمال غرب البلاد ووصل إلى ما يعرف بالحدود التركية العراقية يقود جيشا كبيرا جدا³، من جهته كرويسس طلب دعم إسبرطة بإرسال رسله محملين بالهدايا، وخص بالذكر اللاكيديمونيون مادحا إياهم، وقد قبلوا حسب هيرودوت لأنه اختارهم فوق كل الإغريقين وسماهم بأصدقائه⁴.

¹ - Herodotus, B1.80.

² - Time-Life Books, Persians : Masters of Empire Lost Civilizations, Time Life Inc, USA, 1995, p 53, 54.

³ - Samuel Willard Crompton, Ancient World Leaders : Cyrus The Great, Chelsea House Publishers, USA, 2008, pp 52-54.

⁴ - Herodotus, 1. 69.

ارتكب كرويسس خطأ عندما اعتقد بنبوءة معبد دلفي، وهي اجتياح كبادوكيا مفكرا أنه سيدمر قورش والفرسيين، وبدأ يحضر في السيرة ضد قورش وبلاد الفرس¹، والآن نودي الكبادوكيون من طرف الإغريق السوريين، وهؤلاء السوريون قبل مجيء الفرس كانت بلادهم من أعمال المملكة الميدية، كان السبب وراء حملة كرويسس على كبادوكيا وهو إضافة إقليم لمجموع المناطق الخاصة به².

انطلق كرويسس مع جيوشه متجها نحو جزء من كبادوكيا في المنطقة المسماة بتيرا* **Ptera** وهي أقوى جزء من هذه البلاد، استولى عليها بالرغم من أن السوريين في تلك المنطقة لم يقاوموا كرويسس، من جهة أخرى حشد قورش الثاني جيشه، وضم كل من كان في طريقه، وذهب للقاء خصمه، ولكن قبل البدء في عملياته، قام بإرسال رسله إلى الأيونيين محاولا جذبهم إلى صفه، غير أنه قوبل بالرفض³.

يبدو أن الصدام الأولي كان غير حاسم، وأرجع كرويسس عدم نجاحه إلى الحجم الكبير لجيوش قورش، وتقهقرت قواته في سارديس، وهي خطوة قام بها كرويسس على أمل أن تصل جيوش خصمه إلى هناك بعد شهر، وإذا تحقق هذا السيناريو، سيكون قادرا على إعادة تشكيل قواته وجلب قوات مساعدة والحصول على دعم من الحلفاء الإسبرطيين، المصريين والبابليين ضد قورش⁴.

من جهة أخرى، كان كرويسس يعرف قورش حق المعرفة ويعرف جراته، وكان هذا الأخير يعلم بما حدث في سارديس من خسارة في قوات كرويسس خاصة في سلاح الفرسان الليديين، هنا اقترح هارباغوس على قورش خطة بارعة، حيث حول قطار الجمال المخصص للإمدادات إلى الاستخدام العسكري ووضعه في المقدمة ورائه فرقة المشاة وخلف هذه الأخيرة فرقة الفرسان، والفكرة

¹ - Herodotus, B 1. 71.

² - Ibid, 72, 73.

* - بتيرا: بوغاز كوي حاليا تدعى بوغاز كال مدينة أثرية تقع في تركيا على مجرى نهر صغير يتدفق نحو سونجورلو ومن هناك إلى

نهر هاليس(قيزيل إرمك النهر الأحمر)، أنظر

G. Perrot and E. Guillaume, Les Monuments De La Ptérie (Boghaz-Keuï, Aladja Et Euiuk), *Revue Archéologique Nouvelle Série*, Vol. 23 1872, p 157.

وأیضا: Trvor Bryce, op. cit, p 281.

³ - Herodotus, B 1. 76.

⁴ - Kaveh Farrokh, op. cit, p 41.

هي أن خيول كرويسس التي هي في المقدمة ستفقد سيطرتها من رائحة الجمال وأصواتها الغريبة على مسامعها، وبالفعل فقد نجح التكتيك فشلت الخيول الليدية في الحفاظ على انضباطها مما أجبر المقاتلين الليديين الذين كانوا على ظهور خيولهم إلى النزول والقتال كفرقة مشاة، وبالتالي تكثيف عمل الرماة بكسر الجدار الأمامي المكون من المشاة الليديين، وهو ما سمح للفرسان الفارسيين بالهجوم والمشاة معاً لإزاحة الخط الأمامي من الجيوش الليدية، على الرغم من كسر الجدار، إلا أنه بقي عدد كافٍ من القوات الليدية في سارديس، والتي تم حصارها من طرف قورش، جعلت من كرويسس يرسل نداء استغاثة إلى الإسبرطيين لكن دون جدوى فقد رفضوا، وسقطت سارديس بعد حصار دام أربعة عشر يوماً، وكتحصيل حاصل تم ضمها للإمبراطورية الفارسية الأخمينية، وكعادة قورش مع خصومه فقد عامل كرويسس بشرف، ومنحه مكانة عالية في بلاطه، كما عاد قورش إلى أكباتانا وكان كرويسس من ضمن حاشيته، عهد إلى الجنرال مازارس غزو وضم الإغريق الأيونيين على ساحل البحر الإيبي وكذا الحال مع الفريجيين والكاريايين واللليسيين، كما أوقفه هارباغوس الذي ساعده، لم يكن لضم ليديا بابا لفتح منطقة غرب أناتوليا فقط، بل منحت قورش الجناح الشمالي للمملكة البابلية التي ستكون أيامها معدودة¹.

الحقيقة أن القوة الفارسية مهما كانت، فهي من أجل الدفاع عن نفسها، الجيش الذي سعى لتحدي الغزو وإيقافه، وهو الأمر الذي أظهره قورش الثاني مع المملكة الليدية، حيث لم يكن يمكن الحقد لليديين، ولم يكرههم عندما شعر أنه يقدم لشعبه خدمة هو ملزم بها كقائد وهي الذود عن وطنه ضد العدوان، ومهما يكن فقد قام على إثر دحره لليديين بتأسيس نظامه الخاص به وبمملكته².

لكل مملكة أو دولة كانت مؤسسة عسكرية كاملة مهمتها الدفاع عن حدودها، ففي العالم القديم كان للجيش أهمية وألوية على رأس باقي أنظمتها، بحيث تُعرف كل مملكة بقوة جيشها وهذا ما اشتهرت به الإمبراطورية الفارسية الأخمينية، فتلك القبائل الرحل ذات الطابع الرعوي والزراعي عرف عنها النزعة الحربية، وقد وصفوا بالمحاربين الأشداء حتى أن أكبر القوى الفاعلة في العالم القديم استعانت بهم في حروبها ووصل بها الأمر بأن تتحالف معها، ومن بين هذه القبائل الفرس كما هو

¹ - Kaveh Farrokh, op. cit, p 41.

² - Tom Holland, op. cit, p 19.

الحال بالنسبة للشعوب الهندو أوروبية، حيث أن الشواهد الآثرية تعطينا صورة كاملة عن طبيعة هذه الأمم التي تنزع للحرب إثباتا لوجودها سياسيا وعسكريا، وبدون جيش تبقى عرضة للهجوم آيلة للزوال.

1-2-4 غزو قورش لبابل:

أثناء حربه مع كرويسس، كانت هناك معاهدات بين مملكة بابل الجديدة والفرعون المصري أماسيس، ويبدو أن هذا الأخير قد أرسل جنوده والذين لعبوا دورا كبيرا في الهجمات ضد الفرس، أما بابل لم تتدخل، من جهة أخرى فلنتصور أن نبونائيد لا يزال في الجزيرة العربية وبلشازار ابنه وحاكم بابل، لم يكونا سعيدين بالصراع القائم بين كرويسس وقورش الثاني¹.

الآن المملكة البابلية الجديدة، تمثل الخصم والمنافس الأكثر أهمية وصعوبة بالنسبة لقورش، ومن حسن الحظ أنه لا يوجد نقص في المعلومات حول الصراع الفارسي البابلي، غير أن المصادر تأتي من طرف واحد، السجلات الخاصة بالملك البابلي نبونائيد واسطوانة قورش المشهورة، والنبوءات من الأسرة الهلينيستية التي تذكر نصر قورش على بابل، وتطلق عليه ملك عيلام، والذي يأخذ عرش نبونائيد الذي دام سبعة عشر عاما، كل من هذه المصادر، في السجلات البابلية الثلاثة الأولى التي تذكر صورة المحتل، هنا يجب أن يكون التفسير التقليدي يتناقض بشكل منهجي مع سلوك قورش ونبونائيد، على عكس وجهة نظر النبوءة الهلينيستية التي تصف غزو قورش بالوحشي، وليست هي نبوءة الأسر الحاكمة التي تصف سياسة قورش بالوحشية، حيث تذكر السجلات أن حقيقة غياب نبونائيد (ثم وجوده في واحة تيماء في الجزيرة في بلاد العرب حتى السنة السابعة عشر من حكمه)، لم يحتفل في هذه السنة بعيد الأكيتو (مهرجان العام البابلي الجديد)، بكامل طقوسه، تقدم الأسطوانة على أن نبونائيد لم يكن متدينا بل كان ملحدا، حيث قام بترحيل التماثيل الإلهية وخاصة عبادة الإله مردوخ سيد الآلهة وجعله طي النسيان، وفرض عبادة لم تكن مناسبة لشعبه وكان ملكا ظالما في معاملة رعاياه، وتم العثور على نقيشة تصور كل الشرور من الملك لا سيما في مقاطعة بابل الجديدة،

¹ - Pierre Briant, op. cit, p 35.

ونجد تصرفاته السيئة بالمثل في النبوءة، حيث تذكر أنه من أرسى الأسرة في حران، وهو الذي قمع طقوس السنة الجديدة وهو الذي اضطهد أكاد¹.

لقد كان طمس الملك البابلي للمعبودات والإساءة للآلهة، حيث كان سلوك نبونائيد في أعين البابليين فظيماً، خاصة بعد أن أرغمهم لعبادة الإله القمر سين مكان مردوخ وهو الملك الذي امتدح آشور، ولم يكن راضي عن عبادة سرجون لمردوخ، وهو بهذا التصرف قد أهان كرامة الشعب البابلي، وكما نعلم باهتمامات نبونائيد الأثرية، فقد علم أن عبادة الإله القمر الموقر سين أقدم من عبادة سيد الآلهة مردوخ، وعليه فضل تقديمه فوق المعبود البابلي ويقضي على استبداديته، مما جعل نبونائيد نفسه مدعاة لما جاء به قورش في اسطوانته من أن سيد الآلهة قد ماداه ليخلص البابليين ويكون هو حاكم العالم الصالح².

إذن، توجه قورش بعد الإطاحة بالمملكة الليدية إلى التحضير إلى غزو كل من بابل والباكتريون، والسقا(السكيثيون) ومصر، حيث يشير هيروdot إلى أن قورش وجه أعينه نحو آشور ويقصد بذلك البابليون، فاحتلال بابل أخذ مكانه في سنة 539 ق م وبالنظر لتاريخ سقوط المملكة الليدية سنة 547 ق م، من الصعب تصديق أن قورش لم يقيم بأي محاولة لتوسيع مملكته وضم العديد من الأقاليم، وهو ما يطرح السؤال حول عدد الأقاليم التي غزاها وهو الأمر الذي بقي مبهما لاختلاف الروايات³.

يشهد التاريخ لدبلوماسية قورش، حيث وجد العديد من المناطق التابعة للمملكة البابلية الجديدة غير راضية عن حكم الملك وساخطة على أفعاله أكثر من الإخمينيين، خاصة من جهة غوبار(اوغبارو) حاكم الغوتيين، كان الجنرال الذي خدم الملك البابلي الراحل نبوخذنصر وكان قد وفر له الدعم العسكري الحاسم في إسقاط مملكة بابل، ففي الواقع لم يكن سور بابل في الحقيقة سورا بمعنى الكلمة أي لم يحط بمدينة بابل من كل الجهات بل كان عبارة عن

¹ - Pierre Briant, op. cit, p 40.

² - Tom Holland, op. cit, pp 44, 45.

³ - Richard Nelson Frye, op. cit, p 39.

"الجدار الميدي" الذي بناه نبوخذ نصر بين نهري دجلة والفرات لمنع أي هجوم ميدي من شمال غرب بابل¹.

كان الطرف الأيمن من الجدار عند نهر دجلة مدعوماً بحصن من مدينة أوبيس، وكان الطرف الأيسر من الجدار محروساً من سيار، وعليه نهر دجلة كان يحرس الجزء الشرقي من الطرق التي تقود إليه، مما جعل مدينة بابل حاجزاً طبيعياً صعباً ضد أي جيش غاز من الشرق، غير أنه لم تكن لقورش نية في الهجوم عبر السهول الأكادية وإهدار وقته في محاولة دك الجدار الميدي، وكانت خطته في تجاوزه عن طريق الجهة الشمالية، وبفضل حنكة قورش بإقناع غوبارو بجمع قواته مع قوات الجنرال في محاولة لضرب أوبيس وعبور نهر دجلة، وبالتالي يحاصر الجدار الميدي إلى طول الجنوب الغربي، وقبل ضرب أوبيس كان على قورش حل مشكلة عبور نهر دجلة من الجزء الخلفي حصن المدينة، حيث يصف هيروودوت مهندسي قورش وعملهم لعدة أشهر بقيامهم بتحويل الماء عند روافد غناديس في نهر دجلة إلى قنوات منفصلة، سمحت لهم بتجفيف نهر دجلة، مما جعل قورش يقتحم أوبيس في أكتوبر، هناك القليل من المعلومات التي تتوفر لدينا فيما يتعلق بمجريات القتال².

كانت أوبيس في هذه الأثناء تحتفل بعيد ضخم ولم يتفطنوا لمجيء قورش مما جعله يتحكم في نقاط القوة³، ويبدو أن القوات التي دحرها قورش الثاني في أوبيس كانت مزيجاً من الجيش النظامي لبونائيد ووحدات أكادية، عبر بعده قورش الثاني نهر دجلة واخترقوا فعليا الجدار الميدي، ارتأى قورش إلى تقسيم قواته إلى قسمين، حيث أرسل قوات بقيادة غوبارو إلى جانب وحدات من القوات الفارسية جنوباً نحو مدينة بابل، وتوجه قورش بنفسه نحو الجنوب الغربي لسيار وتم الاستيلاء عليها، ليتمكن من إزاحة الجيوش البابلية، جوبه قورش بمقاومة شعبية ضعيفة وهو ما سمح له بالتقدم السريع والتغلغل في مدينة بابل، أجبر هذا الهجوم لبونائيد للفرار نحو عاصمته، تم على إثرها إلقاء القبض عليه، على النحو الذي عهده قورش، تم تسجيل سقوط بابل على نحو سلمي ومنظم ولم ترق فيه الدماء، باعتبار أن قورش رحب به كمحرر للعاصمة وهذا ما أكدته سجلات الملك البابلي

¹ - Kaveh Farrokh, op. cit, pp 42, 43.

² - Ibid, p 43.

³ - Pierre Briant, op. cit, p 42.

نبونائيد¹، بحيث قضى على سلطة المعبد التي عادت لتشكل جزءاً من النظام في أواخر العهد البابلي، هذه السلطة التي تتيح للكهنة التحكم في الأجهزة الإدارية والإقتصادية باسم سلطة الآلهة والكهان، بحيث استطاع المعبد استقطاب موظفي الشؤون الاقتصادية وكذا التحكم في الأعمال المصرفية، إلا أن قورش الثاني جاء ليقضي على هذه المظاهر، ويجعل السلطة في يد الملك ومعاونه².

5-2-1 قورش واليهود:

إبتداء من منتصف شهر أكتوبر من عام 539 ق م، سجلت السجلات البابلية أول سنة لحكم لقورش الثاني لبابل³، وبمجرد الاستيلاء عليها أصبح سيدها، كان بإمكان قورش من حيث المبدأ أن يطالب بالميراث البابلي الكلداني في الأراضي السورية الفلسطينية، والتي كانت موضع نزاع من أزمنة قديمة بين أسياذ بابل ومصر، حيث كان التنوع العرقي الإثني والثقافي العظيم للسكان الذين يعيشون جنبا إلى جنب مع كل اختلافاتهم: فالفينيقيون الذين يتواجدون في مراكز الموانئ العظيمة صور وصيدا، الآراميون، العبرانيون، الفلسطينيون، العرب وحتى الإغريق الذين استقروا في العديد من الجيوب الساحلية، كان الحكام البابليون يتبعون أسلوباً ثابتاً وسياسة طموحة تجاه هذه المناطق، مع نية واضحة لفتح منفذ على البحر الأبيض المتوسط والريح من التجارة المتوسطية والعربية، هكذا كانت ترغب بابل في السيطرة على المدن الفينيقية والفلسطينية، ولا سيما غزة، والتي تم تعريبها إن صح التعبير إلى حد كبير، حيث كانت المنفذ الرئيسي لتجارة العطور من جنوب الجزيرة العربية والتي تهيمن عليها مملكة سبأ، علاوة على ذلك وجد حكام بلاد ما بين النهرين في هذه المناطق المواد الخام التي يفتقرون إليها، مثل الخشب من لبنان والحديد من قيليقيا وسوريا وشرق الأردن والجزيرة العربية، وهذا ما يفسر الإقامة المطولة للملك البابلي المهزوم نبونائيد، الذي كان يريد إحكام قبضته على تلك المناطق⁴.

¹ - Kaveh Farrokh, op. cit, p 43.

² - طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1، دار والوراق، 2009، لبنان، ص ص 612-615.

³ - Pierre, Briant, op. cit, p 42.

⁴ - Pierre, Briant, op. cit, pp 44, 45.

كانت يهوذا من بين هذه المناطق والتي كانت علاقتها بحكام بابل متوترة منذ أن ثارت على المملكة البابلية سنة 597 ق م في عهد الملك نبوخذ نصر، الذي سحق التمرد اليهودي عن طريق عزل القدس وتدمير معبد الرب، وعليه تم ترحيل عدد كبير من اليهود وقيادتهم أفواجا لبابل، مشابهة لعمليات الترحيل التي قام بها الآشوريون إلى إيران في أوائل 700 سنة قبل الميلاد، مما يعني أن اليهود في إيران، كان المستوطنين العبريين الأوائل خارج يهوذا لا سيما في أكباتانا وميديا وسوزا¹.

يصور اليهود قورش على أنه بطل حتى أنه أله²، ومهما يكن فقد تنبأت الكتابات الدينية اليهودية بتدمير بابل عندما هزم قورش نابونائيد أعلن رسميا عن حرية اليهود من أسرهم البابلي، كانت هذه هي المرة الأولى في التاريخ أن قوة عالمية إن صح التعبير تبقي على الدين اليهودي، العادات، التقاليد والثقافة اليهودية، حيث لعب فيما بعد اليهود دورا حيويا في التجارة والأعمال في إيران القديمة، وتمتعوا بكامل الحرية الثقافية ويعتقد أن ما يصل إلى أربعين ألف من اليهود في بلاد ما بين النهرين، عادوا إلى إسرائيل، وسمح لهم قورش أيضا بإعادة بناء معبدهم ودعم إعادة الإعمار من خزينة الإمبراطورية، وهو ما وضحه مرسوم جاء في نقش داريوس الأول، كما أمر بإعادة القطع الأثرية العبرية المقدسة، التي صودرت في عهد نبوخذ نصر إلى ملكية اليهود، ينعكس كرم قورش في كتاب اشعيا حيث يذكر أنه رحب بكوريش وهو الاسم العبري لقورش كمسيح من قبل اليهود، غير اليهود ليسوا كلهم اختاروا العودة إلى القدس، فمنهم من بقي في بلاد ما بين النهرين، وما وصل مع قورش فهو حرية العبادة، فأحفاد العديد من هؤلاء اليهود بقوا في بلاد ما بين النهرين لأكثر من ألفين سنة، والقليل من يدرك ذلك، وبقي اليهود موالين للإمبراطورية الفارسية الأخمينية حتى خلال تلك الأوقات التي اندلعت فيها التمردات في مصر وسوريا³.

العديد من الباحثين أسهبوا في الحديث عن ما قام به قورش الثاني تجاه اليهود، ونظرا لهيرودوت ومدحه لقورش، ووصف أكسينوفون له بالموهوب، وما جاء به العهد القديم، وما كتب على

¹ Kaveh Farrokh, op. cit, p 45.

² John Curtis and John Simpson, op. cit, p 66.

³ Kaveh Farrokh, op. cit, p 45.

نقش داريوس في بيهستون، يتيح للعديد من العلماء بدراسة الشخصية المتجانسة لأول ملك فارسي¹.

كانت ولايات مدينة بابل وبقية أول مدينة تاريخية متعددة الثقافات، التي ضمت اليهود ومختلف الإثنيات، وضمت التجار، مهاجرين، عبيد، مرتزقة وحتى منفيين، هي مدينة الشرق الأدنى².

من أجل فهم تصرف قورش نحو اليهود، لنسترجع النكسات التي شهدتها اليهود في العالم القديم حتى تحررهم على يد الملك الفارسي، إذن لقد ربطت علاقات عدائية بين الملوك الآشوريين والبابليين ومملكة يهوذا، وفي كثير من الأحيان محاولة الحفاظ على سياسة خطيرة وهي التآرجح في الولاء بين بابل ومصر، فبعد فوز الفرعون المصر نيخاو في ميغدو عام 609 ق م، تم دمج يهوذا في مجال النفوذ المصري، وفي الوقت نفسه صعود المملكة البابلية الجديدة على أنقاض المملكة الآشورية المدمرة³، التي كانت قد هاجمها يهوذا لأول مرة عام 701 ق م أثناء حملة سنحريب على فلسطين، لتكون أول أسرة تهاجم يهوذا، وقد هاجم الملك حزقيا ولم يستطع إخضاعه، لتكون يهوذا الوحيدة التي تمتعت باستقلالها خلال العهد الآشوري، وفي العهد البابلي حاول نبوخذ نصر أن يكمل ما فشل فيه سنحريب⁴، حيث وأمام بروز المملكة البابلية الجديدة، وجد قادتها أنفسهم في وضع غير مريح، وعليه كان عليهم الاختيار بين الولاء لبابل أو مصر دون أن يكونوا الوسيلة لممارسة أي تأثير بين القوتين، هذا وقد دخلت مصر وبابل في صراع أدى بالفرعون المصري نيخاو إلى هزم الملك البابلي نبوخذ نصر في مدينة كركميش سنة 905 ق م، إذ نصب على إثرها نيخاو يهوآكيم محل ملك يهوذا يهوآحاز، رأى الملك الجديد فرصة للاستفادة من النكسة البابلية وذلك عن طريق التمرد حوالي 600 ق م⁵.

¹ Josef Weishever, Ancient Persia from 550 BC to 650 AD, translated by Azizeh Azodi, I. B. Tauris, UK, 2001, p 45.

² Tom Holland, op. cit, p 40.

³ Pierre Briant, op. cit, p 45.

⁴ Marsha E. Ackermann, op. cit, pp 35, 216.

⁵ Pierre Briant, op. cit, p 45.

في سنة 597 ق م، سار نبوخذ نصر إلى القدس، وقام بأكبر عملية ترحيل لليهود، ثم في عام 587 ق م، أنهى مملكة يهوذا، حيث بقي اليهود في مدينة بابل لعدة أجيال¹، حيث كانت النخبة هي التي رحلت (الأسرة الملكية، رؤساء الجيش، النبلاء، ملاك الأراضي والكهنة)، وتم تثبيت ملك جديد واسمه صدقيا².

حاول الملك الفرعوني نحاو إغراء صدقيا* بالوعود، جعل هذا الأخير يحاول تشكيل ائتلاف مناهض للبابليين حول يهوذا، لكن الظروف بالكاد كانت مواتية، إذ أن حالته لا تسمح له، حيث كان فقيرا وضعيفا بعد الكارثة التي حلت به سنة 597 ق م هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن مملكة يهوذا قد مزقتها الصراعات الداخلية، فصيل يفضل التمرد، عارضه بشدة دعاة الخضوع الذي كان إرميا من أشهرهم، الذي صور النصر البابلي كعقوبة أرسلها الرب ضد شعبه غير المخلص، وتجدر الإشارة إلى أن الفرعون لم يعمل إلى دعم صدقيا دون قيد أو شرط مما عجل بالقتال واخترقت الجيوش البابلية الدفاعات اليهودية وسقطت القدس سنة 587 ق م، وتم سجن صدقيا وذبح أبنائه أمام عينيه، وتم كما نعلم تدمير الهيكل والمراكز الحضارية الأخرى وتبع ذلك ترحيل آخر، ونصب حاكم يهودي آخر من قبل البابليين، غير أن هذا الحاكم كان يأخذ أوامره من بابل، وانخفض في عهده سكان المملكة وزاد فقرهم، ولم تعد مملكة يهوذا موجودة، ولقد أصبحت جزءا لا يتجزأ من المملكة البابلية الجديدة³.

بفضل قورش الثاني، الذي قدم صورة في الكتابة اليهودية كتقرير للأقلية حول معنى أن يكون ملكا لإسرائيل، حيث أثرى الذاكرة الجماعية لليهود فهو يعتبر كقالب ينظم ويحفز

¹ - Marsha E. Ackermann, op. cit, p 216.

² - Pierre Briant, op. cit, p 45.

* - صدقيا: مدة حكمه (597-587 ق م) هو متانيا عم ياهوياكين ملك يهوذا، نصبه الملك البابلي نبوخذ نصر على عرش مملكة يهوذا مزحجا بذلك ياهوياكين، متانيا الذي غير اسمه إلى صدقيا استمر خاضعا لملك بابل، غير أنه تمرد عليه سنة 594 ق م لكنه فشل وحوصرت أورشليم بعد ذلك تسعة عشر شهرا (من جانفي 588 إلى جويلية 587 ق م)، وقبض عليه هو وأبنائه، قام الملك البابلي بدبجهم أمام عينيه، أما هو فقد فقئت عيناه وبذلك انتهى حكم ملك يهوذا متانيا أو صدقيا سنة، أنظر:

مصطفى كمال عبد العليم؛ سيد فرج راشد، اليهود في العالم القديم، دار القلم، سوريا، 1995، ص 165.

³ - Pierre Briant, op. cit, p 45.

السلوك والإطار الذي يحدد من خلاله إيجاد معنى لتجربتهم، حيث اعتبروه كقدوة في تحديد مصيرهم¹.

أشيد بشخصية قورش في المصادر اليهودية، وربما كان ذلك في وقت مبكر من وصوله لبابل، إذ عزز قورش العلاقات مع قادة الجالية اليهودية في المنفى، والتي كان في يدها ميراث البلد الأم باعتقادهم، بحيث جاهدوا في الحفاظ عليها، بالرغم من الاندماج الكبير في المجتمع البابلي، حيث بدأ حزقيال في الوعظ عام 593 ق م، حيث قاد مستمعيه إلى أمل العودة إلى القدس وإعادة بناء الهيكل وبعث ممارسة العبادة².

وبعد تحرير اليهود بدأت أفواج اليهوديين بالعودة، حيث غادرت الفرقة الأولى تحت القيادة المشتركة بين شخصين رفيعي الدرجة وهما شيشبازار و زيروبايل، لم يعرف لحد الآن درجتهم في السلم الاجتماعي وحتى وظيفتهما، ربما كان شيشبازار يحمل لقب "الأمير" وهو الأمر غير المفهوم من سلالة داوود أي دافيد في المراجع الأجنبية، أما بالنسبة لزيروبايل ليس حتى مؤكد أنه كان في قافلة العودة عند وصولهم إلى القدس، ومهما يكن فعند عودة اليهود باشروا باستعادة العبادة ورفعوا مذبحاً على الأساسات القديمة بغية تقديم الأضاحي، وأقاموا الأعياد التقليدية مرة أخرى، ومع ذلك ظلت هذه الممارسات هشة، إذ كان عدد اليهود الذين سلكوا طريق العودة إلى يهوذا ليس بكبير، في حين أن البلاد كانت فقيرة إلى حد كبير منذ الهزائم البابلية، وليس هناك ما يؤكد أن الهياكل والمؤسسات الدينية قد أعيد بناؤها في عهد قورش الثاني³.

ربما يرجع التذبذب في استعادة ميراث اليهود في القدس، من مؤسسات وهياكل دينية وممارسات دينية واجتماعية واقتصادية، إلى الاندماج الكبير لليهود في مجتمعات بلاد ما بين النهرين

¹ - Jason M. Siverman and Caroline Waerzeggers, Political memory in and after the Persian Empire, SBL Press, USA, 2015, p 329.

² - Pierre Briant, op. cit, p 46.

³ - Ibid, p 47.

وخاصة فترة السبي البابلي، حيث تشير الأدلة مباشرة إلى مجتمع يهودي كامل يعيش ويتداول مع غيره، وذلك باستخدام الإجراءات القانونية البابلية¹.

أدى تحرير اليهود لمنح ملوكها امتيازات استثنائية محررهم، مقارنة بتقاليد الحكم ذات السيادة والمجتمع العرقي، حيث أصبحت مملكة يهوذا مقاطعة تابعة للمملكة الفارسية الأخمينية، ورغم التبعية إلا أنها استراحة نهائية من الممارسات الوحشية والقاسية آشورو-بابلية، وحتى يومنا هذا فيتم تقديم صورة قورش من طرف أتباعه بأنه ملك مسالم ومسامح، وكأنه هو الذي أوجد بما يسمى "حقوق الإنسان"، تلك الأحداث التي سجلت على اسطوانة قورش الشهيرة².

1-2-6 مخطط قورش لغزو مصر:

بعد سقوط بابل وتحرير اليهود استكمل قورش توسعته ومد نفوذه، حيث ما بين 538 و530 ق م أخذته طموحاته إلى حدود العالم المعروف إلى الشمال والمناطق الحدودية الشمالية الشرقية لبلاد فارس والشعوب المسماة بـ "شعوب السهوب" حيث سيطر على كل من بارثيا آريا ومارغيانا، وكذلك باكتريا، سوغديانا وفرغانة في الشمال الشرقي³.

ومهما يكن، بشأن مصر، نحن لا نعلم إذا تواصل قورش الثاني مع أي من الملوك المصريين بعد سقوط بابل، باستثناء المعلومات المتناقضة التي تناوها هيروdot، وهي المعلومات التي يكرها الباحثون في جعلها أسبابا لغزو قمبيز الثاني ابن قورش لمصر، وهي أن خلافا حصل بين البلاط الملكي الفارسي وملك مصر أماسيس، وهو يؤكد النسخة الفارسية ونسخة المصرية(التي يشكك في صحتها)، حيث يسلط الضوء على خلاف، فمن المفترض أن قورش أرسل إلى أماسيس أن يبعث له بأحسن طبيب عيون مصري، بناء على طلب من قمبيز في الرواية الفارسية، وقورش في النسخة المصرية، ففي النسخة الفارسية، يرسل أماسيس إحدى بناته للبلاط الفارسي كزوجة لقمبيز، في حين تذكر النسخة المصرية أنها أرسلت لقورش، وأن قمبيز كان نتاج هذا الزواج، في نسخة أخرى تظهر

¹ Oded Lipschits, Gary N. Knoppers and Manfred Oeming, Judah and the Judeans in the Achaemenid Period Negotiating Identity in an International Context, Eisenbrauns, USA, 2011, p 274.

² Pierre Briant, op. cit, p 47.

³ Maria Brosius, op. cit, p 12.

انتقام قمبيز من والده الذي اتخذ هذه الفتاة المصرية مكان أمه كاساندان، على أنها تعرضت للإهانة من خلال هذا الزواج، والنقطة المشتركة بين هذه الروايات، هي أن الملك الفارسي قد خدع عمدا فبدلا من ابنته من صلبه، أرسل ابنة الفرعون السابق أبرياس والمدعوة نيتيتيس، ومما أغضب قمبيز، ويبدو أن الفلكلور يعكس الدعاية الفارسية، وليس من المستحسن أن يأخذها الباحث بعين الاعتبار¹، من المرجح أن قورش قد عزم على اجتياح مصر، إلا أنه لم يكن حاضرا ولم يقد الحملة، إذ كان في حصار في منطقة حول نهر أوكسوس حفاظا على الحدود الشرقية، وكان قمبيز قائد الحملة².

7-2-1 حماية الحدود الشرقية لمملكة قورش:

خلال غزواته المبكرة، لم تمتد توسعته للمناطق التي كانت تابعة للمملكة الميدية الواقعة شرق وشمال شرق إيران، وبعد حملات قورش في ليديا وبابل في الغرب، كان عازما على خوض مواجهة كبيرة المنطقة، خاصة ضد السقا(السكيثيين) والباكتيريين(الباختاريين)، أما في الجنوب الشرقي، ظلت بامير وهندوكوش خارج غزوات قورش، ولكن الخطط المحتملة لغزو هذه المناطق لا يمكن استبعادها، في هذه الأثناء وتحضيرا للحملة قام بإنشاء قاعدة اسمها كورتاخ(سيروبوليس Cyropolis) على نهر جاكسارتس، والتي صمدت حتى الفتوحات الإسلامية³.

كان لقورش الثاني ولدان، قمبيز وسمرديس، من جهة أخرى كان هناك ملكة على رأس السكيثيين من قبيلة الماساغيت، والتي شكلت مملكة قوية جدا، هذه الملكة تدعى توميريس، وهي أرملة، كان نجلها مثل قمبيز قائد جيوشها ووريث عرشها يدعى سبارغابيزس، وكانت خطة قورش هي إلحاق الماساغيت عن طريق التحالف للزواج، جهز جيشه للتقدم نحو الشمال، وفي نفس الوقت أرسل رسله إلى هذه القبيلة مع عرض بالزواج من هذه الملكة، إذ أيقنت تلك الملكة أن ممتلكاتها هي المقصودة وليست هي ذاتها، ذلك أن قورش لم يكن في العمر الذي يغريها بالزواج منه(كان كبيرا بالنسبة لها)، رفضت على إثرها العرض، وأعدت رسله بجواب قاطع وهي تحريم أي علاقة به، ومهما يكن فقد واصل قورش تقدمه برفقة جيوشهم نحو تواجد أملاك هذه الملكة على نهر أراكسس وهو

¹ - Pierre Briant, op. cit, p 49.

² - Stephen Ruzicka, Trouble in the West : Egypt and the Persian Empire 525--332 BCE, Oxford University Press, USA, 2012, p 13.

³ - Kaveh Farrokh, op. cit, p 48.

نهر يتدفق من الغرب إلى الشرق عبر الأجزاء الوسطى لآسيا نحو بحر قزوين، وعند تقدمه وجد هذه المملكة تنمو بقوة وعدوانية وفي عزلة، حيث كانت مأهولة بقبائل وصفت بالوحشية¹، وتأتي **توميريس* Tomyris** بأنها ملكة على مملكة غيتاي (ربما الاسم الآخر لمملكة الماساغيت)، والتي عبرت الجزء المسمى مويسيا moesia والذي يسمى الآن سكيثيا الصغرى، حيث أنشأت هناك مملكتها².

لم يكن هناك دليل واضح على أسباب ومراحل العمليات العسكرية ضد هذه المملكة، فهذا الصراع بين الغازي الشهم والملكة توميريس بقي عالقا في خيال الناس، هذه الحملة الجديدة في آسيا الوسطى تشهد على الأقل الصعوبات التي تواجهها القوة الفارسية في الحفاظ على هيمنتها هناك، وقبل مغادرة تلك المناطق، اتخذ قورش خطوة لضمان الخلافة حيث أوعز لابنه قمبيز بخلافة مكانه على فارس³.

كانت نهاية قورش الثاني في هذه الحملة سنة 530 ق م، وهذا ما ذكره هيرودوت في مؤلفه، حيث مات ميتة عسكرية أي في ساحة المعركة⁴، حيث تجاهل قورش الثاني تحذيرات توميريس له، إذ قالت له إن واصلت عدوانه المتعطش للدم عليها فسوف تريه "الكثير من الدم أكثر مما يمكنك أن تشربه بنهم"، غير أنه لم يتراجع وبدأت المعركة مع تبادل مطول برمي السهام⁵.

¹ - Jacob Abbot, History of Cyrus The Great : Makers of History, Cosimo Inc, USA, 2009, pp 272, 373.

* - توميريس: زعيمة قبيلة الماساغيتاي، وهي قبيلة من قبائل الإسكيث، لا يعرف عن فترة حكمها شيئا سوى أنها أرملة زعيم قبيلة الماساغيتاي، من المحاربين الأشداء على غرار جميع أفراد هذه القبيلة، قادت جيشها ضد قورش الثاني للدفاع عن حدود ملكها، نجحت في التغلب على الملك الفارسي الإخميني وقتلته، للمزيد أنظر: Herodotus, B1. 205-214.

² - Jens Nieling and Ellen Rehm, Achaemenid Impact in the Black Sea : communication of the powers, Aarhus University Press, Denmark, 2010, p 288.

³ - Pierre Briant, op. cit, p 49.

⁴ - Marc Van De Mieroop, A History of the Ancient Near East, ca. 3000-323 BC, 2^{ed}, Blackwell Publishing, USA, 2004, p 287.

كذلك أنظر: Herodotus, B 1.214.

⁵ - Phillip Sidnell, Warhorse Cavalry in ancient warfare, Hambledon Hontinum - UK, 2006, p 19.

بعدها، انتقل القتال من التراشق بالسهام إلى قتال متلاحم بالرمح والخنجر، وجها لوجه متلاحمين دون أن يتنازل أحد الخصمين، إلى أن أنهك الجيش الفارسي، حيث قتلت جيوش الملكة عددا كبيرا من الجنود الفارسيين، وهلك الجزء الأكبر من أجنحة الجيش، وهنا سقط قورش في ساحة المعركة بعد حكم دام ثلاثين سنة، قتل على إثرها قورش على يد ملكة الماساغيتيين، ولتسفي غليلها من قورش، اخترقت الجيوش لتصل إلى جثة قورش الثاني، وأجثت رأسه من على جسده ووضعت في جلد مليء بالدماء، إنتقاما منه على قتل ابنها أثناء المعركة، وقالت: «عندما هددت فعلت»، وعند وفاة قورش، تولى ابنه قمبيز الثاني، ابنه من زوجته كاسندان ابنة فارناسيس مقاليد الحكم¹، وحسب كتسياس ونظرا لكبر سن قورش مات بعد ثلاثة أيام بعد إصابته بجرح غائر².

حسب اكسينوفون يستذكر وفاة قورش في حضرة ولديه قمبيز في فارس، وكانت الكلمات الأخيرة التي خرجت من فمه لإبنيه البكر قمبيز، والأصغر تناوكسارس، وعند كتسياس تانيوكساريس وهو نفس الشخص الذي يحمل اسم برديا في نقوش بيهستون وما حوته العديد من الوثائق البابلية، ويسميه هيروودوت سمرديس، ومن المعروف حصول النجل على العرش في حالة الوفاة، من جهة لم يجرم ابنه برديا من أملاكه، حيث أعطاه منطقة واسعة في وسط آسيا ليحكمها، والتي فرضت عليها الجزية³.

2- المؤسسة العسكرية الفارسية الإخمينية:

منذ القرن الثامن قبل الميلاد، كما سبق وذكرنا، كانت السجلات الآشورية قد سلمت بوجود أسماء لقبائل إيرانية ميدية وفارسية استقرت في المناطق الحدودية لمملكتهم⁴.

كانت البيئة التي تمتعت بها هذه القبائل، والأراضي التي اختارتها كمستقر لها تعكس طبيعتها الإنعزالية، التي دامت مدة طويلة من الزمن جعلتها تتفوق، وحصرتها في بوتقة التأخر العسكري والحضاري، مما أدى إلى بقاءها محافظة على مظاهر العصر الحجري وتقاليده، وكانت غزواتها فقط

¹ - Herodotus, 1. 214, 2.1.

² - Amélie Kuhrt, op. cit, pp 102 ; 101.

³ - Pierre Briant, op. cit, p 50.

⁴ - Josef Wieschöfer, op. cit, p1.

لغرض الإستمرارية في توفير سبل العيش والبقاء، ولم يكن خروجها لساحة صراع القوى السياسي والعسكري إلا من باب الإمبراطورية الفارسية الأخمينية¹.

يبرز التاريخ العسكري للقبائل الميديّة والفارسية بشكل واضح في المخلفات الأثرية لحفريات لوريستان **Luristan** التي تعود للعصر البرونزي، والتي عثر عليها من قبل الفلاحين في منطقة كِرمَنشاه **Kermanshah** بالتحديد في هذه المناطق: هَرَسِين **Harsin**، أَلِشْتَر **Ali(e)shtar**، حُرْمَ أباذ **Khorrabad** الواقعة شمال لوريستان، حيث أثرت هذه الحفريات المتاحف في أوروبا وأمريكا بآلاف القطع الأثرية البرونزية والحديدية التي استخرجت من قبور ذات طابع فريد من نوعه في تلك المنطقة (عبارة عن حفر مرصوفة بالحجارة مغلقة بإحكام وضعت فوقها حجارة مسطحة أو ألواح حجرية مسطحة، تميزت ببروزها عن مستوى الأرض بسبب شكل الحفرة الدائري)، اعتبرت المخلفات دليلاً على وجود حضارة لأناس صنعوا برونز لوريستان وانفردوا بفرن جديد نادراً ما نراه في منطقة أخرى، واعتبرت من أهم المخلفات التي حوت على مجموعة غنية من القطع البرونزية ورموز تصويرية متنوعة، نستنتج من خلالها أن أصحابها قد انتموا لعشيرة النخبة من الفرسان والمحاربين وسائقي العربات².



صورة (2) شكيمة حصان من معدن البرونز حفريات لوريستان (القرن 7-10 ق م)
(المتحف البريطاني)³.

¹ - محمود أمهز، المرجع السابق، ص 296.

² - R. Ghirshman, op. cit, p 99.

³ - Kaveh Farrokh, op. cit, 15.

المهجرات التي قامت بها الشعوب الهندو أوروبية مثلت بانوراما بشرية لإثنيات، لثقافة لحضارة فريدة من نوعها، جعلت المنطقة في ديناميكية دائمة، كما غيرت موازين القوى في العالم القديم¹، بالرغم من عيشهم في خيام متنقلة، قد تم العثور على مستوطناتهم².

1-2 التجنيد:

بالحديث عن الجيش الفارسي الأخميني في التاريخ، نجد أن القيادة كانت تمنح للنبلاء وأقرباء الملك، وبذلك تكونت لدى الفرس الأخمينيين الطبقة وعقلية إقطاعية، حيث يتكون المجتمع الفارسي من طبقة النبلاء والمسماة أزاتا **azata** والرجال التابعين للملك هم أيضا من النبلاء سموا ب **bandaka** وفي الأخير تأتي طبقة العبيد يطلق عليها اسم مارياكا **mariaka** وجميعهم يأترون بأمر من الملك، فكانت خدمة الملك أمرا واجبا وبالتالي التجنيد كان إجباريا في عهد الإمبراطورية الفارسية الأخمينية ولا يقتصر التجنيد على الطبقة المتوسطة بل حتى النبلاء شملتهم³.

فترة تعليم الفرد عسكريا تبدأ من سن الخامسة إلى العشرين من عمره، يتم تدريبهم على رمي الرمح وكيفية التحكم بالقوس وتثبيته، وركوب الخيل كما يخضع الفتى لدروس في حلقات من كبار القوم كما وصفهم سترابون، ويعتبر هؤلاء الرجال الحكماء ممن يحفظون تاريخ القبيلة وينسجون المآثر الأسطورية والروحانية، عن طريق أغاني وقصائد لأعمال الآلهة وخيرة الرجال تحمل عبرة في نهايتها، وهم معلمي المعرفة ومهمتهم تعليم الفتیان قول الحقيقة⁴.

اعتبر تقليدا في العائلة الفارسية أن ينجب الأب عددا هائلا من الأولاد حسب ما ذكره هيرودوت، فالعدد دليل على القوة وبالتالي زيادة النسمة من جنس الذكور، حيث يحصل الأب على جائزة من الملك، يبقى الفتية في الفترة التي تسبق تعلمهم مبادئ التعليم العسكري في كنف الأسرة

¹ R. Ghirshman, Edith Porada, Dark Ages and Nomads c. 1000 B.C, Nederlands Historisch-Archaeologisch Instituut in het Nabije Oosten, the Netherlands, 1964, p 9.

² Muhammad A. Dandamaev and Vladimir G. Lukonin, op. cit, p 37.

³ Nick Sekunda Simon Chew, The Persian Army 560-33 BC, Osprey Publishing, UK, 1992, p 07.

⁴ Strabo, The Geograpy, translated by Duane W. Rolle, Cambridge University Press, USA, 2014, Book 15.3.18.

مخاطا بالنساء، ولا يقترب من أبيه كثيرا مما يجنبه أي حزن في حالة فقدانه قبل أن يتخطى هذه المرحلة¹، وبعد وصوله للسن المحدد للانفصال عن والدته يصبح قادرا على تناول طعامه مع كبار القبيلة من الرجال بإحضار الخبز الجاف وإناء فارغ لشرب المياه²، في رواية أخرى الخبز وكعكة الشعير والماء³.

حسب هيرودوت، عندما يبلغ الفتى عشرون عاما يتوقف عن التدريب إذ يذكر أن داريوس الأول قد حارب وهو في سن العشرين سنة في إحدى غزوات قورش الثاني⁴، غير أن لسترابون قولاً آخر إذ حدد سنة التدريب منذ الخامسة حتى يبلغ الفتى الأربعة وعشرين سنة، وقسم الفتيان كمجموعات تبلى كل مجموعة خمسين فرداً بقيادة أحد أبناء الملك أو من أبناء حكام الساترايات⁵، غير أن أكسينوفون قد ذكر أن الفتى يخدم بداية من 16 أو 17 سنة، فهناك تضارب في المصادر القديمة، إلا أن هناك اتفاق بشأن الخدمة العسكرية والذي يبدأ من الخامسة والعشرين سنة وصولاً للخمسين⁶.

يخدم الفرد في الجيش ويتلقى الأوامر انطلاقاً من سن العشرين إلى الخمسين سنة جنود مشاة وفي سلاح الفرسان، ولا يستفيدون في بعض الأحيان من الإقطاعات لأنهم ضمن الخدمة فقط يعني كأفراد يتلقون الأوامر ليخدموا الملك وقواته في فترة الحرب، وليس لديهم صفة العسكري الإقطاعي أي لا يستطيع الشراء أو البيع، فهو جندي مسلح يلي النداء أثناء الحرب فقط⁷.

يتعلم الفتيان أثناء الخدمة اليقظة، فمن أساسيات الجندي التحكم في حواسه وخاصة النوم أثناء الخطر، حيث يقضي الفتى ليلته نائماً خارج مضجعه يحرس المباني والأهالي وهذا لسببين أولها

¹ Herodotus, B1.136.

² Xenophon, Cyropaedia, B1.9.

³ Strabo, B15.3.18.

⁴ Herodotus, B1.209.

⁵ Strabo, B15.3.18.

⁶ Xenophon, Cyropaedia 1.2.8.

⁷ Strabo, B15.3.19.

حماية المجتمع وثانيها ضبط النفس، فهذه الممارسة واجبة عند الفرس لتلبية احتياج رعايا الإمبراطورية، وخلال النهار يقدمون أنفسهم للحاكم حضوريا ليقدموا أجهزة الحكومة¹.

2-2 تنظيمات الجيش الفارسي الأخميني:

يعتبر الملك القائد الأعلى للجيش، وهو قلب القوات العسكرية ويسمى "الملك العظيم" "ملك الملوك" "ملك الأقطار"، فجميع ملوك الإمبراطورية قد قادوا جيوشهم في ساحات المعارك من قورش الثاني إلى داريوس الثالث آخر ملوكها، غير أن الملك لا يستطيع قيادة جيشه دائما، بسبب ما تستغرقه الحرب من سنوات، فعلى الملك ألا يغادر مقر حكمه وأن يبقى آمنا بالقدر المستطاع لكي لا يترك فجوة في السلطة².

سمي الجيش بـ Kara باللغة الفارسية القديمة وتعني "القوات المجندة الإمبراطورية" "الجيش" أو "الحرب" تشبه الكلمة الليتوانية karis أو karias والتي تعني الحرب والجيش، وتتاح القيادة بعد الملك لعائلته والمقربين منه، ومن الممكن أن تكون الآثار التي تظهر الجنود التابعين للملك وهم مسلحين بشكل كامل تدل على قرابة هؤلاء القادة، ومن اللوحات الجدارية في قصر سوسة نستشف رتبة الجنود وعادة ما يكونون من الفرسان³.

ورث الجيش الفارسي في بدايات تأسيسه عن الآشوريين في تنظيم قواته، وكان التشابه واضحا في الكثير من النقاط حتى أن تخصيص قطع أراضي فقط لأفراد من قوات العسكرية، قد استمدت من الآشوريين أيضا، حيث خصص الملك عقارات للجنود النخبة من الفرسان والمشاة وهي ممارسة استمرت حتى الفترة الساسانية والإسلامية حيث كان قائد القوات الأقرب للملك يسمى هزارياتيش

¹ Xenophon, Cyropaedia, 1.2.9.

² Dunkan Head, The Achaemenid Persian Army, Montvert Publications, UK, 1992, p 4.

³ John Curtis and Nigel Tallis, The Forgotten Empire : The World of Ancient Persia, The British Museum Press, UK, 2005, p 214.

hazarpatish¹، حيث كان النظام العسكري نظاما عشريا حسب ما جاء به أكسينوفون، أي من 5 إلى 10 إلى 50 إلى 500 إلى 1000 إلى 10.000².

1-2-2 القوات البرية:

1- المشاة:

يصف هيرودوت مشاة الفرس الأخمينيين بأنهم يلبسون قبعات كالتيجان وسترات بأكمام ذات طبقات متعددة، مع درع من الحديد به زخرفة كحراشف السمكة وسروايل، وعكس الدروع اليونانية المستديرة يحمل جندي المشاة درعا من الخيزران، أما سلاحهم فكان القوس والرمح وقد تميز الرمح بقصر طوله بعكس القوس كان حجمه كبيرا، أما السهام فكانت من قصب السكر، كما كان تقليدا عند المشاة حمل خناجر على الجانب³، وكما سبق وذكرنا أن الفرس الأخمينيون قد اتبعوا النظام العشري فالوحدة التي تضم ألف جندي تسمى هزرابا **hazaraba**، تقسم إلى عشر وحدات كل وحدة تضم مائة جندي تسمى **sataba**، وعشر وحدات أخرى تضم عشر جنود تسمى داتهابا **datahba**⁴.

ويصف هيرودوت جندي المشاة، أنه يلبس اللباس الفارسي ويحمل الرمح ودرع مستطيل كبير الحجم مصنوع من شرائط أو قضبان ربما خشبية أو من الخوص⁵، أما الثاني يحمل سهم وقوس فقط وهو ما تحمله شواهد من الفن الإغريقي والذي نلاحظ من خلاله نفس هيئة الجندي⁶، هنا نجد أن هيرودوت يتمتع بكثير من المصادقية من حيث وصفه لهيئة الجنود وطقمهم الحربي سواء السلاح أو اللباس، وقد صورت هيئة الجندي في اللوحات الجدارية في بيرسيبوليس والرسومات الإغريقية التي تؤرخ للحروب الفارسية الأخمينية الإغريقية.

¹ - Kaveh Farrokh, op. cit, p 39.

² - Xenophon, Cyropaedia , Book 2.1.22-26.

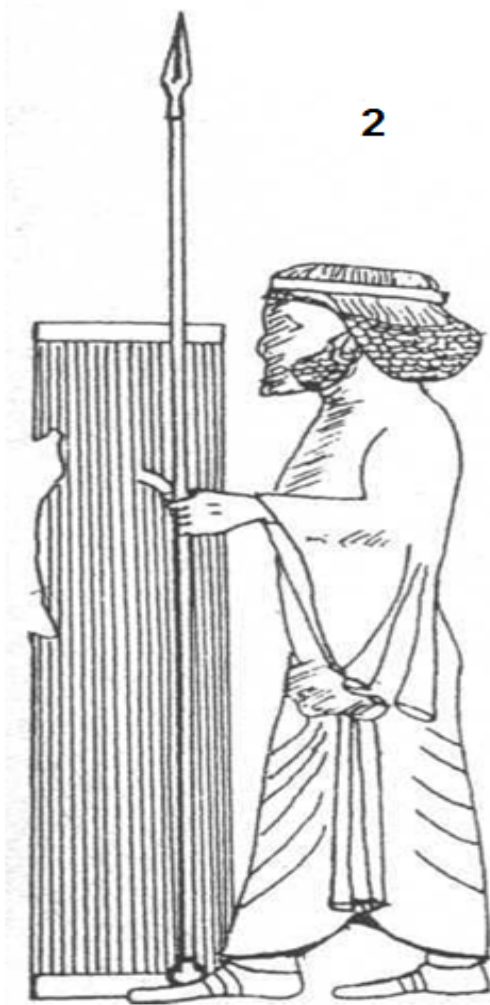
³ - Herodotus, B7.61.

⁴ - Brian Tadd Cary, Joshna B. Allfree, Warfare in the ancient world, Pen and Sword Military, GB, 2005, p 34.

⁵ - Herodotus, B7.61.

⁶ - Dunkan Head, op. cit, p 22.

خص المشاة من الطبقة الفارسية النبيلة بالتسلح بالقوس كسلاح رئيسي أو ثانوي أو وحيد، كما عد الرماة من هذه الطبقة الوحيدون الذين يحملون الرمح وهم من يثق بهم الملك في الذود إمبراطوريته ضد الخصوم¹، حيث تسمى الوحدة المكونة من خمسة جنود سبارا **Spara** ويحملون نفس أسلحة قائد هذه الوحدة وهو الرمح والسهم والذي يمكن أن يقود وحدة من عشرة جنود وتسمى أيضا بنفس الإسم، تحمل أسلحة ثقيلة أو خفيفة أو لا تحمل في بعض الأحيان، وشكلت هذه القوات الجزء الأكبر من المشاة².



رسم (1) لجندي يحمل رمح ودرع من الخوص⁴



صورة (3) لجندي مشاة يحمل سهم وقوس³

¹ Manousos E. Kambouris, Persia Triumphant in Greece, Pen & Sword Military, GB, 2022, p 5.

² Dunkan Head, op. cit, pp 26-27

³ Nick Sekunda, op. cit, p 52.

⁴ Dunkan Head, op. cit, p 23.

2- الفرسان:

لم يكن لسلاح الفرسان حضور كوحدة منظمة في عهد قورش الثاني، إلا بعد إطاحته بالمملكة الميديّة ومواجهته مع المملكة الليديّة، غير أنه لا يوجد دليل على عدم تنظيم قورش لهذه الوحدة سابقاً أو بعده، ربما يرجع لكون قورش زعيماً محلياً على غرار والده، في ظل خضوع قبيلته للمملكة الميديّة، عندما حشد قورش قواته لأول مرة، وهذا الذي تأكد واستمر حتى أثناء التأسيس.

لم يكن قورش واثقاً من ضم الفرسان الميديين، بسبب عدم ضمان ولائهم له خاصة وأنه من قام بإسقاط مملكتهم رغم أن الفرسان الميديون ذوي خبرة وسمعة يشهد لها، مما جعله يسعى لإنشاء وحدة الفرسان من عائلات المناطق التي أخضعها من خلال جمع الثروة الحيوانية ودفع الأموال من خزينته لدعم هذه الفرقة¹.

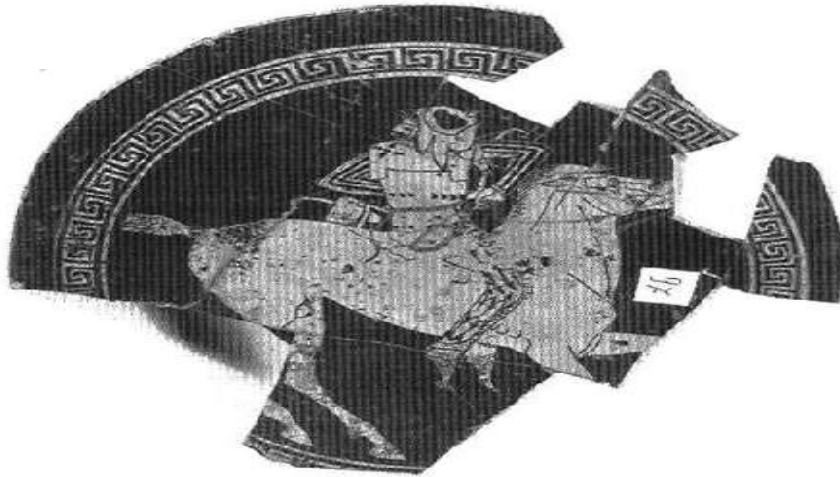
أمر قورش بتكوين فرقة الفرسان، بحيث جعل جنودها من النبلاء الفرس فقط، إذ اعتبر أن بقاء النبلاء كجنود مشاة عار على الفرس، وعليهم أن يمتطوا الأحصنة في كل مكان، وذلك راجع للقصور الذي كان يعاني منه جيشه خاصة وأنه في مرحلة مهمة من تثبيت سلطة الفرس الإخمينيين، فقد عين ما يقرب 150.000 نبيل من الفرسان منها 1000 نخبة النخبة والتي تدعى هوفাকা **Huvaka**، غير أن اللباس لم يكن فارسيّاً بل استمد من الميديين حيث لم يكن اللباس الفارسي مناسباً لركوب الخيل (سروال وسترة بأكمام طويلة تصل إلى الركبة وعباءة تلبس على الكتفين تسمح بتحريك الذراعين بشكل سلس)، غير أن سلاح الفرسان لم يكن فعالاً بالرغم من إنشائه، إذ تسبب القصور الذي كانت تعاني منه هذه الفرقة من إصابة قورش وهلاكه متأثراً بجروحه².

حارب معظم الفرسان الفرس بدون دروع إن لم يكن كلهم كما يفعل العديد من المحاربين المعاصرين لتلك الحقبة لا سيما الإغريقيون والتراقيون والمقدونيون، على الرغم من استخدام سلاح الفرسان الإسكثيين مجموعة متنوعة من الدروع المختلفة بحيث ارتدوا جنود السقا أو السكا دروعاً من القصب والجلد، بحيث تفتقد الرسومات الإخمينية لهيئة الفارس وهو يحمل درعاً، حيث يظهر الفم

¹ - Dennis L. Fink, The Battle of Marathon in Scholarship, & Company - Mcfarland Publisher, USA, 1942, p 17.

² - John Hackett, Warfare in The Ancient World, Facts On File, USA, 1989, pp 84-85.

المبكر سلاح الفرسان بدون دروع، وعليه يمكننا أن نعتبر النمط الأصلي لمعدات سلاح الفرسان أنه لم يتضمن أي نوع من الدروع، ربما تغير الوضع إلا أن الفن استمر بعدم إظهار أي رسم لسلاح الفرسان، يتضمن دروعا وصولا إلى سقوط الإخمينيين¹، أما السلاح الذي استعمله فرسان قورش وهم على ظهر أحصنتهم في بدايات الجيش الفارسي الإخميني كان الخنجر ولم يكن فعالا آنذاك ومع تطور الجيش فيما بعد (480 ق م)، أصبح سلاح الفرسان تماما كسلاح المشاة الرمح أو السهم².



صورة (4) توضح رسم على مزهرية إغريقية لفارس³

في بعض الأحيان أولئك الذين كانوا يحملون الدروع والذي قدر عددهم بـ 1000 جندي، كما هناك فرقة اعتبروا ضمن سلاح الفرسان وسلاح المشاة جنبا إلى جنب، ويمكن أن يمثلوا وحدة تتكون من 10000⁴ وحدة حاملي التفاحة (كانت التفاحة هي ما تميز هذه الفرقة نخبة النخبة تحمل تفاحة ذهبية ونخبة أقل تحمل التفاحة الفضية)، هؤلاء الجنود سماوا بالخالدون وهي الفرقة التي أشار إليها هيرودوت وسميت هكذا بسبب أن إمداد الجنود بها لا ينتهي، بحيث إذا قتل جندي يستبدل بأخر، ولا يزيد العدد عن 10000 جندي ولا ينقص⁵.

¹ - Duncan Head, op. cit, p 37.

² - Ibid, op. cit, p 33.

³ - Nicholas Sekunda and Simon Chew, op. cit, p 15.

⁴ - Michael B. Charles, Achaemenid Elite Cavalry: From Xerxes To Darius III, *The Classical Quarterly*, Vol. 65, No. 1, 2015, p 19.

⁵ - Herodotus, B 7.83.

إلى جانب المشاة وسلاح الفرسان، استخدمت الجيوش الفارسية أحياناً أسلحة أخرى والمتمثلة في راكبي الجمال، تلك الوحدة من الممكن أن نصنفها ضمن فرقة الفرسان إن صح التعبير فهؤلاء الجنود مسلحين (كرماة السهام في فرقة الخيالة) ولكن فوق جمالهم¹، كما كان هناك فرسان يستخدمون العربات الحربية في عهد قورش الثاني، حيث جاء في وصف أكسينوفون، أن العربة تحمل منجل وأقواس تجرها خيول تغطي صدرها دروع على شكل صفائح من البرونز وقد أثقل في تسليحها بزيادة أربعة أعمدة تحمل ثمانية نتوءات بارزة على شكل ثيران، وكان قورش يهدف من هذا الشكل تعطيل قوات الخصم عن طريق ثقل هذه الألة الحربية وستلحق الضرر بالجيوش المعادية².

2-2-2 البحرية في عهد قورش الثاني:

لم يكن هناك أسطول بحري في عهد قورش الثاني، لأن الحروب اقتصر على المناطق المجاورة أي لم تتعدى وقائعها لأن تكون بحرية، وما سجل من معارك في البحر كانت لخليفته قمبيز من خلال حملته نحو مصر، حيث اضطر قمبيز لبناء أسطول بحري لمواجهة الملك المصري أماسيس أو أممس الثاني، إذ لم يكن الفرس بارعين في السباحة وليسوا بارعين في التجديف³.

إذن كانت بداية تأسيس الإمبراطورية الفارسية الأخمينية عن طريق قورش الثاني، الذي حاول جاهداً مد نفوذه لتشمل توسعته منطقة أوسع، لكن الجيش الذي سار به لم يكن مهيباً بالشكل الكافي، رغم حيازته للعديد من المناطق بدءاً بالمملكة الميديّة، بابل وليديا، إلا أن زحفه لم يكتمل حيث قضى نحبه وهو في الطريق لغزو مصر، وسنرى في الفصل التالي مساعي ابنه قمبيز لاستكمال مخطط والده لبطس سلطته على مصر، والتوسعات الكبرى التي قادها داريوس الأول وخلفائه والتي ستقلب الخارطة السياسية والجغرافية للمنطقة، لتشهد الإمبراطورية الفارسية الأخمينية أقوى مراحل إزدهارها.

¹ - Herodotus, B1. 80.

² - Xenophon, Cyropaedia, 6.1.52-54.

³ - John Hackett, op. cit, p 85.

الفصل الرابع

الفصل الرابع: التوسعات العسكرية للإمبراطورية الفارسية الإخمينية

1- حملة قمبيز على مصر

2- التوسعات العسكرية بقيادة داريوس الأول (522-486 ق م)

1-2 إخماد الثورات الداخلية

1-1-2 الإستيلاء على العرش

2-1-2 تثبيت سلطة الملك والقضاء على الثورات

2-1-3 مد النفوذ الفارسي الإخميني

1- حملة داريوس على السقا تيغراسكودا(نيغراخوندا)

2- الهند ومصر

3- أريانوس وأهل برقة

4- الحملة على السقا بارادرايا(السكيثيون)

2-1-4 بداية الأزمة مع الإغريق

1- الثورة في أيونيا

2- الحملة الأولى والصدام مع الإغريق في ماراثون

3- الحملة الثانية من الحروب الفارسية الإغريقية

تعتبر التوسعات التي جاءت بعد مرحلة تأسيس الإمبراطورية الفارسية الإخمينية إحدى أقوى التوسعات التي شهدتها العالم القديم، بما أن قورش قد خطط لعدة حملات كانت من المقرر أن تتجاوز حدود إمبراطوريته إلى ما وراء البحار، وبما أنه قام بجيازة العديد من المناطق وتدمير ممالك وإمبراطوريات كبرى، إلا أن حملاته العسكرية قد استغرقت وقتاً طويلاً مقارنة بالأراضي التي استولى عليها، وعليه فإن قمبيز وريثه قد انطلق نحو مصر لاستكمال خطط والده، كما قام داريوس الأول بأكبر الحملات وأقواها والتي مدت في عمر الإمبراطورية الفارسية الإخمينية.

1- حملة قمبيز على مصر:

إن تاريخ عهد قمبيز (530-522 ق م) متذبذب ومتضارب، وسيظل كذلك حتى يتم العثور على المزيد من الشواهد التي تستذكر التاريخ الغامض لهذا الملك، حيث تعتبر فترة حكمه قصيرة مقارنة بباقي ملوك الفرس الإخمينيين، فالثماني سنوات فترة وجيزة رغم شغله منصب حاكم على بابل أثناء حكم والده، تولى العرش بعد وفاة والده في سبتمبر 530 ق م، استغرق تنفيذ مخطط والده لغزو مصر أربع سنوات¹.

كان قمبيز يبلغ تسعة وعشرون سنة عندما تولى العرش، معروفاً باسم قمبيز الثاني غريب الطباع ويشرب الخمر بإسراف، مشهور بتعدد زوجاته بما في ذلك شقيقته أتوسا وروكسانا²، وصفه هيرودوت بالمجنون³، وكما جاء في مؤلف ديودور الصقلي الذي قال عنه نصف مجنون وأن تفكيره مضطرب ناعتاً إياه بالمتحرش، وما زاد قسوته وخطورته إرث والده الذي بين يديه⁴، يذكر هيرودوت أن لقورش الثاني ابن آخر يدعى سمرديس أو برديا⁵.

¹ T. Cuyler Young, Jr, Persia, Greece and The Westen Mediterranean

525- 490 BC, Cambridge University Press, UK, 1988, p 47.

² Stephen Dando- Collins, Cyrus The Great : conqueror, liberator, anointed one, Turner Publishing Company, USA, 2020, pp 235.

³ Herodotus, B3.38.

⁴ Diodorus Siculus, The Library of History, translated by C. H. Oldfather, C.

L. Sherman, C. Bradford Welles, Russel M. Geer, F. R. Walton and G. Booth, Delphi Classics, UK, 2014, B6.14.1.

⁵ Herodotus, B3.63.

قام قمبيز في بداية عهده باتخاذ قرارات مسؤولة تحت تأثير مستشاري والده، ربما بناء على نصيحة كرويسس ملك ليديا سابقا والذي عينه والده مستشارا له واستمر في خدمة ابنه بعد وفاته، حيث كان في أواخر الستينات من عمره، يبدو أن قمبيز أبرم معاهدة سلام مع زعيمة قبيلة الماساغيتاي توميريس مما جعل حدوده الشرقية آمنة، وسمح له ذلك بتحويل وجهته غربا نحو غزو الدول بالجزر الإغريقية المتواجدة في بحر إيجه، غير أن الفرس لم يكونوا بحارة كما سبق ورأينا ولم يكن لدى الفرس الإخمينيين أسطول بحري، لكن وتحت إمرة قمبيز أصبحت الإمبراطورية الفارسية الإخمينية تمتلك قوة بحرية كبرى، وكان الفضل يعود لأسطول ولاية فينيقيا البحرية التي كانت جزء من إمبراطورية والده، ومن خلال التحالفات أضاف أساطيل جزر قبرص وساموس*، وقد شرعت هذه الأساطيل في غزو المدن الأيونية الواحدة تلو الأخرى، حتى عام 525 ق م سيطرت الإمبراطورية الفارسية الإخمينية على بحر إيجه، وانتقل حكم هذه المدن إلى الحكومة المركزية في فارس، مكنت هذه الخطوة قمبيز من شن حملة عام 525 ق م، كان قد فكر فيها ولده ألا وهي الحملة على مصر¹.

لقد أثبتت التحركات التي قام بها قمبيز من احتلال، وتجهيز لغزو مناطق جديدة ذكاءه رغم وصفه بالمجنون، إذ أنه ورث عن ما سبقه ثروة عسكرية بدون كفاءة وما قام به يدل على حنكته وبعد نظرتة، وأن جميع تصرفاته السيئة لا تعكس مظهر مملكته التي ورغم إضطرابه، كانت مزدهرة وهذا ما يدل على أن لديه منجزات قد غفل عنها المؤرخون أمثال هيروودوت، وعلى عكس جنونه سيظهر قمبيز إستراتيجية ذكية في التخطيط لغزو مصر²، إذ أن الحملة كانت مسبقة بسلسلة من توسعات من نهر الفرات وصولا إلى النيل، ولا توجد معلومات عن هذا الغزو لأن الجهل بهذه المناطق كبير³.

* - ساموس: جزيرة يونانية تبلغ مساحتها 490 كم² هي واحدة من أكبر الجزر في بحر إيجه تقع على بعد ثلاث كيلومترات فقط من الساحل التركي (آسيا الصغرى) والمدن القديمة المجاورة على غرار أيونيا، إفسوس وميليتوس، ترتبط تاريخيا وجغرافيا بهذه المدن، للمزيد أنظر: Niki Evelpidou, Caves – Natural and Manmade Underground European Heritage : Natural and artificial caves in Samos Island, cave and carst studies caves, Greece, 2008, 42.

¹ - Stephen Dando- Collins, op. cit, p 237.

² - Pierre Briant, op. cit, p 50.

³ - Ibid, p 51.

كانت الفترة ما بين 550 ق م و525 ق م من أكثر الفترات التي شهدت فيها الإمبراطورية الفارسية الإخمينية توسعاتها المتتالية في عهد مؤسس الإمبراطورية ووريثه¹، ولقد أثبت التاريخ عبر كل الحقب أن الصراع السابق بين الجهة الغربية والشرقية، حقيقة لا مفر منها ومنها: أن غزو مصر لم يكن سهلا على الإطلاق ناهيك عن دحرها، حيث أن مصر كانت محصنة من جميع الجوانب بفضل طبيعتها الجغرافية، وهو ما أعطاها التفوق على جميع المناطق التي تم تشكيلها كمالك، المشكلة الأولى لأي غزو محتمل من الشرق، كان الوصول إلى مصر بدءا من غزة في أقصى الجنوب من مدن فلسطين، والطريق عبر شبه الجزيرة العربية (سميت جميع الأراضي وصولا إلى شرق النيل بهذا الاسم) عبر رافيا أو رفح التي تمتد لآلاف الكيلومترات من الكثبان الرملية التي لا تكاد تحتوي على مياه تقريبا، ثم شبه جزيرة سيناء الشمالية إلى رينوكورا (العريش)، حيث يجد الوافدون بساتين النخيل والينابيع المليئة بمياه الأمطار، إلى الغرب مباشرة من هذه الأخيرة ينقسم الطريق إلى شمالي وجنوبي، فأما الشمالي فيمتد إلى بحيرة سيربونيس (الآن بحيرة بردويل)، في رحلة تصل إلى ثلاثة أيام عبر الصحراء دون العثور على قطرة ماء²، ومهما يكن فهذه نبذة عن مجمل المناطق الصلبة لمصر إن صح التعبير أو البرية والتي جعلت منها صعبة المنال.

لم تكن المغامرة مكلفة بالنسبة لقمبيز، ففي وقت وجيز قام بتوسعة وبناء موانئ لتكون مهينة لانطلاق السفن، فالحملة على مصر لم تكن سهلة آنذاك، خاصة وأنها القوة الرئيسية التي تبقت في الشرق الأدنى³، حيث نقل قورش الثاني مهاراته لقمبيز من خلال تسيير الحكم فيما يتعلق بالتوسعات العسكرية، فالتكوين العسكري الذي حرص قورش على تلقيه لولده كان إلزاميا وتقليدا في الأسرة الفارسية الإخمينية، بحيث لم تسمح ديناميكية فترة تأسيس الإمبراطورية تحت حكم قورش وقمبيز بدخول الركود أو التعرض للإلتهام النهائي⁴.

¹ Chris Scarre and Brian M. Fagan, *Ancient Civilisations*, 4^{ed}, Routledge, USA, 2016, p 218.

² Stephen Ruzicka, *op. cit*, 14.

³ Ian Morris and Walter Scheidel, *The Dynamics of Ancient Empires : State Power from Assyria to Byzantium*, Oxford University Press, USA, 2009, p 71.

⁴ Lloyd Llewellyn-Jones, *Persians : The Age of the Great Kings*, BASIC BOOKS, USA, 2022, p 67.

منذ عام 664 ق م، حكمت مصر سلالة سايت*، قام خلالها المؤسسون الأوائل بتوحيد البلاد، كان لأحمس قوات مسلحة قوية: منها أسطول بحري قد تركه سلفه نيخاو الثاني (610-595 ق م)، حيث قام أحمس بتعزيز هذا الأسطول بالإضافة إلى الجيش إلى حد كبير من خلال جلب المرتزقة من جميع أنحاء الشرق الأدنى، بما في ذلك كاريا وأيونيا، وعلى الرغم من قوة هذا الجيش إلا أنها لم تمنع من زعزعة استقرار أحمس بسبب الخطر القادم من قورش الثاني الذي أسقط بابل، بحيث قام بإتباع سياسة شحذ التحالفات تحسباً للصراع مع فارس الذي كان من المتوقع حدوثه في ظل الوتيرة السريعة لحمالات الملك الفارسي¹، لكن عهد بسماتيك نقصت امتيازات المدن الفينيقية، حيث أجبر تقاعس مصر نحوها إلى القبول بالهيمنة الفارسية فكان أمرا لا مفر منه، ونفس الأمر حدث مع المدن القبرصية التي انضمت هي الأخرى لقممير².

في 525 ق م، أخذت الأمور في مصر منعطفاً أسوأ مما كانت عليه، خاصة مع وفاة أحمس في السنة السابقة، وقد خلفه ابنه بسماتيك الثالث خلال استعداد قممير لحملة على مصر، حيث ألغيت معاهدة بين بوليكراتس* اليوناني والملك أحمس بمبادرة من الملك قممير، حيث كان بوليكراتس على اتصال بقممير الثاني الذي طلب منه إرسال سرب من السفن إليه³، وكاد قممير أن يتراجع عن

* - سلالة سايت: أخذت إسمها من مدينة سايس في دلتا النيل وهي الأسرة السادسة والعشرون (664-525 ق م)، شهدت فيها مصر القديمة أزهى فتراتهما من إحياء ثقافي وفني للفنون المصرية (الفرعونية) القديمة ونهضة حقيقية للثقافة المصرية، كان مجدها يكمن في معابدها ومقدساتها، كانت سايت القوة الدينية والسياسية لسلالة ازدهرت تحت حكم أماسيس أحمس، وتمتعت مدينة سايس من خلال منشآتها بالقوة والرخاء الإقتصادي، حيث ازدهرت التجارة وأبرمت المعاهدات التجارية والمواثيق السياسية مع حكام المدن البحرية في حوض البحر الأبيض المتوسط الغنية كقبرص وساموس، للمزيد أنظر:

Lloyd Llewellyn-Jones, *Persians*, op. cit, p 217.

¹ - Pierre Briant, op. cit, p 51.

² - Stephen Ruzicka, op. cit, 16.

* - بوليكراتس: **Polycrates** أو طاغية ساموس أشهر بأسطوله البحري القوي أصبح طاغية سنة 533 ق م ، واحد من أعظم طغاة الإغريق، سعى لبناء أسطول يتكون من حوالي 140 سفينة مختلفة الأنواع، قام بإرسال أسطول يتكون من 40 سفينة لقممير الثاني، إلا أن خصوم بوليكراتس السياسيين، هم من كانوا على متن هذه السفن مما منع الأسطول من الوصول للملك الفارسي، للمزيد أنظر:

Jakub Kuciak, *The Fleet as the Basis for Polycrates of Samos' Thalassocracy*, ELECTRUM, Vol. 27, 2020, p 46.

³ - Pierre Briant, op. cit, pp 52, 53.

حملته، لولا أن الصدفة ساقته إليه أحد القادة اليونانيين (فانيس) الذي كان قد خدم لفترة طويلة كقائد لإحدى الفرق اليونانية المرتزقة، حيث وضع كل تجاربه السابقة وخبرته ومعرفته بمصر رهن أوامر الملك الفارسي، حيث تقدم قمبيز ومعه فانيس وبعض اليهود ممن حررهم قورش من النفي والذين يدينون له بالولاء¹.

لم يكن هناك خط دفاع فعال على طول الحدود الشرقية لمصر، بسبب نقل أحسن السابق للقوات الحدودية الإغريقية الكارثانية إلى ممفيس، بالإضافة إلى محدودية الموارد البشرية منعت بسماتيك من تقسيم قواته وتوزيعها وأجبرته على الاعتماد على مجريات معركة واحدة وجيش وحيد، مما سهل الأمر على قمبيز الذي لم يقد بتقسيم جيشه للتعامل مع فرق الجيش المصري في حال توزيعها، وتقدم بجميع وحداته التي كانت تفوق تعداد الجيوش المصرية عدة وعتادا، حيث التقيا في مكان ما في شمال شرق الدلتا فيما ثبت أنه اللقاء الحاسم بين كلا الطرفين، ومصدرنا الذي يتناول تاريخ الفرس بشكل مسهب لا يعطينا معلومات عن مجريات القتال، باستثناء وصف المعركة بأنها كانت رهيبه، مما كبد كلا الخصمين خسائر فادحة².

سميت هذه المعركة بمعركة الفرما، اضطر الجيش المصري إلى التراجع إلى العاصمة منف، وتقدم قمبيز بجيشه في الدلتا وحاصر مدينة أون (هليوبوليس عين شمس حاليا) ودخلها، ثم وصل للعاصمة منف، حيث دارت المعركة هناك وانتهت بسقوطها، وأسر بسماتيك³.

بعد أسر بسماتيك، وسقوط ممفيس في يد الملك الفارسي، أعطى لقمبيز الدافع لإخضاع بقية المدن دون مقاومة شرسة تذكر، والحقيقة أن الغزو اكتمل قبل حدوث فيضان النيل السنوي، وربما كان النجاح الساحق والسريع لحملة الفرس على مصر، يعود إلى قوة المؤسسة العسكرية الفارسية⁴.

¹ - أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 439.

² - Stephen Ruzicka, op. cit, 18.

³ - أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 439، 440.

⁴ - Stephen Ruzicka, op. cit, p 18.

بقي قمبيز في مصر وقتنا طويلا، حيث كان يخطط للقيام بثلاث حملات، كان الهدف من الأولى الاستيلاء على قرطاجنة، والثانية على واحة سيوة مقر عبادة الإله آمون، والثالثة بهدف الإستيلاء على كوش، ولم يفلح في أي منها¹.

يذكر هيرودوت عن حملة قمبيز نحو واحة سيوة، وخلال حملته لغزو إثيوبيا حيث أراد أن يخضع الأمونيين، وقد سارت جيوشه من طيبة قاطعين صحراء رملية في مدة سبعة أيام والتي تسمى عند الإغريق بالأرض المقدسة، في هذه الأثناء سمع الأمونيون بقدمهم واستعدوا لملاقمتهم وعند وصول الجيش الفارسي انسحبوا، وبين الواحة وبلاد الأمونيين، غرقت جيوش قمبيز في الرمال (رمال متحركة)، ولم يعثر لهم على أثر².

جاء هجوم قمبيز على معبد آمون، بنية تدميره ذلك أن كهنة آمون قد تنبأوا بالنهاية البشعة لقمبيز، ولقد تمتعت واحة سيوة بشهرة معبد آمون وصدق تنبؤات كهنته، حيث كان الإغريق يثقون في هذه التنبؤات ثقة كبيرة، وكان هذا هو سبب حملته على سيوة ليثبت للعالم عدم صدق التنبؤ فأراد أن ييطش بهم لدحض مزاعمهم³، ولقد مارس قمبيز العديد من التجاوزات في مصر، من تقتيل وتخريب⁴.

كان الدافع من الحملة على إثيوبيا الإسم الذي أطلقه الإغريق على تلك المنطقة الواقعة جنوب مصر (السودان حاليا) ربما الطمع في ثرواتها، وخاصة المعلومات التي أوردها المؤرخون اليونانيون عن ثرواتها هي أقرب للأساطير منها للحقيقة، حيث ذكروا أن الذهب عندهم كالتراب، حتى أن الأسرى كانت أغلالهم من الذهب، وعليه قاد قمبيز هذه الحملة بنفسه على رأس جيش كبير، ووصل إلى مرة، أين التقى بهم، حيث قاومه ملوكها (ملوك نباتا)، وألحقوا به هزيمة قاسية، وخسر قمبيز جزءا

¹ - أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 440.

² - Herodotus, , B 3. 26.

³ - أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 440.

⁴ - Herodotus, 3.27.

كبيراً من جيشه، من جهة أخرى، هناك رواية تقول بأنه أصيب بضربة شمس أثناء عودته جعلته يعاني من الجنون¹.

ويسهب المؤرخون في وصف أفعال قمبيز في مصر، جراء - كما ادعوا - الجنون، أنه حارب المؤسسة الدينية في مصر، ومارس بطشه على الكهنة في مختلف المعابد المصرية، وقام بقتل العجل المقدس، ابيس والقائمين على خدمته، وجاءت فعلته هذه لاعتقاده بأن الاحتفال المكرس لهذا العجل جاء بعد هزيمته النكراء في أثيوبيا، ظنا منه أنهم يتشفون في خسارته، وأنهم سعداء لأجل ذلك، حيث أمر بجلد الكهنة، وأي مصري لا يزال يحتفل بهذا الحدث سيقتل، وبهذا تم كسر تقليد إحياء المهرجان، وأبعد العجل عن أعين المصريين ليموت في المعبد جراء نزفه من جرح أصابه في فخذه، ودفن من طرف الكهنة من دون علم قمبيز، وهناك من يقول أن جنون قمبيز قد ظهر قبل أن يذهب لحملته ضد مصر، إذ أن هناك رواية عن قضية جنونه ضد الفرس وضد شقيقه سمرديس الذي قتل على يده لمنعه من الملك، ثم قضية قتله لزوجته الشقيقة، ثم ضد كرويسس الليدي، ويستمر هيروودوت في تعداد مساوئ قمبيز، إذ يذكر أنه قام بنهب قبور المصريين وقاموا بتفتيش الجثث، ويختم هيروودوت أن المصريين لم يكن لديهم شك في أن أفعاله البشعة كانت نتاج مرضه العقلي².

في ربيع سنة 522 ق م، زعم رجل يدعى غوماتا أنه شقيق قمبيز الثاني برديا، قام بالاستيلاء على العرش الفارسي الإخميني، حيث شرع في التحضير لعودته إلى بلاد فارس، للتعامل مع المشكلة، غير أنه توفي وهو في الطريق، منهم من يقول أنه انتحر، أو مات متأثراً بطعنة خنجر مسموم، غير أنه مازالت التساؤلات تدور حول كواليس وفاته³.

لقد انتهت الفترة الأولى من توسعات الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، بموت قمبيز الذي ترك انطبعا غير جيد عند الأقوام الخاضعة، عكس والده الذي أظهر سياسة تسامح وتعايش، فقتل ودمر وخرّب أثناء حملاته، كما دمر المنشآت الدينية، غير أنه لم يكن مجنوناً لذلك الحد، ولولا إستراتيجيته

¹ - أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 441.

² - Pierre Briant, op. cit, p 55. أيضا: (38; 36-37; 31-33; 30) Herodotus, B3

³ - Marsha E. Ackermann, op. cit, 67.

لما نجحت حملته على مصر، وربما نقل عن والد الفطنة والحنكة في التخطيط للحملات العسكرية، بالمقابل كان طمعه المخلوط وطبيعته الوحشية (قتل أخيه، زوجته وشقيقته، وكرويسس الليدي)، وكذا معاملته البشعة لشعب مصر، هو من عجل بوفاته.

لقد واجه الباحثون في علم التاريخ، إشكالا في الفترة التي تلت وفاة قمبيز، خاصة بالنسب للباحثين في علم الأنساب، بسبب أن داريوس الأول وهو خليفة قمبيز، قد أثبت شرعيته في الحكم ويدعي أن حقه في العرش يستند إلى خط عائلته، مثل قورش الذي ادعي أن سلفه كانوا ملوكا لفترة موعلة في التاريخ، والحقيقة أن هناك غيابا واضحا في دراسة الأنساب بالنسبة لقورش وقمبيز، حيث يذكر هيرودوت من حملة قمبيز ضد مصر، أن داريوس الأول كان عضوا في الحرس الشخصي للملك، كما أنه كان رجلا بلا أهمية، هكذا قال هيرودوت، وعليه لم يكن داريوس من خط الأسرة الملكية الفارسية التي ينحدر منها قورش الأول مؤسس الإمبراطورية الإخمينية، بالرغم أنه ينحدر من عائلة نبيلة¹

إذن سيكون داريوس الأول، سيد الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، وسيكون أولاده من بعده من يستمرون في الحكم إلى سقوط الإمبراطورية، وستشهد في عهده الإمبراطورية ازدهارا لا مثيل له في العالم القديم.

2- التوسعات العسكرية بقيادة داريوس الأول (522- 486 ق م):

اعتبر داريوس الأول كما يسميه الإغريق أو داريوس العظيم عند الفرس وعند العرب يسمى دارا من أشهر ملوك الإمبراطورية الإخمينية، والمؤسس الثاني بعد قورش الثاني، وقد ارتبط اسمه بأكبر فترة للتوسع شهدتها الإمبراطورية، واستطاع بفضل قوته العسكرية وحنكته، من إخضاع العديد من المناطق بحيث أصبحت الإمبراطورية الفارسية الإخمينية في عهده أكبر إمبراطورية في العالم القديم، وقد شهدت بدايات حكمه اضطرابات مست البلاط الملكي وزعزعت استقرار الإمبراطورية، فوفاة قمبيز المفاجئ عجل من بروز الأطراف المعارضة للحكم.

¹ Oded Lipschits, Gary N. Knoppers and Manfred Oeming, op. cit, p 229.

1-2 إخماد الثورات الداخلية:

لقد شغلت قضية داريوس واعتلاء عرش الإمبراطورية الفارسية الإخمينية سواء المؤرخين القدماء أو الباحثين خاصة فيما يتعلق بنسب داريوس وأحقيقته بالملك وقضية ظهور وريث لقورش وهو الأخ الثاني لقمبيز والذي يدعى سمرديس.

1-1-2 الإستيلاء على العرش:

برديا **Bardya** أو سمرديس **Smerdis** كلاهما اسمين لنفس الشخص، ويذكر هيروdotus أن سمرديس الإبن الثاني لقورش الثاني وأخ قمبيز من نفس الأم، ففي الفترة التي احتل فيها قمبيز مصر ازدادت أعراض مرضه (الجنون والهذيان)، أمر شقيقه بالعودة من مصر إلى فارس ليدير له مؤامرة لقتله، وربما كان سبب مقتله لشقيقه الغير، حيث يتحدث هيروdotus عن غيرة قمبيز من سمرديس التي نتجت عن حادثة جاءت على لسان هذا المؤرخ أن سمرديس استطاع بقوته سحب قوس لم يستطع أي فارسي نبيل ثنيه (قوس قد أحضره آكلي السمك من الإثيوبيين)، وأثناء عودة سمرديس إلى البلاد حلم قمبيز حلما ينبئ بانقلاب الحكم وبأن رسولا من فارس قد أتى ليلغيه أن شقيقه كان جالسا على العرش الملكي وأن رأسه قد لامس السماء، وافترض من خلال الحلم أن شقيقه قصد قتله والإستيلاء على الحكم بدلا منه، ليرسل في وقت موالي أكثر شخص يثق به وهو بريكساسبس **Prexaspes** إلى سوسة لقتل سمرديس، حيث يقول البعض أنه قتله أثناء الصيد، غير أن آخرون أفادوا أنه اقتاده إلى البحر الأمرد وأجهز عليه وأغرقه¹.

يذكر الشاعر الإغريقي أيجيليوس قي قصيدته المعنونة بالفرس في جزء مروي على لسان داريوس في الأبيات من 765 إلى 779 يصف صعود قورش الثاني على العرش وصولا إلى المأساة التي لحقت بابنه الثاني على يد شقيقه بطابع شعري تراجيدي²، فالأحداث التي جاءت على لسان المؤرخين الإغريق تثبت مقتل سمرديس.

¹ - Herodotus, B3.30.

² - Aeschylus: The Persians, The Seven Against Thebes, The Suppliant Maidens, Prometheus Bound, The Persians translated by Seth Benardete, The Universit of Chicago Press, USA, 2013, p 97.

قام اثنان من الموغ بالثورة، وكانا في الأصل شقيقين، أحدهما قد أبقاه قمبيز داخل البلاط الملكي لينوب عنه في مقر إقامته بحيث كان يعلم أن سمرديس قتل وبقي سر قتله مخفياً، وقلة قليلة ممن يعلمونه، والكثير اعتقدوا أنه سمرديس الحقيقي لا يزال على قيد الحياة، هذا وقد استغل منتحل شخصية سمرديس الشبه بينه وبين المغدور هيئة ووجهها، بل حتى من حسن حظه قد حمل نفس اسمه، قام باتيزيش بتنصيب شقيقه سمرديس المزيف على العرش بعد أن أقنعه أنه سيدير كل شيء بنفسه، حيث أرسل رسلا لجميع المناطق، وحتى جبهات القتال، لإخطارهم بأن يتبعوا سمرديس ابن قورش الثاني وليس قمبيز، حتى أنه أرسل بعضهم للجيش المتواجدة في مصر، وأمرهم بتقديم الولاء له هو وحده¹.

وفي قصة أخرى جاءت على لسان كتسياس، أن موغ يدعى اسفنداداس قد جُلد من طرف تانيوكسارسس Tanyoxarces (سمرديس) بسبب خطأ قام به، حيث أتى إلى قمبيز في حالة يرثى لها، مدعياً أن أخاه يحاول الإطاحة به، وقال له إن لم يصدقه فليسأل شقيقه أن يأتي إليه، فإن لم يأت فهذا سيكون ادعاء صحيحاً وهو ما حصل، ولأن تانيوكسارسس لم يستطع الحضور بسبب بعض الأعمال التي كانت تشغله أصبح الموغ أكثر جرأة وافترأ، وقد حذرت أميتيس والدة قمبيز من أكاذيب هذا الرجل ودوافعه المشبوهة، غير أنه طمأنها بأنه لم يصدقه، لكن في الواقع كان كلام الموغ قد استحوذ على عقله، وعليه قام قمبيز بطلب أخيه للمرة الثالثة، وهذه المرة قد عاد ورحب به الملك ترحيب الإخوة، في حين أنه أضمر له العكس ولم يكن في نيته سوى الغدر به، وقام بفعلته بدون أن تعلم والدته، وأشرك الموغ في تنفيذ المؤامرة التالية، وهي خروجه للعلن حاملاً جثة أخيه على أنه المخصي الذي تناول على تانيوكسارسس، وأمر بقتله حفاظاً على كرامة شقيقه، وقام بإلباس الموغ ملابس أخيه الملكية ووجهه للعامة معتقدين أنه أخو الملك وهكذا انطلت حيلة الاثنین على الشعب².

عندما علم قمبيز برسل سمرديس المدعي وما فعلت بين الجيش في مصر، استفسر من بركساسبس، بخصوص تنفيذه التام لأوامره بقتل شقيقه حيث أكد هذا القائد ولأئه وبأنه دفنه بيديه

¹- Herodotus, 3. 61.

²- Ctesias, 12-13.11.12

وأخبره بأن الأموات إن عادوا فليعد أستياجس الذي مات، اقترح عليه لكي يقطع الشك باليقين بأن يرسل في طلب الرسول واسأله من أين تلقى الأوامر بأن يطيعوا ويخضعوا لسمرديس، وكما هو متوقع استجوب بريكساسبس أحد المبعوثين حول ما إذا كان قد تلقى الأوامر من سمرديس شخصيا، وهو الأمر الذي نفاه المبعوث بقوله أنه لم يرى سمرديس بشكل كامل يؤكد له بأنه الشقيق الحقيقي للملك قمبيز، لم يلم المبعوث لأنه لم يكذب وتصرف كرجل صالح، وقد علم بريكساسبس من هو المتسبب في هذه المؤامرة، في الأخير تفتن قمبيز لتفسير الحلم بأن ملامسة رأس سمرديس السماء ما هو إلا صعود روحه للسماء مما يعني وفاته، حيث ندم على ما اقترفته يدها بحق شقيقه، وانطلق على جناح السرعة كي يوقف تمرد هذا المدعي، لكنه أصيب بسقوطه عن الحصان وجرح جرحا غائرا ومميتا بنصل سكينه كما فعل بالعجل أبيس، وقضى نحبه وهو في طريقه للقضاء على ثورة سمرديس المدعي¹.

يذكر داريوس الأول في نقوشه في بيهستون حادثة تمرد هذا الموغ، ويذكر نفس التفاصيل ما عدا الاسم، فهو مختلف عن ما جاء في المصادر الكلاسيكية القديمة، فهو يحمل اسم **غوماتا Gaumata**، هنا تدعي العديد من المصادر أن قمبيز كان موجودا في مصر أثناء تمرد هذا الموغ وأثناء عودته إلى بلاد فارس، توفي سنة 522، حيث كان بعيدا على الأقل بثلاث سنوات، حيث تكشف الوثائق المالية البابلية أن قمبيز توفي في وقت ما من أبريل، وقد خلفه شقيقه برديا لمدة ستة أشهر².

قبل أن يموت قمبيز أرسل لشعبه أبرز خطبائه ليخبرهم أنه هو من تسبب بقتل أخيه وأن سمرديس الموجود ليس بشقيقه الحقيقي، وأنه متأسف على فعلته ولو كان بيده لغير مجرى الأحداث، لكن حماقته جعلته يفقد أعصابه ويرسل أبرز قادته بريكساسبس لكي ينفذ مخططه الإجرامي، ومات قمبيز ابن قورش وانتهى حكمه الذي دام سبع سنوات وخمسة أشهر واثنا عشر يوما، ولم يترك وريثا لأنه لم ينجب أطفالا، في هذه الأثناء لم يصدق الفرس أن الجوس هم من استولوا على السلطة، خاصة وأن بريكساسبس قد أنكر جميع التهم الموجهة له من طرف الملك المتوفي بحيث من غير الآمن أن يكشف هذه المؤامرة³.

¹ - Herodotus, B3.64.

² - Matt Waters, op. cit, p 58.

³ - Herodotus, B3.65-67.

حكم الماغوس المدعي سمرديس غير آبه لمدة سبعة أشهر ليطم ما تبقى من حكم قمبيز، خدم الشعب كأبي ملك، وحاز على شعبية خاصة عندما قام بالعديد من الإصلاحات كإلغاء الخدمة العسكرية الإجبارية، والضريبة التي فرضت على الشعب والمناطق التابعة للإمبراطورية، كان قد أعلن عن هذه القرارات فور توليه العرش¹، ومن الممكن أن سمرديس قد استمر في الحكم لثلاث سنوات بالنسبة للقرار الذي سنه بخصوص التجنيد والضريبة، وبالنظر للمدة التي استغرقها قمبيز للتنقل من وإلى مصر نجد أنها تتطابق مع فترة حكمه.

أثناء تمرد الماغوس كان لا يزال داريوس الأول جزءاً من جيش قمبيز، وكان أحد حراسه الخاصين²، حيث استغل الفرصة وقام بالهجوم على سمرديس بهدف إنهاء حكمه بناء على قاعدة عدم شرعية إنتمائه للعائلة الملكية في أوائل خريف 522 ق م³.

في الشهر الثامن من حكم سمرديس، تم كشفه من قبل رجل يدعى أوتانيس **Otanes** ابن فارناباسيس **Pharnabases** (كان ذا نسب رفيع ونفوذ من بين جميع الفرس)، كان أول من اشتبه في أن الماغوس لم يكن ابن قورش، وأكثر ما أثار شكوكه أن سمرديس لم يخرج قط من قلعته ولم يستدع لحضور أياً من وجهاء الفرس، حيث قام باستدعاء ابنته التي كانت زوجة قمبيز، ليسألها أن سبق والتقت بسمرديس الحقيقي، وكان جوابها أنها لا تعرف شكله مما جعله يطلب منها أن تتقرب منه لتكون عينه وأذنه داخل البلاط وفي غرفة سمرديس وتتحسس أذناه لأن قورش الثاني قد قطعهما عندما عاقبه في وقت سابق لجرمة ارتكبتها، وفور تفتنهما لسمرديس اخبرت والده، في هذه الأثناء طلب الماغوس من بركساسبس أن يخطب بالناس ويخبرهم بأحقية سمرديس بالحكم لأنه الإبن الحقيقي لقورش، غير أن بركساسبس فعل العكس، وألقى على مسامح المتفرجين حقيقة ما جرى وعليهم الثورة ضده، في الأخير قام برمي نفسه من أعلى البرج وتوفي على الفور، وبذلك مات أبرز رجال قمبيز الثاني وذراعه الأيمن⁴.

¹ - Herodotus, B3.67-68.

² - Ibid, B3.140.

³ - Victor Davis Hanson, *Makers of Ancient Strategy : from the Persian Wars to the fall of Rome*, Princeton University Press, USA, 2010, p 17.

⁴ - Herodotus, B3.68-69 ; 74-75.

إتفق سبعة من النبلاء الفارسيين مع بعضهم للقضاء على الماغوس (اونافاس Onaphas ، إدريس Idernes ، نوروندباتس Norondabates ، ماردونيوس Mardonius ، باريسس Barisses ، اتفاناس Ataphernes وداريوس Darius ابن هيستاسبس Hystaspes) * بعد أن تبادلوا العهد بينهم، حيث اقتحموا حرم القصر خفية، ودخلوا غرفة سمرديس بمساعدة أرتسيراس وخادم القصر المدعو باغاباتس، الذي أخفى كل أسلحة الماغوس مما جعله أعزل إذا طعن من قبل هؤلاء السبعة حتى الموت¹.

اعتبرت المؤامرة كما أسماها هيروdot التي قام بها داريوس الأول تاريخياً كمؤامرة، إذ يذكر هيروdot حواراً دار بين السبعة قادة، حيث اقترح أوتانيس أن يختاروا ملكاً من بينهم بعد نجاح عملية القتل خاصة في ظل الفراغ السلطوي، قائلاً أنه يستبعد نفسه على أن يكون طامعاً في الحكم².

لكي يعطي الشرعية لمؤامرة السبعة، تحجج داريوس بقمييز وجريمته، وزيف شخصية سمرديس الذي جاء في نقش داريوس في بيهستون باسم غوماتا*، بحيث قتلوا المونغ لعدم استطاعة أي شخص الوقوف في وجه هذا المحتال، وما جاء في بيهستون يتطابق مع ما ورد في مؤلف هيروdot، غير أن هيروdot قد جاء بتفاصيل أكثر في قضية مقتل سمرديس، مؤامرة السبعة والصراع

* - يذكر هيروdot هؤلاء السبعة بأسماء مختلفة عن كتسياس، بحيث تتطابق مع السطر رقم 68 الذي جاء في العمود الأول من نقش بيهستون: فيندافارنا(س) (Vindafarna) ابن فاياسبارا (Vayaspara) الفارسي، وأوتانا(أوتانس) (Utana)(es) ابن ثوخرا (Thukhra) الفارسي، وغوباروفا غوبرياس (Gaubaruva) ابن ماردونيا (Marduniya) الفارسي، وفيدارنا(هيدارنس) (Vidarna) (Hydarnes) ابن باغايغنا (Bgabigna) الفارسي، وباغابوخشا(ميغاييكسوس) (Bagabukhsha) ابن داتوفاهيا (Datuvahya) الفارسي، وأردومانيش (Ardumanish) ابن فاهوكا (أوخوس) (Vahauka) (ochus) الفارسي، أنظر:

Rüdiger Schmitt, The Bisitun Inscriptions of Darius the Great, Old Persian Text, Corpus Inscriptionum Iranicarum, GB, 1991, p 72-73

¹ - Ctesias, B12-13.16.

² - Herodotus, B3.83-84.

* - في العمود الأول من السطر العاشر إلى السطر الرابع عشر من نقش بيهستون والذي جاء باللغة الفارسية القديمة(منقول إلى اللغة الإنجليزية)، يؤرخ داريوس لمجريات الأحداث التي جرت منذ مقتل برديا(سمرديس) وصولاً إلى اغتصاب العرش من طرف المدعي غوماتا(سمرديس المزيف) ومقتله على يده، أنظر: Amélie Kuhrt, op. cit, 143.

مع المغوس في القصر، ومداولات الجماعة بعد الحادثة، والحيلة التي قام بها داريوس والمعروفة باسم (حادثة الحصان)^{1*} والتي بسببها أصبح وليا للعرش، هناك العديد من النقاط التي تثير التساؤل في هذه الحادثة، إذ لا نرى أي مطالبة للعرش من داريوس من بين جميع أعضاء العصابة أثناء إجراء الحوار، والنقطة الأخرى حول الشبه وليس الشبه فقط بل حتى الإسم نفسه وهو العنصر المفقود عند داريوس، وأخيرا الظروف التي تم فيها قبول بريكساسبس بقتل سمرديس ولم تحط به الشكوك والتساؤلات، وبحسب نقوش بيهستون وما كتبه داريوس تجعلنا نصدق أن وريث العرش يمكن أن يكون قد مات قبل ثلاث سنوات فأكثر من الحملة، دون وجود أي اشتباه في ذلك، كانت نتيجة هذا التساؤلات، أن جعلت من غالبية الباحثين أمثال أولمستد T. Olmsted يعتقدون أن داريوس قد زيف الحقائق وأنه اغتصب العرش من برديا، وسواء كان برديا الحقيقي أم لا فإن الحاكم الذي قتل من طرف السبعة، قد استغرقت إقامته في ميديا مدة طويلة، واكتسب ثقة المغوس وفاز بدعم النبلاء الميديين ونبلاء المحافظات الأخرى وكذلك الفرس، واكتسب محبة الشعوب الخاضعة بإلغاء الرسوم العسكرية المفروضة عليهم والضرائب².

* - حادثة الحصان:،حادثة مشهورة من تاريخ داريوس الأول في المصادر الإغريقية كهيرودوت فيما تعلق باختيار الملك، اتفق القادة السبعة أن يجروا سباقا على ظهور أحصنتهم، وشرط السباق أن تستعد خيولهم قبل طلوع الفجر، ومن سهل حصانه مع شروق الشمس فهو الملك بدون شك، وكان لداريوس مربي يدعى أويباريس Oibaris أخبره بحيلة ستنظلي على القادة الستة الباقين، مفادها أن الحصان الذي سيمتطيه داريوس سيصهل بالتأكيد بسبب الفرس التي سيحلبها ويمتطيها هذا الخادم، حيث يجعلها تقترب من المضمار دون أن يراها أحد قبل شروق الشمس بوقت قصير، وهي الخطة التي نجحت في النهاية، عندما صهل الحصان فور شعوره بوجود الفرس وصادف صهيل حصان داريوس مع شروق الشمس ، من حسن حظ داريوس الأول أن السماء في يوم حادثة الحصان قد أبرقت في نفس الوقت مع شروق الشمس وصهيل الحصان، وعندما خر الستة ساجدين لداريوس وبايعوه ملكا، لأنهم اعتبروا هذه العلامة من الإله، وقد خصت داريوس دون غيره من النبلاء الستة واعتبر بالنسبة لهم شيء مقدس.: أنظر: Herodotus, B3.85-86، أيضا J. Poolos and Arthur Meier Shlesinger, Darius The Great : Ancient World Leaders, Chelsea House Publishers, USA, 2008, pp 17, 19.

Ilya Gershevitch, op. cit, p 216. -²

وصف الاستيلاء على العرش على حد الكتاب بأنه دموي، مع العلم أن داريوس قد جاهد وعمل على أن يكون سياسياً لامعاً ومذهلاً، وادعى أن ما أنجزه كان بمساعدة الإله أهورامازدا، وأنه لم يكن لديه خيار إلا قتل هذا المحتال¹.

من الممكن أن يكون هدف داريوس الأول، كسر القوة الأرستقراطية الإقطاعية الإيرانية، وأن السبعة كانوا معنيين بإعادة تأسيس سيادة هذه الفئة، لكن وبالتأكيد أن هيروودوت قد فهم أنها هيمنة فارسية، والأكثر من ذلك أن حركة السبعة كانت ثورة مضادة على الجانب النبيل في بارسا، كما سنرى لاحقاً انتصار داريوس، وأعقب ذلك تقلص دائرة النخبة ومنها اضمحلال النخبة الإمبريالية، وأردف ذلك استكمال عمليات مد النفوذ².

وصف داريوس الأول بأنه الملك الأكثر دموية الذي حكم الإمبراطورية الميديو-فارسية، حيث يعزى بأنه ميدي الأصل، ويحمل في بعض المصادر نفس الاسم، إذ ينسب إليه في بعض الأحيان أنه هو أول من أسس الإمبراطورية الفارسية الإخمينية الحقيقية، بجانب سبعة من رفاقه، يرجع أصل داريوس الأول بأنه ابن هيستاسبس، وكان هذا الأخير أحد الأمراء الفرس³.

يشير بعض الباحثين أن أصل داريوس ليس فارسياً أي ليس من فرع قورش الثاني، وكما سبق وأن رأينا أن استياجس قد دحر من قبل حفيده، وكان هو آخر الملوك الميديين، البعض من الباحثين يعتقد بأن أستياجس ربما كان داريوس الميدي، في الماضي عندما اعتقد الباحثون بميراث داريوس الأول الميدي، تحتم عليهم أن يضعوه من السلالة الملكية للملوك الميديين، التي ينحدر منها كياكسارس الأول واستياجس، أي ينحدر من أعضاء العائلة الملكية الميديية⁴.

¹ - Victor Davis Hanson, op. cit, p 18.

² - Ilya Gershevitch, op. cit, p 217.

³ - George R. Law, Identification of Darius the Mede, Ready Scribe Press, USA, 2010, p 67.

⁴ - George R. Law, op. cit, p 56.

غير أننا لا نستطيع أن نتحرى عن هذه الشخصية اللغز في التاريخ الفارسي القديم، منذ أول حضور لها، حتى وإن كان موجوداً، لا نستطيع أن نعرف داريوس على أنه ميدي، لأننا لا نعرف ولم تصلنا معلومات عن وجود ملك يدعى داريوس من ميدياً¹.

هناك خلط كبير في الأسماء خاصة بخصوص اسم داريوس الأول، حيث أول ذكر لداريوس الميدي، في كتاب العهد القديم (التوراة) في سفر دانيال (1:9؛ 1:11)، وأواخر المملكة البابلية².

هناك من يقول أن داريوس الأكبر هو نفسه غوبارو Gubaru وهو الرأي السائد من المعلقين على سفر دانيال من ثلاثة أرباع الأولى من القرن العشرين ميلادي، غير أن هيروودوت لم يشر إلى هذه الشخصية، على الرغم من أن كتابه الأول الذي تناول فيه قصة قورش الثاني تسمح لوجود شخصية غوبارو، حتى أن السجلات البابلية التي تؤرخ للملك نبونائيد حيث أتى باسم غوبارو وأوغبارو Ugbaru وعند أكسينوفون باسم غوبرياس Gobryas، وغوبارو الميدي يأخذ أشكالاً مختلفة بين جميع المصادر، ولكن العقدة الأساسية هي نفسها في كل التغيرات، وهي أن غوبارو عين حاكماً على بابل من طرف قورش الثاني، ومن المرجح أنه أعطي اسم داريوس، وأن والده كان ليكون اسمه أحشويرش (أكسر كسس Xerxes)، غير أن المؤكد أن غوبارو كان حاكماً ميدياً لبابل عين من قبل قورش الثاني³.

لقد ذكر كتاب دانيال التوراة شخصية تدعى داريوس الميدي ابن أحشويرش، الذي قيل أنه تولى الحكم بعد سقوط المملكة البابلية الجديدة، يعتبر داريوس الميدي شخصية رئيسية في دانيال 6، وقيل أن رؤية دانيال 9 قد حدثت أثناء فترة حكمه، ومع ذلك تؤكد المصادر الدراسة الحالية أنه لا

¹ - Roland Edmund Murphy and O. Carm, Responses to 101, Questions on the Psalms and other Writings, Paulist Press, USA, 1994, p 116.

² - نقلاً عن العهد القديم، Michael Segal, Dreams, Riddles and Visions : Textual, contextual, Approaches to the Book of Daniel, Walter De Gruyter, Germany, 2016, p 161.

³ - Steven D. Anderson, Darius the Mede : A Reappraisal, USA, CreateSpace Publishing, USA, 2014, p 45.

يوجد شخص مثل داريوس الميدي، غير أنه وبالنظر للفترة التي ذكرها دانيال والتي احتوت هذه الشخصية نجدها ترتبط بكيكسارس الثاني عند اكسينوفون (أستياجس عند هيرودوت)¹.

وفقا لنقش بيهستون كان داريوس ابن هيستاسبس حفيد أرسامس الذي كان ينحدر من الجد الأسطوري أخيمينيس والد تياسبس، وعلى الأرجح أن غوماتا(برديا) كان سلف قورش الثاني في الواقع ابنه، فمعنى انقلاب يفضي بأنه ابن الملك الحقيقي وليس المزيف، غير أن داريوس يذكر أنه قاد انقلابا فعلا على برديا عندما قام هذا الأخير باغتصاب عرش أخيه قمبيز، حيث أكد بأنه كان دجالا، فهناك ناقصة حقيقة أنه ربما قتل خلفا شرعيا لسلالة قورش الثاني، وعلاوة على ذلك ادعاء داريوس أنه ينحدر من نسل أخيمينيس Achemenes يمثل محاولة منه لإضفاء الشرعية على توليه العرش².

الحقيقة أن قمبيز لم يكن محبوبا من قبل الفرس وأغلبية الرعية، إن كانت فارسية أو ميديّة وحتى المناطق التابعة للإمبراطورية الفارسية الإخمينية، وكان غير مرغوب فيه من قبل الأرستقراطيين الفرس خاصة فيما يتعلق بتصفيته لكل النبلاء الفرس، حيث جاء برديا وقضى على الأرستقراطية وساند الشعب دون الفئات النبيلة، تلك الفئة التي ساعدت داريوس للصعود إلى العرش، والثورات الشعبية التي قامت فيما بعد ضد داريوس، قامت ضد الأرستقراطية التي يقودها هذا الأخير³.

لقد كتبت النقوش بالعلامية واللغة الفارسية القديمة واللغة البابلية، حيث سجل داريوس الأول على أنه الملك الإخميني التاسع في تاريخ الإمبراطورية الفارسية، من شجرة عائلة ذات فرعين تعودان للملك أخيمينيس، تياسبس ثم قورش الأول، ثم قمبيز الأول، ثم قورش الثاني وبعده قمبيز الثاني من الفرع الأول، أريارامنس Ariaramnes وأرسامس Arsames من الفرع الثاني، هذا ما دون على صخرة بيهستون، وبأن الإله أهورامازدا قد ساعده عبر نجواه له، فكان هو خلفا لقمبيز الثاني، وهو الملك الأحق بالعرش، بعد موت قمبيز بدون أي محاولة اغتيال⁴.

¹ - Steven D. Anderson, op. cit, p 1.

² - Gene R. Garthwaite, p 33.

³ - Richard Nelson Frye, op. cit, p 99.

⁴ - R. Ghirshman, op. cit, pp 139, 140.

كانت أسباب الأزمة السياسية للإمبراطورية التي حدثت خلال حملة قمبيز على مصر، بسبب إقامته المطولة بها، ولا بد أنه أدرجت مسألة التمويل المالي والعسكري للحملة ضد مصر، مما زاد من حدة التوتر بين الملك العظيم، والفئة الفارسية الأرستقراطية التي كانت في السلطة، بالإضافة للاقتتال الذي حصل من أجل العرش، وجدت الإمبراطورية نفسها في ثورة سياسية كانت حدا فاصلا، والتي سجلتها نقوش بيهستون أو ما أورده هيرودوت بالرغم من أن التسلسل الزمني للأحداث لا يزال موضوعا شائكا لعدم وضوحه¹.

كان داريوس الأول من قادة جيش قمبيز، وكان مدعوما بنواة الجيش الفارسي الإخميني، حيث كان بحاجة إلى دعمهم أكثر في الشهور الأولى من حكمه لقمع التمرد، وقد أجل توسعات الإمبراطورية في الوقت الحالي لما سيعود بانتكاسة في حكمه، وربما الأمر الذي سيؤدي إلى انهيار مساعيه في البقاء على عرش الإمبراطورية².

كان الفراغ السياسي الذي تلا وفاة قمبيز بمثابة تحول كبير للإمبراطورية الفارسية الإخمينية، حيث احتوى داريوس الأمر بالقيام بقمع الثورات الكثيرة التي قامت في السنوات الأولى التي تولى فيها زمام الأمور (521-522 ق م)، حتى أعلن كونه لن يستطيع تحقيق أي انتصارات حتى من دون مساعدة نسبة كبيرة من الأرستقراطيين الفارسيين، هؤلاء لم يكونوا راضين بسياسة قمبيز وحتى غوماتا المحتال، فعملية تشكيل الإمبراطورية والتوسع الإقليمي والجهود العسكرية والسياسية والمالية التي كانت لازمة، على ما يبدو أنها خلقت المعارضة بين الملك العظيم، والرعية الفارسية، والأرستقراطية الفارسية فيما يتعلق بالأدوار المعنية، دور الحاكم، الأرستقراطية، فئات المجتمع، وباحثائها، أظهر حنكة بتسييرها، وكانت شهادة على مهارته السياسية والدبلوماسية الكبيرة، بأنه لا يزال قادرا على الحفاظ على وحدة الإمبراطورية، وربط تحالف مع الأرستقراطية، وتأمين مطالبته بالعرش، بأنه قادر على المساواة³.

¹ Ian Morris and Walter Scheidel, op. cit, p 72.

² William Shepherd, The Persian War In Herodotus and other voices, Osprey Publishing, USA, 2019, p 77.

³ Ian Morris and Walter Scheidel, op. cit, p 73.

2-1-2 تثبيت سلطة الملك والقضاء على الثورات:

لقد سعى داريوس الأول في السنوات الأولى من حكمه، لإثبات شرعيته من خلال العمليات العسكرية التي قام بها، إثر ثورة الأقاليم التابعة للإمبراطورية الفارسية الإخمينية من بينها ثورة المحتال غوماتا، وكما قلنا فقد كان جده ووالده لا يزالان على قيد الحياة عندما اعتلى سليلهما داريوس الأول العرش، فجدده لم تكن له أي سلطة ولم يكن مسؤولاً حكومياً، أما والده فكان حاكم إقليم Parthia بارثيا* وهيركانيا* Hyrcania، غير انه لم يكن لديهما أي تأثير خلال أو بعد فترة تحول الإمبراطورية الإخمينية في عهده، ومهما يكن، فقد أبرق اثنان من الولاة الفارسيين وهما دادارشي (ش) * Dādarši(s) حاكم باكتريا Bactria (باختيار)، وفيفانا الفارسي Vivāna حاكم أركوزيا Arachosia (أراخوزيا)، بأن الأراضي الأخرى قد أعلنت فيها حالة تمرد، أو على الأقل غير مبالية لنظام الحكم، هذا وقد ذكر في صخرة بيهستون أن ثلاثة وعشرين منطقة كانت تمثل الولاء له، وحاول أن يقنعنا بأنها قامت بالثورة فيما بعد¹.

وفقاً لعرض داريوس، اندلعت الثورات الأولى (سميت بثورة الملوك الكاذبين) في بلاد عيلام وبابل بعد القضاء على ثورة غوماتا، في عيلام قام أس(ش)ينا Açina (أو أكينا)* ابن أوبادارما بهجوم على بابل واستولى عليها، حيث تشهد الألواح التي سجلت التواريخ أن ثورة ندينتو-بيل، كانت قبل بداية أكتوبر من سنة 522 ق م، عندما تم الاعتراف به في بابل على أنه ملكا عليها

* - بارثيا: عند الإغريق، تقع في آسيا الوسطى شمال شرق إيران إلى الجنوب الشرقي من بحر قزوين، مشتقة من الإسم الفارسي parthava، برزت في الفترتين الفارسية الإخمينية والمهلينستية (تحت حكم السلوقيين)، شكلت جزء من مقاطعات الإمبراطورية الفارسية الإخمينية منذ صعود قورش الثاني للحكم، ظهرت في نقوش داريوس في بيهستون، وبقيت خاضعة للفرس حتى نهاية الإمبراطورية سنة 330 ق م، أنظر: Trevor Bryce, op. cit, p 530.

* - هيركانيا: تقع في آسيا الوسطى، كلا المصدرين الفارسي والمصادر الكلاسيكية يتفقان على موقع هيركاني، حيث تقع جنوب بحر قزوين شمال غرب بارثيا، ربما هي في الأصل جزء من ميديا قبل حملات قورش الثاني، خضعت طواعية لقورش، ترمدت في عهد داريوس الأول، أنظر: Trevor Bryce, op. cit, p 326.

* - قائد في جيش داريوس وحاكم مقاطعة باكتريا، من أصل أرمني، العمود الأول من السطر 26 من نقوش بيهستون نقلا عن: Amélie Kuhrt, op. cit, p145.

¹ - A. T. Olmstead, op. cit, p 110.

* - أشينا: ملك عيلامي كان آخر الملوك العيلاميين نسبة لنقوش داريوس، والذي اقتيد أسيرا لداريوس الذي قتله فيما بعد، من العمود الأول في السطر 17، أنظر: Rüdiger Schmitt, op. cit , p 54

باسم نبوخذ نصر، وعلى أنه ابن نبونائيد(نبونيدوس)¹، ويضيف داريوس بأن جميع المناطق، قد تقبلت غوماتا على أنه ملك شرعي بدون طرح أي تساؤل، وبقتله أتاح للعديد من المناطق الخاضعة لتجديد مطلبها في الاستقلال الوطني².

يذكر في نقش داريوس، أن أولئك الموجودين على البحر(ربما يقصد بذلك شعوب البحر)، وأيونيا Ionia* وسارديس Sardis*، لم يقوموا بأي نوع من الثورات، غير أن الرواية الإغريقية الموازية تذكر عكس ذلك، فأوروييتس قد نصب حاكما على سارديس في أواخر سنوات قورش الثاني، وأنه تعرض للاستبداد الملكي، هذا وقد دعا بوليكراتس(طاغية ساموس) لزيارته في ماغيزيا Magnesia*، حيث غدر به وقتله ونكل بجمته، وفي الفترة التي رافقت أزمة غوماتا، قام أوروييتس بدبح ميتروباتس حاكم داسكيليوم، وعلى ضوء هذه التطورات أرسل داريوس رسالة لحاكم سارديس، غير أنه قتل خلال عودته، في هذه الأثناء كان داريوس لا يزال حديث العهد بالعرش وليس بالقوة الكافية لفتح جبهة قتالية، وبخفة وحنكة ودهاء، أرسل باغايوس ابن أرتونتس إلى سارديس حاملا رسائل مختومة، ليختبر مدى ولاء الكتاب والناسخين، ومن ثم الحراس رماة الرماح، وعندما أظهروا

¹ - Pierre Briant, op. cit, p 115.

² - A. T. Olmstead, op. cit, p 110.

* - أيونيا: الإسم اليوناني لمنطقة الأناضول الساحلية الوسطى لبحر إيجه الممتدة بين خلجان إزمير وبارجيليا بما في ذلك جزر خيوس البحرية وساموس، عبد سكانها الآلهة أثينا، تعرضوا للقمع الفارسي سنة 499 ق م، حققوا نصرا على الجيش الفارسي بشكل مؤقت، واسترجعوا جزء من سارديس، غير أن الجيش الفارسي رجع وسحقهم بقوة وأعقب انتصار الجيش الفارسي إنتقاما وحشيا ضد ثوار هذه المدينة، أنظر. Trevor Bryce, op. cit, pp 334 ; 335.

* - سارديس: مدينة سارت حاليا مقاطعة مانيسا، شهدت حضارات كل من الفرس والبيزنطيين والمملكة الليدية، تقع حوالي 90 كم من ساحل بحر إيجه وسط هيرموس، للمزيد أنظر:

Phillip Niewohner, The Archaeology of Byzantine Anatolia: From the End of Late Antiquity until the Coming of the Turks, Oxford University Press, 2017, p 231.

* - ماغيسيا: تقع في إقليم تساليا في آسيا الصغرى، اسم لمنطقتين قديما (القرن الرابع قبل الميلاد) كلاهما تقع في كل من ليديا وأيونيا، للمزيد أنظر :

Vasilios Melfos & Bruno Helly & Panagiotis Voudouris, The ancient Greek names "Magnesia" and "Magnetes" and their origin from the magnetite occurrences at the Mavrovouni mountain of Thessaly, central Greece. A mineralogical-geochemical approach, Archaeological and Anthropological Sciences Springer Journal, vol3 no 2, 2011, pp 165-166.

ولاءهم، أعطى الأمر بقتل أورويتس¹، كان داريوس بمجرد تأسيس قوته، حريصا على معاقبته للكثير من الجرائم التي ارتكبتها، وأقلها قتل ميتروباتس وابنه ومبعوث داريوس، وكانت عادة داريوس في معالجة الأمور السير بروية والتصرف بثبات وبدون انفعال، ولم يقيم بأي فعل إلا واستشار كبار المسؤولين وذلك لإضفاء الشرعية لكل ما يقوم به، على أن يكون غيره على بينة²، وعلى إثرها استطاع أن يسترجع سارديس، داسكيليوم *Dascylum وأيونيا، بالرغم من أن داريوس قد قتل غوماتا في إقليم ميديا، إلا أنه لم يستطع حتى أن يبقى عليها تحت سلطته³.

اعتبر هذا التمرد عصيانا من طرف حاكم سارديس، وليس ثورة من الليديين، على الرغم من أن سكان الولاية قد استاءوا من الإدارة الفارسية⁴، وقد كان حكم داريوس فصلا هاما في تاريخ الإمبراطورية الإخمينية، ففي ظل سيادته، وصلت الإمبراطورية إلى أعظم توسع إقليمي لها، ومن سوء الحظ أن الفترة التي تلت حكمه لم توثق⁵.

لقد وقعت أغلب الثورات في قلب الإمبراطورية الإخمينية، على الهضبة الإيرانية، أو في بلاد ما بين النهرين⁶، وكانت ميديا صعبة على داريوس الأول بحيث لم يستطع تجهيز حملة لاسترجاعها وهذا نظرا لحداثة الجيش وعدده القليل، لذا شرع في استعادة بابل، في حين أن الثورة كانت لا تزال مشتعلة فيها من قبل شخص يدعى خشتاريتا Khshathrita أو فراوريتيس Phraortes (فراوريتيش Fravartish)، كان يدعي بأنه سليل كياكسارس، وما هو إلا من الآريين، بسبب ثورته فقدت بارسا موطن داريوس الأول والعديد من المناطق على غرار فاهيازاداتا Vahyazdata الذين

¹ - A. T. Olmstead, op. cit, p 110, 111.

² - Herodotus, 3. 127.

* - دسكيليوم: تقع على بعد حوالي 30 كم داخلها من ساحل بروبونتيس شمال غرب الأناضول، اعتبرت نقطة إستراتيجية مهمة لتأمين الطريق البحري بين بروبونتيس وهلليسيونت، كانت مركزا إداريا إخمينيا، لم تكن معروفة حضاريا قبل تواجد الفرس الإخمينيين على أراضيها، ربطتها علاقات جيدة بحكام الفرس الإخمينيون، أنظر:

ABE Takuji, Dascylum : An Overview of the Achaemenid satrapal City, The Kyoto journal of Ancient History, vol 12, 2012, p 1.

³ - A. T. Olmstead, op. cit, p 111.

⁴ - Pierre Briant, op. cit, p 115.

⁵ - Ian Morris and Walter Scheidel, op. cit 72.

⁶ - Richard Nelson Frye, op. cit, p 100.

ثاروا من تارافا في يوتيا(أوتي) في كارمانيا، حيث أرسل جيشا ضد أراخوزيا حتى قبل أن يصل إلى للمدينة، ومن المرجح أنه أتمن آريا ودرانغياناDrangiana في طريقه، هذا وقد أعلنت عيلام استقلالها تحت قيادة هاششيناHashshina(أو حاشينا) ابن اوكباتارغا، وعند وصول داريوس للمنطقة الغربية في بابل من معبر زاغروس، أرسل إلى عيلام مبعوثا ملكيا للسكان المحليين، وهذا كان كافيا للتعرف على حاكمهم الحقيقي والشرعي، وعليه قاموا بإرسال هذا القائد إلى داريوس والذي وضع حدا لحياته، ولحد الآن لم يصل خبر القضاء على برديا المزيف إلى مسامع البابليين في 3 أكتوبر من سنة 522 ق م، وبعد أربعة أيام من الحادثة، ثار البابليون على الدخلاء وسموا ملكهم الجديد وهو نبوخذ نصر الثالث ابن نبونيد(وهو في الحقيقة يدعى ندينتو بيل Bel -Nidntu ابن انيري Aniri)¹.

لقد انتهت مواجهات الفرس مع عيلام بسهولة وبدون استعمال واضح للقوة، غير أنه حدث العكس مع ثورة بابل، فقد كان على رأس الجيش داريوس في حد ذاته، حيث عبر نهر دجلة، ثم نهر الفرات²، وكعادته، استعمل داريوس ذكاهه، إذ عبر جنوده النهر فوق جلود منفوخة لكي لا ينكشف من قبل العدو محاولا بهذه الخدعة أن يسيطر على السفن ويؤمن المعابر في النهر، ووقع الفوز الأول لصالح داريوس في 13 ديسمبر من نفس السنة، وكانت المعركة الثانية بعد خمسة أيام من الأولى في زازانا على الفرات مع نبوخذ نصر شخصيا³.

التقى الخصمان، وكانت المعركة حاسمة حيث استدرجت القوات البابلية إلى الماء وهرب الثائر إلى بابل، ولكنه وقع في يدي الفرس بسرعة وذبح في 22 ديسمبر 522 ق م، وهو التاريخ الذي سجل أول سنة لحكم داريوس الأول على بابل، ملك بابل ملك كل البقاع، بينما كان في طريقه للاستيلاء على القصر الشمالي لنبوخذ نصر وهو لا يزال في بابل، أعلن داريوس أن كل من بارسا وعيلام، ميديا، آشور، مصر، بارثيا، ساتاجيديا Sattagydia والساقا Saka قد تمردت⁴.

¹ - A. T. Olmstead, op. cit, p 111-112.

² - Pierre Briant, op. cit, p 115.

³ - A. T. Olmstead, op. cit, p 112.

⁴ - A. T. Olmstead, op. cit, pp 112, 113.

كان المد قد بدأ بالتراجع، ففي ذلك الحين في ديسمبر قام دادارشيخ حاكم باكتريا بصد قائد مارغوش Margush أو مارغيان Margiana، ومن المرجح أنه قتل النبي زورر استر Zoro Aster، غير أنه بعد مدة عاود الكرة واسترجع المنطقة، وفي 29 ديسمبر في حصن كاييشاكانيش Kabishakanish، هزم فيفانا Vivana الغزاة الذين أرسلهم فايازداتا Vahyazdata من فارس ضد أراخوزيا Arachosia، وفي الأيام الأخيرة من نفس السنة (522 ق م)، حقق فوميسا Vaumisa نصرا في ايزالا Izala في آشور، بالرغم من صغر جيش داريوس المكون من الميديين والفرس كان عليه أن يستنزف جيشه في الحرب التي سيقودها واحد من جماعة السبعة فيدارنا ضد ميديا¹، لقد كان تمرد الأقاليم مثل بابل وعيلام، ميديا وباكتريا، عبارة عن محاولة لاسترجاع شرعية ملوكها، أو محاولة الادعاء بشرعية هؤلاء المتمردين على أنهم ينحدرون من الأسرة الملكية لكل من هذه المناطق².

مهما يكن، من جهة الحامية المصري، ترك قمبيز اريانوس Ariandes حاكما على مصر، والذي نفر منه المصريون بسبب قسوته، وقد قاموا بطرده بعد ذلك³، لم يتكلم داريوس عن المتمردين في إقليم مصر، بالرغم من تلميحه لهم في تعداده للمناطق المتمردة، ومن الممكن أن سلالة محلية قد ثارت هي الأخرى (بيتوباستس Petubastis) سنة 521 ق م، إلا أنها اختفت بعد بضعة أشهر⁴. حدثت مناوشات في المنطقة المسماة مروش في 12 جانفي من سنة 521 ق م، حيث قاد الهجوم على ميديا القائد فيدارنا وكان النصر حليفه، والذي قد أرسل من بابل⁵، حيث لم يقم بالهجوم إلا بعد وصول داريوس الأول⁶، وفي منتصف جانفي 521 ق م غادر داريوس بابل وقرر إنشاء مقره العام في ميديا حيث واجه قواده صعوبات كبيرة في التعامل مع الوضع في المنطقة، حيث حقق المتمرّد الميدي فرافارتيش بعض النجاحات واستمر في مد عملياته نحو بارثيا-هيركانيا، وبعد وقت قصير حقق فيفانا نصرا ثانيا في اراخوزيا في 21 فيفري، كما قام والد داريوس الأول بالهجوم

¹ A. T. Olmstead, op. cit, pp 112-113.

² Maria Brosius, op. cit, p 18.

³ A. T. Olmstead, op. cit, p 113.

⁴ Pierre Briant, op. cit, p 115.

⁵ Ibid, p 117.

⁶ A. T. Olmstead, op. cit, p 113.

على أنصار فراوورتيس في بارثيا-هيركانيا في 8 مارس، ليواجه بعد ذلك داريوس الأول شخصيا زعيم المتمردين في ميديا وخرج منتصرا في 8 ماي، وبعد هذا النصر أقام داريوس الأول في اكباتانا، وسرعان ما تم إحضار زعيم المتمردين لداريوس، والذي أسر في راغا في ميديا¹.

وفي 20 ماي هزم دادارشيش، المزارعين الموالين للقائد الميدي في زوزو، وبعد أربعة أيام هزم ارتفارديا Artavardiya المطالب بالعرش فايازداتا في راخا Rakha الفارسية، الذي فر وشكل جيشا آخر في بيشيوفادا، ستة أيام من بعد حقق دادارشيش الأرميني نصرا ثانيا في حصن تيغرا Tigra، وفي 11 جوان انتصر فوميسا للمرة الثانية في منطقة اوتيارا Autiyara في جبال تياري Tiyari، وفي 30 جوان انتصر دادرشيش للمرة الثالثة على حصن اوياما Uyama، وأيا كان ونظرا لهذه الانتصارات التي حققها القائدان نجد أنهما كانا في انتظار دعم القائد الأول لهما، وهو داريوس الأول، وبالرغم من إعدام فراوورتيس بقيت التمردات في بارسا، مما جعل داريوس الأول يترك جيشا في حامية في اكباتانا Ecbatana، ليغادر مسرعا في أبريل في وقت سابق نحو الشمال إلى راغا Raga، وهنا لا يزال يستنزف من قواته، إثر إرساله دعما عسكريا لوالده، ولحد الآن لم يستطع إرغام الرعية البارثية بأن تخضع لسلطته².

يبدو أن حدوث هذه الثورات وزخم الأحداث التي نلاحظها والكم الهائل من القادة الحربيين والتعبئة والنفير العام، ليس إلا دليل على ضعف حكام هذه المناطق وتواجد ثغرات في الحكم، في ظل الانفلات السياسي والعسكري³.

وصول أخبار من آشور وأرمينيا عن معارك غير حاسمة، جعل داريوس يعود أدراجه غربا عبر بحيرة أورميا ومضيق رواندوز، حيث وصل أرييلا أواخر جويلية، وساغارتيا وهي جزء من ميديا، والتي كان قد استولى عليها فراوورتيس ومرة أخرى من طرف شيثراتاخما chithratakma وهو من الساغارتيين الأصليين، ادعى بدوره أنه سليل كياكسارس على غرار فراوورتيس أيضا، حيث واجه هذا الدعي القائد الميدي تاخماسبادا Takhmaspada الذي ترك فوق جيش الفرس والميديين في الحامية الموجودة في اكباتانا، حيث وقعت المعركة وأسر هذا الميدي وأخذ إلى داريوس في أرييلا ولاقى نفس

¹ Pierre Briant, op. cit, p 117.

² A. T. Olmstead, op. cit, p 114.

³ Elton L. Daniel, op. cit, p 42.

مصير فراوورتيس، هذا وقد تحرر هيستاسبس من الحصار الذي عانى منه بفضل مساعدة ابنه، وفي الحادي عشر من جويلية نجح أخيرا بهزم الخصوم الموجودين في منطقة باتيغرابانا Patigrabana، مما جعل بارثيا وبعد عناء طويل آمنة، أربعة أيام بعد ذلك قام ارتفارديا بدحر فايازداتا وجيشه حديث التكوين في جبل بارغا، وبأمر ملكي تم اختراق معقل صاحب المطالبة بالسلطة باسم برديا وكبار المسؤولين في منطقة اوايشايا Uvadaichaya¹.

نحن لا نعرف، إن كان هؤلاء الذين ثاروا باسم المطالبة بأحقيتهم في العرش، شرعيين أم كاذبين حسب ما قاله داريوس الأول أنهم بالأكد قد استغلوا منفعة نهاية سلالة قورش الثاني، كذلك الطريقة التي صعد فيها داريوس على عرش الإمبراطورية الإخمينية، فالعديد من السكان قد اعتبروا قتل غوماتا أو برديا عبارة عن اغتصاب للسلطة من طرف داريوس، لم تكن النقوش التي خلدت انتصارات وطريقة استيلاء داريوس على العرش، سوى وسيلة دعائية للتغطية عن فعلة داريوس غير الشرعية، والحروب الأهلية هي أكثر من صراع للحكم الذاتي المحلي، أو منافسة شخصية مع داريوس الأول على النفوذ، بل هي سلسلة من معارك تجسد الطبقيّة الاجتماعية، والصراع على المصالح²، حيث كان داريوس وقادته يقومون بأسر أعداد كبيرة من الخصوم والمعارضين من المناطق التي قاموا باستعادتها أو إخضاعها، خاصة في المناطق التي أبدت ولاءها لمن انتحل شخصية شقيق قمبيز برديا³.

في حين أن الألواح التي كتبت في سيبار Sippar في 8 سبتمبر والتي تعرف بداريوس، كتبت لوحة في اليوم الموالي باسم نبوخذ نصر والتي أعدت في أوروك Uruk، خلافا لذلك اندلع تمرد في قرية غير معروفة في دوبالا Dubala من المحتمل أنها تقع في جنوب بابل، على الرغم من مرور بعض الوقت قبل أن يتمكن بحق من الحصول على لقب ملك بابل من خلال احتلال العاصمة، والذي تحقق في 21 من سبتمبر، وفي 27 نوفمبر من سنة 521 ق م قبض على نبوخذ نصر الرابع الذي ادعى أنه ابن نبونيد من طرف فيندافارنا (اينتفانرس) عضو آخر من مجموعة السبعة⁴.

¹ - A. T. Olmstead, op. cit, p 115.

² - Richard Nelson Frye, op. cit, p 101.

³ - Ilya Gershvitch, op. cit, p 219.

⁴ - A. T. Olmstead, op. cit, p 115.

في نقوش داريوس الأول التي كتبت بالفارسية القديمة والعلامية ذكر أن نبوخذ نصر ليس بابليا إنما ينحدر من أرمينيا، إذ أن اسم والده في الأصل أرميني ومن الطبيعي أنه ينحدر من أصول أرمينية ومهما يكن، فهيرودوت يذكر أن داريوس عند استيلائه على بابل أمر بقتل ثلاثة آلاف من النبلاء الذين كانوا يعيشون في المدينة¹، في الجزء الشمالي الشرقي من الإمبراطورية الإخمينية اندلعت ثورة أخرى وهي عبارة عن تمرد المارغيانيين بقيادة فرادا، حيث يقول داريوس: " أرض باسم مارغيانا قد ثارت علي، وشخص يدعى فرادا Frada المارغياني جعلوه قائدا(في اللغة العيلامية واللغة البابلية لقب بالملك)، من ثم أرسلت مبعوثي دادارشيخ الفارسي وخادمي حاكم باكتريا، وقلت له التالي: اذهب واقضي على الجيش الذي لم يظهر لي الولاء، عند ذلك انطلق حاكم باكتريا على رأس جيشه لملاقاة المارغيانيين"، هذا ولم تحدد الفترة الزمنية التي جرى فيها الصراع بشكل واضح، إلا أن فرادا هزم على يد دادارشيخ في الثالث والعشرين من شهر كيسليمو(Kislimu)*، ومهما يكن، فنحن لا نعرف على وجه الخصوص إن كانت المعركة قد وقعت في السنة التي صعد فيها على العرش 10 ديسمبر 522 ق م أم السنة الأولى من حكمه كملك شرعي في 28 ديسمبر 521 ق م، وأغلب الشك أنها في السنة الأولى من حكمه كملك، ذلك أنه ليس من المنطق أن يصدر أمرا لحاكم ولاية فارسية إخمينية بتجهيز جيش للقضاء على التمرد، وهو لم يثبت حكمه بعد على العرش الفارسي الإخميني².

هزم فرادا وأتباعه، ووقعت مجزرة هناك، حيث قتل ما يقرب 55.243 من المتمردين و6.972 قد أسروا، ونظرا لهذا العدد عدت مارغيانا من بين المناطق الأكثر عددا من حيث

¹ - Herodotus, B2.160.

* - كيسليمو: الشهر التاسع من شهور السنة الإثنا عشر في الرزنامة البابلية وهي كالتالي 1. نيسانو Nisanu، 2. أيارو Aiaru، 3. سيمانو Simanu، 4. دوزو Duzu، 5. أبو Abu، 6. أولولو Ululu، 7. تشريتو Tashritu، 8. أراخسامنو Arahsmnu، 9. كيسليمو Kislimu، 10. تبيتو Tebetu، 11. شباطو Shabatu، 12. أدارو Addaru، هذا وقد نجت هذه الرزنامة بما فيها الأسماء مع اختلافات طفيفة والملاحظة في تقاويم ما بعد البابلية (النبطية واليهودية)ومن ثم في التقويم اليهودي وأواخر العصور القديمة من سوريا ومن هنا جاء التقويم السرياني، للمزيد أنظر:

Sacha Stern, Calendars in Antiquity : Empires, States, and Societies, Oxford University Press, UK, 2012, p 75.

M. A. Dandamaev, A political history of the Achaemenid Epmire, pp 123 ; ² - 124 ; 125.

السكان، غير أن بعض الباحثين يقولون عكس ذلك، فبالنسبة لصغر المنطقة، نجد أن عدد القتلى كان عددا رهيبا ومرتفعا بشكل كبير، غير أن عددا كبيرا من الذين سقطوا إما قتلى أو أسرى كان فيهم عناصر من قبائل السقيا، ومن المرجح أنهم شاركوا في التمرد، غير أنه يوجد ما يؤكد أن هذه المنطقة كانت تعدادها السكاني كبير، وهذا بحسب المسح الأثري للموقع خاصة في واحة مارغيانا، ويذكر التاريخ أنه بعد القضاء على التمرد في المنطقة، أصبحت محطة كما تغيرت فيها الحياة اليومية، والمناطق الزراعية التي تواجدت في الفروع الثلاثة لنهر مُرغاب، قد أصبحت عبارة عن فقار، ومن المحتمل أن العديد من المارغيانيين الذين أسروا، قد بيعوا كعبيد في سوق النخاسة، حيث تذكر الوثائق والنقوش أن امرأة باكترية قد بيعت كعبدة في سوق النخاسة في المدينة البابلية سبيار سنة 512 ق م، ذلك أن ثورة المارغيانيين قد توحدت مع الباكترين، وعليه كانت ثورة فرادا آخر ثورة شعبية كبيرة في الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، حيث ذكر داريوس الأول في نقوشه باللغة الفارسية القديمة والعلامية معتزا بنصره قائلا: " لقد هزمت هؤلاء الملوك التسعة في تسع عشرة معركة"، وفي النسخة البابلية: " هؤلاء الملوك التسعة الذين هزمهم جيشي (والذين نجوا) قبضت عليهم وأعدمتهم، وقام جيشي بدحر قواتهم في هذه المعارك"¹.

كانت هذه ثمانية أشهر فقط منذ توليه الحكم، استطاع فيها داريوس الأول استرجاع المناطق التي كانت تابعة للإمبراطورية الإخمينية، وتعزيز مكانته الملكية، وتثبيت موقعه ومد نفوذه، ورسم حدود إمبراطوريته، بالرغم من عدم ذكر داريوس التمردات التي وقعت في آسيا الصغرى على غرار أيونيا، داسكيليوم وليديا، ذكرت عند هيرودوت وحتى ديودور الصقلي، حيث غابت الأحداث التي ارتبطت بالتمرد في آسيا الصغرى في نقوش بيهستون، عكس المصادر الكلاسيكية².

من خلال تتبع عدد القتلى والأسرى، نجد أن حروب داريوس من أجل التوسع أو من أجل استرجاع المناطق التي تمردت قد اتسمت بالدموية من خلال المعطيات التي أتت بها نقوش بيهستون،

M. A. Dandamaev, A political history of the Achaemenid Epmire, p 126. ⁻¹

Ibid, p 127. ⁻²

إذ يلخص Pierre Briant عدد القتلى والأسرى حسب ما جاء في نقوش داريوس على جبل بيهستون في جدول كالآتي¹:

الأسرى		القتلى		المعركة	البلاد
DB الآرامية	DB البابلية	DB الآرامية	DB البابلية		
؟؟	؟2...	؟35,404 ؟4,464	4,404 6,246	Rakkha راکھا Parga بارغا	فارس Persia
؟4,329 [.]1,801	؟4,329 ؟؟	؟5,827 [34,42]5	؟3,827 ؟34,425	Maruš ماروش Kunduruš كوندوروش	ميديا Media
	؟4,346 4,192		6,346 6,570	Višpauzathiš فيشپوزاثيش Patigrabana باتيغرابانا	بارثيا Parthia
6,972		5]5,24[3	؟522,..	.	مارغيانا Margiana
[520] [0]02 1,578	520 ؟525 1,588	[6]504 427 2,034 [2,04]6	546 427 2,034 2,045	Tigra تيغرا Uyama اوياما Izala ايزالا Autiyara اوتيارا	أرمينيا Armenia

جدول (1) يوضح المناطق المتمردة وعدد القتلى والأسرى²

¹ Pierre Briant, op. cit, p 118.

² Ibid

من مجموع المناطق التي تمردت ضد الحكم الفارسي الإخميني، لم تذكر نصوص بيهستون سير الأحداث في سوغديانا، آرابا، درانغيانا وبلاد العرب، ومهما يكن فالعرب بقوا حلفاء لداريوس وليسوا بصفتهم خاضعين، وربما كانت بقية المناطق آنفة الذكر، قد ثارت في تحالف مع مارغيانا، كما لم يذكر داريوس أي اضطراب قد حدث من عند اليهود، غير أنه وحسب بعض الباحثين، فإن الكلمات التي وردت عن لسان النبيين اليهوديين حجّاي وزكريا والتي يصفان فيها بدايات حكم داريوس الأول، ويناديان للثورة على الفرس، وتحقيق الاستقلال الذاتي، وقد حدد الباحثون هذه الدعاية في الوقت الذي ثار فيه نيدنتو-بيل وأراخا، ضمن التمرد البابلي، خلال حكم زوربابل¹.

2-1-3 مد النفوذ الفارسي الإخميني:

1- حملة داريوس على السقا تيغراكسودا(تيغراخوندا):

كانت الحملة التالية بعد القضاء على بؤر التمرد، موجهة نحو حدود آسيا الوسطى، كان هذا المسرح مهما بسبب تدخل السقا في المنطقة الواقعة في الشمال الشرقي للإمبراطورية أثناء التمرد، ومن المرجح أن داريوس كان يهدف من خلال هذه الحملة لاستعادة هيئة الإمبراطورية الفارسية الإخمينية في آسيا الوسطى، خاصة بعد وفاة قورش الثاني على يد ملكة الماساغيتاي توميريس قبل 20 سنة². كان الهدف من الغزو الفارسي الإخميني لأوروبا إخضاع الأراضي التي يحتلها الإسكِيثيون إلى الشمال الغربي من البحر الأسود والتي تتكون من البدو الرحل من شعوب السقا على الحدود الشمالية الشرقية للجمهورية(تشارك في الأصول نفسها مع الشعوب التي تسكن في السهوب على الشمال)، والتي لم ينجح سلفه في حيازتها، هدف داريوس على الأرجح نفسه هدف قورش الثاني، وهو تقوية الحدود الضعيفة ومد النفوذ إلى ما وراء هذه الحدود³.

¹ M. A. Dandamaev, A political history of the Achaemenid Empire, p 127.

² A. T. Olmstead, op. cit, p 141.

³ William Shepherd, op. cit, p 77.

وبحلول العام 519 ق م، نشر داريوس جيوشه للحملة ضد ساقا تيغراخودا(حاليا تركستان)¹، قديما شرق السكيث، وهذا بعد أن انبثت ثورة أخرى في عيلام تحت قيادة اتا-هاميتو، إلا أنها كبحت من طرف القائد غوبرياس، حيث أبحر عبر البحر القزويني، وهزم الجيوش المعادية في مواجهة فاصلة وحاسمة، ليفر بعدها الخصم لمقر قائد قبيلة الماساغيتاي المدعو سكونخا، وانتقموا منهم نكاية لذبحهم قورش الثاني، ولم يكن هناك وقت لدى داريوس للتريث وإعادة تنظيم ولاية سكيثية ثانية، واضطر للمغادرة، وترك قائدا فوقها ممن يثق فيهم داريوس الأول، بعد أن أصبحت سكيثيا ملكه بالكامل، وتم تقسيم السقا إلى قسمين، قسم في الأراضي العليا أي في الهضاب، وقسم في أرض المستنقعات².



صورة (5) لصفحة من معدن الفضة تحوي مرسوما ملكيا* لداريوس الأول³

¹ - Kaveh Farrokh, op. cit, p 56.

² - A. T. Olmstead, op. cit, p 141.

* - المرسوم التأسيسي لإمبراطورية داريوس الأول: يُقرأ النص كالتالي: «داريوس الملك العظيم ملك الملوك - ملك البلاد، ابن هيستاسبس - الإخميني - قال الملك داريوس: هذه هي المملكة التي أحكمها، من الإسكيثيين الذين هم وراء سوغديانا، ومن ثم إلى إثيوبيا؛ من السند، ومن هناك إلى سارديس - التي أهورامازدا أعظم الآلهة منحها لي. باسم أهورامازدا أنا يجميني، وبيتي الملكي،

ترجمة من الإنجليزية نقلا عن Schmitt.R. : J. E Curtis and Nigel Tallis, op. cit, p 57.

³ - J. E Curtis and Nigel Tallis, op. cit, p 57.

2- الهند ومصر:

يذكر هيروdotus أيضا، أن داريوس أطلق حملة استكشافية بدأت من السند، لتصل إلى مصر بعد ثلاثين شهرا، وعلى الرغم من أن معلومات هيروdotus تستند لمعلومات مواطنه سكيلاكس، فإنها غير واضحة تماما، بالنسبة لهيروdotus، حيث لم تتضح معالم هذه الرحلة الإسكافية من خلال المؤرخين القدماء¹.

يبدو أنه كان لداريوس الأول هدفين، من ناحية أراد أن يحدد ما إذا كان بالإمكان ربط أطراف إمبراطوريته ببعضها البعض وبالمركز (عيلام)، من ناحية أخرى أراد تنظيم مهمة استطلاعية من شأنها أن تفتح طريقا للغزو المتوقع لوادي السند (الهندوس من النقوش الملكية)، يشهد نص من مؤلف هيروdotus أن داريوس الأول هو من كان يقود الحملة أو بواسطة واحد من جيوشه²، لا يمكننا أن نقول على وجه اليقين، تاريخ غزو هذه البلاد فالتاريخ نفسه غير مؤكد، وربما كان بعد الحملة السابقة ضد السقا، ربما كان حوالي سنة 518 ق م، وعلى أي حال، لا يوجد رابط زمني بين هذه الحملة وبين ترتيب فتح قناة بين النيل والبحر الأحمر، بحسب التقارير للدراسات التي صدرت مؤخرا³.

في شتاء سنة 519 ق م-518 ق م، كان في طريقه للغرب، أين كانت فلسطين في طريقه، ومن المؤكد أن بقي لوقت طويل لتثبيت مصالحة هناك، وقد سبق أن ذكرنا أن زكريا قد تحدث عن مناوشات، قتل فيها زوروبابل بصفته متمردا، حيث اختفى اسمه من المصادر اليهودية، وبعد استتباب الأمن في الحامية اليهودية، تقدم داريوس وسلك الطريق عبر الصحراء العربية، ووصل إلى ممفيس بدون أي حادثة تذكر، حيث وجد سكان المنطقة وقد أقاموا حدادا على العجل ايبس الذي قتل من طرف قمبيز الثاني، ليغادر بعدها في أوت من سنة 518 ق م، أين تمرد بعدها بوقت قصير، سكان المنطقة، لكن سرعان ما خضعوا، وعلى الأرجح غادر داريوس مصر بعد تاريخ

¹ Pierre Briant, op. cit, p 140.

² Herodotus, B4.45.

³ Pierre Briant, op. cit, p 140.

8 نوفمبر، وترك على رأس الحامية المصرية أريانوس كحاكم على ولاية (ساتراوية) مصر، بعد أن أبقى على النظام والقوانين والعادات الدينية المصرية التي كانت سائدة من قبل¹.

3- أريانوس وأهل برقة:

خصص هيرودوت جزءاً مطولاً من كتابه تناول فيه تاريخ شعب قورينة وليبيا²، من ضمنها علاقة القائد الفارسي الذي تركه داريوس على رأس الحامية المصرية، والقادة اليونانيين الذين كانوا يحكمون في قورينة وشحات³.

كان أحد حكام المدينة شخص يدعى أرسيليس (خليفة باتوس) والذي قتل في الحرب الأهلية، لجأت والدته فيريتيما إلى مصر والتي كان يحكمها في ذلك الوقت أريانوس، مستفيدة ربما من ما فعله ابنها بوضعه سيران (شحات Cyrene) تحت تصرف قمبيز الثاني أيام حملته الشهيرة على مصر، وبالتالي أظهر صداقته مع بلاد فارس، ووفقاً لهيرودوت، فقد أرسل أريانوس بعد إذن من داريوس الأول حملة على شحات بقيادة اثنين من القادة الفرس النبلاء الأول يدعى أماسيس المارافي والثاني بادراس الباسارغادي، وبعد مقاومة طويلة عقد أهل برقة معاهدة مع أماسيس، غير أن أماسيس لم يبق كلمته، وألقى القبض على أهل برقة، وأخذوا من مصر إلى الملك الفارسي، والذي منحهم قرية لعيشوا فيها واستوطنوا هناك وسموها قرية برقة، لا يوجد ما يؤكد الأحداث التي جرت في شحات، بما أن هيرودوت جمع ما قيل له شفها ولم يكن شاهداً على الحدث بنفسه، وأن اللجوء الذي منح لفيريتيما كان مجرد ذريعة للهجوم على شحات، والحقيقة أنه كان يتوهم أنه أخضع ليبيا⁴.

الأعراق في ليبيا لا تعد ولا تحصى، والقليل منهم من خضعوا للملك الفارسي، واكتفوا بفرض الجزية عليهم ومن المدن المذكورة في الوثائق المصرية نجد برقة وشحات، وبعبارة أخرى استفاد أريانوس من وضعية فيريتيما بمحاولة زيادة سيطرته على قورينة والتي كانت في ذلك الوقت عبارة عن جزء من الأراضي الليبية، لأن أماسيس ذكر بادراس (Badres)، بأن هدف الحملة كان الحصول

¹ - A. T. Olmstead, op. cit, p 142.

² - Herodotus, B4.187-206.

³ - Pierre Briant, op. cit, p 141.

⁴ - Ibid.

على مدينة برقة الإغريقية، ومن ذلك نستنتج أن اختيار هذه المدينة كان لهدف ما، ذلك أن شحات من وقت ارسيسيلوس كانت تشترك في دفع الجزية بشكل دائم مع إقليم نوم المصري لأرياندس، غير أنه صدر قرار من ارياندس بالرجوع، وعليه لم يستطع الفرس من إخضاع جميع مناطق ليبيا، حيث جاء في كتاب هيرودوت: "معظمهم... لم يهتموا بملك فارس في ذلك الوقت عندما كنت أكتب ولا يهتمون به الآن..."¹.

لقد كانت محاولة الفرس الإخمينيين في الاستيلاء على مناطق النفوذ في ليبيا، من أصعب المحاولات، بالرغم من الحصار الذي فرض على برقة، والذي استغرق تسعة أشهر كاملة، قام من خلالها الفرس بالتقدم حتى مدينة اوسبيريديس بنغازي حاليا، قام من خلالها السكان الخاضعون لإنشاء ولاية ليبية إغريقية سميت بوتايا Putaya².

كانت الهند مدرجة كواحدة من المناطق الخاضعة للسيطرة الفارسية الإخمينية في المصادر الفارسية القديمة، غير أنه لم تقدم لنا أي معلومات عن مجريات الأحداث التي وقعت هناك أو عن المعارك، حتى المصادر الكلاسيكية فشلت في توفير مثل هذه المعلومات، إلا أنه هناك اتفاق عام أنه في عهد المملكة الميديية أو الإمبراطورية الفارسية الإخمينية الناشئة أيام قورش الثاني، تذكر أن المناطق المعروفة باسم غاندارا* Ghandara، وتاتاغوش* Thatagush قد أدمجت من ضمن المناطق التابعة للإمبراطورية الفارسية الإخمينية، حيث يشهد هيرودوت أنها كانت مأهولة من طرف الساتاجيديين، ومع ذلك لم يتوغل قورش الثاني في الهند بشكل عميق، حتى أنه فقد جزءا كبيرا من جيشه أثناء

¹- Herodotus, B4. 198.

²- A. T. Olmstead, op. cit, p 149.

* - غاندارا: مقاطعة ومملكة قديمة، كانت تقتصر قديما على منطقة صغيرة غرب نهر السند، المنطقة الشمالية الغربية من بيشاور بباكستان والتي تضم مناطق التلال في سوات وبونر، مقاطعة تابعة للإمبراطورية الفارسية الإخمينية، تمثل أراضيها الحد الشرقي الذي وصلت إليه قوات الإسكندر المقدوني، أنظر:

Benjamin Rowland, Gandhara sculpture from Pakistan museums, The Asia Society, USA, 1960, p 6.

* - تاتاغوش: أو ستاجيديا، منطقة تقع في آسيا الوسطى في باكستان، أدرجت في المصادر الإيرانية(نقوش بيهستون) والمصادر الكلاسيكية من بين الأراضي الشرقية التابعة للإمبراطورية الفارسية الإخمينية، اعتبرت موقعا استراتيجيا مهما في الحدود الشرقية للإمبراطورية، عين داريوس ممثلين منهم كمندوبين عن المقاطعة الشرقية، للمزيد أنظر:

Trevor Bryce, op. cit, pp 623-624.

محاولته التقدم لأبعد المناطق، مع صعود داريوس الأول ستحقق الإمبراطورية الفارسية الإخمينية في النهاية غزوات ناجحة في شمال غرب الهند، حيث توضح نقوش بيهستون أن المنطقة الثانية قد تورطت في التمرد ضد الإمبراطورية، مع ذلك لا توجد معلومات عن كيف احتفظت الإمبراطورية بهذه المنطقة، ومن خلال ذكرها نجد أنها كانت خاضعة لداريوس الأول، حيث بدأ داريوس توسعا جديدا في الهند بين 520 إلى 513 ق م، أو أن داريوس استعاد هذه المنطقة وهو في طريقه لغزو شرق الهند، واحتلت على إثرها جيوش داريوس منطقة السند وقامت بغارات قوية على طول طريق البنجاب الحديث، وهذا ما جاء به هيرودوت كون داريوس قد غزا الهند، والذي يجعلنا نقع في لغط هو أن الحملة على الهند تزامنت مع الحملة على مصر، ربما يوجد تداخل في التواريخ أو أن مصر قد خضعت لداريوس بسرعة مكنته من التفرغ للحملة على الهند¹.

4- الحملة على السقا بارادرايا(السكيثيون):

في التعامل مع الأدلة لسنوات 518 و517 ق م، يجد المؤرخون أنفسهم في موقف صعب، يكاد يكون من المستحيل تكوين سرد مستمر للأحداث، حيث اتسمت الأحداث بال تكرار من مختلف المصادر، حيث يروي هيرودوت الأحداث التي جاءت بعد رحلة ديموسيدس وسيلوسون تنتهي بذكر تمرد في بابل، ولا يعود المؤلفون إلى مسار الأحداث إلا عشية حملة داريوس على السكيث².

يستهل هيرودوت كتابه الرابع بهذه العبارة: "بعد إحكام القبضة على بابل، قام داريوس بغزو السكيث"³ هذه الثغرة تفسر سبب كون التسلسل الزمني بعد الأحداث الأخيرة التي ذكرها داريوس الأول في نقش بيهستون هي الموضوع الدائم النقاش(على سبيل المثال تاريخ حملة داريوس على مصر)، فنفس الموقف موجود على العموم لحملة داريوس على السكيث، والسبب أن الفجوات في الأدلة تجعل من الصعب تحديد التواريخ بدقة إلى يومنا هذا، ولكن هناك سبب وجيه وهو أن زمن الحملة حوالي سنة 513 ق م وهو التاريخ الذي يتزامن مع محاولته في إخضاع المناطق الليبية⁴.

¹ - Kaveh Farrokh, op. cit, p 57.

² - Pierre Briant, op. cit, pp 141, 142.

³ - Herodotus, B 4.1.

⁴ - Pierre Briant, op. cit, p 142.

سكا السقا بارادرايا الأوربيين أو السكيثيين لم يهزموا من قبل من طرف داريوس الأول، وكانت ذريته في غزوهم لأوكرانيا، الانتقام للغارات التي قاموا بها في وقت سابق على المملكة الميديّة، حيث استقبل اقتراح غزو السكيثيين بحدّر داخل البيت الملكي الفارسي الإخميني، خاصة من قبل شقيق داريوس الأول أرتبانوس الذي توجس خيفة من هذا الغزو، حيث لاحظ أن الحملة ضدهم ليست مخوفة بالمخاطر فقط، بل أنه في حالة النجاح ستكون هذه المنطقة ذات فائدة ضئيلة من الناحية الاقتصادية لصالح الإمبراطورية، اعترف داريوس بصدق تخمينات شقيقه، إلا أنه قرر في النهاية لصالح الغزو والذي حدث في 512 ق م¹.

وفقا لهيرودوت قام داريوس الأول باستعدادات هائلة، حيث أرسل مبعوثين لكل المناطق المهيمن عليها، وأمرهم بحشد القوات فيها بالإضافة للأساطيل البحرية والعمال من أجل العمل على إنشاء جسر فوق مضيق البوسفور، حيث كان عدد القوارب والسفن التي جمعت حوالي 600 قارب²، ربما كان العدد مبالغ فيه، إلا أننا يجب علينا أن نأخذ الأرقام كما أتت بها المصادر، فلا بديل آخر عنها، حيث كان هيرودوت حريصا على التأكيد على ضخامة القوات الملكية الفارسية الإخمينية مثلا يذكر أن الجيش تكون من سبعمائة ألف جندي خلافا للقوات البحرية والتي كانت تنفصل عن باقي القوات³.

سار داريوس عبر تراقيا، حيث استسلمت بعض الشعوب دون قتال، غير أنه واجه مقاومة شرسة من الشعوب التي تحالفت مع بعضها البعض (شعب الغيتي)، وقد ترك الطغاة الأيونيين يجرسون معبر الدانوب، مم جعل داريوس يخرق الأراضي السكيثية، هناك واجه تحالفا حقيقيا بين الشعوب التي رفضت الانضمام للقتال معه، حيث وجد نفسه في ضائقة، وبناء على نصيحة غوبرياس قرر التراجع عن مطاردة السكيثيين، ومع ذلك تمكن من الوصول لنهر الدانوب وعبره، ورغم الحجج المقنعة التي قدمها الطغاة الأيونيون لإقناع السكيثيين بمغادرة المعسكر الفارسي، إلا أنهم فشلوا في إقناعهم بالعدول عن قرارهم⁴، حيث سار داريوس عبر تراقيا إلى سيستوس في تشيرسون، وهنا الرواية

¹ - Kaveh Farrok, op. cit, pp 57, 58.

² - Herodotus, B 4.87.

³ - Pierre Briant, op. cit, p 142.

⁴ - Herodotus, B 4.136-139

تفاجئنا بمغادرة داريوس للحملة، والعودة لآسيا تاركا فارسيا متميزا يدعى ميغابيزوس على رأس الحملة في أوروبا، هنا تطرح حملة داريوس نسبة لهيرودوت العديد من التفسيرات المتباينة، ذلك أن مصدرنا في المقام الأول هو هيرودوت، وهو بدوره يعاملها بشكل سطحي، حيث يقطع حبل المعلومات ليتحدث في الفقرات التالية عن ليبيا ثم يعود للسكيثيين ويتناول عاداتهم، هنا نجد أن هيرودوت يتعامل مع بعثة داريوس بسبب الانحياز¹.

في حين أننا غير قادرين على تقييم أهداف حملة داريوس الأول، إلا أن الهدف من وراء الغارات الفارسية الإخمينية على السكيثيين، ربما هو ببساطة حماية حدود الإمبراطورية على الجبهة الشمالية، ومنع الغزو السكيثي للمناطق الواقعة بين نهر الدانوب وبحر إيجه، حيث حدد الملوك على أن نهر الدانوب هو حدود السيادة الفارسية الإخمينية، مما يعني أنه واستنادا للجانب الفارسي فجميع المناطق جنوب تراقيا والنهر تم اعتبارها متجاوبة مع سلطة الملك العليا، بينما نفى أن تكون المناطق الواقعة وراء نهر الدانوب، خاضعة لداريوس، وتاريخيا كان الاستيلاء على تراقيا حدثا مهما في تاريخ الإمبراطورية، نظرا لكون المنطقة استراتيجية غنية بالمواد الأولية، أثناء ذلك تأثر الفرس من تنامي القوة في المنطقة، خاصة من طرف المقدونيين، حيث أرسل ميغابيزوس مبعوثا للملك المقدوني أمينتاس* الأول طالبا الأرض (التراب) والماء 510 ق م (عبارة عن عادة فارسية قديمة يطلب من خلالها الملوك الخضوع)²، حيث تم إعطاء التراب والماء من قبل الملك المقدوني أمينتاس، حتى أنه دعاهم لمشاركته الطعام والماء الحلول في ضيافته، حيث أقام لهم مأدبة فاخرة واستمتعت الفرس ببذخ المقدونيين، إلا أن هؤلاء السياسيين لم يعودوا، إذ قام الإسكندر ابن أمينتاس الأول (الإسكندر الأول) بذبحهم بسبب سوء تصرف هؤلاء المبعوثين وعدم احترامهم لتقاليد المملكة المقدونية، أرسل مبعوث يدعى

¹ - Pierre Briant, op. cit, p 142.

* - أمينتاس الأول: ملك مملكة مقدونيا الإغريقية، حكم مقدونيا في النصف الثاني من القرن السادس قبل الميلاد لمدة أربعين سنة، ربطته علاقات ودية مع الملك الفارسي الإخميني داريوس الأول، هو والد الإسكندر الأول (ليس الإسكندر المقدوني الذي قضى على الإمبراطورية الفارسية الإخمينية فترة حكمه 498-454 ق م)، أنظر:

Carol J. King, Ancient Macedonia, Routledge, USA, 2018, pp 19 ; 24.

² - Pierre Briant, op. cit, p 144.

بوبارس Bubares ابن ميغابيزوس ليستفسر عن عدم رجوعهم، قام الاسكندر بتزويج شقيقته جيغايا Gygaea من بوبارس لكي يلهيه عن مسعاه¹.

4-1-2 بداية الأزمة مع الإغريق:

اتسمت العلاقات بين الإمبراطورية الفارسية الإخمينية والإغريق بالعدائية منذ بدايات تأسيس الإمبراطورية، أي في سنوات صراع الملك الليدي مع قورش الثاني 547 ق م، ومنذ ذلك الوقت وتكررت الإحتكاكات بين الإغريق والفرس الإخمينيين، وقد اشتدت العلاقات فيما يعرف بأزمة الإغريق والفرس أو الحروب الفارسية الإغريقية، كان الهدف منها استمرارية التوسعات الفارسية الإخمينية، والقضاء على خطر الإغريق، إلا أن الأحداث التي جاءت بعد التمرد الذي حدث في أيونيا، كان لها رأي آخر.

1- الثورة في أيونيا:

اعتبرت الثورة في المدن الأيونية بداية التوتر في حوض البحر الأبيض المتوسط²، وبالنظر لأهمية الأحداث التي سبقت التداخل الفارسي الإغريقي الفعلي، نجد أن هيروودوت لم يسهب في ذكر دواعي هذه الثورة، رغم اختصاصه في الوصف الدقيق لمجريات الحروب الفارسية الإغريقية وكل ما يخص الفرس الإخمينيين، بحيث لم تكن له فكرة معينة عن الأسباب الدفينة للحرب، بقدر ما كان مؤلفه خادما لأهداف شخصية، حيث تبرز قوة الفرس الإخمينيين من خلال الفقرات الأولى من مؤلفه بشكل تسارعي، والإنقسامات التي حدثت للشعوب في الجهة المعاكسة لبلاد الإغريق في حوض المتوسط، بالأخص عندما ضيقت الإمبراطورية الفارسية الإخمينية الخناق على المدن الإغريقية والتدخل السافر في شؤونها، جعلت الأحداث تأخذ منعطفًا خطيرا واستدرجت هاتين القويتين في الدخول في

¹ Herodotus, B5.18-21.

² David Sacks, Oswyn Murray, Lisa R. Brody, Encyclopedia of the Ancient Greek, World, Infobase Publishing, USA, 1995, p 140.

صراع عاد بالسلب على الإمبراطورية التي كانت الخاسر الوحيد من هذه القضية وقلب الكفة للمقدونيين¹.

تم جلب العديد من الأيونيين الإغريق أثناء الحملة على السكيث، وفقد العديد منهم فرصة التحرر من نير الاحتلال الفارسي الإخميني، بالرغم من إدراكهم لقوتهم، تم تهدئة المناوشات التي صاحبت الإدماج ضمن حدود الإمبراطورية، هنا قرر الأيونيون الإغريق القيام بالتمرد، ونمت المعارضة للطغاة الذين نصبته الإمبراطورية، هذا وقد كانت الطبقات التجارية التي رعاها الطغاة، قد خسرت التجارة لصالح الفينيقيين والإغريق الأوروبيين، واستغل ملاك الأراضي الوطنيين هذا التغير في العلاقات، وكان قائدهم آنذاك اريستاغوراس صهر ونسيب طاغية ميليتوس، غير أن هيستايوس سجين عند الملك في سوسا، وجاءت الفرصة في يدي اريستاغوراس عندما قرر أهل ناكسوس المنفيون الاستنجاد به، وطلبوا منه أن يسترجع جزيرتهم التي كانوا يقطنون على أرضها، وحث القائد الفارسي ارتفانرس لإرسال مائة سفينة معه، مدعياً أنه يريد أن يمد السيطرة الفارسية حتى جزر سيكلادس².

كان التمرد الأيوني، بداية اندلاع الصراع بين الإمبراطورية الفارسية الإخمينية والإغريق، وخاصة مع أثينا، بمشاركة اريتريا، حيث أن داريوس كان يريد مد نفوذه وحدود الإمبراطورية، والتي ارتكزت الآن على بلاد الهيلينيين، وأراد بشدة إخضاع المدن الإغريقية، وضمها للمجال الجغرافي للإمبراطورية³.

لقد قام مياغاييسوس، بالدخول في مناوشات مع الإغريق، في وقت مضى، في حين أن الولايات الإغريقية ونقص ذلك أيونيا، قد انتفضت عن طريق أحد الرجال المخلصين لداريوس الأولى هيستايوس، الذي كان قائدا أيونيا أثناء حملة داريوس على السكيثيين، والذي كلف بحراسة القوارب على نهر الدانوب، وكافأه داريوس لولائه بمنحه المنطقة الواقعة بين تراقيا ومقدونيا، على الجانب الغربي من بحر إيجه، غير أنه أوكل قيادة المنطقة ميغاييزوس، مما زاد احتمال حدوث صراع⁴.

¹ Andrew Robert Burn, Persia and the Greeks: The Defence of the West, C. 546-478 B.C, Stanford University Press, GB, 1984, p4.

² A. T. Olmstead, op. cit, p 152.

³ Ian Morris and Walter Scheidell, op. cit, p 69.

⁴ J. Poolos and Arthur Meier Schlesinger, op. cit, p 94.

لقد زادت حدة التوتر بين القائد الفارسي وطاغية ميليتوس، إلى أن انفجرت إثر بناء هذا الأخير لمدينة عند مصب نهر ستريمون، وقد أخبر القائد داريوس بالمشكلة، وحذره من أن يبقى على هذا الطاغية بدون أن يتدخل في شؤونه، وعليه قام داريوس الأول باستقدام هيستايوس وأعطاه منصبا في سوسا، إلا أن الطاغية لم يعجبه هذا القرار، ومن مكانه أبرق لصهره بأن يتحرك ضد الفرس، وبدأ برسم خطة للتمرد، حيث خلف اريستاغوراس صهر هستايبوس في حكم ميليتوس، وأقنع داريوس بأن اريستاغوراس الشخص الأنسب لقمع التمرد في المدن الأيونية¹، وكان متأكدا أن صهره سيق بجانبه في مخططاته، ونجحت خطة هستايبوس، ولم تستغرق المدن الأيونية وقتا طويلا في التوحد على يد اريستاغوراس، حيث أعلنت التمرد، وسارت أساطيل من أثينا واريثس نحو افسوس، أين هبطت وساروا متوجهين لسارديس، حيث نهبوها وأحرقوا أرضها، ومن ثم انتشرت الثورة في المدن اليونانية في قبرص وحول مضيق هيلسبوننت².

انتشرت الثورة من بيزنطة في الشمال إلى كاريا في الجنوب (498-497 ق م)، وكل المدن القبرصية باستثناء جزيرة اماثوس، أين نزلت القوات الفارسية، وانتصر هناك الأيونيون في معركة بحرية، غير انه أعقبها فوز على الأرض من قبل الفارسيين، وبعد بضعة أشهر سقطت آخر المدن المقاومة، واستمرت الهجومات البرية الفارسية بقيادة جنرالاتها، إلى أن أجبرتهم كاريا بعد الإعلان عن الحرب، بجمية المواجهة هناك، وبعد انتصار مؤقت للفرس، سقط الجيش في كمين هلك فيه العديد من القوات والجنرالات الفرس، ومع ذلك فإن بقية الجنرالات الفارسيين، قاموا باستعادة مدينتي هيلسبوننت وأيونيا (497 ق م)، وعندما تأكد اريستاغوراس من استحالة هزم الجيوش الفارسية، تحلى عن القيادة لبيثاغوراس³، أين غادر الحملة وأبحر للقرية التي كان قد أهداها داريوس الأول لهيستايبوس في سردينيا أو ربما في ميرسينوس في بلدة ايدونيا أين توفي⁴.

أيقن الإغريق الأيونيون، انه في النهاية سيرسل الفرس قوات مضاعفة لفرض سلطتهم على المنطقة وإعادة أيونيا للحظيرة الملكية، وقاتل الإغريق بشجاعة بالرغم من عدم تكافؤ القوى، حيث

¹ - Herodotus, 5.30 ; 30-35.

² - J. Poolos and Arthur Meier Schlesinger, op. cit, pp 95, 96.

³ - Pierre Briant , op. cit, p 148.

⁴ - Herodotus, Book 5. 124.

تغلبت الجيوش الفارسية عدة وعتادا كالمعتاد، وفي عام 494 ق م وبعد ست سنوات من القتال، لقوا الهزيمة النهائية في معركة لادي، حيث دمرت الأغلبية من قوات الأسطول الأثيني، كانت الثورة الأيونية تشهد لبداية الصراع الفارسي الإغريقي الشهير، وهي الدلالة على بداية الحروب الفارسية¹.

2- الحملة الأول والصدام مع الإغريق في ماراتون 490 ق م:

تدخل معركة ماراتون ضمن الحملة الأولى على بلاد الإغريق، حيث كانت سياسة داريوس في الحملات على الإسكيثيين، تهدف إلى منع وصول الأخشاب التي كانت تحتاجها بلاد الإغريق، لصنع أساطيلها البحرية، هذه بعد أن قطع عليهم التزود بالقمح نتيجة حيازته لمصر والمناطق الموجودة على البحر الأسود، كما استولى على جميع المضائق والمنافذ وعرقل عملية التبادل التجاري ونقل البضائع بما فيها القمح لبلاد الإغريق من الجهة الشرقية، لينحد في بسط هيمنته على الطريق التجاري².

بعد القضاء على الثورة الأيونية، دمر الفرس ميليتوس ليصلوا للسواحل الشرقية من البحر الإيبي، حيث أخضعوا الجزر مثل خيوس وليسبوس وتينيدوس والتي وصلوا إليها في سنة 493 ق م وفي السنة الموالية، غزت قوات فارسية هائلة بقيادة مردونيوس مقدونيا، ويؤكد هيرودوت أن هدفهم كان الوصول إلى أريتريا وأثينا، كانت التحضيرات لمعركة برية وبحرية، غير أن نصف الأسطول قد فقد في عاصفة في جبل أتوس³، حيث عانى الجيش الفارسي في مقدونيا على يد قائد من فريجيا، والذي يدعى بريغي، وكان مردونيوس من بين الجرحى، والذي عاد بعدها إلى آسيا⁴.

¹ - J. Poolos and Arthur Meier Schlesinger, op. cit, p 97. للمزيد عن هذه المعركة أنظر:

Herodotus, Book 6, 6-11.

² - أحمد أمين سليم، ص المرجع السابق، 444.

³ - Nicholas Sekunda and Richard Hook, Marathon 490 BC : The first Persian Invasion of Greece, Osprey Publishing, Great Britain, 2002, p 9.

⁴ - A. T. Olmstead, op. cit, p 159.

يعتقد الباحثون، أن حملة داريوس على الإغريق وخوض معركة ماراثون، كانت لمعاقتهم لمشاركتهم في التمرد الأيوني، بينما هي مجرد معركة لمد النفوذ للاستحواذ على أكبر عدد من المناطق، بهدف توسيع نطاق الإمبراطورية، هنا يجب الحذر من أن نستقي المعلومة من المصادر الكلاسيكية¹.

لقد أيقن داريوس أن ما فعله في الحملة على أيونيا قد ينم على نقص في سياسته، وحاول ألا يكرر نفس التجربة، حيث أرسل بعثة رأسا عبر بحر إيجه، ومبعوثين للجزر يطلب رمز الخضوع من المدن الإغريقية، في حين بدأ داريوس باستباق التحضيرات وتجهيزات الجيش حيث قام بحشد أسطوله من بناء وتعبئة للقوات البحرية، كما أمر مناطق الساحلية ببناء السفن الطويلة وسفن النقل وتمركزت هي والقوات البرية في قيليقيا، وكانت جزيرة ساموس منطلقا لهذه القوات، ومن ثم الإنزال في ماراثون².

مثل هذا الغزو دافعا قويا، ونظرا لوجود عوائق أمام تقدم الدول المختلفة، كانت أيونيا قوة صاعدة ازدهرت في الفترة التي أطاح بها قورش الثاني والفرس بكرويسس وإخضاعهم للبلدان الواقعة بين نهر هاليس والبحر، وشنوا الحرب ضدهم واستعبدوا المدن في البر الرئيسي، فداريوس حذا حذو قورش في العودة واحتلال هذه الجزر، والإستيلاء عليها بمساعدة الأسطول الهليني الفينيقي³.

المخطط الذي بدأ به داريوس الأول وسيره لغزو المدن الهلينية، غرضه سد ثغرات سياسية غفل عنها سابقوه، وزيادة نفوذه وسيادته بحريا ضمن نطاق بحر إيجه وليس فقط السواحل وإنما الجزر التي تتوزع هناك، للقضاء على أية مقاومة على مستوى البحر⁴.

هذا وقد ساعد طموح داريوس في الغزو عدم استقرار سياسة المدن الهلينية في عهد الطغاة مما ميز عهده بالانقسام السياسي، حيث كان يفكر الطاغية دائما بنفسها ويعطيها الأولوية، وهذا من أجل سلامته الشخصية ومن أجل مصلحة عائلته ووزنها، وبالتالي كان أمنه أكثر من طموح بلده في

¹ Richard Nelson Frye, op. cit, p 105.

² Pierre Briant, op. cit, pp 157-158 ; Hdt B 6. 47, 95 ; 94, 95, 95, 102

³ Thucydides, The Complete Works The History Of The Peloponnesian War, Translated by Benjamin Jowett, UK, 2013, B1. 16.

⁴ Pierre Briant, op. cit, p 159.

أن تكون بمصاف المناطق المزدهرة حتى أن منجزاتها تكاد لا تذكر في ظل حكم الطغاة، فلا شيء يتجاوز مصالحهم الشخصية، لذلك استمرت هذه الأوضاع في البلدان الهلينية، حتى أن المدن كانت تفتقر للمشاريع، وحاول الإسبرطيون قمع قوى الطغاة ببلاد الإغريق وصولاً إلى أثينا التي سادت فيها سياسة الطغاة لمدة طويلة¹.

جهز داريوس الأول جيشاً ضخماً من الجنود المسلحين، يتألف من المشاة وسلاح الفرسان، وعوضاً عن قيادة الجيوش بنفسه، نصب قائداً فارسياً يدعى داتيس **Datis** على الجيوش بأكملها، وكما فعل داريوس الأول في حملته على سكيثيا، أرسل داتيس فرقة استطلاعية لاستكشاف المنطقة، واقتربوا من الأراضي الواقعة في آسيا الصغرى، وعليه انطلقت الحملة من سوسا وانتقلت غرباً إلى قيليقيا التي تقع عند الركن الشمالي الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، هناك التقت القوات بالسفن التي حملتهم إلى بحر إيجه ثم إلى جزيرة ساموس، هناك انضموا لعدد كبير من القوات الأيونية ومن الجزر المحيطة بها والتي تقع داخل حدود الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، وأبحرت شمالاً نحو أثينا وعلى طول الطريق قاموا بنهب الجزر الإغريقية الصغيرة وأسروا وأحرقوا القرى، بحيث كان المشهد رهيباً على حد قول هيرودوت، في النهاية وصلوا إلى شواطئ أثينا، بحلول هذا الوقت كانت الحكومة الأثينية تدرك مدى تقدم الجيوش الفارسية، وأرسلت على جناح السرعة لاسبرطة بطلب المساعدة، وقد وعد الإسبرطيون بتقديم الدعم².

تمركز الفرس في خليج ماراثون استعداداً للهجوم على الأثينيين، والتقى الأثينيون والفرس في سهل ماراثون عندما تحرك الجيش الأثيني نحو نفس المنطقة، حيث نزلوا في واد ضيق مقابل القوات الفارسية الإخمينية التي تمركزت السهل المجاور للشاطئ وهناك تدعم الأثينيون بقوات من بلاتيه Plataea أي من الحلفاء، كانت قوات الأثينيين بقيادة كاليمachus (أدميرال المجلس الحربي الأثيني الذي كان يضم عشرة قادة من ضمنهم ميلتيادس Miltiades) لكن اللجنة قررت تسليم القيادة لهذا الأخير نظراً لخبرته وحنكته، ومدى معرفته بالفرس الإخمينيين، ومهما يكن فقد كانت القوات الفارسية تعتقد أن القوات الأثينية ستقوم بتفعيل الهجوم على الأطراف مما جعل

¹ - Thucydides, B1.17-18.

² - J. Poolos and Arthur Meier Schlesinger, op. cit, pp 97- 98.

القوات الفارسية الإخمينية تتقدم لموقع تركز القوات المعادية، هذا وقد تسلحت قوات الجيش الفارسي بالسهم والرمح وسيوف وخناجر قصيرة ولبسوا لباسا لا ينفع لحوض معركة بهذه الأهمية (ربما كانوا يستهينون بقوة خصمهم) حتى أن العدة الحربية كانت خفيفة مقارنة بالجيش الأثيني الذي جاء بعناد حربي ثقيل والأکید أن الأثينيون قد قدروا قوة خصومهم الفرس فتراجعهم أثناء تعرضهم لوابل من السهام ما كان إلا ليتعدوا لحركات الكر والفر، مما جعلهم يتعرضون لهجوم مفاجئ، بحيث لم يستطع الفرس استخدام سلاح الفرسان نتيجة السرعة في ردة فعل وقرب الأثينيين من قوات الفرس، الأمر الذي أدى بهم إلى التراجع، والتعرض لتحطم الأسطول البحري بعد أن حاولوا الهجوم على القوات الأثينية بحريا في فاليروم Phalerum¹.

عانت الجيوش الفارسية وتكبدت خسائر فادحة في المنطقة التي تواجدت فيها المستنقعات، وأولئك الذين وصلت سفنهم حاولوا الإبحار إلى سونيون ومهاجمة أثينا من الساحل الغربي، غير أن القوات الإغريقية قد سارعت للوصول إلى أثينا، وشكلت جدارا رادعا ضد القوات الفارسية الإخمينية، وعلى الرغم من الهزيمة التي أمت بالقوات الفارسية، حاول داريوس الأول إعادة تحضير حملة عسكرية أخرى للهجوم على أثينا وهذه المرة بتجهيز قوات برية وبحرية، لكن خططه تأجلت بسبب تجدد الثورة في مصر، وكان من المهم أن يولي اهتمامه بها نظرا للأهمية التي تحوزها الحامية المصرية، ومع ذلك فقد توفي داريوس الأول في شتاء 486 ق م².

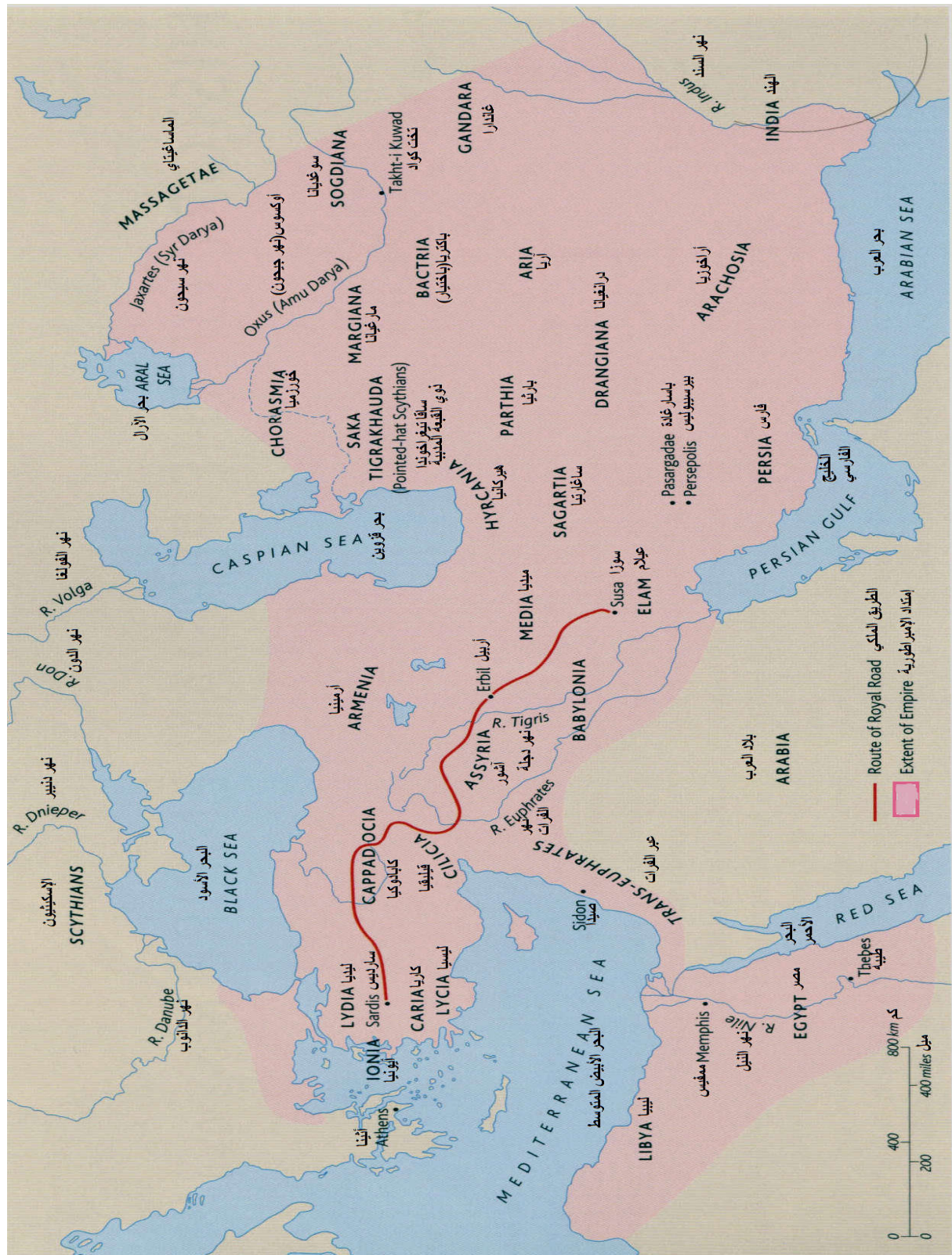
ومهما كان لم تكن خسائر داريوس قد قللت أو قلصت من التوسعات، بل وصلت الإمبراطورية في عهده إلى أقصى توسعاتها من نهر سيحون (Iaxartes(syr river) وصولا إلى الخليج الفارسي والشلال الأول لنهر النيل، ومن الدانوب إلى نهر السند، وفي نفس الوقت الذي كان يتابع فيه داريوس توسعته الكبرى، كان يضاعف من إصلاحاته والتدابير التي تخص الإدارة سواء تلك المتواجدة في مركز الإمبراطورية أو في مختلف المناطق الخاضعة لها³.

¹ - George Willis Botsford, Hellenic history, Macmillan Company, USA, 1922 - p 173.

² - Maria Brosius, op. cit, p 23.

³ - Pierre Briant, op. cit, p 161.

وبهذا تطوى صفحة داريوس الأول داريوس العظيم، الملك الذي لم يحز على اهتمام المصادر الكلاسيكية فيما يخص الصراع الفارسي الإغريقي الفعلي، والذي اتضحت معالمه تامة في معركة ماراثون التي لم يخصص لها هيروdot طرحة مفصلا كعادته، مما يجبرنا على الاعتقاد بأن لهذا الملك قوة أكثر مما لخصت في معركة ومواجهة واحدة، نجد أن هيروdot دائما منحاز لإبراز دور الإغريق في سحق جيوش الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، فلا شك أن داريوس وقادته كانوا موقنين بجغرافية منطقة ناراثون الوعرة، ومن العجب أنهم جاؤوا بعتاد حربي خفيف، يطرح العديد من التساؤلات توحى بالنقص في السرد ووصف الأحداث عند هيروdot، فالمعروف أن قوات الجيش الفارسي إن اشتهرت في العالم القديم وفي تلك الفترة بالذات وقت مجدها في عهد داريوس وتوسعاته العسكرية الكبرى، إلا وإن كانت بكامل قوتها عدة وعتادا، في الأخير لا ننسى أن مؤلف هيروdot ما هو إلا نسخة لتمجيد النصر الإغريقي على الفرس الإخمينيين مهما كانت مصداقية المعلومات داخله، غير أنه من ناحية أخرى قد أسهب في ذكر إنجازاته من الجانب الإداري وتسيير الإمبراطورية الواسعة النطاق.



خارطة (4) للإمبراطورية الفارسية الإخمينية في أقصى توسعاتها (بتصرف).¹

John E. Curtis and Nigel Tallis, op. cit, p -¹

3- الحملة الثانية من الحروب الفارسية الإغريقية:

أكسيركسس* xerxes من الشخصيات الفذة في التاريخ الفارسي الإخميني، وأكثر شخصية مشهورة إن تعلق الأمر بالحروب الفارسية الإغريقية، عجت المصادر الكلاسيكية الإغريقية والرومانية بذكره، من أسباب الإسهاب في ذكر تاريخ هذا الملك، أولا الحرب الفارسية الإغريقية فهو الملك الذي غزا الإغريق عام 480 ق م وانسحب في السنة الموالية هو وكامل جيشه، ثانيا أدى غزوه إلى ازدهار ثقافة الخطابات السياسية، وحركة الأدب والفنون، وكانت هذه النقلة النوعية في هذا المجال تعتبر نقطة تحول في أوروبا بشكل خاص وفي العالم القديم بشكل عام¹.

إنه من واجب مدوني التاريخ الأوائل أن يكتبوا التاريخ عن قناعة وبحب للحقيقة، أن يقدموا مؤلفهم جنبا إلى جنب مع الروايات المختلفة ممن سبقوهم أو من عاصروهم، ومنهم هيروودوت الذي عاصر الملك أكسيركسس².

كما علمنا أن التراجيدية المسرحية لأينجيليوس من أشهر ما قدمه الأدب الإغريقي آنذاك التي تصف خيبة الملك الفارسي أكسيركسس (أحشويرش) والحزن الذي ألم بالعائلة الملكية من تلاحق

* - عن رواية لهيرودوت كما قيل له، تذكر حدوث جدال بين أبناء داريوس الأول الثلاثة بشأن القوة والهيمنة على الأراضي، ورأوا أنه قبل أن يسير داريوس في حملته على بلاد الإغريق، يجب عليه أن يعين وريثا وفقا للقانون الفارسي الإخميني، ثلاثة أبناء ولدوا لداريوس قبل أن يصبح ملكا من زوجته ابنة غوبرياس، وأربعة آخرون بعد أن أصبح ملكا من زوجته أتوسا Atossa ابنة قورش الثاني، كان أرتوبازانس Artobazanes أكبر أبنائه، وأكسيركسس الأكبر بين الأربعة، وبما أنهم من أمهات مختلفات (يتبع) ظهرت الحساسية وروح التنافس على العرش، دافع أرتوبازانس عن حقه بأن يكون الوريث الشرعي لوالده، بما ان التقاليد الملكية تفضي بتولي الإبن الأكبر للملك العرش، غير أن أكسيركسس قد جادل أخاه بأنه هو ابن أتوسا ابنة قورش الذي أعطى للفرس حريتهم، إلا أن الملك الإسبرطي المنفي طواعية إلى لاكيديمونيا (من المدن الإغريقية) بعد أن فقد ملكه على إسبرطا ديماراتوس Demaratus ابن أريستون Ariston ، صادف وجوده في سوزا تواجد أكسيركسيس وقد علم بالمناوشات التي حصلت حول تولي العرش، وما كان منه إلا أن تقرب من أكسيركسس ناصحا إياه بأن يقنع والده (خاصة ف ظل تأخره عن اتخاذ قراره حول من سيصبح من أبنائه وليا للعرش)، بأنه عندما ولد أي أكسيركسس كان داريوس ملكا وحاكما لبلاد فارس، في حين أن ابنه البكر عندما ولد لم يكن إلا فردا من حاشية الملك من النبلاء، لذا لن يكون من المعقول ولا العادل أن يتمتع غيره بهذا الإمتياز الملكي قبله، وطبق أكسيركسس نصيحة الملك الإسبرطي السابق، وتقدم لوالده بهذه الإقتراح ووافق داريوس على الفور معتقدا بصحة هذه القدسية في الولادة، وحسب اعتقاده أنه سيصبح ملكا رغم ذلك، بسبب نفوذ والدته، أنظر: Herodotus, B7.3-4.

¹ - Amélie Kuhrt, op. cit, p 238.

² - Diodorus, B1.32.1.

الهزائم الواحدة تلو الأخرى وكان لهذه القصيدة بالغ الأثر في تراجع سياسات الفرس الإخمينيين لباقي ملوكها، بحيث صورت الملك وإمبراطوريته كمثل بعد هذه الهزائم، وجعلتها مادة حية للعالم القديم وكيف لمدن صغيرة تكاد لا تذكر قد ألحقت أبشع الهزائم بأحد أقوى الإمبراطوريات في العالم القديم¹.

كتبت المصادر الكلاسيكية عن أكسيركسس، وجعلتنا نكون صورة نمطية مرعبة لهذه الشخصية وحكمها، فأتناء توليه العرش بعد والده بدأت الإضطرابات التي نتجت عن تدخل العنصر النسوي في شؤون البلاط الفارسي الإخميني، وازدادت سلطتهن هن وخصيان القصر، وبذلك تفهقرت صورة الملك، فأصبح من ملك قوي إلى ملك مهزوز الشخصية، ومن السهل أن يؤثر عليه، غير أنه في بعض الأحيان يعترف الخطباء أمثال إيسقراط Isocrate بقوة أكسيركسس رغم هزائمه وحجم المصائب التي لم يعرف أن مثلها قد حل بملوك آخرين، هذا لأنه حافظ على عرشه واعتنى به، وأن آسيا لم تقل قوة بالنسبة للإغريقين عن ذي قبل في عهده².

وكالعادة ما كتب عن إكسر كسيس بإسهاب لم يكن سوى الإنحصر في بوتقة الحروب الفارسية الإغريقية من تجهيزات للجيش والهزائم التي لحقت بالجيوش الفارسية من طرف الإغريق³، وهذا الأمر الذي لم يفد في كتابة التاريخ الفارسي ومعرفة الحقائق في هذه الفترة، فهي في طبيعتها تمتاز بالمحدودية، إلا أنها مفيدة بشكل نسبي إن قمنا بتناولها من الجانب العسكري، والدليل على أن فترة هذا الملك تخللتها الحركية واستمرارية تنظيمات السلطة، التي لم تتوقف سواء بالتشديد العمراني أو الإنتاج الإقتصادي وخير دليل على وجود السيورة الألواح الإدارية التي تؤرخ في فترة أكسيركسيس، غير أننا لا نستطيع تجاهل حقيقة تفهقر الإمبراطورية بعد هذه الفترة في أعقاب الصدام الفارسي الإغريقي⁴.

لا ننكر أن جميع المصادر الكلاسيكية على رأسها مؤلف هيرودوت، تذكر أن أكسيركسس قد ابتداء فترة حكمه 486 ق م بقمع التمرد مثل والده في كل من مصر من قبل بسماطيك الرابع

¹ - Amélie Kuhrt, op. cit, p 238.

² - Isocrates, the complete works, translated by George Norlin, Delphi Classics, UK, 2016. The Letters. to Philip I, par 8.

³ - Pierre Briant, op. cit, p 515.

⁴ - Amélie Kuhrt, op. cit, p 239.

(Psammetichus) ، وتعود بدايات هذه الثورة في أواخر عهد داريوس الأول أي في السنة الأخيرة من حكمه، اعتقاداً منا أن داريوس قد أخذها، لكن المرجح أن داريوس حسب ما جاء في مصدر هيرودوت، قد توفي وعلى الأغلب لم يحقق إنتصاراً يذكر في الجبهة المصرية بؤرة التمرد، وعليه بقيت فتيل الثورة مشتتة¹.

سار أكسيركسس في العام التالي موت والده، لإخضاع المتمردين في مصر وقد قام بقمعهم وتسليط أقسى أنواع العقاب عليهم، حيث وضع مصر تحت العبودية بصورة سيئة عما كانت عليه في عهد داريوس الأول²، حيث وفي الحقيقة أن الغاية كانت واضحة بالنسبة له وهي استكمال مخطط والده بمواصلة التوسعات، وكان عليه في بداية حكمه أن يثبت جدارته بالقيام بحملات ناجحة من شأنها إعلاء إسمه كملك على عرض الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، فتجهيزه لحملة بهذه القوة قد جعله يضم العديد من المناطق وهو في طريقه للحملة³.

إنطلق من سوزا على رأس الحملة، وعند نزوله في سارديس، طلب رمز الماء والتراب كعادة الفرس وكما فعل والده إلى المناطق التي أرادها أن تخضع له، والتي لم تكون خاضعة لوالده مستثنيا أثينا واسبرطة اللتين رفضتا عرض والده فيما سبق، واجه الرفض من بعض المناطق، والعديد منها قد وافقوا حيث يذكر هيرودوت هذه المدن أو السكان: رفضت بعض المناطق، لكن هناك أخرى أجابت بالقبول وهم، التساليون(Thasaliens)، دولوبيون(Dolopians)، اينانيس(Enienes) والبيرايبون(Perrhaebians) اللوكريون(Locrians)، الماغيتيس(Magnetes)، الليان(Leians)، أخايانديس من فثيوتيس(Achaeandes of Phthiotis)، والطيبون(Thebes)، وبقية البيوتيون(Boeotians)، باستثناء التيسبيون(Thespians) والبلاتيون(Plataeans)⁴.

¹ - Herodotus, B7.1 ; 5-6 ; 8.

² - Ibid, B.7.8.

³ - Pierre Briant, op. cit, p 526.

⁴ - Herodotus, B7. 131 ; 132 ; 133.

قاد أكسيركسس الجيش بنفسه وهو على عربته الحربية، التي تجرها أحصنة الناسايان^{1*} قدر عدد القوات بحوالي 2.317.000 جندي، منها 80 ألف فارس معززة بفرقة عشرة آلاف الخالدون، غير أن الباحثين في التاريخ القديم وصفوا الأرقام بأنها مبالغ فيها²، ويذكر أيخيليوس أن رسولا كان ينقل الأخبار لوالدة أكسيركسس يؤكد لها أن ضخامة الجيش ستجلب النصر لودها ولالإمبراطورية بالتأكيد³، حيث استمرت الإمدادات لأربع سنوات حسب، فلا تبدو هذه السنوات قد كرسست لحشد الجنود بل لجمع المؤونة ولضمان الخدمات اللوجستية، كإنشاء مستودعات التموين، بناء الجسور وتعبيد الطرق ولتسهيل عملية نقل السفن في كل تراقيا ودوريسكون معاقل هذه المستودعات التي تصلها الإمدادات من جميع أنحاء آسيا⁴.

حفرت قناة في جبل أتوس (The Athos Mount) سنة (483 ق م)، بحيث لم يريدوا أن يكرروا خطأ ماردونيوس في نفس المكان، الذي أدى إلى تحطم جزء كبير من السفن لضيق المنطقة، وكان الهدف من فتح القناة في هذا الجبل جعل الجيشين البري والأسطول البحري قريين من بعض أثناء خوض المعارك لتجنب الانفصال، وأصبحت قناة أتوس مهياًة لعبور السفن سالمة، وهي ترافق الجيش البري على طول الساحل التراقي⁵

وقع إختيار المواجهة الحربية في ثيرموبيلاي أو ثيرموبيلاي Thermopylae وسميت المعركة الأولى نسبة لهذه المنطقة، وقد تواجعت القوات الإغريقية بقيادة ليونيداس ضد الجيوش الفارسية، حيث كانت الرابع في هذه المعركة، قام على إثرها ليونيداس بإعفاء جنودهم وأمره بسحب قواتهم،

* - أحصنة الناسايان: أو النازايان وفقا لجميع المؤلفين القدامى فإن هذه الخيول، تستعمل لموكب الملك، الحرب و الاحتفالات، ظهرت في موكب أكسيركسيس وهي تجر العربة، تتميز بضخم حجمها، وبعكس ذلك لا توجد إشارة بأن جميع الأحصنة الملكية أو الأحصنة البيضاء، أو الأحصنة ضخمة الجثة هي من نوع الناسايان أنظر:

Henri Paul Frankfort et Sébastien Le Petz, Les chevaux Achéménides : Harasetraces Monoaraphie d'Archéologie, Méditerranéene, n°4, 2010, p72.

Pierre Briant, op. cit, p 526. -¹

John Bagnell Bury, A History of Greece, Cambridge University Press, UK -²
2015, p 266.

Aeschylus, (The Persians), 357-340. -³

Pierre Briant, op. cit, p 528. -⁴

John Bagnell Bury, op. cit, 266. -⁵

والعودة وفي الوقت الذي قام هو باستباق جنوده والانسحاب، اشتبكت فرقة مع القوات الفارسية وقضى جنوده نجبهم خلالها، ليتواجه الجيشان بقيادة أخيمينس شقيق أكسيركسس، مرة أخرى رغم العاصفة التي أهلكت عدد من سفن الأسطول، وكانت الهزيمة الفعلية للقوات الأثينية بقيادة قائد الحملة ثيميستوكليس، التي أعلنت انسحابها مما مهد الطريق لقادة أكسيركسس لدخول أثينا¹.

انتهت هذه المعركة بالتفوق العددي لجيوش الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، رغم الخسائر التي تعرضت لها، حيث كان تدمير كل من مدينتي ثيسباي Thespias وبلاتيه Plataea حيث تقدمت القوات الفارسية داخل أثينا إلى حد كبير قريبا من معبد الأكروبول الذي حصن بالخشب بالضبط في التلال المرتفعة من المنطقة المسماة بتلة آرس Ares وقاموا بإطلاق سهام المشتعلة بالنار وأحرقوا الأخشاب المحيطة بالمعبد وبالتالي وصول النيران لهذا المعبد الذي لم يكن مؤمنا بالحراس².

قامت سفن القائد المنسحب ثيموستوكليس بالرسو في ميناء سلاميس، حيث أراد استدراج قوات الفرس إلى هذا الميناء، ورغم العدد القليل المتبقي من السفن الموجود بحوزة القائد الإغريقي إلا أنها استطاعت أن تكبد السفن الفارسية الخسارة وألحقت بها ضررا واضحا، مما جعل القوات الفارسية تنسحب من ميناء سلاميس، حيث سميت المعركة نسبة له، في حين أن الجيش البري لم يهزم في تلك الأثناء، وبقي مهيمنا على معظم الأراضي الهلينية، رغم عدم وصول الإمدادات له، الأمر الذي وضع أكسيركسس في موقف لا يحسد عليه، إضطر بعدها لسحب ثلث قواته من أثينا بسبب النقص الفادح في الإمدادات³، ومع ذلك بقي ماردونيوس قائد القوات الفارسية التي بقيت وخيمت شمال نهر أسوبوس القريب من بلاتي بلدة صغيرة تبعد حوالي 50 كم إلى الشمال الغربي من أثينا، الذي واجه التحالف الهليني المكون من الأثينيين، الإسبرطيين، وقوات إغريقية مختلفة بقيادة بوسانياس، حيث لقيت القوات الفارسية بقيادة ماردونيوس الهزيمة على إثر هجوم مكثف من الإسبرطيين، جعلت من القائد الفارسي يتراجع عبر نهر أسوبوس، ورغم نجاح الانسحاب إلا إندفاع القوات الهلينية كانت نتيجتها مقتل ماردونيوس، الذي خلفه أرتبازوس الذي أمر بالانسحاب، الأمر الذي أدى بتقهقر

¹ - جميلة محمد عبد الكريم، المرجع السابق، ص ص 142 - 147.

² - Kaveh Farrokh, op. cit, pp 79-80.

³ - جميلة محمد عبد الكريم، المرجع السابق، ص ص 151؛ 153.

الإخمينيين ودخول الأثينيين للمعسكر الفارسي الإخميني، وخسر هذا القائد معركة بلاتي 479 ق م رغم دفاعه المستميت وبذلك، إنتهت أحلام الإمبراطورية الفارسية الإخمينية في اجتياح أوروبا والإستيلاء عليها من باب الحروي الفارسية الإخمينية، وبانتهاء هذه المعركة إنتهت حدود الملك الفارسي إقليميا، وذهبت خطط التوسع إلا ما لا رجعة¹.

إن الخوض في تفاصيل المعارك بشكل مفصل ودقيق في عهد اكسيركسس لم يكن بسبب أهمية هذا الملك بقدر الضعف الذي وصلت إليه قوات الجيش الفارسي الإخميني، فرغم سنوات التجهيز والتعبئة إلا أن الإمبراطورية لم تنجح في اختراق البوابة الأثينية رغم إخضاعها تلك المدن وهي في طريقها للحملة، وبقيت أثينا ومدننا بمنأى عن القوات الفارسية عهد باقي ملوك الأسرة الإخمينية، فمن ناحية التوسع لم تعد هذه المعارك بفائدة على الملك الفارسي، حيث تقوضت حدود مملكته بل حتى بدأت بالتراجع منذ اعتلاء ارتكسيركسس الأول عرش الإمبراطورية، فانحصرت التوسعات الفارسية الإخمينية من آخر هزيمة للفرس في معركة بلاتيه.

رغم وجود معركة سميت بمعركة ميكالي Mycale إثر ثورة منطقة أيونيا ضد الحكم الفارسي والتي كانت مستعدة للمشاركة في مواجهة الفرس، إذ أبحر القائد المدعو ليوتيكيدس Leotychides بأسطوله نحو جزيرة ساموس في الوقت الذي تراجعت فيه الروح المعنوية والقتالية للجيش الإخميني، الأمر الذي أدى به إلى التراجع نحو البر الرئيسي المقابل لهذه الجزيرة، إلا أن النتيجة في كلتا الحالتين كانت الخسارة، وبالفعل فقد تمكن الأيونيون من دحر القوات الإخمينية، واعتبرت ثورة أيونية ثانية، وعادة ما تأتي المعركتين أي ميكالي وبلاتيه مترادفتين فلا فرق زمني يذكر بينهما الأولى، فكلاهما في نفس شهر أوت من سنة 479 ق م²، وككل الحملة لم تدم طويلا مقارنة بالأربع سنوات التي استغرقتها في التجهيز، وهو الأمر الذي يجعلنا نوقن بأن الإمبراطورية عانت من نقص فادح في السياسة العسكرية رغم قوة الجيش عدة وعتادا.

¹ - Kaveh Farrokh, op. cit, pp 81-82

² - Athur Keavney, The Persian Invasions of Greece, Pen & Sword Military, GB, 2011, pp 159-160.

يذكر هيرودوت إنقساماً بين قائدين للمعارك الرئيسية وهما مردونيوس وأرتبازوس*، حيث حذر أرتبانوس من خوض معركة ميكالي، الأمر الذي أكسبه شهرة في المصادر الكلاسيكية على أن الرجل كان ذو بصيرة قوية في هذه الموقعة، ولا يمكن الجزم بوجود خلاف سياسي بين هذين القائدين، لأن كلاهما كان يدافع عن مصلحة الإمبراطورية والشعب الفارسي، كما أن الجنود الفرس من الفرع الفارسي لم يتقاعسوا في الذود عن قادتهم، وحتى قادة الجيش عكس القوات المجندة من مختلف المناطق الخاضعة الذين لم يقاتلوا بحماسة، ربما راجع لكونهم بعيدون كل البعد عن الدفاع عن ما ليس لهم أو حتى الدفاع عن الإمبراطورية ضد أوطانهم، كثورة الأيونيين الذين انقلبوا ضد الفرس للمرة الثانية¹.

لقد ذكر ديودور الصقلي أن أكسيركسس قد قُتل على يد أحد المقربين منه والمدعو أرتبانوس Artapanus هيركاني المولد، شخصية اعتبرت من المؤثرين في الملك الفارسي الإخميني حيث كان قائداً وحارساً شخصياً، حاول بقتل الملك اغتصاب السلطة، حيث ذهب لأرتكسيركسس ابن أكسيركسس بعدما قتل هذا الأخير، ليخبره بأن أخاه داريوس قد قام بقتل والدهما وهو في طريقه للإستيلاء على العرش، وعليه قام أرتكسيركسس بحمل سلاحه وذبح شقيقه الأكبر، في حين قتل المتآمر أرتبانوس خلال هذا الإشتباك إذا قام بإحضار أبنائه للقضاء على أرتكسيركسس، ومات أكسيركسس بعد حكم دام 20 سنة²، في رواية أحرر للكتسياس يذكر أن المتآمر مع أرتبانوس كان قائد الجيش الفارسي ميغابيزوس Megabyzus وزوج ابنة أكسيركسس أميتيس³ Amytis، وبذلك صعود أرتكسيركسس لسدة الحكم غارقاً بدماء أخيه، لبدأ عهد جديد من حياة الإمبراطورية الفارسية الإخمينية التي بدأت قوتها تتناقص بسبب الصراعات داخل البلاط الملكي.

* - عندما ازداد عدد خصوم الفرس من الإغريق، انزعج مردونيوس من التأخير في الدخول في معركة والمواجهة المباشرة، حيث دخل في نقاش حاد مع أرتبازوس حيث اعتقد أن هذا الأخير أنه من الأفضل أن يضربوا معسكرات الإغريق وأن يقودوا الجيش بأقصى سرعة ودك أسوار طيبة، ويمكنهم إنهاء الهجوم بسرعة عن طريق إغداق العطاء على حكام المدن الهلينية وإغرائهم بمخزون الذهب والفضة الذي أحضروه معهم وسيتنازل الإغريقيون عن حريتهم بسرعة، على أن يخاطروا بالدخول في معركة مباشرة،

أنظر: Herodotus, B 9.42

¹ - Pierre Briant, op. cit, p 539.

² - Diodorus, B 11.69.

³ - Ctesias, B16-17.34.

الفصل الخامس

الفصل الخامس: النظام الإداري للإمبراطورية الفارسية الإخمينية

- 1- التقسيمات الإدارية
- 2- المنظومة الإدارية
- 2-1 السلطة الملكية
- 2-1-1 الملك
- 2-2 الجهاز الإداري
- 2-2-1 الساتراب
- 2-2-2 الساترية
- 2-2-3 عين الملك (المستشارون الملكيون)
- 2-2-4 القانون والإدارة
- 2-2-5 إدارة القصر الملكي
- 1- الحراس الشخصيون
- 2- أطباء القصر
- 3- خصيان القصر
- 2-2-6 النظام الإداري لأهم الساتريات الإمبراطورية الفارسية الإخمينية
- 1- الإدارة في بابل
- 1-1 الموظفون ومهامهم الإدارية
- 1-1-1 رؤساء كورتاش أو كورداباتيش (*kurdabatitš kurtaš*)
- 2-1 التنظيم القانوني في ساترية بابل
- 2- الإدارة في الأناضول
- 2-1 الساتراب والساتريات في منطقة الأناضول
- 3- معالم التواجد الفارسي الإخميني في مصر
- 3-1 الإدارة
- 3-2 القانون

على الرغم من النكسات التي عانت منها الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، والحروب التي استنزفت طاقتها ومؤسستها الحرب، إلا أنها بقيت على نفس الوتيرة من ناحية الأنظمة، ذلك أنها لم تخسر مناطقها التي بقيت خاضعة لها بعد الحروب الفارسية الإغريقية، كما لم تخسر المنظومة العسكرية ولا صلابة جيشها رغم ذلك حيث ظلت سليمة ومزدهرة حتى هزائم داريوس الثالث (334-330 ق م)، فمنذ تأسيس الإمبراطورية سار الملوك الفرس الإخمينيون بإتباع نظام إداري متكامل وصف من الأنظمة الإدارية المحكمة في العالم القديم، الأمر الذي ساهم في مد عمر هذه الإمبراطورية.

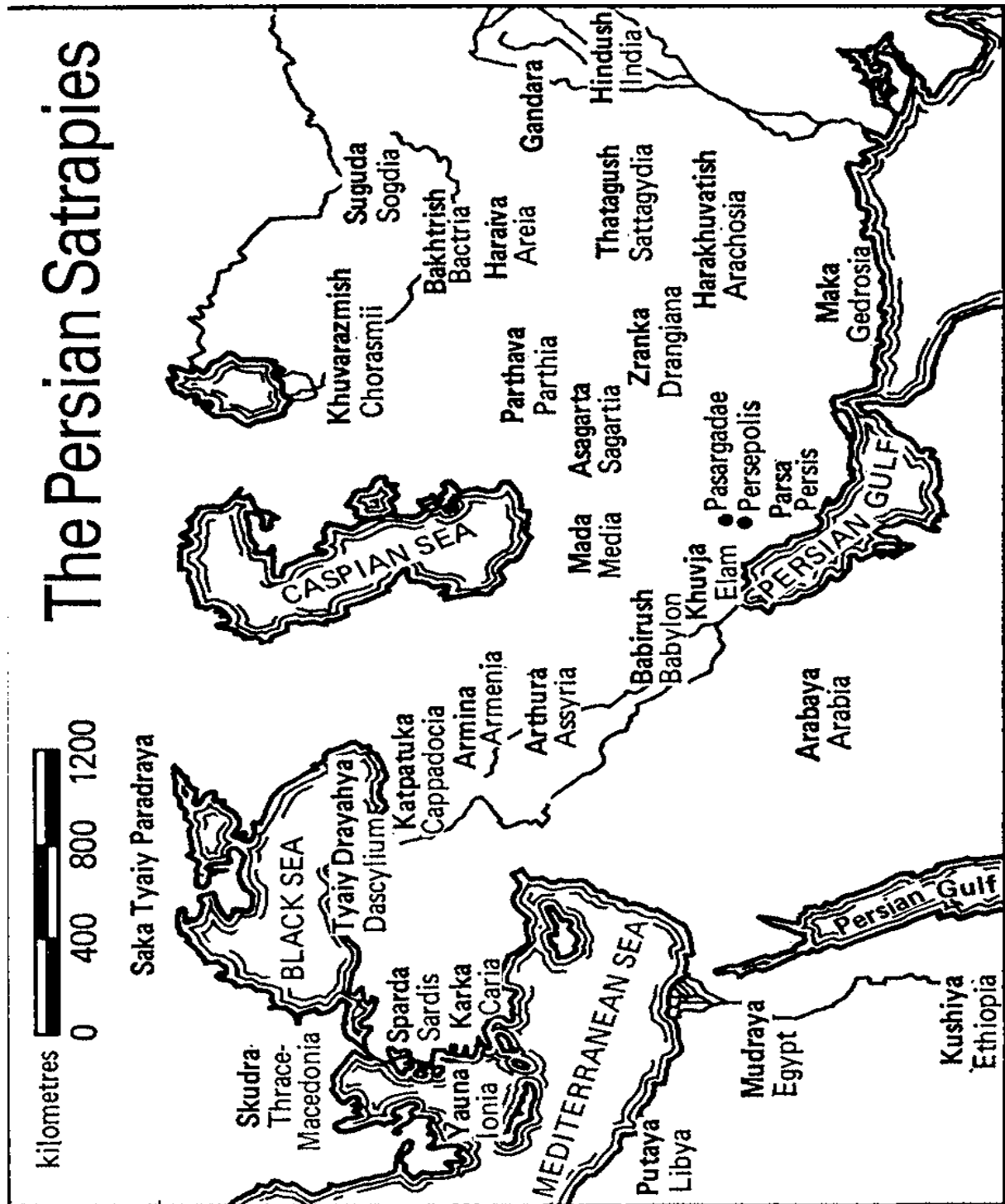
1- التقسيمات الإدارية:

تميزت الإمبراطورية الإخمينية بطابعها المختلط وتنوعها من حيث هيكلها الاجتماعي والاقتصادي، باختلاف المناطق التي استولت عليها، وإلى جانب مدن آسيا الصغرى، عيلام، بابل، سوريا، فينيقيا ومصر، غزا الفرس قبائل عديدة على غرار قبيلة الماساغيتاي، الذين كانوا في مرحلة حل نظامهم القبلي، وعيشهم القائم على القرى عن طريق التحالفات، حيث بقيت العلاقات في محيط مغلق بالنظر لهذا التنوع، واجه الفرس صعوبات كبيرة في إدارة الدولة، وكان للنظام الذي أنشأه الفرس الإخمينيون لإدارة الأقاليم التي غزوها صدى، بالمقارنة مع المصريين والآشوريين والحكام البابليين، حيث حقق الإخمينيون مهارة كبيرة في تنظيم السلطة¹.

ففي غضون بضعة عقود من سقوط الممالك الكبرى (السومريون، العيلاميون والآشوريون)، ارتقى الفرس الإخمينيون ما بين 550 و512 ق م، الذين استندوا في أصلهم أيضا إلى التنظيم القبلي، إلى مكانة إمبراطورية عالمية، والتي تضمنت الهضبة الإيرانية، آسيا الوسطى، شمال غرب الهند والعديد من البلدان الأخرى إلى الغرب والشمال من بلاد فارس، استمرت هذه الإمبراطورية مدة مائتي عام، ومع ذلك لم تكن أبدا دولة متجانسة لاختلاف أقاليمها وأنظمتها القانونية، حيث تباينت ما بين تلك البلدان المتقدمة بشكل كبير، وأخرى بدائية للغاية².

¹ - Muhammad A. Dandamaev and Vlamdimir G. Lukonin, op. cit, pp 96, 97.

² - Muhammad A. Dandamaev, Achaemenid Imperial Policies and Provincial Government, *Iranica Antica*, vol34, 1999, pp 269-270.



خارطة (5) لجميع أسماء الساتريات المذكورة في نقوش داريوس¹

باللغة الفارسية القديمة والإغريقية:

¹ Peter Green, Peter Green, The Greco-Persian Wars, University of California Press, USA, 1998, p 14.

baktrish)، (Suguda Sgodia سوغديانا)، (Khuvarazmish Chorasmii خورزميا)، (hindush India باكتريا)، (Haraiva Areia آريا)، (Gandara غاندارا)، (Thatagush Sattagydia ستاجيديا)، (Sagartia Asagarta ساغارتيا)، (Zranka Drangiana درنغيانا)، (Harakhuvatish Arachosia أراخوزيا)، (Maka كوشيا)، (Gedrosia غيدروزيا)، (Bibrush Babylon بابل)، (Khuvja Elam عيلام)، (Ethiopia إثيوبيا)، (Mudraya Egypt مصر)، (Arabaya Arabia العرب)، (Assyria Arthura آشور)، (Putaya Lybia ليبيا)، (Skudra Trace سكوذرا)، (Macedonia مقدونيا تراقيا)، (Armina Armenia أرمينيا)، (Sparda Sardis سارديس)، (Karka(Karia) كاريا)، (Tyaiyi Drayahya Dascylium دسكيليوم)، (Saka Tyaiyi Paradraya سقا بردرايا)، (Yauna Ionia أيونيا)، (Katpatuka كبادوكيا)، (Parsa Persis فارس)، (Pasargadae باسارغادة)، (Persipolis بيرسيبوليس)، (Caspian Sea بحر قزوين)، (Black Sea البحر الأسود)، (Mediterranean Sea البحر الأبيض المتوسط).

قسمت المناطق حسب دفع الجزية، وقد جاءت عند هيروdot في حدود العشرين، كما هناك مناطق لم يذكرها رغم تلميحاته بأنها موجودة:

1	أيونيا	7	ساتاجيديا	13	أرمينيا	19	موسكيا
2	ليديا	8	بابل	14	ساغارتيا	20	الهند
3	فريجيا	9	ميديا	15	السقا		
4	قيليقيا	10	كانيا	16	بارثيا		
5	بلاد العرب	11	كاسبيا	17	باريكانيا		
6	مصر	12	باكتريا	18	ماتيانيا		

جدول (2) للمناطق المذكورة من قبل هيروdot¹

¹ Herodotus, B3.90-94.

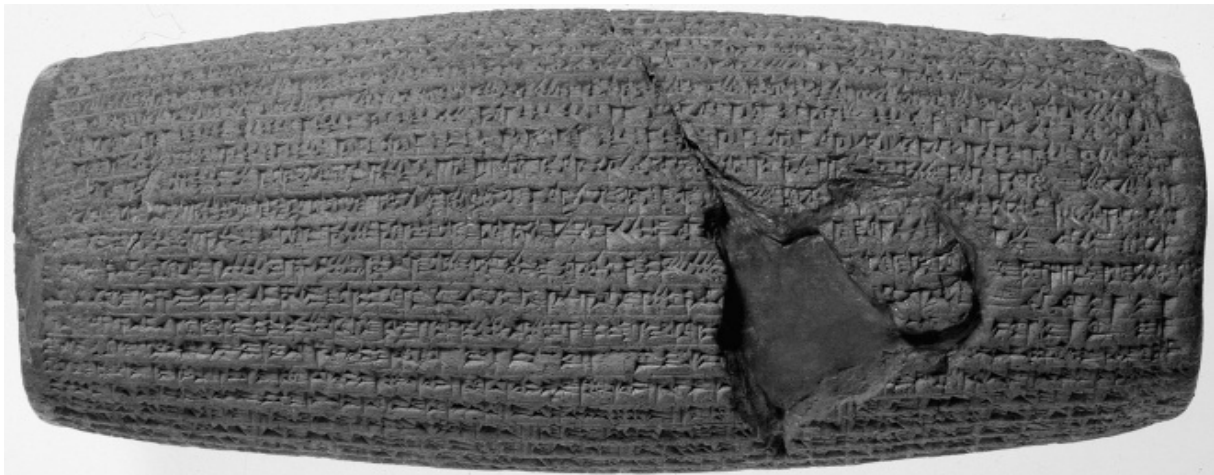
2- المنظومة الإدارية:

كانت الإمبراطورية الفارسية تواجه تحد كبير أمام المدى الجغرافي الشاسع الذي أصبحت عليه، وكان من الضروري العمل على منظومة متطورة وفعالة للسيطرة على المناطق المتفرقة، خاصة وأن الطابع القبلي كان الغالب لهذه الإمبراطورية الناشئة، حيث غزت الممالك وكان يجب عليها التحكم في الإمارات ضمن كيان واحد، مما يتطلب تنظيماً تفرد به، رغم النظم التي كانت قائمة في المجتمعات القديمة المتطورة أصلاً على غرار مصر، بلاد ما بين النهرين، بلاد الشام وآسيا الصغرى، تلك التقاليد التي كانت منذ آلاف السنين¹.

2-1 السلطة الملكية:

2-1-1 الملك:

الملك هو السلطة العليا، هو المرجع الأول والأخير، وتظهر هذه الصفة في ملوك الفرس الإخمينيين منذ عهد الملك قورش الثاني، حيث احتوت أسطوانته التي خلدت أعماله أثناء دخوله إلى بابل، كما حددت قوانينه واعتبرت النقيشة التي تمثل تأسيس الإمبراطورية، وكما كان تقليداً لملوك الفرس الإخمينيين ذكر أصولهم، ببداية كل النصوص².



صورة (6) أسطوانة قورش الثاني (بابل)³

¹ Maria Brosius, op. cit, p 47.

² Matt Watter, op. cit, p 45.

³ Ibid.

تم العثور على أسطوانة قورش الثاني في بابل عام 1879 م، حيث تتألف من 45 سطر السطور الأولى (أو بداية النص) ونهايتها غير واضحة لأنها تعرضت للتشويه، يستهل قورش كلامه بـ:

1] قور هو ملك العالم، والملك العظيم، الملك الواسع السلطة،

ملك بابل، ملك سومر وأكاد...]

[ملك] مناطق العالم] ¹

استمر هذا التقليد لباقي ملوك الفرس الأخمينيين على غرار داريوس، وهو ما يمثل السلطة العليا والمطلقة على رأس كافة الأجهزة، لأن الملك هو الأمر والنهي في كلتا الحالتين، ففي نقوش داريوس الأول يبدأ فرض سلطته بالتعريف عن نفسه وعن نسبه*، كما يذكر هو الآخر إنجازاته ومراسيمه القانونية، وهو ما نراه عند Rüdiger Schmitt:

1.1-3 أنا داريوس، الملك العظيم، ملك الملوك، ملك في فارس، ملك البلدان، ابن هيستاسبس، حفيد أرسامس، الأخميني.

2.3-6 يعلن الملك داريوس: والدي هو هيستاسبس، والد هيستاسبس هو أرسامس، والد أرسامس هو أريارامنس، والد أريارامنيس هو تياسبس، والد تياسبس أخيمينيس².
وبذلك ينسب داريوس نفسه إلى العائلة الملكية وتتضح شجرته، لتبدأ ملكيته هو وأولاده من بعده.

¹ Pierre Lecoq, Les inscriptions de la Perse achéménide, Traduit du vieux Perse, de l'élamite, du babylonien et de l'araméen présenté et annoté par l'Auteur, Éditions Gallimard, France, 1997, 181.

* نفس الشيء في نقوش قورش الثاني هو الآخر يذكر شجرة عائلته:

7. أنا قورش، ملك العالم، الملك العظيم،

الملك الواسع السلطة، ملك بابل، ملك سومر وأكاد،

ملك مقاطعات العالم الأربعة،

ابن قمبيز، الملك العظيم، ملك آنشان،

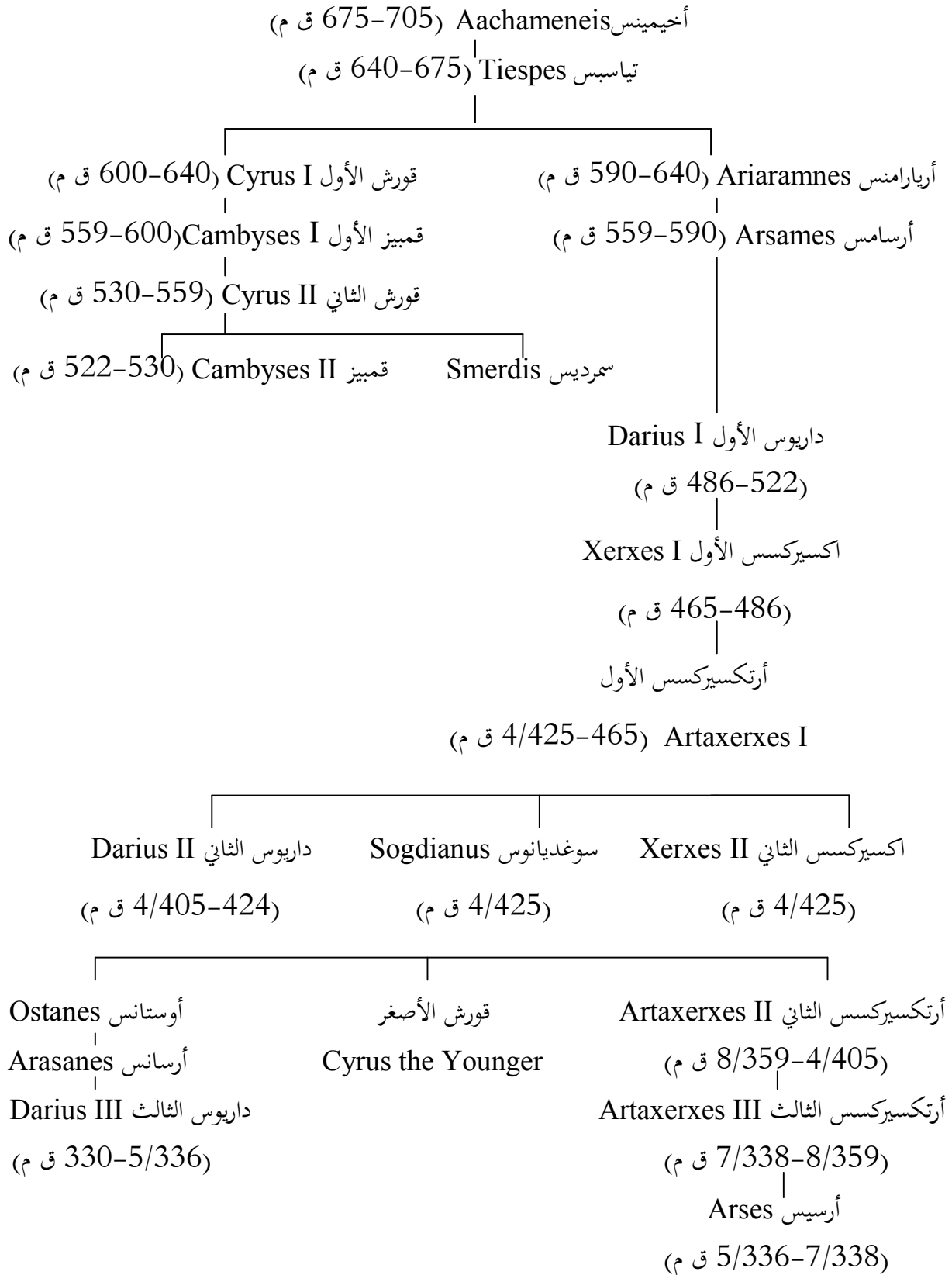
حفيد قورش، الملك العظيم، ملك آنشان،

حفيد تياسبس، الملك العظيم، ملك آنشان،

سليل الملوك الأبدى.

أنظر: Pierre Lecoq, op. cit, p 183.

² Rüdiger Schmitt, op. cit, p 49.



منحط (1) ملوك الفرس الإخمينيون¹.

¹ . <https://www.iranicaonline.org/articles/achaemenid-dynasty>

كانت الملكية الفارسية الإخمينية وراثية داخل البيت الإخميني، ونصب الملك الفارسي نفسه على أنه الملك العظيم، ملك الملوك، ملك جميع البلدان، ومع ذلك وعلى عكس سلالات الشرق الأدنى القديم لم يدعوا أنهم سلالة إلهية أو أن انتمائهم يعود للطبيعة (كالريخ، البحار وما إلى غير ذلك من عناصر الطبيعة)، بل كرروا دائما أن ما فعلوه قد فعلوه تحت حماية الإله أهورامازدا، وأنهم احتفظوا بالمملكة بفضل الإله أهورامازدا، وعلى الرغم من أن الملك الفارسي الإخميني كان صاحب السيادة وكان لكلماته قوة القانون، إلا أن عدة عوامل خففت من هذا الحكم المطلق، إذ أن الملك كان ملزما بالتقاليد وذلك باحترام آراء الشيوخ الكبار واستشارة النبلاء العظماء في المناسبات الهامة، وكان عليه أن يتزوج من عائلات النبلاء العظماء، بالإضافة إلى أنه لم يستطع خلال فترة حكمه من إصدار حكم تعسفي، وكان هناك خوف دائم من محاولة الإغتيال إذا غالى في تصرفاته القاسية أو إظهار استبداده المطلق¹.

2-2 الجهاز الإداري:

1-2-2 الساتراب:

رغم أهمية مركزية الملك، وأمره وسلامته حياته قبل كل شيء، إلا أن للملك دعامة في السلم الهرمي للسلطة ألا وهم طبقة النخبة من النبلاء، حيث يعتمد عليهم في قوته ونجاح حكمه، هذه الطبقة التي تتبع أوامر الملك كما تتمتع بامتيازات ملكية سمي هذا الموظف النبيل بـ **الساتراب** باللغة الفارسية القديمة *xšaçaṣpānā* والتي تعني حامي العالم أو حامي المملكة، أما عند كُتّاب الإغريق جاءت كالتالي: **σατράπης**، سلطته كانت تابعة للملك بشكل مباشر وفي نفس الوقت، تتمتع بصلاحيات تشبه صلاحيات الملك ولكن بشكل ثانوي أدت في بعض الأحيان لإعلانهم نوعا من الانفصال أو التمرد، وله كل الصلاحيات في إنهاء منصبه عند العصيان حتى لو كان من النبلاء، مثل ما فعل دارويس بـ انتفارس الذي قتله إثر عصيان أوامره بدخوله القصر في الليل (بعد أن حذر دارويس أيا كان بعدم دخول القصر وقت راحته وتواجهه بمضجعه)².

¹ - Touraj Daryaee, op. cit, p 133.

² - Matter Waters, op. cit, p 93 ; Pierre Lecoq, op. cit, p 58 ; Herodotus, B1.193.

لقد كان الساتراب يمثل نموذج لنظام إتصال جيد بين الملك وأراضي (الساترية نسبة للساتراب وهي الولاية) الإمبراطورية، كلاهما اعتمد على بنية تحتية ممتازة لضمان الإتصال وجمع الضرائب والتعبئة وتسيير الرعية والجيش والإعتناء بثروات الإمبراطورية (على سبيل المثال الماشية عند اقتضاء الأمر)، وتعزيز التجارة البرية وتأمينها، بحيث على رأس كل ساترية ساتراب أو مرزبان، كان مسؤولاً عن تحصيل الضرائب في كل ساترية، مشرفاً على القوانين المحلية، يقوم بتجنيد القوات سواء البرية أو البحرية، كيّف قورش الثاني تطلعاته بإنشاء نظام إداري خاص به مع طبيعة الأنظمة التي كانت في ساترية بابل قبل ضمها لحاضرة الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، وأطلق على خدام الساترية الساتراب بمعنى والي الولاية وهو منصب يشبه ذلك الموجود في بابل، عادة ما يكون هؤلاء النبلاء من أفراد العائلة المالكة كإخوة وأبناء الملك، وحتى من الممكن أن يكونوا من أصهار الملك أيضاً، يقيم الساتراب في مركز الساترية قس قصر يحاكي القصور الملكية¹.

بالنظر للصلاحيات التي أوكلت للساتراب بخصوص تمتعه بصلاحيات عسكرية، نجد هناك نظاماً ينبىء بانقلابات، فإذا كان كل حاكم ساترية يعمل بالنظام السابق (بالإضافة للصلاحيات السابقة صلاحية التحكم بالجيش) أي من قبل فرد واحد يشبه الملك في كل شيء ما عدا اللقب الفعلي والنسب الملكي، بالضرورة ستواجه الإمبراطورية خطراً كبيراً بالتفكك السريع، لذلك تجنب داريوس تركيز السلطة المدنية والعسكرية في يد واحدة ووزع المهام على هؤلاء الموظفين (الساتراب، قائد الجيش، ومستشار الدولة)، بحيث أصبح لكل من هؤلاء الموظفين اتصال مباشر بالملك، أما من ناحية اختيار الساتراب، هناك فترات قد عين بها ساتراب لا يتمتع بالنفوذ فقط لأنه فارسي يعني الاختيار يشمل الفقراء والأغنياء².

كان الساتراب في عهد قورش الثاني، يحل محل الملك إذا غاب، على سبيل المثال الساتراب غوبرياس، فمعنى أن يحل محل الملك يؤدي المتعاقدون القسم أمامه، يفصل في نزاعات أحد الطرفين في

¹ Maria Brosius, A History of Ancient Persia : The Achaemenid Empire, John Wiley & Sons, USA, 2021, p 114.

² Gaston Maspero, The Passing of the Empire 850 BC to 330 BC, translated by M. L. McClure, Society For Promoting Christian Knowledge, UK, 1900, pp 688-689.

حالة إنتهاك العقود، حتى أن الساتراب تدخل بطريقة مباشرة وصريحة في الإدارة المحلية، وتحول قرارات الطعون المخول للفصل فيها من طرف القضاة المحليين إلى محكمته¹.

كان لدى كل ساتراب ما يسمى السكرتير بالمعنى الحالي وهو موظف إداري، وليس موظفا عاديا يساعد الساتراب بتنظيم إدارته، بل وضع من طرف الملك كعين ثانية له، لمتابعة أعمال الساتراب، ليمثل هيئة الرقابة السرية، ويبلغ الملك بالمستجدات حول سلوكيات أي ساتراب².

اتسم النظام الساترابي باللين إذ طور الفرس في عهدهم نظاما فدرالي بمعنى إتحاد دول أو بالمعنى الصحيح إتحاد شعوب كثيرة(شعوب نصف مستقلة لها ملوكها أو حكامها المحليين وحتى بإمكانها الإحتفاظ بأنظمتها السياسية وديانها وثقافتها)، لكنها تبقى تحت حكم السلطة العليا ألا وهي سلطة الملك³.

وضع الفرس الإخمينيون كبار المسؤولين على المستوى المحلي(أي من المسؤولين الذين ينحدرون من نفس المنطقة) ولم يقتصر حكم الساترية على الفرس فقط في بعض الأحيان، وهذه صورة عن اللين في إدارة أقاليم الإمبراطورية وعلى سبيل المثال وضع باكتياس Pactyes الليدي على رأس الأمانة العامة في ليديا جنبا إلى جنب مع الساتراب الفارسي تابالوس Tabalus بصفته أمينا للصندوق إلا أنه أعلن التمرد، وأمر قورش بالقبض عليه حيا، مما أنذر بعدم وضع أي موظف من غير العناصر الفارسية، غير أن هذه الحركة لم تمنعه من توظيف ساتراب من غير الفارسيين والمعروف باسم Ugbaru من بابل، الذي أصبح ساترابا لبابل بعد غزوها سنة 539 ق م، ولكن بعد انضمام داريوس الأول تم كمنح مكتب الساترية إلى أفراد العائلة الملكية، هنا نرى تغير الممارسات من قبل داريوس بالرجوع لأول أهداف هذا النظام وهو تعيين النخبة الفارسية⁴.

¹ A. T. Olmstead, op. cit, p 71.

² Gaston Maspero, op. cit, 689.

³ Pirouz Mojtahed Zadeh, Small Players of the Great Game, Routledge, Publishing, USA, 2004, p 31.

⁴ Maria Brosius, The Persians, op. cit, p 47-48.

اعتبر سكان الساتريات التابعة للإمبراطورية، مصطلح الساتراب في بعض الأحيان مخيفاً، لأن مهمته الأساسية كانت استتباب الأمن في الساتريات التي أعلنت التمرد في أكثر من مناسبة سواء في عهد قورش أو في عهد داريوس والملوك الآخرين، إذ رافق هذا المصطلح الصفة العسكرية، وكان في حاجة أن يكون هو دفاعاته يقظين، حتى انه اعتبر موظفاً مجتهداً للعمل على إرساء النظام الإمبريالي القائم على زيادة السلطة والسيطرة المحكمة¹.

بالإضافة للصفة الإدارية كان لزاماً على الساتراب أن يسعى إلى مد الرقعة الجغرافية للإمبراطورية الفارسية الإخمينية، حيث عاقب داريوس ساتراب، حيث يذكر هيرودوت شجار دار أثناء مرض قمبيز بين ساترايين الأول يدعى أورتوس Oroetes الفارسي ساتراب سارديس والآخر يدعى ميتروباتس Mitrobates ساتراب ساترية داسكيليوم، أما أبواب قصر الملك، حيث لام أورويتس ميتروباتس عند ذكرهم لإنجازاتهم بعد استطاعته حيازة جزيرة ساموس وضمها لساتريته ولسلطة الملك، وهي الجزيرة التي يسهل غزوها، لأن مواطنيها ثاروا ضد حكامهم بخمسة عشر جندياً فقط، وهو الآن حاكم عليها، إثر تغلبه على بوليكراتس طاغية ساموس².

عندما اعتلى داريوس الأول سدة الحكم حاول معاقبة أورويتس على جميع أخطائه التي ارتكبها، وخاصة قتل ميتروباتس وابنه حتى أنه قتل رسل داريوس الذين بعث بهم لطلبه، لكنه اعتقد أنه من الأفضل أن لا يرسل جيشاً في العلن ضد ساتراب، حيث عاين الوضع ووجد أن التوترات بدايتها، خاصة في ظل صعوده للعرش الذي لم يمضي عليه مدة كافية لكي يقوم بفرض العقوبات بشكل كامل، علاوة على ذلك سمع عن هذا الساتراب ونفوذه وقوته، علم أن لديه ألف حارس رامي رماح شخصي يجرسونه، كما كان ساتراباً على رأس ثلاث ساتريات مجتمعة وهي: فريجيا، ليديا وأيونيا، لكنه ومن ذكاء داريوس استقطب حشداً من شعب فارس، وخطب فيهم بطريقة حماسية بمن منهم سيسعد بأن يفعل ما يطلبه ليس باستعمال القوة وإنما استدراجه بحنكة ومكر حيا أو مقتولاً، فحسب قوله، لا حاجة للقوة وليس لها فائدة إن كان الهدف يتطلب المكر، حيث قام بأذية الفرس وقتل أحد أبنائهم ورسله، مظهرها وقاحة وجرأة لا يمكن تحملها، وقتل أورويتس من قبل حراسه حاملي

¹ - Lori Khatchadourian, Imperial Matter : Ancient Persia and the Archaeology of the Empire, University of California press, USA, 2016, p 5.

² - Herodotus, B3.121.

الرماح بطلب من رسول داريوس المدعو Bagaesus باغايبوس لموظفي هذا الساتراب الموجودين بسارديس للإمتثال لأوامره، خاصة أن أفعال هذا الساتراب باتت واضحة¹.

هناك حالات أصبح فيها منصب الساتراب وراثي، حيث انتقل من الساتراب إلى ابنه وحتى تطور إلى أن يكون وراثيا أكثر من ذلك حسب سلالة الساتراب (أي الساترابات سليلي أول ساتراب من العائلة)، هذا لا يعني أن الساتراب تمتع بكامل الصلاحية بالتحكم في الساترية، بل بقي خاضعا لسلطة الملك الذي له الكلمة الأخيرة في استمرار خلفائه على رأس الساترية من عدمها، ولا يدل أبدا على استقلالية الساترية عن السلطة المركزية، غير أن هذا لا ينفي تمتع الساتراب بالبذخ الناتج عن منصبه، فكان لديه قصر، وحدائق تشبه الموجودة في القصور الملكية كما كانت له حاشيته وحتى بلاطه، واستمتع بما تمتع به ملوك الفرس الإخمينيون كالمأدبة الفاخرة ورحلات الصيد²، حيث تناول ثوسيديد آلية إنتقال السلطة من الساتراب إلى أولاده، أن أكسيركسس قد عين أرتبازوس Artabazus ابن فارناسس Pharnaces ساترابا على ساترية داسكيليوم، واستمر من ابنه فارنابازس Pharnabazes إلى حفيده فارناسس الثاني، حيث يذكرهم جميعا بأبناء فارناسس³.

اختار الملك موظفيه بعناية خاصة ليكونوا رجاله، غير أن الملك يعتقد أن إرساء الحكم السليم من مسؤولياته، مع وضع موظفيه تحت الرقابة، ذلك أنه لا يستطيع -أي الملك- إجبار أي شخص أن يكون فردا جيدا إذا كان الحاكم سيئا⁴، لذا وجبت النزاهة للحاكم قبل الرعية، فالأمة تحذو حذو ملكها بالضرورة.

2-2-2 الساترية:

بعكس الساتراب، لا نجد في النقوش الفارسية الإخمينية مصطلحا فارسيا قديما للساترية، على عكس المصادر الكلاسيكية التي ذكرت الولايات أو المناطق العشرون الخاضعة باسم الساترية، كما ذكرت الساتراب⁵، حيث اختفت صفة التبعية الملكية التي كان معمولا بها أثناء المملكة الآشورية

¹ - Herodotus, B3. 128-129.

² - Maria Brosius, The Persians, op. cit, p 48.

³ - Thucydides, B1.129 ; 8.6 ; 8.58.

⁴ - Xenophon, Cyr, 10.12.

⁵ - Pierre Briant, op. cit, p 65.

الحديثة والميدية، فنظام هاتين الأخيرتين كان على نطاق أصغر، وكان تقسيمهم للأراضي على أساس التبعية الملكية، مع صغر المقاطعات والأقاليم من حيث الحجم والأهمية، عكس التنظيم الذي جاءت به الإمبراطورية الفارسية الإخمينية إذا قسمت أراضيها الواسعة إلى مقاطعات كبرى (20 تحت حكم قورش الثاني، 22 تحت حكم داريوس الثالث، 23 أو أكثر في عهد اكسيركسس)¹.

بالإمكان القول أن هذا النظام يشبه النظام الفدرالي، وهو يشكل هيكلًا هرميًا سمح بالتحكم في الأقاليم المختلفة، وبذلك تضمن الحفاظ على قدرتها على تسييرها سياسيًا وإداريًا، زد على ذلك وجود قاعدة لنظامها أساسها المملكة الآشورية والبابلية، بالتالي اكتسبت خبرة من الممالك الكبرى التي كان لها باع طويل في السلطة حسن التسيير قبل القرن السادس قبل الميلاد من مصر إلى الإغريق، ليصل مداه لآلاف الأميال وصولًا لأفغانستان وباكستان حاليًا.²

اعتبر هيرودوت المصدر الوحيد عن التنظيم الإداري في الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، إذ يذكر أن تقسيم هذه الساتريات كان له هدف إقتصادي أكثر مما هو سياسي إداري، ومن خلال النقوش الموجودة في بيهستون نجد عدد هذه الساتريات التي خضعت تحت القوة العسكرية، إلا أنها أصبحت فيما بعد ساتريات تلي احتياجات السلطة العليا أو سلطة الملك³، غير أن وجود اختلاف عددي بين الساتريات المذكورة في الكتب الكلاسيكية وتلك الموجودة على النقوش الفارسية الإخمينية، قد تم تفسيرها على أنها قوائم إيديولوجية لا تحمل أي انعكاس للواقع الإداري⁴.

¹ - Ali Farazmand, Bureaucracy and Administration, CRC Press Taylor & Francis Group, USA, 2009, p 38 ; 42 ; Herodotus, B3.89.

² - Barry Rubin, The Middle East : A guide to Politics, Economics, Society and Culture, Routledge, USA, 2015, pp 490,491.

³ - John Boardman, The Cambridge Ancient History, Vol IV, 2nd ed, Cambridge University Press, UK, 1988, p 87.

⁴ - Maria Brosius, A History of Ancient Persia, p 114-115.

كان الغرض من إنشاء نظام الساتريات، بسط السيطرة الكاملة والقدرة على التحكم في الأجزاء المتباعدة، ونقصد بذلك المناطق المنتشرة والتي تبعد عن السلطة المركزية والتي خضعت فيما سبق للإمبراطورية الفارسية الإخمينية، ولم يكن هناك أدنى شك إن اعتقدنا أن ضم هذه المناطق لغرض توحيدها، لا بل كان الهدف عسكريا اقتصاديا بحتا، ألا وهو جباية الضرائب والتجنيد وحشد الجيوش والتحكم في الإدارة المحلية، وصد خطر التعرض للهجمات الخارجية أو للتمرد والانتفاضات التي من الممكن أن تحصل داخل المناطق الخاضعة، خاصة في ظل تنامي الإمبراطورية توسعها بوتيرة متسارعة ما بين 550 و 525 ق م، زد على ذلك أن المعطيات التاريخية لا تنفي تبني قورش وابنه أنظمة الحكم السابقة على غرار النظام الآشوري والبابلي والتي بنيت على هيئة هيكل هرمي لتسلسل الوظائف والذي بقي ثابتا ولم يمسه أي تغيير، الدليل الذي يثبت نجاعتها¹، وقد قام قورش بتنظيم مختلف أجزاء الإمبراطورية وعين حكاما محليين واشترط أن يكونوا من الفرع الفارسي².

بطبيعة الحال كانت هناك طبقة داخل المجتمع الفارسي، وهو ما يسمح بانتقاء الفتية من اثني عشر قبيلة ذوي الكفاءة لشغل مناصب في تسيير نظام الحكم، ربما كان للتعدد القبلي هدف وهو اختيار النخبة من كل قبيلة، من منظور أكسينوفون يعتبر تفارق طبقي³، إلا أننا لا نعتبر الإمارات الفارسية المبعثرة منفصلة طبقيا لتعدد أسماء قبائلها حسب ما جاء به هيروdot*، فتعددتها لم يخضع لنظرية الانقسام وإنما لانتشارها الجغرافي المتباعد، ففي الأخير جميعها تعود في أصلها للشعب الفارسي وهو الأمر الذي ساعد الإمبراطورية الفارسية الإخمينية من شغل مساحة أكبر وانتشار العنصر الفارسي في أكثر من منطقة.

¹ - Bruno Jacobs, Achaemenid Satrapies, the administrative units of the Achaemenid Empire, Encyclopaed Iranica online, 2011, p 1.

² - Xenophon, Cyr, B8.12.

³ - Ibid, B1, 2.5.

* - قبائل الفرس التي ذكرها هيروdot: « الباسارجاديون (Pasargadae)، المرافيين (Maraphii)، والماسبيين (Maspii) والقبائل الفارسية الأخرى هي البانثيالاي (Panthialaei)، الديروسيائي (Dirusiaei) والجرمانيين (Germanii)، ، الداى (Dai)، المارديين (Mardi)، الدرويكيين (Dropici)، الساغرتيين (Sagartii)»، أنظر: Herodotus, B1.126.

يمكن تقسيم الساتريات حسب مستوى محدد حسب التسلسل الهرمي الإداري، منها تلك التي كانت تعد من أكبر الساتريات من حيث الرقعة الجغرافية والأهمية والتي كانت تمثل هيكلًا معقدًا من ناحية إدراجها إداريًا والتي تمثل كل من ميديا، ليديا، بابل، مصر، باكتريا وأراخوزيا، والساتريات الرئيسية والتي كانت عبارة عن اتحادات واسعة ضمن الساتريات الكبرى تضمنت كل من آشور كجزء من بابل، كبادوكيا كجزء من ليديا، ثم تم تشكيل المستوى الثالث من الساتريات ساتريات آسيا الصغرى، ليس تلك التي وضعت ضمن الساتريات الكبرى، بل هي عبارة عن كيانات سياسية محلية مثل ميسيا Mysia جزء من فريجيا هليليسبونت Phrygia Hellespontine، ليسيا Lycia كجزء من كاريا، هذا وقد تغيرت هذه المستويات وهو الأمر الملحوظ في وقت مبكر من بداية حكم الملك الفارسي الإخميني أكسيركسس، وكانت بابل (بعد أن كانت تضم المناطق ما بين النهرين والأراضي الواقعة غرب الفرات) هي الشاهدة على تغير هذا التوزيع، حيث قسمت إلى ساترية بابل وساترية عبر الفرات (المناطق عبر الفرات)¹.

نصب على رأس هذه الساتريات الفرعية حاكم فرعي (ساتراب هو أيضا، لكن يخضع للأعلى شأنًا منه)، عادة ما يكون من الفرس أو الميديين، أو حتى بالسماح للقادة المحليين البقاء بممارسة سلطتهم المحلية، وهو ما يسمح بخلق نوع من الحرية والسلاسة في سير السلطة والمرونة في الحكم، على أن تبقى هذه الأقليات تحت الحكم الملكي، فرغم وجود هؤلاء الحكام المحليين الذين سمحت لهم الإمبراطورية بممارسة الحكم بمحدودية، لم يمنع من تمردهم مثل تمرد الملكين البابليين بل شيماني Bel-shimanni وشمش ايريا Shamash-eriba².

من الواضح أنه في الوقت التي كانت فيه الساتريات الوحدات الرئيسية لتنظيم الإمبراطورية، لم تكن كل الشعوب تدين بالولاء للملك، فممثلو بلاد العرب وإثيوبيا قدموا الهدايا للملك بشكل منتظم (ربما كانت في جوهرها جزية ولكن بشكل يجعلها تبدو كأنها هدايا مع العلم أنها ذكرت باسم هدايا)، كما وفرت هاتين المنطقتين وحدات عسكرية لجيش أكسيركسس سنة 480 ق م، وكلاهما مدرج في قوائم الشعوب التي ذكرت في النقوش الفارسية القديمة وليست بالضرورة نفسها التي أخضعتها الإمبراطورية لنظام جباية الضرائب، أيضا قيليقيا التي كانت من الدول المستقلة، إذ يبدو أنها

¹ - Maria Brosius, A History Ancient Persia, p 115.

² - Ali Farazmand, op, cit, p 43 ; Amélie Kuhrt, op. cit, p 294.

ليست من الساتريات المستغلة مالياً أو حتى عسكرياً، رغم ذلك كانت لها علاقة بالإمبراطورية ومن الممكن أن للملك علاقات عمل من نوع ما إن صح التعبير، لنجد مثل هذه الدول العميلة، فبينما داريوس أنشأ هذه المنظومة الإقليمية من أجل إيجاد طريقة صارمة لتحصيل الضرائب، فقد وجد من قبل في عهد قورش الثاني، هو نفسه الذي عمل به داريوس، غير أن داريوس قد واجه ثورات الساتريات المتمردة أواخر عهد قمبيز الثاني، في الوقت الذي كان والده هيستاسبس ربما لا يزال ساتراباً على بارثيا، الأمر الذي جعل من داريوس فور قمعه لهذه الثورات جعل النظام أقوى، إحكام القبضة على الساتريات بصرامة، وإلزامها بدفع الضريبة بشكل منتظم وثابت، ذلك أن جغرافية الساتريات لم تكن معروفة كما كانت متفرقة وغير متجاورة، وإحلال نظام صارم كهذا من شأنه أن يجعل الساترية ضمن نطاق الإمبراطورية الفارسية الإخمينية¹.

حيث كان داريوس مدركاً لشمولية هذه الإمبراطورية بأنها قوة تضم كل الأمم واللغات، وإحلال هكذا نظام تأكد أنه الطريقة المثلى لفرض سلطته على المناطق المترامية الأطراف وقد تفاخر أكثر من مرة بجيازه هذا الكم الهائل من البلدان الخاضعة، غير أن تساهله مع الحكام المحليين باتباع دينهم والإمثال لقوانينهم التي دأبوا على إتباعها قد أعطى نوعاً من الحكم الذاتي وهو ما يجعل الحكم الفارسي الإخميني فضفاضاً إن صح التعبير².

استند نظام الساترية على عدة مبادئ تنظيمية ومؤسسات للرقابة السياسية والقانونية، حيث تمت ممارسة قدر كبير من المرونة من خلال توظيف وتعيين قادة محليين غير الفارسيين وكذلك الإداريين، فكانت السياسة الليبرالية المتساهلة التي أسسها قورش الثاني قد سمحت للشعوب ودول الإمبراطورية الفارسية الإخمينية المتنوعة بممارسة عاداتها وتقاليدها المحلية طالما أنها لم تشكل تحدياً للسلطة المركزية للملك أو للساتراب، هذا وقد تم ترتيب الهيكل الإداري ليحاكي ذلك الموجود في العاصمة ومركز السلطة، بحيث صممت مؤسسته الحاكمة على غرار الحكومة المركزية مدنياً، قضائياً وعسكرياً، كان للساتراب محكمة خاصة به، كانت سلطته التقديرية على الساترية واسعة تشمل

¹ - John Boardman, op.cit, p 88 ; 90.

² - Touraj Daryaee, op. cit, 131.

السياسة والإدارة، غير انه في القضايا السياسية الكبرى كان عليه إرجاء قراراته إلى العاصمة الملكية سوسة*¹.

بالإضافة للمصادر الكلاسيكية، نجد العديد من الشواهد الأثرية على وجود ألواح إدارية والمتمثلة في الألواح الإدارية في بيرسيبوليس، فهي أكثر العواصم التي تحوي وثائق عن الإدارة المركزية، إلا أن بابل تبقى هي الأفضل من حيث التوثيق في المنطقة المتبقية من الإمبراطورية، على الرغم من أن معظم المعلومات حول تنظيم الأراضي والمسائل المالية ذات الصلة التي وجدت ببابل تأتي بعد داريوس، حيث تعود هذه المواد أساسا إلى عهدي أرتكسيركسس وداريوس الثاني، هذا لا ينفي وجود هياكل تنظيمية خاصة بالمسائل الاقتصادية للساتريات تعود إلى عهد داريوس الأول أو حتى عهدي قورش الثاني وقمبيز الثاني².

لقد برزت النشاطات التي كانت على مستوى الساترية، من تحصيل ضرائب وإعانات، تعبئة وإمداد القوات العسكرية بالموارد الهامة، صيانة الطرق الخارجية وطرق البريد والإتصالات، صيانة القنوات والممرات المائية، مثل قناة أتوس التي قام العمال في عهد أكسيركسس بصيانتها لتصبح صالحة للإستعمال³.

كانت العديد من الآليات المؤسساتية التي أنشأتها الحكومة المركزية بمثابة ضوابط وتوازنات في نظام الساترية، عدّ هذا الأمر ضروريا للنظام الإداري من أجل الحفاظ على السيطرة المركزية على

* - سوسة: Susa هي إحدى العواصم الملكية وهي العاصمة القديمة للمملكة العيلامية، كما تعد إحدى مراكز إقامة الملك على غرار العاصمتين الفارستين بيرسيبوليس Persipolis وباسارغاة Pasargada والعاصمة السابقة للملكة الميديّة إكباتانا Ecbatana تضم قصر داريوس الملكي، اعتبرت قاعدة من القواعد التي تمثل سلطة الملك العظيم، رغم أنها لا تحتوي على وثائق إدارية أو معاملات تجارية مثل تلك الموجودة في بيرسيبوليس، إلا أن وجود وثائق في العاصمة الفارسية بيرسيبوليس تتضمن ذكرا لسوسة نصوصا لخصص التنقلات (رحلا أو أسفار)، على أنها نقطة انطلاق ووصول أو نقطة انطلاق للقوافل خاصة بين سوسة وبيرسيبوليس، للمزيد أنظر:

Jean Perrot, John Curtis, The Palace of Darius at Susa : The Great Royal Residence of Achaemenid Persia, Translated by Gérard Collon, I.B.Tauris & Co Ltd, UK, 2013, pp 3-4.

Ali Farazmand, op, cit, p 42. -¹

Pierr Briant, op. cit, p 390. -²

Ali Farazmand, op, cit, p 42. -³

الإمبراطورية بأكملها، منع أي استقلال محتمل أو سخط أو تمرد، كذلك منع إساءة استخدام السلطة والنفوذ من قبل الساتراب، ولمنع الفساد وتعفن النظام بحماية الشعوب الخاضعة المتنوعة في فارس الموحدة متعددة الجنسيات، والحفاظ على وحدة أراضي الإمبراطورية الفارسية الإخمينية¹.

2-2-3 عين الملك (المستشارون الملكيون):

رغم تلك التنظيمات التي قام بها الملوك الفرس الإخمينيون، وتلك الضوابط التي أرست قاعدة أنه كلما كان الضابط المسؤول أكثر كفاءة، تكون إدارة المؤسسة أكثر نزاهة، وإن ساء سلوكه، أصبحت الإدارة أكثر فساداً، غير أن الحكام لم يتركوا كل هذه المسؤولية بيد الساتراب ومعاونيه (جباة الضرائب، الموكلون عن دفع الرواتب، مجالس الأشغال العامة، حراس المملكة، ومفوضي الأقسام المختلفة، وحتى المشرفين على خيول الملك وكلاب الصيد خاصته هؤلاء المشرفين أو المستشارون الذين وثق الملك بكفاءتهم بأن يبقوا على حيواناته في حالة جيدة) دون أن وضع رقابة، لرؤية أولئك الذين هم في ولاء تام يقومون بالمهام الموكلة لهم (أساساً هذه الرقابة لاختبار مدى ولائهم)².

من الملاحظ أن هذه العادة لا تزال سارية، سواء قد تم وضعها من قبل قورش الثاني كما هو مؤكد، فأفراد هذه الفئة يظهرون من وقت لآخر، فسنة بعد سنة يقوم شخص على رأس الجيش لمساعدة أي ساترية إن كانت بحاجة للمساعدة، في استتباب الأمن ووضع حد للأشخاص المتمردين، ولتعديل الوضع، ومراقبة جباة الضرائب إن كانت طريقتهم بالجباية صحيحة أو قيمة المدفوعات كاملة، كما ساعدت في ضبط الأمن من ناحية السهر على حماية السكان، أو مثلاً التأكد من حرث الأراضي وزراعتها، وإذا كان هناك إهمال ما بحضوره، بحيث إن لم يستطع إصلاح هذه العيوب أو المشاكل، يضطر إلى رفع بلاغ إلى الملك مباشرة، فللملك الحق في معاقبة المتسببين بكذا تقصير، وغالبا ما يتم الرد بحضور ابن الملك، شقيقه أو عين الملك³.

¹ - Ali Farazmand, op, cit, p 43.

² - Xenophon, Cyr, B 8.9-10.

³ - Pierre Briant, op. cit, p 344.

في بعض الأحيان لا يظهر هؤلاء المستشارين أو بما يسمون أعين الملك شخصيا على الإطلاق، بحيث يختفون بمجرد تلقي القادة وقراءة مضمون الرسالة التي تفضي بتنفيذ أوامر الملك¹، وهو الأمر الذي أكدته تنظيمات قورش الثاني، بأن لا أحد حتى الساتراب لا يمكنه التصرف بحرية في ظل حكومة الملك².

العديد من الرسائل المتبادلة بين الساتراب وبين الحكومة المركزية كان الوسيط فيها المستشارون الملكيون، مثل ما حدث مع فارنازوس عندما قام بمراسلة الملك لإقناعه بإشراك أحده القادة البحريين ذو أصول أثينية كونون **Conon** لقيادة الأسطول ضد اللاكيديمونيين بهدف إخضاعهم، وقد تحرك فور تلقي مراسلة من الملك³.

إذا كان الساتراب يعتزم العصيان، فهو يعلم جيدا أنه خاطر بأن يدان من قبل الملك دون أدنى شك، كما اتضح الأمر في قضية تمرد قورش الأصغر، كما يتم استدعاء الساتراب المشتبه بهم بشكل مفاجئ إلى محكمة الملك⁴، كما حدث مع أوخوس (داريوس الثاني) عندما استدعي من طرف أخيه غير الشقيق سوغديانوس للإشتباه في محاولة تمرد من قبله، عقب جريمة إغتيال أكسيركسس الثاني من قبل سوغديانوس، إذ قام بإرسال رسالة له أكثر من مرة، وهو الأمر الذي جعل هذا الأخير يتوجس عدم استجابة أخيه، في حين كان أوخوس يستعد لقيادة جيشه ضد الملك وقد نجح في القضاء على سوغديانوس ليصبح بعد ذلك ملكا على عرش الإمبراطورية الفارسية الإخمينية⁵.

نُسب هؤلاء الموظفين لفئة الجواسيس والمخبرين، وهم من الموظفين المميزين الذي عهد إليهم الملك بالإشراف على الساتراب في حد ذاته، ومهما يكن فتناول المصادر الكلاسيكية بشكل كبير لهؤلاء الموظفين، عكس المصادر الفارسية يوضح فرضية عدم إمكانية وجود مثل هذه الفئة واقتصر

¹ - Pierre Briant, op. cit, 344.

² - George Law, Identification of Darius the Mede, Ready Scribe Press, USA 2010, p 111.

³ - Diodorus, 14.39

⁴ - Pierre Briant, op. cit, p 345.

⁵ - Ctesias, B 18.48-50.

ذكرها فقط ضمن حدود المصادر الإغريقية، الأمر الذي يشكل ثغرة بشأن صحة هذه الوظيفة أم لا¹.

بما أن النظام الذي اعتمدت عليه الإمبراطورية الفارسية الإخمينية اتسم بالقوة والثبات كان لا بد من وجود قانون على قدر من القوة، هو من يحدد مدى قوة المنظومة الإدارية، وهو من يبرز طريقة حكمها وجهازها العدلي، وبالنظر للفترة الزمنية الطويلة التي عاشتها الإمبراطورية، نجد أنها كانت تتكى على جهاز عدلي متين ومحكم، خاصة تلك القوانين التي سنها داريوس الأول.

4-2-2 القانون والإدارة:

كان داريوس الأول من أشهر ملوك الفرس الإخمينيين، الذين حددوا قوانين الإمبراطورية، وكان قبله قورش الثاني الذي سمح للسكان المحليين التمتع بقوانينهم، وكان ذا حكم لين في تسيير المناطق الخاضعة، أما قمبيز فلم يهتم بعادات وتقاليد أقاليم الإمبراطورية واستعمل معها القسوة، إلى أن وصل داريوس الأول أين سن قوانين واضحة من شأنها أن نظمت سير شؤون الإمبراطورية، وحسب رأيي فإن الإدارة الفارسية الإخمينية بكامل جوانبها، قد حققت نجاحا باهرا من كونها محكمة وثابتة لا تتغير وإن تغيرت الظروف.

إذن، وبعد سنتين من صعود داريوس الأول ليصبح الملك على جميع أنحاء غرب آسيا، بالرغم من أن فارس كانت في توتر، من الظاهر أن أراد أن يجد مركزا ملكيا جديدا في بلده الأم، ويسقوط عيلام سنة 521 ق م، استقر داريوس بشكل مؤقت في سوسة، أين بدأ ببناء قصره هناك، ومنذ بداية تثبيت حكمه، ركز أعينه على مشروعه العدلي الجديد يتضمن قوانين جديدة، تضمن السير الحسن لمؤسسات الإمبراطورية والحياة الاجتماعية، وفي سيرته التي جاءت على لسانه والتي نقشت على بيهستون، قد شرع قوانينه باسم الإله أهورامازدا: حيث يقول:

¹ Adam J. Silverstein, *Postal Systems in the Pre-Modern Islamic World*, Cambridge University Press, USA, 2007, p 21.

« يعلن داريوس الملك: هذه هي البلدان التي خضعت لقوتي؛ بفضل الإله أهورمازدا كانوا تابعين لي؛ وجلبوا لي الجزية. كما قيل لهم من طرفي، إما بالليل أو النهار، التي اعتادوا على تحقيقها. يعلن داريوس الملك: في هذه البلدان، الرجل الذي كان وفيًا، عاملته على نحو جيد، ومن كان خائنًا، عاقبته بشدة. بفضل الإله أهورمازدا هذه البلدان أطاعت شريعتي (قانوني)؛ كما قيل لهم من طرفي، هكذا كانوا يتصرفون.

يعلن الملك داريوس: بفضل أهورمازدا وضع هذه المملكة على عاتقي؛ أهورمازدا قدم لي المساعدة، حتى حكمت هذه المملكة. بفضل الإله أهورمازدا قد ملكت هذه المملكة.»¹

كان الملك أيضا قاضي شعبه يعمل خادما لأمر الآلهة وخادما للنظام المدني، كان مانح القانون الطبيعي، ووكيل قانوني، وعندما يجلس الملك على العرش ليحكم، يبعد كل الشر بمجرد النظر بعينه، حيث تلقى الحاكم القبول من الآلهة، فهي من منحتها الحكمة، والقدرة على حكم شعبه، وضمان سيادة العدل، والقانون، فالآلهة هي التي أوجدت الرحمة والعدالة والإخلاص، والبر في شخص الملك.²

لقد كانت النظم والمؤسسات القانونية متنوعة للغاية، حيث كانت ما بين البدائية للغاية والمتطورة لحد كبير، والتي حوتها الإمبراطورية الإخمينية، ولم تؤد غزوات الفرس، واحتلالهم لعدد الأقطار، إلى تغييرات جذرية في القوانين والتقاليد وأعراف الشعوب الخاضعة، حيث وجدت في الوثائق البابلية المالية، كلمة "*dāta*" وهي كلمة إيرانية)، الملك"، وبالنظر لواحدة من الوثائق، كان إلزاميا القيام بالواجبات نحو القصر، ومن بعض المحليين" وفقا لقوانين الملك"، هذه العبارة التي توضح وجود قوانين للمملكة، حيث ذكرت كلمة **Datals** الإيرانية في وقت قريب من سنة 514 و506 ق م، حيث نجد هذه الكلمة في نقوش بيهستون، وغيرها من النقوش الفارسية القديمة،

¹ - ترجمة عن الإنجليزية ل العمود الأول الفقرة 7؛ 8؛ 9 الأسطر 17-20؛ 20-24؛ 24-26 من نقوش داريوس بيهستون

باللغة الفارسية القديمة نقلا عن: Rüdiger Schmitt, op. cit, p 50.

² - Lloyd Llewellyn-Jones, King and Court in Ancient Persia 559 to 331 BC, Edinburgh University Press, Great Britain, 2013, p 26.

وكذلك في كتاب عزرا واستير، حيث تم ذكر "قوانين الملك" في احتمال الإشارة إلى القانون العام الذي أنشأه الإخمينيون¹.

ربما كانت الإصلاحات القانونية والقضائية من أشهر العناصر المعترف به من حزمة الإصلاح الإداري، حيث كان مرسوم داريوس العالمي من القوانين والمدونات والتدابير، التي تم تطبيقها على قدم المساواة في جميع أنحاء الإمبراطورية، ولم يعترف قانون داريوس العالمي بأي وضع أو محاباة يفرضه الفارسيون في الإدارة أو القضاة الفارسيون، بحيث التزم الموظفون بتطبيق هذه الأوامر، ووفقاً لهيرودوت لم تفشل الإدارة في خدمة العدالة الشاملة، وبالإضافة لاعتماده في سن قوانينه على تشريع حمورابي، أمر بجمع ودراسة الرموز القانونية المصرية، وكذلك الإيرانية العيلامية القديمة، للنظر فيها لبرنامج الإصلاح القانوني، وكان متميزاً بعدة طرق، على عكس كل القوانين السابقة، كانت قوانين داريوس شاملة وعالمية، حيث تغطي كل جانب من الجوانب السياسية والاجتماعية، النظم الاقتصادية، القانونية، العسكرية والإدارية، وقد تم تطبيق قانونه على جميع أنحاء الإمبراطورية، بينما اقتصر حمورابي فقط على محكمة بابل الملكية².

وضع الفرس جل اهتمامهم على القانون والنظام، وقد كان الرجوع إلى الدين من أهم ما ميز القانون الفارسي الإخميني، فعلى أساس أرتا *Arta* قد خلق أهورامازدا هذا العالم وحافظ عليه، وهو نظام قائم على الحقيقة، وكممثل لأهورامازدا كان على الملك الحفاظ على أرتا في جميع أنحاء مملكته، فالكذب من أكثر الأشياء المقيتة والمخزية في العالم، والأسوأ من ذلك إن كانوا مدينين لأن المدين ترافقه صفة الكذب، ومن بين الأسباب الأخرى التي تجرم هذا الفعل أن داريوس الأول قد ساوى الكذب بالشر الذي يدمر الأرض والشعب، حيث كانت معظم صلواته لأهورامازدا من أجل حماية بلده من الكذب، الأعداء، الغزو والمجاعة، فكما علما مما سبق ذكره، أن الفرس علموا أولادهم بعناية من سن الخامسة إلى العشرين ركوب الخيل، واتقان استعمال القوس، وقول الحقيقة، لهذا تعامل الفرس بعناية مع إذئاب الفرد قبل النطق بالحكم فالكذب أكثر الأشياء التي يعاقب عليها الفرد³.

¹ - Muhammad A. Dandamaev and Vladimir G. Lukonin, op. cit, p 116.

² - Ali Farazmand, op. cit, p 42.

³ - Touraj Daryaee, op. cit, p 134.

إذن، نستنتج أن داريوس لم يستعمل قوانينه في كل أنحاء الإمبراطورية، والدليل على ذلك تمتع بابل ومصر بقوانينها التي لم يغير فيها داريوس إلا بعض الجوانب، خاصة فيما يتعلق بالإدارة، المؤسسة العسكرية والاقتصادية، وما نراه من وجود صيغ قانونية مستمدة من شريعة حمورابي، تجعلنا نتأكد من أن القوانين التي جاء بها داريوس تتماشى والقوانين التي جبلت عليها الشعوب الخاضعة، باستثناء أن العقاب كان في العديد من المرات من اختصاص الملك وهو المنفذ الشخصي له.

لم تشمل قوانينه فقط مناطق البلاد وشعوبها، بل شملت حتى البلاط الملكي في حد ذاته، حيث خضع مسؤولوا البلاط لها، فقد مست هذه القوانين جميع جوانب الإدارة، بهدف تنظيم السير الحسن لأجهزة الإمبراطورية بدءاً بالسلطة المركزي المتمثلة في شخص الملك إلى آخر موظف به.

5-2-2 إدارة القصر الملكي:

لقد سعى الكتاب الكلاسيكيون لإبراز البذخ والنفوذ الذي تمتعت به الإمبراطورية، وتناول حياتهم الخاصة بإسهاب، بهدف استخلاص دروس أخلاقية أو توضيح جوانب سياسية، لإعطاء فكرة عن سقوط الإمبراطورية، رغم الثروة الهائلة، والقوة الناتجة عن الإستحواذ¹.

بالنظر إلى المعلومات التي تضمها المصادر عن الحكايات داخل القصر، والتي تميل أغلبها للغرابة وربطها بالرفاهية الإستثنائية التي تحيط بالملك، من تعدد للخدم والمسؤولين، ملابسهم، معاداتهم، عاداتهم وسلوكهم الغريب أو الشرير إن صح التعبير، إلا أن هذه المعلومات تخدمنا على إبراز هياكل المؤسسة داخل القصر، حيث تفيد في إعداد خلفية عن النظام والإدارة في القصر الملكي².

كان داريوس الأول حريصاً على تمجيد قوته ونقل إنجازاته للأجيال القادمة، وقد تم ترجمته فحش شكل نشاط بناء مكثف، ففي وقت مبكر من إرساء مخططاته، قرر هو مستشاروه تأسيس مراكز ملكية في سوسة وبيرسيبوليس، تشهد الأعمال التي قام بها الملوك إعادة النظام الذي أفسدته

¹ - Amélie Kuhrt, op. cit, p 576.

² - Ibid, pp 576-577

أفعال المتمردين، حيث يعتبر السجل الكتابي الذي نقش بصخرة بيهستون عاملاً ثرياً لأنشطة داريوس الذي يتفاخر بإعادة بناء المباني التي تعرضت للخراب¹.

كان الفرس من الشخصيات البارزة في إمبراطورية متعددة الأعراق، وشكلوا طبقة مميزة ليس فقط من خلال عرقهم، لكن من خلال لغتهم ودينهم المشترك وعلى رأسهم الإله أهورامازدا، فداريوس الأول نفسه أكد في نقشه أن فارسي، غير أنه هذا المصطلح لا يمثل شخص الملك فقط ولكن يمثل عامة الشعب الفارسي العادي الذي يدافع عن النظام ضد الإضطرابات، فالفرس العنصر الأهم الذي يشكل جوهر البلاط الفارسي الإخميني².

لطالما تحدث الكتاب الكلاسيكيون عن بذخ ملوك الفرس الإخمينيين، وخير شاهد على الإفتتان برفاهية هؤلاء الملوك، ما ذكره بلوتارك أثناء ذكره مقتنيات خيمة داريوس الثالث آخر ملوك الإمبراطورية بعد سقوطه بيد قوات الإسكندر المقدوني، من أنها مليئة بالعديد من الكنوز والأثاث الفاخر، حتى مقتنيات الخاصة بحمام الملك من أباريق وأوعية كلها مصنوعة من الذهب³.

لقد تميزت قصور ملوك الفرس الإخمينيين بالتنظيم، وما يشهد على فخامة هذه القصور العاصمتين الملكيتين أكباتانا وسوسة خلال عهد قمبيز، داريوس الأول وأكسيراكسس، بقصر له عدة بوابات الواحدة تلو الأخرى، وأروقة كثير منفصلة عن بعضها البعض، مؤمنة بأبواب برونزية وجدران قوية، تؤدي إلى أكثر الأماكن تميزاً وهو مكان زعامة الملك المحاط بالخدم وحرسه الشخصيين، مرافقيه والبعض الآخر حراس كل من الأسوار المحيطة، وهناك فئة تسمى بالحراس أو المستمعين، والذي من خلالها يسمع الملك عن كل شاردة وواردة تحدث داخل القصر، بحيث أنهم موزعين في كل زاوية من زوايا القصر ومن خلالها يرى ويسمع كل شيء وهو بمكانه، كم تم

¹ - Pierre Briant, op. cit, p 165.

² - Maria Brosius, A History of Ancient Persia, p 99.

³ - Plutarch, The Parallel Lives, Alexander, translated by Bernadotte Perrin, Delphi Classics, UK, 2013, 20.12-13.

تعيين مسؤولين عن الإيرادات الخاصة به، قادته سواء في الحرب أو الصيد وهناك رسل، ساعي بريد، ومسؤولوا نظام الإشارة*¹.

1- الحراس الشخصيون:

كان الحراس الشخصيون الأكثر ثقة بالنسبة للملك، يشكلون الهيئة الأساسية من نظام إدارة البلاط الملكي، وبسبب الفقر عاش الفرس سابقا حياة شقاء، ونظرا للظروف القاسية كان عليهم أن يعملوا بأيديهم، لهذا السبب اعتقد الملك أن هؤلاء يجب أن يخدموه ويرافقوه، فأخذ من بينهم عشرة آلاف حاملي رماح ليتواجدوا حول القصر بغرض الحراسة ليلا ونهارا متى ما كان متواجدا أو أثناء غيابه عن القصر، حيث يرافقونه بالسير بجانبه حيث ما كان².

تقدم نقوش بيرسيبوليس دليلا دامغا أن الحراس الشخصيون للملك هم من العشرة آلاف الخالدون، كما هم أولئك المتواجدون في مختلف الأماكن بما في ذلك سائقي العربة الملكية، حاملي سجادة وكرسي الملك، بحيث لا تطأ قدما الملك الأرض حتى وإن كانت الإرتفاع بين العربة والأرض صغيرا، بل يجلس فور نزوله من العربة على الكرسي الملكي المصنوع من الذهب، وكان الحراس الشخصيون مسؤولون عن هذه الخدمة³، لم يكونوا هؤلاء الحراس الأفضل فحسب بل كانوا الأكثر تجهيزا من بين كل القوات سواء من ناحية اللباس أو الدروع، كما تألقوا بارتدائهم مصوغات من الذهب الخالص بكمية غير محدودة أثناء حملة اكسيركسس سنة 480 ق م⁴.

* - هم حراس مسؤولون عن القيام بإطلاق إشارات التحذير أثناء الحرب، أنظر:

Aristotle, The Complete work : On The Universe 391a De Mundo, translated by E. S. Forster, Delphi Classics, UK, 2013, De Mundo 391a

Aristotle, De Mundo 391a¹

Xenophon, Cyr, B7. 5.66-68²

Athenaeus, The Learned Banqueters, translated by S. Douglas Olson, Loeb³ Classical Library, USA, 2010, B 12.514.

Herodotus, B7. 42.⁴

حارب الحراس الشخصيون جنبا إلى جنب مع رجال الملك وقادته العسكريين أثناء معركة غوغاميلًا*، وقد ارتبطوا دائما بمرافقة الملك بدءا من قصره، إلى مرافقته أثناء الحرب فهم في مقدمة جيشه، إذ ذكر أريان Arrian أن الملك داريوس الثالث كان في مرمى العدو هو وحراسه الشخصيون، حيث واجهوا الإسكندر وجيوشه¹.

2- أطباء القصر:

لقد كان ملوك الفرس الإخمينيون يولون اهتماما لجلب أكفأ الأطباء للقصر، ففور اعتلاء قورش الثاني العرش، جمع أفضل الأطباء عنده كم قام بجلب ما يمكن أن يكون مفيدا من أغراض للطب من أدوية وأطعمة مفيدة والجرعات الدوائية، بحيث لم يخلو القصر من أي غرض مفيد للطب، كما لم يخلو من أفضل الأطباء والجراحين².

من المؤكد أن الأطباء قد احتلوا مكانة هامة في بلاط ملوك الفرس الإخمينيون، حيث كانوا من طاقم القصر الموثوق بهم من الملك، وما يدل على أنهم ذوي ثقة وأمانة، مدى قربهم من الملك وهو الأمر الذي من الممكن أن يشكل خطرا عليه في حالة ما اعتزم أحد الأطباء تسميمه، وهو الأمر الذي لم يحدث من قبل³، وبالحدوث عن التسميم يعاقب على هذه الجريمة بوضع رأس الفاعل المتهم بدس السم على حجر مسطح ودقه بأخر حتى يسحق رأسه بينهما، وبهذا ينال المجرم عقوبة قاسية توضح مدى حجم هذه الجريمة⁴.

* - معركة غوغاميلًا: وهي المعركة الأخيرة التي انهزم على إثرها الفرس الإخمينيون بقيادة آخر ملوكهم داريوس الثالث على يد الإسكندر المقدوني الذي افتتن بالإمبراطورية الفارسية الإخمينية وعزم على إنحائها، حيث قام بتجهيز حملة واسعة لتدميرها بداية من سنة (334-335 ق م)، والتقى الطرفان سنة 331 بغوغاميلًا ربما أربيل حاليا سقطت على إثرها الإمبراطورية سنة 330 ق م أنظر:

Joseph Roisman, Ian Worthington , A Companion to Ancient Macedonia, Wiley Blackwell, USA, 2011, p 104, Robert Curley, The Science of War: Strategies, Tactics, and Logistics Britannica Educational Publishing, USA, 2012, p 39.

Arrian, Annabasis of Alexander, translated by E. Iliff Robson, Delphi -¹ Classics, UK, 2014, B3.13.

Xenophon, Cyr, B8.25 -²

Pierre Briant, op. cit, p 264. -³

Plutarch, Artaxerxes 19.6. -⁴

رغم أن كتسياس، يعتبر من أطباء القصر الملكي الفارسي الإخميني، إلا أن المعلومات عن مزاولته لمهنته داخل البلاط قليلة، خاصة وأنه كان الطبيب المفضل للقصر وحتى صديقا للملك، حتى وصل به الأمر إلى أن يكون وسيطا دبلوماسيا، ومن المرجح أنه كان يعتني بأرتكسيركسس وقريبا من والدته المدعوة باريساتس Parysatis حيث يدعي أنه حصل على بعض معلوماته منها عن داريوس الثاني فيما يخص قضية الخلافة¹.

نجد من خلال تواجد كتسياس طبيب داخل البلاط الملكي، أن للعنصر الإغريقي تواجد بين موظفي القصر، خاصة في سلك الأطباء، كما يوجد طبيب إغريقي آخر يدعى أبولونيديس Apollinides وهو مواطن من كوس (جزيرة قبالة ساحل آسيا الصغرى والتي تشتهر أيضا بأطبائها)²، حيث يذكر كتسياس أن ميغابيزوس قد أصيب بجروح أثناء قيامه بقتل أرتبانوس الذي كاد بأبناء أكسيركسس في حادثة الخلافة، وقام هذا الطبيب بمعالجتها³.

هذا وقد ذكر هيرودوت عن وجود أطباء إغريق في بلاط الملك داريوس الأول واسمه ديموسيديس من كورتون، إذ يروي يف وصل هذا الطبيب إلى البلاط في رحلة وصفت بالمغامرة مرافقا لطاغية ساموس بوليكراتس أين وقع أسيرا هو وحاشيته بمن فيهم الطبيب بيد الساتراب أوروبتس، حيث شاءت الظروف أن يعالج داريوس من إصابة في رجله (إلتواء في القدم)، بعد أن عجز أطباءه المصريون من شفائه، في حين أن هذا الطبيب لم يستطع التأقلم في بيئة لم يكن ليألفها خاصة وأنهم الفرس الإخمينيون أعداء الأثينيين، غير أن شهرته قد أكسبته مكانة عند الملك حتى أنه بنى له قصرا، وفي مناسبة أخرى قام بمعالجة زوجة داريوس المدعوة أتوسا Atossa من خراج في الثدي⁴، وعلى ضوء وجود أطباء مصريين لم يستطيعوا إيجاد حل علاجي لقدم داريوس، نجد أن هناك فئة من الأطباء المصريين قد تواجدوا في القصر وعلى الأرجح أنهم الركيزة الأساسية في المنظومة، خاصة وأنهم من أشهر الأطباء في العالم القديم، حيث أظهر داريوس غضبه على عجزهم بإحضار الطبيب الإغريقي⁵.

¹ - Pierre Briant, op. cit, p 265, Ctesias, B 19-20.48 ; 60 ; 63-64.

² - Pierre Briant, op. cit, 265.

³ - Ctesias, B16-17. 34.

⁴ - Herodotus, B3.126-139.

⁵ - Ibid, B.3. 130.

بالإضافة للأطباء الإغريق والمصريين، هناك الكهنة أو السحرة الماغوس، وغالبا ما كانت الأدوات الطبية أو العقاقير عبارة عن نباتات وأعشاب طبية، التي دأب الفرس بتدريب أبنائهم على جمعها والاعتناء بها¹، ورغم وجود بعض المعلومات التي تحرف ماهية مهنة الماغوس (قضية تمرد برديا وشقيقه الماغوس أواخر حكم قمبيز الثاني)²، إلا أنهم عرفوا بامتيازهم للطب والمداواة بالأعشاب، حيث كانت طقوسهم تقريبا من الآلهة صنع شراب من أعشاب تنمو بين أحجار الرخام، الأمر الذي يوحي بوجود شراب روحي إن صح التعبير لكن في أصله علاج، كما صنعوا شرابا مخدرا لجعل المجرمين يعترفون بجميع أفعالهم، وشرابا من أعشاب طبية متى ما أرادوا مناجاة الآلهة³.

3- خصيان القصر:

لقد لعب الخصيان في البلاط الفارسي الإخميني دورا مهما، فهم من يقومون بخدمته بشكل شخصي ومقرب، على سبيل المثال تقديم الطعام، أو تلبية طلبات الملك كمناداة أفراد عائلته لتناول الطعام معه أو طلب المقربين منه لمشاركته شرابه⁴.

لقد أدرك الملوك أنهم معرضون للعديد من المؤامرات التي يشهدها القصر مرارا وتكرارا، وأن الرجال لا يتعرضون للتهديد أكثر مما يلقونه داخل بيوتهم أو قصورهم، خاصة أوقات تناولهم طعامهم أو شربهم، في الحمام أو في السرير وهم نيام، مما جعل الملك يبحث عن من سيكون الأجدر بثقته، ومن سيكون خادمه المطيع، خاصة وأن الثقة معدومة بالزوجة وحتى الأولاد ومن هم من عائلته رغم علاقة الألفة والمحبة في ظل الأواصر الاجتماعية، الأمر المفقود عند الخصيان، حيث اعتقد الملك أن هؤلاء قادرين أن يكونون محل ثقة إن قدمت لهم الأموال وكل سبل الرفاهية، فلا شيء يشدهم سوى وفرة المال، وأنهم سيبدلون قصارى جهدهم لإرضاء الملك مقابل إثرائهم ومساعدته في حال تعرضهم للأذى⁵.

¹ - Strabon, B 15.3.18.

² - Herodotus, B3.36.

³ - Pliny The Elder, Natural History, translated by W. H. S. Jones, vol7, Harvard University Press, GB, 1956, B 24.160 ; 164.

⁴ - Maria Brosius, A History of Ancient Persia, p 108.

⁵ - Xenophon, B 7.5.60-61.

لقد اعتقد الملك قورش الثاني أن لا أحد يستطيع التفوق على ولاء الخصيان لملكهم، كما كانت هذه فئة منبوذة في وهم موضع ازدراء للجنس البشري وخاصة في القصر الملكي، مما جعل الملك يحيطهم بعناية خاصة، وجعل لهم مكانة تحفظ لهم موقعهم ضمن خدام القصر، فباعته أنهم يحتاجون لراع يراعى شؤونهم، لأنه لا يوجد أشخاص ممن هم بحاجة إلى خدمات، التجروء وطلب خدمة من الخصيان، وعليه تطلبت وجود قوة عليا تضمن لهم حقوقهم، حتى أنه لا يوجد سبب يمنع الخصي من الفوز بثقة الملك والتغلب على غيره من الخدم في إظهار ولاءه لسيدته، لذا كانت هناك طاعة كاملة من الخصيان للملك¹.

رغم المكانة التي تمتع بها الخصيان، في بعض الأحيان عوملوا باستخفاف، مثلاً في واقعة جاءت مروية عن مؤلف بلوتارك، يذكر فيها، كيف قام أرتكسيركسس بإقصاء الخصيان والاحتفاظ بخمسة من أفضل الخصيان إثر رهان في لعبة نرد كانت بينه وبين والدته باريساتيس، ففي حالة خسارة الجولة يقوم بمنح خصيانه لوالدته، لكن الأمر الذي خدمها هو أنها تجيد بشكل لافت لعبة النرد، مما جعلها تريح الجولة وتختار أحد خصيانه من غير الخمسة المرشحين، وهذا الخصي يدعى مازاباتيس Masabatis، الشخص الذي قطع اليد اليمنى ورأس قورش الأصغر ابنها، وقبل أن يشك أرتكسيركسس بنيتها في الإنتقام، قامت بقتل ورمي الخصي للجلادين الذين ثبتوه على ثلاثة أوتاد وسمروا جلده إلى أربعة جهات، حيث تمثل هذه الصورة خلفية عن المكانة الوضيعة التي احتلها الخصيان في عهد أرتكسيركسس كأن يخسروا مكانتهم بسبب لعبة نرد ورهان عابر².

عهد لخصيان القصر ذوي المكانة والأكثر احتراماً، بمهمة العناية بأطفال السلالة الملكية، بحيث يلبون جميع احتياجات الرضيع، وهم حريصون على جعله يبدو وسيماً وجعل أطرافه مستقيمة بالشكل الذي يظهر الرضيع، الأمر الذي يشرفهم من بين جميع الخدم³.

¹ - Xenophon, Cyr, B 8.61-62.

² - Plutarch, Artaxerxes, 17.1-6.

³ - Plato, The Complete Works, translated by D. S. Hutchinson, Hackett Publishing Company, USA, 1997, Alcibiades 1. e. 121.

من أشهر الخصيان في القصر، منذ نشأة الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، نجد الخصي المدعو باغواس Bagoas، الأكثر نفوذاً من بين أقرانه ممن تواجدوا حول الملك حيث تحول من خصي خادم للملك إلى قائد من قادته خلال حملة أرتكسيركسس الثالث على مصر، حيث أظهر الظلم والجشع السلطوي تجاه الكهنة والمعابد ونقض الوعود¹، ولا ينبغي الخلط بينه وبين الخصي المفضل لدى داريوس الثالث والإسكندر المقدوني².

6-2-2 النظام الإداري لأهم ساتريات الإمبراطورية الفارسية الإخمينية:

كانت تسعى الإمبراطورية الفارسية الإخمينية من خلال التوسع الذي قامت عبر السنوات الأولى من نشأتها كقوة عسكرية قبل أن تصبح قوة سياسية واقتصادية يحسب لها ألف حساب بين جيرانها، لأن تصبح قوة متكاملة عسكرياً سياسياً اقتصادياً، وقد كانت نيتها في التوسع مكتملة لأهدافها المرجوة، لتنوع المنطقة الآسيوية بسبب تواجد العديد من الشعوب والممالك التي سبقتها الآشورية والبابلية وغيرها من القوى، التي اكتسبت شهرة عبر التاريخ من خلال تنظيماتها المحكمة من حيث تسييرها للمناطق التي كانت تحت حكمها.

1- الإدارة في بابل:

لدراسة تاريخ الإمبراطورية الفارسية الإخمينية والفترات الأخرى من التاريخ الفارسي القديم أمام إسهاب الكتاب الإغريق، يحتم علينا النظر في الكتب والمؤلفات والطريقة التي تناول بها المؤرخون والمؤلفون تاريخ هذه الأمة بالذات، أمام التطور الحضاري التي تشهد عليه المخلفات الأثرية، وعليه من المفروض أن يكون الباحث على دراية بأبسط الأسس التي من المفروض أن تتوفر في المختص بالتاريخ الفارسي، وهي اللغات القديمة وتحليل المؤلفات القديمة التي تناولت تاريخ المنطقة، ففي سرد المؤلفين الإغريق نجد هناك نوع من المركزية والانحياز، بجانب الكم الهائل من الإنجازات سواء العسكرية

¹ - Diodorus, B 16.49-51.

² - Athenaeus, The Deipnosophists, translated by Charles Burton Gulick, Vol 7,

Loeb Classical Library, GB, 1959, B 13.603.

أو الحضارية للإمبراطورية الفارسية الإخمينية وحجم التنوع والتوسع الذي كان حاصلًا في الفترة التي تواجد بها الفرس الإخمينيين¹.

لقد لحقت السلالة الفارسية بركب هذه القوى من خلال شهرتها في تسيير الأراضي التي أخضعتها، فبالرغم من الطابع البدوي التي تميزت به الأقوام الميدية الذي يعتبر القاعدة التي انطلقت منها الإمبراطورية الفارسية، إلى أن استقرت في بدايات الألف الأولى قبل الميلاد في الشمال الغربي لإيران وهذا ما ذكرته الحوليات الآشورية *The Assyrian annals*، إلا أنها انتقلت من الطابع القبلي إلى المجتمع الطبقي أدى بها إلى الانقسام للعديد من الإمارات، بحيث ذكروا في عهد شلمنصر الثالث (858-824 ق م)، الذي أرغمهم على دفع الجزية إثر تكرار هجماتهم على مملكته².

كما كان لهم تاريخ في دفع الجزية في عهد شمشي أداد (823-810 ق م)، كذلك الأمر يتعلق بعهد سرجون الثاني (721-705 ق م)، الذي قام بإخضاع العديد من المناطق التي كانت تابعة لميديا وضمها لمملكته، مما أدى إلى بعثتها وتقسيمها لإمارات صغيرة³.

لقد مارس قورش الثاني فور احتلاله نظاما وصف باللين في مختلف المناطق الخاضعة، واتبع نظام عبارة عن اتحاد من شعوب متعددة، وكانت هذه الطريقة المثلى لاحتواء المناطق التي أخضعها منذ إسقاطه لمملكة جده، رغم تمتع تلك الشعوب بملوكها المحليين ولديها الأحقية في الاحتفاظ في بعض الأحيان بأنظمتها الداخلية السياسية وموروثها الثقافي ودينها مع امتثالها لقوانين السلطة العليا⁴.

وكما سبق وأن ذكرنا طبيعة النظام القائم على الساترية، وصفة الحاكم الذي قلده الإمبراطورية الإخمينية على رأسها، كان النظام السياسي الإداري يخضع للطابع العسكرية، إذن الحاكم

¹ - Thomas Harrison, op. cit, p 7.

² - جميلة عبد الكريم محمد، المرجع السابق، ص 35.

³ - John L. Mckenzie, Dictionary of the Bible, Touchstone, USA, 1995, p 559.

⁴ - Pirouz Mojtahed Zadeh, Small Players of the Great Game, Routledge Publishing, USA, 2004, p 31

عبارة عن قائد عسكري بالدرجة الأولى، يخضع لسلطة الملك المركزية¹ أين احترمت الإمبراطورية الفارسية الإخمينية الحرية الدينية للشعوب الخاضعة².

تعتبر بابل من الساتريات المهمة، وحتى أنها أصبحت إحدى العواصم الملكية للإمبراطورية الفارسية الإخمينية، وكما نعرف أن بابل كانت مملكة قائمة بحد ذاتها لمدة زمنية ضاربة في التاريخ، كانت لمخلفات الألفية الأولى أكثر فترة زمنية وواحدة من أفضل الفترات من حيث المادة التاريخية التي تخص بلاد ما بين النهرين وهي الفترة الواضحة والتي وثقت بشكل كبير لمختلف جوانب الحياة في تلك المنطقة رغم اختلال توزيع التاريخ غير المتزامن فأول قرنين من الزمن نجد ندرة في الوثائق والنصوص المعاصرة لهذه الفترة والمخلفات الأثرية، ربما يرجع ذلك لفترة من الاضطرابات وانحيار السلطة المركزية وتدهور اقتصادي كان ملحوظا والذي تناولته السجلات الآشورية، في حين أثمر القرن الثامن والسابع قبل الميلاد عن وثائق أكثر قليلا من ذي قبل، في سنة 700 ق م نجد تباين واضح في زيادة عدد السكان وزيادة حجم المستوطنات والذي كان من شأنه توفير مادة محسوسة في السجل الأثري، فنلاحظ النمو الديموغرافي يرافقه نمو اقتصادي، قدرت فترة استمرارته حتى حدود 400 ق م وبداية الاحتلال المقدوني³.

بالإمكان القول أن هذا النظام يشبه النظام الفدرالي، وهو يشكل هيكلًا هرميًا سمح بالتحكم في الأقاليم المختلفة، وبذلك تضمن الحفاظ على قدرتها على تسييرها سياسيا وإداريا، زد على ذلك وجود قاعدة لنظامها أساسها المملكة الآشورية والبابلية، بالتالي اكتسبت خبرة من الممالك الكبرى التي كان لها باع طويل في السلطة حسن التسيير قبل القرن السادس قبل الميلاد من مصر إلى الإغريق، ليصل مداه لآلاف الأميال وصولا لأفغانستان وباكستان حاليا⁴.

¹ - Ali Farazmand, op. cit, 42

² - David W. Del Testa, Lives and Lagacies, an Encyclopedia of people who changed the world : government Leaders, military rulers, and political activists, Routledge Publishing, USA, 2013, p 42.

³ - Gwendolyn Leick, The Babylonia world, Routledge, USA, 2007, p 224.

⁴ - Barry Rubin, The Middle East : A guide to Politics, Economics, Society and Culture, Routledge, USA, 2015, pp 490,491.

يملك الملك في شخصه السلطة المطلقة وله كامل الصلاحية في التحكم بجميع الأجهزة، وبالنظر لهذا النظام نجد هناك نوع من الاستبدادية، رغم وجود أكبر موظفيه لمساعدته بصفة جزء من حرسه الملكي ذو طابع عسكري، وكما نطلق عليه الآن اسم الوزير الأكبر¹.

بالنظر لأهمية العاصمة للسلطة الملكية، اعتبرت باسارغادة، بيرسيبوليس وسوسة وبابل وأكباتانا مركزا للسلطة والأوامر الملكية، نجد أن الإدارة اهتمت بستة أنواع من الإيرادات لخزينة المملكة، تمثلت بـ: المنتجات الزراعية المختلفة، المنتجات المحلية (ذهب، فضة، نحاس... إلخ)، الأسواق، الماشية والباكورة (الجني أو المحصول الأول وهو ما يسمى بضريبة العشر)، ضريبة الرأس وضريبة الصناعة².

1-1 الموظفين ومهامهم الإدارية:

كانت الإمبراطورية الفارسية الإخمينية تعتمد على الوثائق والسجلات في تدوين معظم معاملاتها الإدارية وكذلك الإقتصادية منها لا سيما في منطقتي بابل ومصر بالتحديد، من البديهي أن نتساءل عن ما إذا كانت الطريقة التي عمل بها داريوس في تنظيم مختلف أجزاء الإمبراطورية والمناطق الخاضعة لها، من خلال نظام الجزية والتعديلات التي أدخلها في إدارة الأقاليم، قد لاقت نجاحا وفعالية خلال فترة حكمه، لأنه من الطبيعي وبعد كل احتلال يحدث إعادة توزيع للأراضي وبالتالي يجب على الإدارة تغيير السجلات العقارية، يفضي في الأخير إلى فرض أنواع مختلفة من الضرائب، وهو ما توضحه مجموعة أقراص وجدت بابل والتي تخص فترة حكم داريوس الأول قدر عددها بسبعين قرصا، حيث تشير هذه الأقراص عمليات نقل واضحة للعقارات تتضمن خريطة ظاهرية للحقول التي كانت محل بيع وتحويل³.

كان المسؤول عن الإدارة ككل يدعى برناكا أو زيشاويش *Parnaka Ziššawiš* وهو من المرجح أن يكون قريب لداريوس الأول لأنه وثيقة بالآرامية تحوي اسمه بجانب اسم والده والذي

¹ - نعيم فرح، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم (السياسي و الاجتماعي و الثقافي)، دار الفكر سوريا، ب ت، ص 90.

² - Aristotle, *Oeconomica*, transl by E. S. Foster, Claredon Press, London, 1921,

II.1

³ - Pierre Briant, op. cit, p 412.

يكون جد درايوس الأول *Aršāma*، وبالتالي سيكون بارناكا شقيق هيستاسبس والد درايوس الأول ووالد أرتابازوس *Artabazus* الذي عينه أكسيركسس مسؤولاً عن فريجيا الهيلليسيونية¹.

بعدها يأتي الموظفون بالتسلسل حسب الهيكل الهرمي للوظائف داخل كل ساترية وهذا التنظيم يشمل جميع الساتريات دون استثناء

1-1-1 رؤساء كورتاش أو كورداباتيش (*kurdabatitš kurtaš*):

تظهر الألواح الطينية أسماء أربعة مسؤولين يحملون لقب كورداباتيش (Iršena, Karkiš, šutddayauda, Mišparma) والتي تعني المعسكر الأكبر، ومن المرجح أن هؤلاء الموظفون الإداريين هم الذين كانوا يشرفون على الحقول والمحلات التجارية ومواقع البناء أطلق عليهم في معظم الألواح عموماً اسم كورتاش، وكان هؤلاء الكورداباتيش هم المشرفون الرئيسيون الذي ترأسوا جميع الإدارات الخمس وموظفيها².

بالنظر لمصطلح الإدارة كجهاز نجد أنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالتنظيم والرقابة، وإن خصصنا الأمر، فالإدارة في عهد الإمبراطورية الأخمينية برزت في المجال الاقتصادي بشكل واضح رغم تعدد المجالات في هذا الجهاز (الإداري) كإدارة الشؤون الاجتماعية الحضارية والدينية والعسكرية، والصورة الأكثر وضوحاً عن طريقة إدارة الساتريات المنتشرة خارج حدود العاصمة الملكية تظهر في اقتصاد الإمبراطورية.

هيرودوت الذي عدد الساتريات التي خضعت للإمبراطورية الفارسية الأخمينية، يخص بالذكر الساتريات التي كانت في عهد درايوس الأول، ويذكر كيفية إدارته للنظام الضريبي وسير الاقتصاد في عهده، نجد أن هناك فترة زمنية لاحقة من حكمه قد ضم فيها ساتريات أخرى، وعليه من الممكن أن الدفع الضريبي قد اختلف ولم يبقى ثابتاً³.

¹ Pierre Briant, op. cit, p 425.

² Ibid, p 427.

³ Herodotus, B 3.96.

لا يتسم مؤلف هيروdotus بالشفافية والمعلومة الدقيقة، إذ لا يمكن أن نحدد بشكل دقيق أسماء الساترييات وبعض الشعوب على الخريطة، لقيامه بتشويهاها ووفقا له فإن الحكومات ويقصد بها الساترييات ذكرها باسم *arkhai* الإسم الفارسي المرجح للساتريية وكان يرأسها حكام *arkhontes* مما يشوش الصورة لعدم وجود قائمة للساترييات قبل وفاة الإسكندر المقدوني يمكن استخدامها من أجل المقارنة بينها وبين ما جاء به هيروdotus في حال استخدامها للتحقق بشكل منهجي من صحة المعلومات، إلا أن واعتمادا على بعض النصوص الإغريقية والوثائق البابلية وألواح بيرسيبوليس يسمح لنا بإعداد قائمة بأسماء الحكام وربطها بقائمة هيروdotus¹.



صورة (7) لشظية حجرية توضح رأس نبيل من النبلاء الميديين من الممكن أن يكون موظفا²

بعد استتباب الأمن في بابل، أعاد داريوس الأول تنظيم هذه الساتريية وأعاد تقسيمها، وبالنظر لقائمة هيروdotus نجد ساتريية بابل تقع في المركز التاسع بين مجموعة الساترييات، تنضم لها بعض المناطق الواقعة على حدودها والمجاورة لها وهي باقي بلاد آشور³، في حين أن الأراضي الواقعة وراء نهر الفرات كانت تشكل المنطقة الخامسة، غير أنه وفي عهد أكسيركسس ثار البابليون مرتين في سنة 484 و 482 ق م، وعاقب هذا الأخير هذه الساتريية بشدة وأمر بتدمير جزء كبير من بابل،

¹ - Pierre Briant, op. cit, p 392.

² - John Curtis & Nigel Tallis, Forgotten Empire, p 83

³ - Herodotus, B 3.91-92.

والتي كانت تعتبر منفصلة ظاهريا حتى ذلك الوقت ربما على الأقل من الناحية النظرية، مما كانت نتيجته تخفيض تصنيفها إلى مرزبانة أو ساترية عادية، في وقت لاحق استعادت بابل بعضا من أهميتها الاقتصادية السابقة وظلت مقرا ملكيا بعده إلى نهاية سيادة الإمبراطورية الإخمينية، وبعد سقوط بابل أصبحت نيبور على ما يبدو المدينة الأكثر أهمية وحتى أنه افترض بأنها العاصمة الاقتصادية¹.

قسمت ساترية بابل إلى مقاطعات يرأس كل منها مسؤول فارسي أو محلي يحمل الاسم البابلي *paqdu* وهو المشرف أو الأمر والمستشار، وقد عين حكاما من الفرع الآشوري أيضا في بابل، *šaknu* هذا اللقب عادة ما يطلق على المشرفين على مختلف المجموعات العرقية أو المهنيين أو العسكريين الذين كانت تعتمد عليهم الإدارة الملكية، وكان هذا الاسم يطلق في بعض الأحيان على الحكام الذين توالوا على إدارة نيبور أيضا².

لقد قام داريوس الأول بإدخال تعديلات على الإدارة التي طبقها قورش الثاني والتي كانت تتسم باللين غير المحدود، فاستبدل هذا اللين ببعض من الشدة والقسوة لضمان إحلال السلطة الكاملة للإمبراطورية الفارسية الإخمينية، وهذا ما وضحته بعض القوانين ونظام جباية الضرائب الفعال لحد كبير والذي تكاد الثغرات به منعدمة، في ظل ميل بعض الشعوب للاستقلالية في الفترة التي سبقت اعتلائه العرش وهو ما يفسر قضائه على الثورات في بداية حكمه ومنها ثورة بابل³.

1-2 التنظيم القانوني في ساترية بابل:

كانت السلطة القضائية تابعة في بابل للساتراب وللقضاة الملكيين والمجلس الشعبي للمواطنين الذين يمتلكون حقوقا كاملة، كانت أعلى سلطة قضائية يمارسها الساتراب، وغالبا ما كانت هناك نصوص في الوثائق القانونية تدل على معاقبة كل من يخالف أي عقد كان، مثلا صيغة العقاب

¹ M. A. Dandamayev, *Iranians in the Achaemenid Babylonia*, Mazda Publisher, USA, 1992, p 4.

² Ibid, p 5.

³ Roman Ghirshman, op. cit, p 142.

التالية: «سيعاقب غوبارو، حاكم بابل والمنطقة عبر النهر»، فمباشرة بعد دخول قورش لبابل أصبح القضاة موالين له وهذا ما يذكره ديودور الصقلي بعبارة: «قضاة قورش ملك بابل ملك البلاد»¹.



صورة (8) لإحدى الألواح الطينية التي تظهر نزاع بحضور الشهود وساتراب بابل غوبارو مؤرخة في السنة الخامسة 534 ق م².

على النقيض من النظام الإداري الذي تم إنشائه جزئياً من قبل الفرس الإخمينيين، لم يتغير القانون البابلي الخاص بشكل كبير في ظل حكم الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، حيث ظل استخدام الصيغ القانونية التقليدية سارياً على الرغم من وقوع المؤسسات العامة تحت التأثير الفارسي، وعلى وجه الخصوص نتيجة للإصلاح الإداري لداريوس الأول حدثت بعض التغييرات أيضاً في القانون البابلي الخاص، إلى جانب ذلك كان العديد من الفرس يشاركون بشكل متزايد في الحياة التجارية البابلية، أما من ناحية المؤسسة القانونية أو السلطة القضائية العليا، فهي تنتمي إلى الساترية واتخذت

¹ M. A. Dandamayev & Vladimir G. Lukonin, The culture and social institutions of ancient Iran, p 122.

أنظر: Xen, Cyr, 112.

² John Curtis & Nigel Tallis, Forgotten Empire, p 196.

القرارات في أهم القضايا من قبل القضاة الملكيين، ومن محاسن إصلاحات القانون هو انتهاء التنافس الذي دام قرونا بين البلاط الملكي والمجالس الشعبية للمدن البابلية وانتهى بانحزام هذه الأخيرة وبقيت السلطة العليا بيد البلاط الملكي، وأصبح النزاع مقتصر على النزاعات الملكية (ملكية الأراضي)، والجرائم المحلية التي تخضع لقضاء الولاية أي الجرائم التي تقع محليا، هذا وقد ظهر قضاة من أصل فارسي في بداية حكم داريوس الأول نذكر منهم Ummādatu ابن Udunātu، هذه الأسماء الفارسية للقضاة نجد العديد منها في أرشيفات موراشو Murašû، هذا الأرشيف من نيور والذي يعود تاريخه إلى النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد، حمل هذا اللقب نسبة لاسم العائلة والذين توارثوا في حمل لقب قاضي منطقة سين كان أحدهم يدعى Adabaga ابن Mizdaešu ويوجد فارسيان أحران إشتابوزانا Ištabuzana وأمرداتا Umardāta جنبا إلى جنب مع أحد القضاة البابليين يضاف إليهم Belšunu¹.

يلشونو الساتراب الذي تحمل بعض الأرشيفات الموجودة بالقصر الملكي اسمه والتي توثق نشاطه التجاري في بابل وهذه الأخيرة تحوي عن ما لا يقل عن أربع أرشيفات توفر معلومات مهمة عن الممارسة الإدارية الفارسية الإخمينية في بابل وبالتالي توفير بيانات عن الأسعار والمعاملات التجارية اليومية².

في عهد الإخمينيين، وصل القانون البابلي إلى ذروته، كان نموذجا للمعايير القانونية لبلاد الشرق الأدنى، وبدأ بالانتشار في الغرب، ولم يتغير القانون البابلي الخاص، وكذلك صيغ الوثائق بشكل جوهري في ظل الحكم الفارسي الإخميني، على الرغم من تعرض العديد من المؤسسات للتأثر الإخميني، حيث وجدت العديد من المصطلحات الفارسية في الوثائق القانونية في القرن الخامس قبل الميلاد، علاوة على ذلك في نهاية عهد داريوس تضمنت الإصلاحات في الهيكل الاقتصادي وإدارة الدولة بعض التغييرات في مجال القانون الخاص، ومع ذلك استخدمت الإدارة الإخمينية القانون المحلي

¹ - M. A. Dandamayev, op. cit, p 9.

² - Reinhard Pirngruber, The Economy of the late Achaemenid and Seleucid Babylonia, Cambridge University Press, USA, 2017, p 20.

أثناء التعامل مع البابليين، وكان الفرس الذين أصبحوا نشيطين في الحياة التجارية للبلاد يسترشدون بالقوانين البابلية¹.

2- الإدارة في الأناضول:

في منتصف القرن السادس قبل الميلاد كانت ممالك الأناضول تعج بشائعات تقدم الملك الفارسي قورش الثاني وحشد الفرس والميديين على حد سواء في الجزء الشمالي الغربي من أراضيه في أعالي هضبة الأناضول بغرض التوسع بالقرب من نهر دجلة والفرات، ومع سيطرة كرويسس لجزء كبير من غرب ووسط الأناضول، داهمه الخطر وهو في مجلسه بالعاصمة القديمة لمملكة ليديا سارديس، حيث أدرك أن الحدود المعترف بها على مدار الأربعين عاما الماضية قد لا تستمر².

قام قورش بإسقاط ليديا وملكها كرويسس، الذي كان في طريق للقيام بحملة توسعية في المنطقة، حيث تواجه الخصمان بعد أن غزا الملك الليدي كبادوكيا (وسط أناتوليا) التي كانت تحت سيطرة الفرس وقبلها كان خاضعة للميديين، وهزم كرويسس في عقر داره سنة 546 ق م، وأسر الملك الليدي لدى قورش ومات في الأسر³.

كانت الإمبراطورية الفارسية الإخمينية 530-550 ق م بنية اجتماعية سياسية واسعة ومعقدة أسسها قورش الثاني والتي تركزت في جنوب غرب إيران وأدنى بلاد ما بين النهرين وهي المنطقة التي تتمركز فيها جبال زاغروس الغربية عندما وحد قورش الميديين والفرس معا، وقد ضمت الإمبراطورية مختلف الشعوب الذين تحدثوا بلغات مختلفة، عبدوا آلهة مختلفة، عاشوا في بيئات مختلفة وكانت لديهم عادات اجتماعية مختلفة، مما أوجد نظاما إداريا وعسكريا واقتصاديا شمل منطقة الأناضول، التي تتمتع بأراض خصبة وأودية وأنهار وسهول ساحلية تحيط بهذه المنطقة، تتمتع بمناخ البحر الأبيض المتوسط المعتدل بصيف حار وجاف غالبا وشتاء رطب معتدل⁴، لم تكن منطقة

¹ M. A. Dandamayev & Vladimir G. Lukonin, The culture and social institutions of ancient Iran, p 121.

² Elspeth R. M Dusinbere, Empire, Authority, and Autonomy in Achaemenid Anatolia, Cambridge University Press, USA, 2013, op. cit, p 1.

³ Matt Watter, op. cit, pp 40-41.

⁴ Elspeth R. M Dusinbere, op. cit, pp 8 ; 15.

الأناضول موحدة بل كانت تضم ساتريات منفصلة تحسب على هذه المنطقة، حيث لا يمكن إنكار تشتت إمبراطوري إن صح التعبير في آسيا الصغرى، والذي يشير إليهم الإغريق بشكل عام مثلا سارديس فارس¹.

من المناطق التي تحسب على الأناضول والتي كانت أغلبها بوضع ساتراية في عهد الإمبراطورية الإخمينية نذكر ليديا، أيوننا، ميسيا، فريجيا الهلينيستية، وسط الأناضول الذي يضم كل من أعالي فريجيا وكابادوكيا، سواحل البحر الأسود، أرمينيا، المنطقة الجنوب شرقية، قيليقيا، بيسيديا، كاريا، سارديس وليسيا.

كان الحق في الحكم له جزء كبير من الهوية للنخبة الفارسية المتعددة الإثنيات التي حكمت الأناضول، حيث تم تحديد الهوية الإدارية من خلال الشواهد المادية، لا سيما تلك الصورة المجسدة في القصور والبنى التحتية والممارسات البيروقراطية، بالرغم من إنشاء عدد قليل من القصور في منطقة الأناضول بالطبع، لكن الشيء الذي ينقذ صورة الإمبراطورية الفارسية الإخمينية البقايا التي تدل على فخامة ما كان موجودا في دسكيليوم رغم قلتها إلى أنها قوية وهذا ما تظهره النماذج المعمارية الخاصة بهم، تبرز قوة السلطة الإخمينية على الحرفيين في الساحل الغربي².

عكس الرومان، الذين حكموا منطقة شاسعة وطوروا وأرسوا مخططاتهم الخاصة في الأنماط المعمارية، استولت الإمبراطورية الفارسية الإخمينية على القصور المتواجدة في الساتريات مسبقا ولم تقم ببناء صروح تذكر داخلها والتي تنسب إليهم، حيث صب الفرس اهتمامهم في بناء القصور داخل الإمبراطورية واستقدام مواد البناء والمعادن الثمينة، مثل ما قام به داريوس لبناء قصره في سوزا الذي قام باستقدام عمالا مواد من أجزاء مختلفة من الإمبراطورية، وهو ما يوضحه بما يسمى النقش التأسيسي الذي يعود لسنة 522 ق م، ينص على ما يلي: «تم جلب الذهب الذي صنع هنا من سارديس وباكتريا، الأحجار الكريمة اللازورد والعقيق المصنوع هنا من سوغديانا، وحجر التركواز الثمين من خورزمية...»³.

¹ - Xen, Hellenica 3.4.25. Herodotus, B 3. 128. أنظر:

² - Elspeth R. M Dusingere, op. cit, p 263.

³ - Jens Nieling and Ellen Rehm, op. cit, p 15.

وجدت آثار بمنطقة الأناضول وخاصة في دسكيليوم تظهر تأثيرات الطابع الفارسي الملكي على الأختام وصيغة المراسيم الملكية، وممارسة الأرشفة تلکم التأثيرات التي مست الأختام والمراسيم مؤشرات لهوية فردية للفرع الفارسي الإخميني، ومما يؤكد ذلك ظاهريا، عدم وجود أي شواهد أثرية فيما يخص هذا الصنف قبل خضوعه للإمبراطورية، ومما يزيد في التعمق السلطوي للبلاط الملكي، التأثير على الهيئات الإدارية لأكثر من ساترية، حيث كانت الوحدة عنصرا أساسيا في ضبط الحكم، في خلق شعور متماسك للسلطة الإدارية حيث عززت النخبة الإخمينية في الأناضول القبضة الإمبريالية وقدرتهم على الحكم، يمكن للهياكل الإدارية مثل القصور، وهندستها التي رسخت الهيمنة، الأمر الذي يجعل كل الفرضيات بعدم وجود بصمة فارسية إخمينية منعدمة فالأختام وأسطوانات المراسيم الملكية تجعل من موضوع السلطة الموحدة واضحا وسهلا، فلم يكن للجهاز الإداري تأثيرات إيديولوجية على السكان المحليين فحسب، بل كانت هناك تأثيرات مادية ظهرت في إحصاء الساتراب وتسجيل أعماله ومحاسبته في حال الخروقات، وبالتالي ممارسة الأرشفة بإدخال أنواع معينة من الدلالات الفردية (الفارسية الإخمينية) في شكل الأحجار الختم أو لغة معينة، وسيلة لإثبات السلطة وضمان طول عمرها، حيث كان الإستهلاك اللافت للنظر لمثل هذه الممارسات عنصرا حاسما في السلطة الموحدة في الأناضول الإخمينية¹.

دسكيليوم من المناطق التي اعتنت بها الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، وقد كان لملوك الفرس الإخمينيين تواجد على أراضيها، وهو ما يؤكد أكسينوفون، إذ يصف هذه المنطقة بالجنة، كما كانت لسارديس حظوة في عهد قورش الصغير، حيث تعد من الساتريات التي أطلق عليها لقب جنة الإمبراطورية، وقد حوت على العديد من الحدائق الملكية والتي ذكر أنها تعج بالحيوانات المتوحشة، والجداول المائية المزينة المليئة بالأسمك التي وضعت من أجل أن تأكلها الطيور التي تنتشر في محيط القصور والمؤسسات الملكية، تجرى داخلها الألعاب وهذا ما يظهر الرفاهية التي كانت تعيشها الإمبراطورية الفارسية الإخمينية أيام مجدها، والتي انعكست صورتها على إدارة واقتصاد الإمبراطورية².

¹ - Elspeth R. M Dusingere, op. cit, pp 264 ; 267.

² - Xenophon, Memorabilia, Oeconomicus Symposium, Apology, trsl by E. C Loeb Classical Library, Marchant, Harvard University Press, GB, 1997, 4. 20-25, Anab 1.2.7, Hell 4.1.15-16.



صورة (9) لأختام زجاجية وجدت في منطقة الأناضول تعود للفترة الفارسية الإخمينية¹

1-2 الساتراب والساتريبات في منطقة الأناضول:

كان الحكام أو الساتراب رؤساء إدارة في مقاطعاتهم، بشكل عام، على ما يبدو أنه تم تثبيت نبلاء فارسيين في منطقة غربية، وربما كان هناك حكام محليون، على الرغم من أن الساتريبات كان على رأسها ذكور، إلا أنه هناك عنصر نسوي ملحوظ في دكة السلطة، إذ يشار إلى وجود امرأة تمارس السلطة، مانيا الساتراب حاکمة فريجيا الهلنستية، من الممكن أن تكون أفضل مثال على حاكم إداري امرأة، واثنين من النساء كانتا حاکمتين لكاريا، الأولى قادت سفينتها للحرب ضد الإغريق في معركة سلاميس 480 ق م في حين أن سليلها كان حاکما على كاريا بجانب زوجه وأخيها، أما المرأة الأخرى تدعى موسولوس حكمت في نصف القرن الرابع قبل الميلاد، كانت مهام الساتراب جمع الضرائب، السيطرة على المسؤولين المحليين، عمل كقاض محلي للقضايا الجنائية والمدنية، كان مسؤولاً على سلامة الطرق، قمع اللصوص والمتمردين، والحفاظ على جاهزية الجيش².

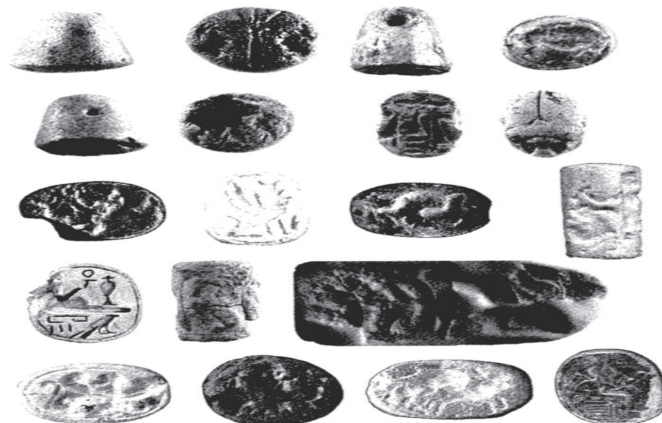
من المهام الأخرى التي يقوم بها الساتراب في منطقة الأناضول، أن يعتني بالجيش وأن يكون على قدر كبير من الولاء والإخلاص، أو يكون لديه جيش مخصص لجمع الضرائب، كان على الساتراب أن يوازن بين متطلبات الملك ومتطلبات الناس في الساترية، على الرغم من أن الجيش الذي خصصه في حالة قيامه بدورية جمع الضرائب، قد يمنحه سلطة أقوى في تحصيل الضريبة من أولئك الذين لا يرغبون في الدفع، إلا أنه لا يمكن أن يكون فعالاً إلا في حالة وجود قدرة على الدفع، وهذا يتطلب مستوى عالٍ من ضبط النفس، والقدرة دائماً على إرسال المقدار المناسب من الجزية للملك

¹ Elspeth R. M Dusingere, op. cit ; 264.

² Ibid, pp 34, 35.

مع موازنة ذلك بالحاجة إلى تقييم الجزية مرة أخرى في المستقبل، هذا وقد زدتنا المصادر التاريخية الإغريقية بمعلومات حول أسماء وتواريخ الساتريات في شمال غرب منطقة الأناضول جزئياً من خلال صراع هؤلاء الحكام بشكل مباشر مع القوى الإغريقية وأغلبها كانت تسد فترة زمنية طويلة إن نظرنا للمدة التي استغرقتها الإمبراطورية الفارسية الأخمينية في صراعها مع عدوها التقليدي الإغريق، غير أن المعلومات تختلف عن أجزاء أخرى من الأناضول اختلافاً كبيراً في طبيعتها، كون ما يأتيها عنها مجرد شواهد أثرية في المقام الأول وليست نصية، النصوص تميل إلى إتباع التقاليد السردية التاريخية الإغريقية ومن الممكن أن تكون متأخرة، ومن المفروض أن نمحص المعلومة النصية أمام الشواهد الأثرية¹.

قام ملوك الفرس الأخمينيين بالاعتناء بالطرق التي تربط الساتريات المهمة ببعضها البعض، حيث بنيت الطرق الملكية على عكس الطرق الأخرى بشكل نموذجي، لتسهيل مرور العجلات بعد أن كانت الحيوانات على سبيل المثال الجمال الوسيلة المعهودة في نقل البضائع وحتى السكان، وبذلك أصبحت العربات وسيلة للنقل بعد أن عادت الطرق لتسهيل السير الجيد للقوافل، وقد كانت الطرق من فريجيا المؤدية إلى قيليقيا، ومن سوسة إلى بيرسيبوليس، ومن سوسة إلى أربيل عبر هيركانيا من أفضلها، ولم تقتصر هذه الطرق على الفرسان والمشاة، كان العسكريون والمدنيون على حد سواء من الفئات التي سلكت هذه الطرق، يطلق عليها الإغريق العربات المتقلة *Harmamaxa* ربما مستمدة من العربة الحربية التي استخدمت في الصيد والحرب معا واسمها بالإغريقية *harma*² كانت بلا شك تربية معبدة.



صورة (10) لأختام إدارية زجاجية من منطقة *Dülük Baba Tepesi*³

¹ - Elspeth R. M Dusingere, op. cit, pp 35.

² - Herodotus, B 7.41 ; B 8.37 ; Xen, Anab 1.2.16.

³ - Elspeth R. M Dusingere, op. cit, p 265.

3- معالم التواجد الفارسي الإخميني في مصر:

1-3 الإدارة:

عندما تواجد المؤرخ الهاليكارناسي في مصر حوالي 440 و430 ق م، كانت مصر لا تزال ساترية، وقد كانت على هذا الحال لما يقرب القرن، كان ارتكسييركسيس على العرش، نصب على رأس هذه الساترية ابن عمه أرشاما ساتريا، في الأصل كان هيروودوت مهتما بأسباب وأصول الحروب الفارسية الإغريقية، وكان مهتما بشكل أساسي بفترة سابقة من التاريخ المصري، والتي بلغت ذروتها في غزو قمبيز سنة 526 ق م والأحداث اللاحقة التي أدت في النهاية إلى اعتلاء داريوس الأول، لذلك على الرغم من افتتانه بمصر ليس لدينا إلا القليل من المعلومات التي من المفروض أن يتناولها بالمقارنة بما جاء في بقية أجزاء مؤلفه، في حين أن مصر احتلت مكانة في مؤلفات المؤرخين الإغريق القدماء الذين سبقوه، مما ولد نقصا في المعلومات جعل العلماء المعاصرين يعرّفون عن التعمق في هذه الفترة في هذه المنطقة في هذه الفترة الحرجة، هذه واحدة من العديد من المفارقات التي ميزت دراسة مصر خلال فترة الحكم الفارسي الإخميني¹.

الإدارة الفارسية الإخمينية من حيث هيكلها الاجتماعي والاقتصادي بطابعها المتنوع والمتداخل، من المناطق التي برزت كانت مصر التي احتلت مكانة بارزة في تاريخ الإمبراطورية، بحيث معظم هذه الساتريات المهمة كانت تتمتع بإدارتها الخاصة وتنظيماتها يعني وجودها لزم من طویل قبل ظهور الإمبراطورية على غرار آسيا الصغرى (الأناضول)، عيلام، بابل، سوريا، وفينيقيا أبقى مؤسساتها قائمة لقرون، جنبا إلى جنب قام الفرس بالقيام بأكبر حملة توسعية لضم هذه المناطق، بالإضافة لمناطق تخضع للحكم القبلي، مثل تلك التي عاشت على جمع الأطعمة وعاشوا ضمن تحالفات قائمة على المصاهرة مثل ليديا، مما خلق صعوبة واجهت الإمبراطورية في قضية التنوع التي واجهتها في خلق نظام إداري للشعوب الخاضعة، لكن بالرغم من الحكام السابقين إلا أن الإخمينيين حققوا نجاحات كبيرة في تنظيم حكم الدولة، وقد كانت نقطة نجاحهم الأساسية فكرة التوحيد الإداري².

¹ Henry P. Colburn, Archaeology of Empire in Achaemenid Egypt, Edinburgh University Press, Great Britain, 2020, p 1.

² M. A. Dandamayev & Vladimir G. Lukonin, The culture and social institutions of ancient Iran, pp 96-97.

حاول الإخمينيون خلق ظروف طبيعية في البلدان المحتلة لتمنية الاقتصاد وتجارة العبور، بالنظر للفترة التي حكم بها قورش الثاني وابنه قمبيز احتفظ كلاهما بأغلب نظم هذه الدول بشكل عملي دون تغيير بالهيكل السياسي المحلي داخل الممالك والدول الخاضعة، حيث قدما للشعوب المحتلة الحكم الذاتي المحلي، ومع ذلك كشفت الثورات التي حصلت في الفترة ما بين 522-521 ق م، نقاط ضعف الإمبراطورية الإخمينية، مما جعل داريوس يجري إصلاحات إدارية ومالية مهمة، سهلت إنشاء نظام مستقر لإدارة الإمبراطورية، وخلق نظام تحصيل الضرائب الذي شمل جميع الساتريات وزيادة عدد القوات، استغرق تنفيذ هذه الإصلاحات عدة سنوات ويبدو أنها بدأت مع إعادة تنظيم وتوحيد نظام إدارة الساتريات الذي تم تنفيذه عام 519 ق م كما سبق وذكرنا، التي شهدت نجاحا ملفتا في مصر وبابل، فهذا النظام الإداري تم إنشائه على أسس جديدة لكن لم يغير جوهر الإمبراطورية¹.

التكيف مع الثقافة العامة والمشاركة في الاقتصاد العام، عادة ما يستلزم رفع المستوى، وهذا ما كان مطلوبا من الرجال الذين تنوعت ثقافتهم وأصولهم وحتى قدراتهم، كان الموقف تحت حكم قورش وداريوس مختلفا، وبصرف النظر عن بدائية بعض الأقوام ومستواهم الثقافي المنخفض، اندمج ملوك الفرس الإخمينيون في إمبراطوريتهم وحكموا هذه الشعوب بقبضة قوية أساسها الوحدة الإدارية رغم الخلفية العسكرية للشعوب الفارسية، وهي الإمبراطورية الأكثر شمولا في التاريخ، وهي توليفة من الحضارات القديمة لأنها ضمت كما ذكرنا مصر، بلاد ما بين النهرين، سوريا وآسيا الصغرى، المدن والجزر الإغريقية وجزء من الهند، فبالنظر للأنظمة القائمة مسبقا، كان الرجوع خطوة للوراء أمرا حتميا وكوافدين جدد في مجموعة من الشعوب الجديدة، كان الإخمينيون مدركين لتفوق الحضارات القديمة السابقة، تجلّى ذلك في القدر الكبير من الحكم الذاتي الذي منحه قورش، ومن هنا أيضا السياسة الذكية لداريوس الأول والتي كانت نتيجتها الحفاظ على هذه الثقافات وحتى تفضيلها في بعض الأحيان².

التقسيم الجديد الذي أتى به داريوس الأول، جعل من الساتريات الجديدة تمتد على نطاق واسع من حيث المساحة الجغرافية مقارنة بالفترة التي كانت عليها في عهد قورش وقمبيز، في البعض

¹ Ibid, p 97-

² Roman Ghirshman, op. cit, 127. -

من الحالات توافقت حدود مع الحدود السياسية والإثنوغرافية السابقة للبلدان التي أصبحت جزءا من الإمبراطورية الأخمينية(على سبيل المثال مصر وميديا)، تم الاحتفاظ بهاتين الساتريتين ثابتتين سواء عند هيرودوت أو مما يدل على وجودها في نقوش بيهستون وغيرها من النقوش الفارسية الأخمينية وإن اختلفت جزئيا¹.

كل ساترية أدارت إدارتها الخاصة مسترشدة بالسلطة المركزية للملك في كثير من الحالات، استمرت الأنظمة الإدارية القائمة تحت الحكم الفارسي الأخميني كما هو موثق في بابل ومصر وليديا، في حين جاء إدخال الممارسات الأخمينية الحديثة تدريجيا، حيث تم استخدام العديد من اللغات والنصوص، لكن بقيت الآرامية اللغة الأكثر استعمالا بينها وكانت هي اللغة المكتوبة الموحدة المستخدمة في المراسلات عبر الإمبراطورية، تم العثور على واحدة من هذه الرسائل كجزء من مراسلات أرسامس Arsames ساتراب مصر معا في كيس جلدي مصدرها غير معروف، لكن على الأرجح من أنه قد تم العثور عليها في مصر، حيث كان أرسامس خارج حدود مصر، وكانت هذه المراسلات للتواصل مع المسؤولين الذين ينوبون عنه فيها، عددها 13 نستثني واحدة منها والتي هي عبارة عن تعليمات أعطيت لمسؤوليه، يتعلق موضوع هذه الرسائل بالعقارات الملكية في مصر وإدارتها، على الرغم من أن الرسائل لا تحمل تأريخا، إلا أنها تقريبا تعود للفترة الزمنية 5/514 و 7/408 ق م، قضى أرسامس وقتا بعيدا عن مصر في سوسة وربما لبعض الوقت في بابل²، من ناحية أخرى رغم الإدارة المحكمة التي اتبعتها الإمبراطورية في مصر، إلا أنها لم تقضي على جهازها بل قضت على هيمنتها بشكل منفصل، وتحولت هذه المملكة من كيان قائم بحد ذاته إلى ساترية³.

¹ M. A. Dandamayev & Vladimir G. Lukonin, The culture and social institutions of ancient Iran, p 98.

² Maria Brosius, op. cit, p 123.

³ Pierre Briant, op. cit, p 77.

2-3 القانون:

لم يتم الاحتفاظ إلا بالقليل من المعلومات المتعلقة بالإدارة الفارسية، ويتجلى ذلك في بعض القوانين والمدفوعات الضريبية التي ترتبت عليها كباقي الساتريات، حيث يشبه القانون المصري إلى حد كبير قانون الشرق الأدنى ونقصد بذلك قانون بابل، وقد وجد الفرس تأثيرا واضحا بين كلا القانونين، بالنظر للقانون نجد أن المصريين استعاروا الكثير من القوانين البابلية، رغم الآراء المتأرجحة في هذه القضية (قضية التشابه)، يتكشف لنا أن هناك وثائق مصرية تختلف اختلافا جوهريا عن وثائق الشرق الأدنى من حيث الصيغ ومن حيث غياب الأختام، وإلى الآن لا يوجد دليل قاطع على تأثير القانون البابلي على القانون المصري، توضح الوثائق التي عثر عليها في مصر والمصنوعة من ورق البردي، ما يسمى بالسجل الديموطيقي نسبة للغة الديموطيقية، يشير بشكل عكسي للقضية بحث نجد أن القوانين المصرية دونت بواسطة داريوس الأول في عام 519 ق م وفقا للمبادئ التي أقام عليها إمبراطورته، قام بأمر الساتراب المصري بإرسال أشخاص حكماء من نخبة المحاربين والكتابة لكتابة القوانين الفرعونية، حيث استغرق تدوين القوانين 22 عاما واكتمل سنة 495 ق م¹.

لقد أكدت الإمبراطورية الفارسية الإخمينية من خلال تسلسلها الهرمي في الجهاز الإداري، بإرساء تنظيم إداري محكم، ولو استمد جزء منه من الأنظمة السابقة، بحكم أن الفرس الإخمينيون في طبيعتهم رجال حرب بالدرجة الأولى ذوي طبيعة بدائية، إذن لقد قامت الأسس الإدارية على أنقاض الممالك التي أخضعتها تحت حكمها، وعليه جعل ملوك الفرس الإخمينيون شيئا من الحرية يتخلل هذه الساتريات، وكما لاحظنا فقد أبقى الملوك على الحكام المحليين في بعض مناطقها مثل بابل، وهذا ما إن دل إنما يدل على التساهل والحرية الذي منحها حكام الفرس الإخمينيون، رغم أولوية العنصر الفارسي النبيل على رأس هذه الساتريات، فلا يمكن منح الحكم المطلق لغير الفرس الإخمينيين، باستثناء تلك التسهيلات التي منحت على المستوى المحلي.

¹ M. A. Dandamayev & Vladimir G. Lukonin, The culture and social institutions of ancient Iran, p 125.

الفصل السادس

الفصل السادس: النظام الاقتصادي الفارسي الإخميني وتطوره

- 1- التنوع الإقليمي
- 2- الإقتصاد والمؤسسة الاقتصادية للإمبراطورية الفارسية الإخمينية
 - 1-2 النظام الضريبي للإمبراطورية الفارسية الإخمينية
 - 2-2 سك العملة وانتعاش الإقتصاد
 - 3-2 شق الطرق
 - 1-3-2 الطريق البري
 - 2-3-2 القنوات المائية
 - 4-2 التجارة في الإمبراطورية الفارسية الإخمينية
 - 1-4-2 التجارة الداخلية
 - 2-4-2 التجارة الخارجية
 - 3-4-2 تجارة العبيد
 - 4-2 الأسواق
 - 5-2 الزراعة
 - 1-5-2 الزراعة والإنتاج الزراعي
 - 2-5-2 المنتجات الزراعية والحيوانية من خلال طاولة الملك
 - 6-2 الصناعة
 - 1-6-2 التعدين
 - 2-6-2 صناعة الزجاج
 - 3-6-2 صناعة الفخار
 - 4-6-2 صناعة النسيج
 - 3- دراسة لاقتصاد أهم الساتريات
 - 1-3 الإقتصاد في بابل
 - 1-1-3 ضريبة الداسموس *dasmos*
 - 2-1-3 الجبايات العسكرية

3-1-3 النشاط الزراعي في بابل

4-1-3 التجارة في بابل

2-3 إقتصاد منطقة الأناضول

1-2-3 المحاسبة في عهد الإمبراطورية الفارسية الإخمينية

2-2-3 التجارة في الأناضول

3-3 الإقتصاد ونظام الجزية في مصر

الإمبراطورية الإخمينية، وكما هو معروف عنها أنها اشتهرت بنظامها الإداري، الذي أعطى استمرارية لحكمها زهاء القرنين من الزمن، وكان لها السبق في الارتباط المتواصل بين الشرق والغرب، من خلال حكومة دولة فعالة، ومن الطبيعي أن تسعى الإمبراطورية الفارسية الإخمينية لفرض مثل هذا النظام، ذلك نظرا للتوسعات العسكرية التي قامت بها، لتمد نفوذها في أقصى بقعة ممكنة من العالم القديم، فكان لنظامها الإداري المحكم بالغ الأثر في ازدهارها، ولضمان الاستمرارية لا بد من سيولة مالية ونظام اقتصادي متكامل، يتصل اتصالا مباشرا بالنظام الإداري البيروقراطي (ذلك أن موظفي الإمبراطورية الإخمينية هم من كبار المسؤولين الذين ينحدرون من العائلة الملكية وطبقة النبلاء الأرستقراطيين الحريصين على تطبيق القانون بصرامة وقوة)، ومهما يكن، فإن الإمبراطورية الفارسية الإخمينية قد اشتهرت بنفوذها المالي والاقتصادي، وهذا ما سنستشفه من المعطيات والدلائل، التي جاءت في العديد من المصادر الكلاسيكية والأثرية، نقلا عن العديد من الباحثين الذين تناولوا اقتصاديات الإمبراطورية الفارسية الإخمينية.

1- التنوع الإقليمي:

على الرغم من توحيد العديد من المناطق المختلفة تحت عباءة الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، كانت هناك تنوعات إقليمية في الإدارة، فمن جهة السكان البدو الرحل من سلسلة جبال زاغروس الكبيرة لم يتم دمجها ضمن نظام الساترييات، إذ أن التضاريس الوعرة جعلت من الحملات العسكرية صعبة، بالإضافة إلى ذلك شكل التنقل الدائم للبدو للإمبراطورية صعوبة في تحديد السكان بصفة دائمة، حيث وصل الفرس وهؤلاء البدو الرحل إلى تسوية مؤقتة، وذلك بتقديم الملك الفارسي الإخميني هدايا للقائد المحلي بشكل منتظم وإنشاء تحالف منفعه متجدد، سمح للملك بالاعتماد على قوتهم البشرية عند الضرورة خاصة في فترة الحرب، ساعد على تأمين الطرق عبر الجبال، مما جعل الفرس يقومون بالغارات على المجتمعات الزراعية التي تقطن هناك، وسمح لهم ذلك بالوصول إلى قطعان الأغنام والماعز التي كانت يربيهها سكان الجبال، التي أمكن لهم أن يعتمدوا عليها في المبادلة التجارية للسلع المعروضة على المستوى المحلي مقابل السلع الغير متوفرة بكثرة على غرار النيذ¹.

¹ Karen Radner, State Correspondence in the Ancient World : From New Kingdom Egypt to the Roman empire, Oxford University Press, USA, 2014, p 117.

كان للإمبراطورية الفارسية الإخمينية سياسات تختلف من منطقة إلى أخرى، ذلك أن الفرس كانوا حريصين على احترام الهويات العرقية المحلية، والمعاملات الاقتصادية هي أكبر دليل على هذه النظرة نحو هذه الشعوب، فعلى غرار بلاد فارس التي كانت لها العديد من الامتيازات كانت مناطق أخرى معفاة من بعض القوانين، حيث لم تخضع للمزيد من المطالب خاصة في المسائل السياسية والمالية، ولا من المحتمل أن تكون في وقت لاحق¹.

أما المجموعات العربية، والتي كانت على هامش الإمبراطورية، تمتعت بنوع آخر من العلاقات بالسلطة المركزية، ومقابل المساعدة في إيجاد طرق آمنة عبر الصحراء وتنظيم تجارة القوافل المريحة والتي تنطلق تنطلق من الطرف الجنوبي من شبه الجزيرة إلى الموانئ الفلسطينية أين تسيطر الإمبراطورية الفارسية على غزة، والتي لم تقدم الضرائب واكتفت بتقديم البحور كهدية منتظمة للملك، وخلق ذلك علاقة منفعة متبادلة، كما يشهد التاريخ أن الوحدات العربية قد خدمت في جيوش الفرس الإخمينيين، من جهة أخرى مجموعة مهمة على الحدود وهم البدو الرحل من السكيثيين الذين يعيشون في السهول وراء أوكسوس، ولا ندري كيف ربطت العلاقات بينهم وبين الفرس، ولكنهم بالتأكيد أتوا عن طرق خدمتهم في الجيش الفارسي الإخميني أيضا، ومن خلال إحصاء الأموال ستكون للإمبراطورية علاقات متعددة على غرار جماعات النوبة، وأراضي القوقاز (جورجيا وأرمينيا)، ومختلف المجموعات اللبية إلى الغرب من مصر، وحتى الإغريق، وإن صورهم الكتاب الكلاسيكيون على أنهم الخصم الذي قهر الفرس الإخمينيين².

سنركز على الإصلاحات التي قام بها داريوس الأول في المجال الإداري الاقتصادي، والتي تم تنفيذها حوالي سنة 519 ق م من خلال توحيد نظام إدارة الساتريات، ونتيجة لنجاح هذا النظام لم يتم تغييره حتى زوال الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، وعلى الرغم من إصلاحات داريوس، ظلت الإمبراطورية اتحادا إداريا عسكريا بالدرجة الأولى، لا يمكن أن يستمر دون أن تستعمل الإمبراطورية في الحفاظ على الشعوب قوة السلاح لإبقائها داخل هيكل الدولة، حيث ظلت كل ساتراية تتمتع بهيكلها الاجتماعي الإقتصادي مع مؤسساتها وهيكلها الداخلي، بقوانينها المحلية القديمة، العادات

¹ - Mario Liverani, op. cit, p 566.

² - Karen Radner, op. cit, p 117.

والتقاليد، أنظمة الأوزان والمقاييس والأنظمة النقدية، ذلك أن الأنظمة الإدارية والإقتصادية لم تتعطل بموجة الاحتلال الفارسية الإخمينية¹.

أدرك الفرس الإخمينيون وخاصة داريوس الأول، أنه لا يوجد طريقة أخرى لتزويد إمبراطوريتهم الآخذة في النمو بسرعة، غير ربط علاقات بدول أخرى، وبذلك يحققون الرخاء لشعبهم الإمبريالي من خلال ازدهار التجارة والاقتصاد، وبمكنا أن نقول أن الفرس الإخمينيين، هم من قاموا بضرب العملة وتوسيع توزيعها وتطوير الطرق وإنشاء أخرى جديدة وخاصة الطريق الملكي، حيث ولأول مرة سهل بشكل منهجي تداول رجال الأعمال أعمالهم، وتوسعت بذلك التجارة الداخلية والخارجية².

2- الاقتصاد والمؤسسة الاقتصادية للإمبراطورية الفارسية الإخمينية:

من حيث هيكلها والاقتصادي، تميزت الإمبراطورية الفارسية الإخمينية بطابعها المتنوع والمختلف، وشملت المناطق من آسيا الصغرى، وهي عيلام، بابل، سوريا، فنيقيا ومصر، حاول الإخمينيون خلق ظروف طبيعية في البلدان التي استولوا عليها، من أجل تنمية الاقتصاد والتجارة في مناطق العبور، مع ترك الهيكل السياسي المحلي، والاحتفاظ به بشكل عملي، وعرض قورش وقمبيز على هذه الشعوب الحكم الذاتي بشرط أن تبقى خاضعة للسلطة العليا للملك والحكومة المركزية، ومع ذلك فقد كشفت الثورات التي حدثت بين سنتي 522 و521 ق م، نقاط الضعف في الإمبراطورية، وسعي لتجنب النزاعات الانفصالية، نفذ داريوس الأول إصلاحات إدارية واقتصادية مهمة، مما سهل إنشاء نظام مستقر لإدارة الدولة والسيطرة على البلدان، وقد استغرق تنفيذ هذه الإصلاحات سنوات طويلة³.

¹ - Muhammad A. Dandamaev and Vladimir G. Lukonin, op. cit, p 97.

² - Samer Nazari, Ali Asghar Salahshoor, Mehran Norouzi, Study of buisness and trade in the Achaemenid period, Focusing on the objects and artificats from archaeological treasures to the Achaemenid dynasty, Archaeology Journal of Hamedan Islamic Azad University, vol. 4, No. 6, Atumn& Winter 2012, p 38.

³ - Muhammad A. Dandamaev and Vladimir G. Lukonin, op. cit, p 97.

1-2 النظام الضريبي للإمبراطورية الفارسية الإخمينية:

لقد أنشأت الإمبراطورية الفارسية الإخمينية نظاما متوازنا لتحصيل الضرائب، مما أعطى زخما غير مسبوق للحياة الاقتصادية¹، حيث تعتبر النقوش الموجودة على صخرة بيهستون والتي تنسب لداريوس الأول، أكبر دليل على وجود نظام للضرائب في الإمبراطورية، كما حوت المصادر الكلاسيكية أسماء الساتريات التي خضعت لداريوس مع نوع الضريبة التي تدفعها للخزينة، ولقد خص داريوس ومن حكم بعده بمعاملة خاصة، وقد اقتصر دعمها على توفير الجنود والإداريين².

لقد أسهب هيرودوت في طرح قضية الضرائب التي كانت في عهد داريوس، حيث وصفها بالمحففة، حتى أنه قال أن الشعوب في عهده كانت تتضور جوعا، إما أنتجوا أو اشتروا، وأردف قائلا أن هذه الممارسات كانت سببا في تمرد بعض الأقاليم، ووصفه بـ "المساوم"، وربما قصده بذلك أنه يشبه البائع المتجول يقبض الأموال من غيره، غير أن داريوس أثبت عكس ذلك، إذ أنه كان مسؤولا إداريا ومشعرا بالدرجة الأولى، حيث كانت أعظم قوة يمتلكها داريوس فهمه العميق لأهمية السياسة الاقتصادية السليمة، وعلم داريوس أن الدولة إن أرادت أن تستقر، فيجب أن يكون لديها تمويل من المال متدفق وثابت باستمرار، وإن أراد أن توسيع الإمبراطورية في غزواته للأراضي المجاورة، فسيحتاج لأموال صندوق الضرائب، على أن يدرك مدى أهمية الكفاءة في مسألة المحاسبة (إن كان الموظف فاسد فستكون الخسارة في الأموال)، ومشكلة عدم الكفاءة كان واسع الانتشار في ذلك الوقت³، حيث كانت مشكلة ضياع الذهب والمجوهرات والأحجار الكريمة، والماشية وكل أشكال العملة الأخرى، ستكون في عداد الممتلكات المفقودة تقريبا، أو ذهابها لغير محلها، ومن الممكن أن تسرق، وكان الحل في يد داريوس الأول، وهو البدء في إصلاح النظام الاقتصادي من القاع⁴.

بعد ذكر المقاطعات أو الساتريات العشرين (Satrapy/ zomoi)، أو ذلك العدد الذي ذكر على صخرة بيهستون، قام داريوس بفرض الضرائب أو الجزية (pharoi) بصيغة ثابتة، بحيث لم تكن هناك ضريبة ثابتة في عهد قورش الثاني وابنه قمبيز الثاني، واقتصرت على الهدايا (dora)، ومن

¹ R. Ghirshman, op. cit, p 181.

² Richard Nelson Frye, op. cit, p 111.

³ J. Poolos and Arthur Meier Schlesinger, op. cit, pp 55, 56.

⁴ Ibid, p 56.

المهم أن نكون على بينة، في معرفة إيرادات الإمبراطورية في عهد قورش وقمبيز، من أجل فهم ما جاء به هيروdot فيما بعد، إذن من البديهي أن قورش وقمبيز لم يهمل الإدارة المالية، فكلاهما بحاجة إلى موارد كبيرة للحفاظ على جيوشهم وكذا نجاحاتهم في حملاتهم، وبعد كل انتصار كان الملك يرسل كنوز الملوك الخاضعين إلى عاصمته، كما حدث مع استياجس حيث تم إرسال كنزته إلى عاصمة قورش الثاني باسارغادة، ونفس الشيء حدث مع الملك الليدي كرويسس، ومن الممكن أن قمبيز قد أعطى أوامر بالمثل في ساترية مصر، وكذلك الأمر في بابل، نحن نعرف أنه عندما عاد اليهود في عهد قورش الثاني، أمر هذا الأخير أمين الخزانة ميشراداتا بإعادة السفن المقدسة، التي أخذها نبوخذ نصر إلى بابل بعد سقوط القدس إلى رؤساء المجتمع اليهودي، وهكذا بدأ تراكم الثروة الملكية، الذي أذهل في وقت لاحق الإغريق، كانت كل خزانة يديرها أمين صندوق ملكي، يدعى غانزابارا (ganzabara)، مثل ما كان ميشراداتا في بابل في عهد قورش الثاني¹.

كانت الضرائب عديدة ومتنوعة، في الأسواق وطرق المواشي، وحتى على الأراضي، حيث نجد المصادر الكلاسيكية وتفصل بين الجزية أو الهبة والضريبة، تذكر أن الملك فرض الجزية والهبة أو من الأفضل أن تكون في شكل الضريبة والجزية والتي تأتي ربما في اللغة الفارسية القديمة على الشكل التالي *bāj* و *hāraka* بينما كتبت الهبة ربما على الشكل التالي *dāšna*².

لم تكن حراسة الكنز كمهمة حراسة فقط، بل كانت مهمة إدارية إذ يحرس ويسير الدخل، وإنفاق رأس المال بأمر من الملك، من الجزية والهبات التي كانت تتراكم مع الوقت في الخزانة، إذن لا يمكن أن نشك في وجود ضرائب وجزية في عهد قورش وقمبيز، والتي تعتبر دائما محل شك وارتباك، ومن خلال هيروdot، نلاحظ أن المدن الأيونية قد دفعت الجزية، كما كانت تفعل عندما كانت خاضعة للمملكة الليدية أو كهدايا، إذن جميع المناطق التي اعترفت بسيادة الفرس الإخمينيين، كانت مطالبة بدفع اشتراكات عينية أو معدنية ثمينة للسلطة المركزية، ناهيك عن الوحدات العسكرية أو المحاربين الذين اضطروا لتقديم خدماتهم امتثالا لأوامر ملكية، حيث يقول هيروdot في هذا الأمر أن المحتال برديا قد أعفى عند استيلائه على العرش المناطق الخاضعة من دفع الضريبة كما أعفى شبابها من الخدمة العسكرية لمدة ثلاث سنوات، علاوة على ذلك، كان فرض الضرائب العادية يفسر على

¹ - Pierre Briant, op. cit, p 67.

² - Richard Nelson Frye, op. cit, p 117.

أنه إعفاء في هذا العصر، كما كان الحال مع شعب وادي هلمند، ارياسبي الذي أنقذ جيش قورش من المجاعة، ومن ثم أعفى اتيليا، ونفس الشيء كان ينطبق مع برديا الذي تلقى ترحيبا من سكان آسيا الوسطى، حيث وصف قورش بأنه سيحتفظ بهذه البلدان أثناء تمتع اتيليا بالإعفاء من الضرائب¹.

لقد كان على رأس كل ساترية بالإضافة إلى الساتراب، مسؤول كبير في الجيش لإدارة المسائل العسكرية، والذي كان يأخذ الأوامر مباشرة من الملك، وبالتوازي مع هاتين الوظيفتين، كان هناك موظف ثالث رفيع المستوى، كان من واجبه تحصيل الضرائب بموجب مرسوم ملكي، وكانت كل ساترية تدفع مبالغ ثابتة وفقا لمواردها وذلك بشكل سنوي، حيث بلغ المجموع الكلي للضرائب 14500 تالنت* من الفضة، ساهمت ساترية الهند بما يقرب الثلث من المجموع الكلي، بالإضافة للمدفعات المعدنية، دفعت مستحقات عينية من الخيول والماشية، الطعام، حيث تساهم هذه الضرائب في تلبية كل طلبات السلطة المركزية، فمثلا بابل وحدها زودت الجيش بالطعام لثلاث سنة².

إذن هناك شعوب تدفع الجزية وشعوب تقدم الهبات(الهدايا)، وهاتان خاصيتان تميز بهما هيروودوت وهو ذكره لهذا النوع من تقديم فروض الولاء والطاعة، ومن الملاحظ أن هذه الطريقة المتبعة في التمييز، ليست ابتكارا لإخمينيا صرفا، حيث يمكن العثور عليها في العديد من ولايات الشرق الأدنى من بلاد ما بين النهرين إلى مصر، ومن المرجح أن هيروودوت إلى حد ما يعطي الوقائع التي تجري في بلاد ما بين النهرين بطابع يوناني، المشكلة تكمن في استخدام المفردات تخفي الحقائق أكثر مما تضيء الدرب للمؤرخ الحديث، ونحن نعلم أن النظام الإخميني كان أكثر تعقيدا، غير أن نظام الجزية كان مجرد جزء من الأجزاء الفرعية المكونة لنظام الإيرادات، وبالتالي سيكون من غير المجدي تحديد مصطلحات الشرق الأدنى الغامضة تحت مفردات هيروودوت، يجب أن ننظر إلى طريقة هيروودوت في الكتابة على أنها تطور أدبي، وبتسليط الضوء على المنطق الداخلي لنصه الأدبي، يتضح بسرعة لنا أن لا منهج هيروودوت ولا هدفه يختص في الممارسة المالية³، مهما يكن، فقد استعملت المصطلحات لدخل الدولة

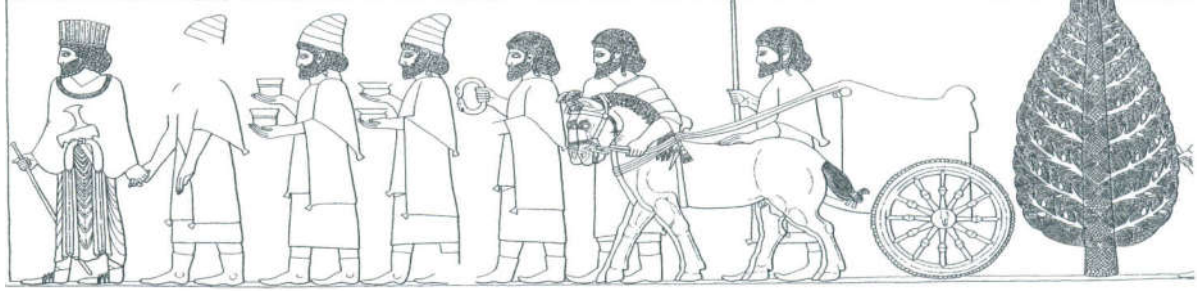
¹ - Pierre Briant, op. cit, p 67, 68.

* - 1 تالنت (talent) = من 20 إلى 27 كغ.

² - R. Ghirshman, op. cit, p 144.

³ - Pierre Briant, op. cit, p 68.

الذي ربما صنف من الضريبة الثابتة زائد الجزية، ومن الهبات المتوقعة¹، مثلا تلقى داريوس الأول هبة سنوية من الكوشيين(الإثيوبيين) من ضمنها كمية من معدن الذهب².



رسم (2) رسم توضيحي لوفود التي تحمل الهدايا للملك³

لقد سمح نظام الجزية بجر المناطق الخاضعة للوفاء بالالتزامات نحو السلطة المركزية، وجعلت وجودها واضحا عبر التمرکز في المناطق، وتلبية نداءات الواجب عند الاستدعاء، ومن خلال السلطة التي تمتع بها المسؤولون الذين أداروا الموارد المحلية ومن خلال جامعي الضرائب، سمح للحكومة المركزية بالوصول إلى جوهر النظم المحلية، ومع القوى العاملة، والإنتاج والمشاريع كلها تركزت على الربح من خلال تلبية متطلبات المقاطعات العليا، أي أصبحت هناك ديناميكية في الحياة الاقتصادية المحلية من أجل سد متطلبا السلطة العليا⁴، فمن ينوي ممارسة الاقتصاد بطريقة سليمة، يجب أن يكون على اطلاع تام بالأماكن التي يمكن أن ينجح فيها عمله، ليملك الموهبة تلقائيا من خلال الاختيار الجمد والفعال، لأنه إن افتقر لواحدة من هذه، سوف يرتكب الكثير من الأخطاء⁵.

¹ - Richard Nelson Frye, op. cit, p 117.

² - John Curtis and St. John Simpson, op. cit, p 223.

³ - J. E Curtis and Nigel Tallis, op. cit, p 58.

⁴ - Amélie Kuhrt, op. cit, p 672.

⁵ - Aristotle, The Complete works, The revised Oxford Translation by Jonathan Barnes, vol1&2, vol2 : Economics, Translated by E. S. Forster, Princeton University press, USA, 1985, Book2. 1. 1-3.

قيمة الفضية بالطالنت	الساخرية
400 من الفضة	الماغزبيون من آسيا، الأبوليون، الكارون، اللبيون، الميلين واليايفيلين
500 من الفضة.	المسيون، اللاونين، الكاباليون والحياتين
630 من الفضة	من المياسوسين، فريشيا، هناك المراقون في آسيا، اليالافونين، الماريانديون والسورون
360 + 140 من الأحصنة البيضاء (حصان كل يوم على مدار السنة)، 360 لدايوس الأول	فيلقيا
530 طالن من الفضة	بلاد العرب معقاة باستثناء المناطق بين فيلقيا وسوريا وصولا إلى مصر نجد كل من فيلقيا سميت سوريا الفلستينية وقبرص)
700 من الفضة (نتاج مسامك بحيرة ماروي) + 700 من قسط الجيوب 700 من الفضة و120 ألف قسط من الجيوب للفارس وحلفائهم المواجهين بالحدار الأيمن	مصر تظم أجزاء من ليبيا والناحية لسيران (فحات) وبرقة
170 من الفضة	ساناجيديا (غاندار، والمادوكيون، الأبارنت)
300 من الفضة	سوسة وباقى كسييا
1000 من الفضة + 500 من الفتيان (حصيان)	بابل وباقى آشور
150 من الفضة	ميديا (أريانا وباركانيا وأورثوكوريات)
200 من الفضة	كاسيا (البوسكيجون، الباتيماتيون والمادريون)
360 من الفضة	باكتريا (بعيدا عن أرض الأيغليين)
400 من الفضة	أرمينيا وبلاد باكاي، والأراضي المجاورة لبحر أوكسون
600 من الفضة	سافارتيا سارانغيس، ثاماني، أوقي، مايكي، وسكان الجزر التي تقع جنوب البحر
250 من الفضة	السقا والاكاسيين
300	بارثيا (خوزستان، سوغديانا وآريا)
400	باركانيا (قوريا آسيا)
200	ميتانا (ساسجوري، أراودي)
300	موسكيا (تيران، الماكرونين، الموسينويك والماديون)
360 من تبر الذهب	العند (أكبر وأعلى جزيرة من الذهب)

جدول (3) لعدد ساتريات الإمبراطوية والفضية المترتبة عليها¹

¹ Herodotus, B3. 90-94

هناك أربعة أقسام رئيسية يمكن أن تتفرع منها مختلف الإدارات، هناك إدارة الملك، ثم حكام تحت قيادته، إدارة المدينة (المحلية)، وإدارة المواطن العادي، ومن بين هؤلاء فإن الملك الأكثر شمولاً من بين جميع الإدارات، ولكنه في نفس الأكثر بساطة، في حين أن مكتب الساتراب أوسع غير أنه مقسم لمجموعة كبيرة ومتعددة من الأقسام، كما تتنوع إدارة المدن بشكل كبير إلا أنها أسهل في إدارتها، أما الفرد الخاص يقدم تنوعاً مماثلاً مقابل باقي الإدارات، حيث يبقى الفرد الأضيق حلقة بين هؤلاء الأربعة، ومع ذلك يغطي الأربعة نفس الأرضية، فالإدارة الملكية كأول نوع قوتها غير محدودة من الناحية النظرية فهي تأخذ على عاتقها إدارة العملة، الصادرات، الواردات والإنفاق، بحيث ساعدت العملة في التنظيم الموسمي لأسعار الواردات والصادرات والممارسة الربحية في أي وقت (المستحقات والنفقات المترتبة على حكام المقاطعات وتقليل الإنفاق حسب الأوضاع)، والنتائج عن المبادلات التجارية سواء بالسلع أو نقداً، تأتي بعدها إدارة الحاكم الذي يساهم بست فئات مختلفة من الإيرادات، تلك الناتجة عن الزراعة، منتجات الدولة الخاصة، الأسواق، الضرائب، الماشية، ومصادر أخرى، فمن ناحية الأولوية تأتي الزراعة في مقدمتهم والتي تسمى ضريبة العشور، والبعض الآخر ضريبة منتجات الدولة الخاصة والمتمثلة في الذهب على حدا، الفضة، النحاس كذلك، ثم تأتي الأسواق كالثالث مرتبة من ناحية الأهمية، والرابع ما تمثله الضرائب عن الأرض والمبيعات، لتتبعها عائدات الماشية التي تسمى العشر وباكورة المحاصيل، أما إيرادات من مصادر أخرى أطلق عليها اسم ضريبة الإقتراع أو ضريبة الصناعة، والنوع الثالث إيراداتها من خلال المنتجات الخاصة للمدن من الأسواق والمهن، والمعاملات اليومية، وأخيراً إدارة المواطن رغم قلة ما ينتجه الفرد شخصياً إلا أن معظمها يأتي من عمله بالزراعة أو المهن اليومية، والأهم بين هذه الإدارات الإبقاء على النفقات ضمن حدود الإيرادات¹.

لقد سعت الحكومة المركزية لضمان سير الحركة التجارية، حيث أنشأت الطرق البرية والبحرية (والتي سنأتي على ذكرها) التي تربط بين الأجزاء المختلفة للإمبراطورية، كما أوجدت كما رأينا نظاماً متوازناً لجمع الضرائب مما أوجد فائضاً من الذهب في خزائن الحكومة، ومما أعطى حركية غير

¹ Aristotle, The Complete works, The revised Oxford Translation by Jonathan Barnes, vol1&2, vol2 : Economics, Translated by E. S. Forster, Princeton University press, USA, 1985, Book2. 1. 1-3.

مسبوقه في الحياة الاقتصادية الفارسية الإخمينية، إدخال الأوزان والمقاييس، وقبل كل شيء فقد حفزت سك وتداول العملة التجارة في جميع أنحاء الإمبراطورية¹.

2-2 سك العملة وانتعاش الإقتصاد:

إذن ساهمت العملة في انتعاش التجارة الخارجية وازدهارها، حيث توسعت بشكل كبير بسبب بعض التحسينات في الإقتصاد الوطني، هذا وقد ظهرت العملات الفضية لأول مرة في القرن السابع قبل الميلاد، لكن النظام النقدي الحقيقي ثنائي المعدن قد ظهر في عهد الملك الليدي كرويسس، إذ انتشر سك العملة من خلال آسيا الصغرى بسرعة، حيث اعتمده داريوس في إمبراطوريته².

في كل الأحوال لم يكن هناك عملة خاصة بالإمبراطورية الفارسية الإخمينية، في عهد قورش الثاني، وقمبيز الثاني رغم ذكر هبات كانت تقدم لهم من معدن الذهب والفضة مثلاً لقمبيز من سيران(شحات)، ويبدو أن العملات الذهبية والفضية الخاصة بالملك الليدي كرويسس والتي كانت تسمى العملة الكرويسية نسبة للملك الليدي، والتي استمر ضربها واستخدامها من قبل الإدارة الإخمينية الملكية في سارديس ومن الممكن أن العملة الكرويسية الفضية لم تعمم في الإمبراطورية إلى بعد غزو قورش للمملكة الليدية، كما استعملت طريقة النقد المعتمدة في بابل من طرف الإمبراطورية³.



صورة (11) العملة الذهبية والفضية لكرويسس⁴

¹ R. Ghirshman, op. cit, p 181.

² Ibid.

³ Pierre Briant, op. cit, p 70.

⁴ J. E. Curtis & Nigel Tallis, op. cit, p 200.

بالرغم من انتشار العملة في الإمبراطورية، إلا أن الإصلاح النقدي لم يطل جميع المدن خارجها، حيث كانت المقايضة أكثر شيوعاً، رغم أن المزارعين في المناطق النائية من الإمبراطورية قد بدأوا في التداول بالنظام النقدي، تم تسجيل مقايضاتهم على ألواح من طين، والاحتفاظ بها كسجلات، وعليه يجني التجار أرباحاً طائلة من تبادل الأموال بالبضائع، حيث كان هناك ميزة خاصة في القيمة القياسية الثابتة للسلع من التبادل بالعملات المعدنية التي لديها وزن موحد خاصة في عرض السلع المحلية الخاصة بهم¹.

حيث توضح ألواح من بيرسيبوليس، والتي تعطي صورة حية للغاية عن الفترة الانتقالية التي تلت دخول نظام التعامل بالعملة النقدية، وهي عبارة عن سجلات لعمال كانوا يعملون على بناء قصر، تذكر أجورهم، والتي كانت عبارة عن لحوم، شعير، قمح ونبذ بدل النقود، وفي الوقت الذي ينسب على زيركسيس، كانوا لا يزالون يدفعون الثلثين من الأجر عيناً، والثلث نقداً، وفي وقت لاحق تم تخفيض الدفع العيني للثلث فقط، وهكذا استغرق الأمر حوالي نصف قرن ليحل العملة محل البضائع، لتصبح المعاملات نقدية تماماً، لتقوم بعده المشاريع لزيادة الطاقة الإنتاجية².

هذا وقد قامت المدن التجارية بسك العملة الخاصة بها وفقاً لقواعد الملك، وكانت المعيار في التبادل الموجود على المستوى المحلي³، سميت العملة التي ضربت في عهد داريوس الأول والتي نسبت له بالداريك Daric وكان المعدن النقيس، المعدن الأساسي والوحيد في سك هذه العملة، وقد استعملت العملات الذهبية والفضية في الأغراض العسكرية، السياسية والإدارية، في حين تم استخدام العملات النحاسية وغيرها من العملات المعدنية الأخرى والتي عدت من العملات الثمينة أيضاً، استخدمت في مختلف المجالات الاقتصادية والعملية، والنشاطات التجارية، كان الذهب معدناً نادراً، وقد سك الملك لنفسه عملته الذهبية الداريك، بينما تم تزويد الجنود والمرزقة بالقطع النقدية الفضية وغيرها من المعادن المختلفة، ولقد سمي جامع الضرائب باجيكارا *bajikara*، كما اختير المحاسبون المليون (هاماراكارس *hamarakaras*) ومن يعتنون بالكنوز الملكية باسم غانزابارا *ganzabaraz* وقد تم استخدام لوائح مراقبة استقرار الإقتصاد والسيطرة على مبادلات الأسواق، وبذلك توسعت

¹ - J. Poloos and Arthur Schlesinger, op. cit, p 58.

² - R. Ghirshman, op. cit, p 182.

³ - J. Poloos and Arthur Schlesinger, op. cit, p 58.

الأنشطة المصرفية لأول مرة في العالم القديم، وانتشرت أعداد المؤسسات المصرفية أشهرها البيوت المصرفية في ايغيبى (egibi) وموراشو (marashu) الناشطة في بابل، حيث تم التعاقد معهما من قبل الإمبراطورية لجمع الضرائب، وتسيير الإدارة المالية، وبالتالي نشأ بما يسمى بـ (إدارة العقود)، وبالرغم من الاقتصاد المزدهر والمستقر، إلا أن الفلاحين شهدوا عبر جميع أنحاء الإمبراطورية حياة صعبة، إذ هم من دفعوا أثقل الضرائب وتوفير العمالة، كما شاطرت معهم طبقة الحضر نفس المشقة، ولكن كانت لديهم ميزة التنقل، في حين حوَصر الفلاحون في الأرض تحت طبقة النبلاء الأرستقراطيين¹.



صورة (12) عملة الداريك الذهبية والسيغوس الفضية (480-500 ق م)²

لقد عانى الفلاحون من ضيم طبقة النبلاء الأرستقراطيين، بحيث أنهم لم يجدوا ما يأكلونه بسبب ضريبة الطاولة التي تذهب للبلاط الملكي مما أدى إلى التمرد³، غير أنهم قاموا بحمايتهم في نفس الوقت، كان هذا السلوك الخير نوعاً ما من طرف طبقة النبلاء الإقطاعيين نحو الفلاحين، بمثل مظهرها من مظاهر حياة الأراضي والمجتمع الزراعي الريفي في إيران القديمة، وحتى منتصف القرن الثاني، تم جمع الضرائب بكفاءة⁴.

2-3 شق الطرق:

2-3-1 الطريق البري:

كانت هناك العديد من العوامل مثل الهدوء السياسي النسبي الذي عم جميع أنحاء الشرق الأدنى بعد العقد العشرين من القرن السادس قبل الميلاد، والازدهار الاقتصادي والطرق البحرية الجيدة والصيانة المثالية للطرق التجارية القديمة وبناء طرق جديدة وأكثر استخدام واسع للمال، وإعادة تأسيس اتصالات مع ممثلين لمختلف الشعوب، وتعزيز التجارة الخارجية كما لم تسبقه لها أي دولة في

¹ - Ali Farazmand, op. cit, pp 41, 42.

² - J. E. Curtis & Nigel Tallis, op. cit, p 200.

³ - Plutarch, , Artaxerxes, 4. 1.

⁴ - Ali Farazmand, op. cit, p 42.

العالم القديم، وكانت العديد من الطرقات التي تربط هذه المناطق مفصولة وبعيدة عن بعضها بآلاف الكيلومترات¹.

كان العامل الأكثر أهمية بعد تنظيم الإدارة والساتريات، لضمان السلاسة والديناميكية، هو إنشاء بنية تحتية، حيث اعتمد الإخمينيون على نظام طرق قائم بالفعل، حيث كان موجودا في الأساس، والذي كان يربط آسيا الصغرى وآشور في وقت مبكر من الألفية الثانية قبل الميلاد، وقد قام الفرس الإخمينيون بمد هذا الطريق ليربط المدن الرئيسية بالساتريات والمراكز الملكية في جميع أنحاء الإمبراطورية الإخمينية، واهم هذه الطرق كانت الطرق الملكية²، كما كان داريوس أول ملك إخميني يسك العملة لأول مرة في تاريخ الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، كان أول ملك ينشئ خط طرق سمي بالطريق الملكي، حيث سمح هذا الطريق بالاتصال والحصول على تقارير عن الظروف والأحداث التي تجري في الجزء الغربي من الإمبراطورية³.

يوفر أرشيف الموجود في حفريات بيرسيبوليس أهم المعلومات التي تهتم بنظام الاتصال، عن طريق إنشاء الطرق، حيث تحتوي هذه المعلومات على العديد من الجوانب ذات الصلة، حيث تكشف أن الإمبراطورية أولا كانت مرتبطة معا عن طريق شبكة طرق، حيث توضح قضية المؤن والشحنات والوجهات التي أرسلت عبرها، حتى يمكننا أن نرى من خلالها أن الطرق تصل إلى الهند، أفغانستان، أريا، باكتريا، كارمانيا، ميديا، عيلام، ليديا، بابل، مصر والسهوب السورية، والحقيقة أنهم كانوا يراقبون المسافرين والوجهات التي يسافرون إليها ذهابا وإيابا من المناطق الشرقية والجنوبية الغربية للإمبراطورية، وهذا ما يوازن وصف هيروdotus للطريق الملكي من سارديس إلى سوسة، كما أنه هناك مخلفات أثرية من الطريق الذي وصفه هيروdotus، والذي كان يقع على طول الطريق الرئيسي المؤدي من سهل بلاد ما بين النهرين مارا ببيهستون إلى أكباتانا في ميديا، وتوجد بالإضافة إلى الوثائق الأرشيفية والآثار، وثائق من الفترة الهلينيستية المبكرة، إضافة لبعض المعلومات الأخرى عن امتداد نظام الطرق الفارسية في كاريا وفريجيا، نقطة أخرى مهمة تجدر الإشارة إليها أن كتسياس قد أنهى عمله حوالي سنة 360 ق م مع وصف للطرق ومحطات الطريق والمسافات من أفسوس في الغرب إلى

¹ - Muhammad A. Dandamaev and Vladimir G. Lukonin, op. cit, p 210.

² - Maria Brosius, The Persians, p 53.

³ - Gene Garthwaite, op. cit, p 35.

باكتريا في آسيا الوسطى، غير أنه ومع الأسف لم تنج هذه الشذرات من التلف، بالرغم من شق الطرق، إلا أن السيطرة الإخمينية قد تآكلت بحلول القرن الرابع قبل الميلاد، لذا يجب أن تكون شبكة الاتصالات الشاملة هذه موجودة في جميع المناطق التي تواجدت بها الإمبراطورية الفارسية الإخمينية¹.

يعتبر الطريق الملكي جزءاً من مجموع الطرق التي كانت موجودة في عهد الإمبراطورية الإخمينية، غير أنه كان أشهرها وأطولها، حيث يبلغ طوله حوالي 2400 كم من أفسس على الساحل الغربي لآسيا الصغرى إلى سارديس، ثم عبر بلاد ما بين النهرين على طول نهر دجلة، وعبر بيرسيبوليس وباسارغادة إلى سوسة، مع محطات بمرافق خدمات كانت تقع على طول كل 25-30 كم من الطريق المرصوف بالحجر، حيث بقيت بعض الأماكن محتفظة ببقايا سطح من الحجر على يومنا هذا².

لقد اهتم الفرس بتنظيم الطريق، حتى أنه كان هناك موظف خاص لتسيير شؤون الطريق، وهذا كمرقبة المسافرين، المبعوثين، أو مراقبة ساعي البريد، حيث كان هناك مختصون يأترون من طرف المسؤولين الرئيسيين الملقبين بـ استاندس (*astandes*) ذكر بهذه الاسم في المصادر الإغريقية)، هؤلاء قسموا حسب مهامهم الوظيفية، وهم مراقب الطريق (*Datimara*) ذكر عند هيرودوت باسم (*hodophylakai*)، مرافقي السفر (*barrišdama*)، قائد القافلة (*karabattiš*)، ثم تأتي النخبة "الرسول السريع" (*pirradaziš*) والمعروف عند المصادر الإغريقية باسم *aggaros* بمعنى السريع في السفر³.

تم قياس الطرق بالوحدة الفارسية باراسانغ (*parasang*) والتي تساوي من 5 إلى 6 كم، كانت محطات التوقف توفر الطعام والمأوى⁴، حيث بدأت إحدى هذه الطرق من ليديا، وامتدت عبر آسيا الصغرى واستمرت إلى بابل، ويمر طريق آخر من بلاد ما بين النهرين عبر الأراضي السابقة لآشور وأدت أيضا إلى آسيا الصغرى، كان هناك طريقان تجاريان قادمان من طرسوس اللبنانية في

Amélie Kuhrt, op. cit, p 370. -¹

Muhammad A. Dandamaev and Vladimir G. Lukonin, op. cit, p 210. -²

J. E. Curtis and Nigel Tallis, op. cit, p 213, Herodotus, B 8.98 -³

Maria Brosius, op. cit, p 45. -⁴

آسيا الصغرى، واحد عبر البوابة القيليقية في الشمال وينتهي إلى البحر الأسود، والثاني إلى الغرب على طول ساحل البحر، ومن خلال كرمان وضع طريق ساحلي من شمال البحر الأسود على طول السهوب الجنوبية الروسية عبر جبال الأورال وصولاً إلى سيبيريا، حيث يأتي الذهب من الدول الغربية الواقعة على هذا الطريق¹، تستغرق المدة التي تقضيها القوافل، أو تلك التي يستغرقها المسافرون من سوسة إلى سارديس سبعة أيام لمسافة 2700 كم، من خلال سرعة قصوى لحامل البريد بمعدل 360 كم في اليوم، غير Colburn² قام بتنقيح لمعلومات هيروdot، حيث قاسوا الوقت بسرعة ساعي البريد، لتستغرق 12 يوم لتغطية هذه المسافة بمعدل 225 كم في اليوم، غير أنها ليست عالية مثل رقم هيروdot، إلا أنها تشير بوضوح على سرعة الاتصال بين المدن³.

كانت هذه الطرق الملكية بمثابة محطة تموين، وراحة، مثل توفير الخيول الإضافية خاصة في وقت الحرب، كما مكنت الإمبراطورية من الاتصال والحركة السريعة، وكانت هذه الطرق أداة أساسية لتنامي الإمبراطورية، حيث تمكن الملك من البقاء على اتصال بجيشه المنتشر عبر مختلف المناطق ومع حكامه (نائبه)، وكان طول هذه الطرق يتيح الاطلاع على الحركية بشكل مباشر وسريع في المناطق التي ترعاها، إذ يساعد شق الطرق على الاتصال، ونقل البضائع، مما يجعل الحكم أسهل⁴، ورغم وجود الطريق الملكي من قبل، إلا أن داريوس أول ملك ربط القطاعات وحسن نوعية الطريق⁵، هذا وقد اهتم داريوس الأول بالطرق البحرية بقدر تلك البرية، حيث هناك طريق للقوافل التي تعبر جبال زاغروس التي تنضم إلى بابل ثم أكباتانا، لتستمر أبعد من ذلك، حيث كان لباكتريا وحدود الهند أهمية كبيرة، ليكون هناك طريق يمتد من خليج ايسوس على سينوب عبر آسيا الصغرى حيث تربط في

¹ - Muhammad A. Dandamaev and Vlamdimir G. Lukonin, op. cit, p 210.

² - Henry Colburn, Connectivity and Communication in the Achaemenid Empire, *Journal of the Economic and Social History of the Orient*, vol 56, 2013, p 46.

³ - Mark Altaweel and Andrea Squitieri, Revolutionizing a World, UCL Press, UK, 2018, p 175.

⁴ - Ibid, p 207.

⁵ - J. Poloos and Arthur Schlesinger, op. cit, p 43.

النهاية بحر إيجه إلى القوقاز والجزء الشمالي لغرب آسيا، وطريق عبر مكران يربط إيران بوادي السند¹.

2-3-2 القنوات المائية:

أما في الحامية المصرية، فقد أمر داريوس الأول بترميم القناة التي تمتد من النيل إلى السويس، مع العلم أن القناة قد بنيت قبل 100 عام من الحكم الفارسي الإخميني من قبل الفرعون نيخاو، غير أنها وفي وقت لاحق، لم تعد صالحة للملاحة، حيث ربط النيل بالبحر الأحمر عبر وادي توميلاات حيث كانت بعرض 45 متر، حيث كان الوصول من بوباستيس إلى البحر الأحمر، ولقد بنيت خمسة أعمدة من الغرانيت أو ألواح على ضفافها، والنقوش التي حفرت عليها، تنسب إلى داريوس والتي جاءت بالهيريوغليفية والمسمارية بثلاث لغات، ووفقا لأحد النقوش باللغة الهيريوغليفية، أرسل الملك بأمر منه السفن للتحقق من سلامة الملاحة في القناة، إذ ذكر أنه لا توجد مياه لمسافة 45 كم، وبهذا ربطت القناة مصر ببلاد فارس عبر طريق بحري، عبر البحر الأحمر، وبهذه الطريقة تم إنشاء طريق من مصر إلى الهند، وقد ذكر أنه تم إرسال أسطول يتكون من 24 مركبا محملة بلقيمة الضريبة المفروضة عليها عن طريق هذه القناة².

لقد كانت صيانة القناة التي أنشأها نيخاو، قد ساعدت في إنشاء نظام للري من القنوات الجوفية، مما ساعد في التنمية الاقتصادية والزراعية في واحات جنوب مصر، حيث انتشر الفن الإخميني بعيدا ما وراء حدود إيران نفسها، ويمكن تمييز نفوذ الإمبراطورية الفارسية الإخمينية في مصر، قبرص، سواحل البحر الأسود، ولا سيما بين السكيثيين³.

كما كانت لبابل حصة من القنوات المائية، حيث نشطت شبكة القنوات المائية بنظام متطور للغاية، على طول نهر الفرات، مخصصة في المقام الأول لزراعة الحبوب (الشعير على وجه الخصوص)، وكذلك منتج التمر، والباقي من الأراضي والتي كانت بورا أو أقل خصوبة، قد استعملت لرعي القطعان من الماشية، وكانت هذه الأراضي الأكثر وضوحا في الإيرادات، وهذا هو السبب في تقييم المحاصيل بشكل دائم، حيث كان لبابل تفويم زراعي خاص بها، ومن الممكن أن هذه العملية التقييمية

¹ Muhammad A. Dandamaev and Vladimir G. Lukonin, op. cit, p 210

² Muhammad A. Dandamaev and Vladimir G. Lukonin, op. cit, pp 210, 211.

³ R. Ghirshman, op. cit, p 203.

قد ارتبطت بحساب العشر كما كانت هناك العديد من القنوات، موجودة على نهر دجلة أيضا، إذ يذكر اكينوفون أن المرتزة الإغريق قد دمروا جسرا، واستقروا على الجزيرة بالقرب من نهر دجلة¹.

يعتقد أن القناة التي تواجدت في مصر، قد بنيت من طرف داريوس الأول، في النصف الأول من حكمه، وعلى أساس الاختلافات في كتابة اسم داريوس في النصوص المصرية، يظهر أن بناء القناة كان قد اكتمل في الثلث الأخير من فترة حكمه، واعتمادا على وثائق القصر التي توثق الإيرادات المختلفة إلى بيرسيبوليس، يعتقد أن بناء القناة قد انتهى بحلول سنة 499 ق م، كانت بعثة سكيلاكس البحار من كارياندا في آسيا الصغرى، مهمة جدا لتطوير العلاقات التجارية في السنة 518 ق م، حيث أمر داريوس الأول من هذا البحار التحقيق في مصب نهر السند، إن كانت هناك إمكانية إقامة روابط بحرية بين الهند والأراضي الأخرى للإمبراطورية، أبحر زورقه على طول نهر السند إلى المحيط، ثم أبحرت على طول السواحل الجنوبية لإيران، حيث تجولوا في شبه الجزيرة العربية للوصول إلى سواحل البحر الأحمر بعد ثلاثين شهرا، حيث كان لداريوس اهتمامات في تنمية التجارة، وبحر وحيد قد فقد أهميته في الفترة الإخمينية، كانت أور كم أقدم المدن الحضارية في العالم القديم، والتي كانت تقع على الطرق البحرية للمحيط الهندي وصولا إلى البحر الأبيض المتوسط، كانت على مدار قرون عديدة، قد لعبت دورا هاما في التجارة الدولية وخاصة مع الساميين الغربيين، في القرنين الثامن والسابع شهدت أور نهضة سياسية واقتصادية، كانت لا تزال مزدهرة حتى فترة قمبيز الثاني، غير أنه تم التخلي عنها بعد 400 ق م، ذلك أن دورة الفرات قد تغيرت بشكل حاد، بحيث أصبح نظام الري للمنطقة الحضرية عديم الفائدة، وملئت الموانئ بالرمل، وبذلك أصبح نقل البضائع أصعب إذ تحول من البحري إلى البري².

لقد فرضت الإمبراطورية الإخمينية ضريبة المستحقات على الموانئ، من خلال مسؤولين بالإضافة إلى مستحقات أخرى، كالعقارات والحقول، الحدائق، القطعان والمناجم، تم جمعها من قبل عملاء الحكومة في الخزائن الملكية، وقد ذهبت الضرائب التي تم جمعها لتغطية نفقات السلطة العليا،

¹ Pierre Briant, op. cit, pp 372, 373, Xenophon, Anb, 2.2.4 -

² Muhammad A. Dandamaev and Vladimir G. Lukonin, op. cit, p 211. -

الإدارة والجيش، ولم يكن لهؤلاء المسؤولين اهتمام في تنمية الاقتصاد المحلي، بقدر ما كانوا ينفقونها على بناء الطرقات والقنوات، والتي كانت لأغراض سياسية وعسكرية، أكثر منها اقتصادية¹.

4-2 التجارة في الإمبراطورية الإخمينية:

لقد تطورت التجارة في الإمبراطورية الإخمينية، وهذا راجع لسير نظامها الإداري الحسن، وكفاءة الموظفين الإداريين من خلال تعدد مهامهم، التي أعطتها الإمبراطورية حقها من الأهمية، وجعلت على كل جهاز سواء كان رئيسيا أو ثانويا، أو حتى محليا موظفا، مما سهل حركية الاقتصاد وجعله من الاقتصاديات الناجحة في العالم القديم.

1-4-2 التجارة الداخلية:

لقد عثر على العديد من الوثائق للمعاملات التجارية، والبضائع المتداولة في الإقامة الملكية لملوك الفرس الإخمينيين ببيرسیبوليس، وفي قصر داريوس الأول في سوسة، هذه الوثائق نقشت على ألواح طينية²، ولقد سيطرت الإمبراطورية الإخمينية على المنطقة من القرن السادس قبل الميلاد إلى القرن الرابع قبل الميلاد، أين استحوذت على الأراضي الخصبة، والتي قدمت فائضا كبيرا من المنتجات الزراعية، والتي عززت تجارتها³.

كانت بابل مركزا تجاريا للتجارة الداخلية، ورئيسيا في التجارة بين المقاطعات في آسيا الصغرى، وفينيقيا وفلسطين ومصر، هذا من ناحية، والأراضي الواقعة جنوب وشرق بلاد ما بين النهرين من جهة أخرى، قام التجار البابليون بشراء مختلف المنتجات من أصباغ، حديد، النحاس، القصدير والنبيد⁴، باستثناء الوثائق ببيرسیبوليس لا توجد معلومة تشير على التجار⁵.

¹ R. Ghirshman, op. cit, p 187.

² James M. Anderson, Daily Life through Trade : Buying and selling in World History, ABC-CLIO, USA, 2013, 25.

³ Michael Hann, Symbol, Pattern and summetry : The cultural Significance of Structure, Bloomsbury Publishing, GB, 2013, p 40.

⁴ A. L. Oppenheim, "Essay on Overland Trade in the First Millennium B.C.," *Journal of Cuneiform Studies*, vol 21, 1967, pp 240, 242.

⁵ Pierre Briant, op. cit, p 377.

بالنسبة لحركية التجارة الداخلية، ساعد ضرب العملة الإمبراطورية الإخمينية على خفة التعامل، حيث أعطيت القيمة النقدية في البضائع العينية، إذ يعطى واحد شيكل لكرة جرة نبيذ، ولكل حروف ثلاثة شيكل (14-17 غرام)، وقد كانت ألواح بابل التي ذكرت المهجرة وتنقل العناصر الفارسية نحو بابل والتي ازدادت بعد سنة 521 ق م، غير أنها لم تذكر أسماء فارسية فيها قبل هذه الفترة، حيث وصفت تدفقهم بالكبير، وهذا ما يمكن تفسيره بالغزو الحقيقي للناس المربوط بالمؤسسة الإدارية، وهذا لتنظيم ساترية بابل، بما فيهم موظفي المؤسسة القضائية، الجيش، المؤسسة الاقتصادية، مما جعل الإيرانيون يخرجون من عزلتهم في الهضبة إلى غرب آسيا¹.

2-4-2 التجارة الخارجية:

كانت التجارة البحرية الدولية في الإمبراطورية الإخمينية في يد التجار الفينيقيين في مدينة صيدا، صور، أرايوس وجبيل، هذه المدن التي تقع عند تقاطع ثلاث قارات، حيث تم تطوير الحرف في هذه المدن بصفة كبيرة، خاصة المنتجات التي كانت معدة للتصدير، حيث صنعت في تلك الفترة العديد من ورش الأصباغ خاصة فيما يتعلق بالصبغة الأرجوانية، والتي وصفت بالصبغة الأكثر جمالا في ذلك العالم، كما تم إنتاج الأطباق الزجاجية في فينيقيا والتي أعدت للتصدير، خاصة مع أن الفينيقيين هم من صنعوا الزجاج لأول مرة، حسب بليني وهذا غير صحيح، حيث يكتب هيروودوت عن إيصال أمفورا إلى مصر من فينيقيا، وهذه الرواية مدعومة مما وجد في المخلفات الأثرية التي عثر عليها، من العديد من الأباريق ذات النقوش الفينيقية، وتذكر بردية مكتوبة باللغة الآرامية مؤرخة في الفترة الإخمينية بتسليم كمية من النبيذ آت من صيدا إلى مصر، ووفقا إلى هيروودوت، فقد جلب الفينيقيون نبيذهم إلى بابل في أواني طينية، هذا وقد وجدت مستعمرات تجارية في قبرص، وعلى سبيل المثال فقد احتوت مدينة كيشون على عناصر فينيقية، كما يتحدث كتاب نحمايا (13:16) يتحدث عن تجار من صور، الذين عاشوا في يهوذا لفترة طويلة (سواء في القدس أو خارجها)².

لقد سمح الحكم اللين الذي اتبعته الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، بتحسين ملحوظ في مستويات المعيشة، وسمحت بالتوطين، وحتى أنها سمحت لتجار بحر إيجه والتجار الفينيقيين من التجول في البحار بحرية، والبحث عن الأرباح أين ما تواجدوا، حيث قدمت الموارد القادمة من

¹ R. Ghirshman, op. cit, p 187, 188.

² Muhammad A. Dandamaev and Vlamdimir G. Lukonin, op. cit, p 213.

التجارة والتعامل بالوحدة النقدية وحدة للإمبراطورية استمرت لآخر أيامها، وعليه كان داريوس أول من فتح التجارة الخارجية وساعد الإمبراطورية على ربط علاقات واسعة مع جميع بلدان العالم القديم، من خلال إنشاء خط بحري يربط إفريقيا بآسيا¹.

3-4-2 تجارة العبيد:

عرفت تجارة العبيد منذ القدم، إذ كانت من الاقتصاديات المربحة لمختلف مناطق العالم القديم، وقد اعتمد عليها خاصة في تنظيم شؤون البلاط الملكي في مختلف المجالات، كما استفادت منها الطبقة الأرستقراطية، وطبقة التجار.

من الألواح البابلية في بابل، هناك وثيقة من الأرشيف البابلي، تتحدث عن بيع ودفع ضريبة عن مجموعة من العبيد، ترجع لفترة حكم داريوس الثاني في 4 أبريل من سنة 417 ق م، غير أن جزءا كبيرا منها مفقود، باستثناء الذكر الواضح لاسم البائع، وهي امرأة تدعى أهاسونو (Ahassunu)، والتي باعت عبدا لشخص يدعى بيل-ايتيا-سيليم، حيث سيسلم كضريبة ملكية، من خلال مكتب الضرائب الملكي (شهود، كاتب، مكان، تاريخ)، وهناك لوح بابلي آخر من عهد أرتكسيركسس يعود لتاريخ ربما في 27 نوفمبر 455 ق م أو 24 نوفمبر 395 ق م أو 25 نوفمبر 349 ق م، يتحدث أيضا عن قضية العبيد، إذ تقول أنه قام زابودويا (Zabuduya)، ابن موشيزيب-إيلي (Mushezib-ili)، وبيل-شونو (Bel-shunu) ابن يازازو (Yazazu) ببيع عبدهم بمحض إرادته².

هذا وقد كتب على يد العبيد أي بمعنى الوشم، إذ تذكر الوثيقة البابلية من عهد أرتكسيركسيس أن العبد باتيريداتا (Patiridata)، الذي كان معصمه يحمل اسم نانا-أيدين مالكة السابق، وفي معصمه الآخر كتب اسم بائعه زابودويا، وعبد آخر باسم كيدينو-بيل (Kidinnu-Bel) وسنانيكو (Sananiqu)، واثنين من أبناء باتيريداتا المكتوب على معصميهما اسم بائعهما زابودويا، ما مجموعه ثلاث عبيد لباكاربي (Paqaribbi) ابن ايشيا (Abeshiya)

¹ Touraj Daryaee and Ali Mousavi and Khodadad Rezakhani, Excavating an - Empire : Achaemenid Persia in langue durée, Mazda Publishers, USA, 2014, pp 9, 8.

² Amélie Kuhrt, op. cit, 704.

بسعر واحد مينا أو مين (0,57 mina كغ) و 10 شيكل من الفضة الجيدة، وإذا ارتفع صوت أحد العبيد ، سيدفع كل من زابودويا وبل-شونو برضا لباكاربي تعويضا بحضور القضاة، لحيازتهم أشخاصا أحرارا، على أن يخدموا التاج الملكي، أو كعبيد لمعبد الرق لتمردهم، لمدة مائة يوم، وسيُنقل العبيد إلى مكتب الضرائب الملكي...¹.

كما ذكرنا فقد لعب العبيد دورا حيويا في المجال الاقتصادي، حيث يظهرون كحرفيين، ووكلاء، ومستأجرين وأصحاب منازل وأراضي، تجار وحتى مصرفيين، وكانوا يقترضون ويقترضون المال، ويشاركون في معاملات تجارية مع أشخاص من فئتهم الخاصة، وذلك مع أناس أحرار، وحتى مع أسيادهم، حيث كانوا يحملون الأختام الخاصة بهم، ووصل بالبعض أن يملك ختمه (أو صك ملكيته)، كما كان في العصر الآشوري المتأخر بحيث كان عبيدهم يسكنون في منازلهم الخاصة أو المستأجرة، مع عائلاتهم، بعيدا عن أملاك أسيادهم، حيث تذكر النقوش أن واحدا من العبيد قد استأجر منزلا لمدة أربع سنوات، وآخر استأجر وقد دفع ستة أشهر مقدما، الدفعة الأولى كان لزاما عليه أن يدفعها في بداية السنة، أما الدفعة الثانية فكانت في منتصف العام، وكثيرا ما يظهر العبيد كمؤجرين ومستأجرين للأراضي، كما هو الحال بالنسبة للوضعيات السابقة، حيث يتعاملون مع مالكي العقار المراد استئجاره أو تأجيره مباشرة بدون وساطة أسيادهم، حتى أن العبيد من فئة الإناث يشاركون في المعاملات الجارية².

لقد كان العبيد على قدر من المهارة المهنية، حيث وعلى امتداد الصناعة والتجارة الدولية في الفترات الكلدانية والفارسية واليونانية، أدت إلى زيادة عدد الحرفيين المهرة، بين عبيد وأحرار من بين سكان البلاد العاملين، في الحرف مثل النسيج، عاملي الجلود، قاطعي الأحجار الكريمة، الصباغين، صانعي المشد (قطعة خشبية تعلق على رقبة الحيوان لجر المحراث به)، وبالتالي سعى بعض ملاك العبيد إلى الاستفادة من الأجور المرتفعة المدفوعة للعمال المهرة، مما جعلهم يرسلون عبيدهم الأصغر سنا لتعلم أمور التجارة، هذا الإجراء عن التدريب المهني معروف من مجموعة من العقود الصغيرة التي تؤرخ للفترة الفارسية، ونجده في عهد قورش الثاني، تنص على أن العبد الشاب البقاء في منزل السيد الحرفي

¹ - Amélie Kuhrt, op. cit, pp 704, 705.

² - Isaac Mendelsohn, Slavery In the Ancient Near East, Greenwood Press, USA, 1949, pp 67, 68.

لمدة خمس سنوات، وهنا الحرفة المنوط به أن يتعلمها هي الحياكة، وكان على المالك تزويد العبد المدرب بالطعام والملابس خلال فترة تتلمذه في الأمور الصناعية، وإذا فشل الشاب في تعلم أمور التجار، فسيكلف بالقيام بأعمال أخرى على أن يدفع العبد مبلغا من المال لسيدته يوميا لإخفائه، وكانت أجور العبد أيضا معروفة في وثيقة من عهد قورش الثاني، أنه في حال نجح المدرب في تدريب العبد، سيقدم المالك أجرا أو مكافأة تتمثل في ثوب، وأربعة شيكل من الفضة، ووثيقة أخرى، تنص على أنه يجب على العبد البقاء مع سيده لمدة أربع سنوات لتعلم تجارة الأحجار الكريمة وكيفية قطعها، وإذا لم يعلمه الحرفي في الوقت المناسب وجب على هذا الأخير دفع 20 شيكل من الفضة الجيدة للمالك، وإن علمه في الوقت المحدد يتقدم له بمهدية، ومن المثير للإهتمام أن الحرفي كان واحدا من العبيد الذين يملكهم قميبيز الثاني¹.

هذا وبالرغم من وجود مصطلح المالك والمملوك، إلا أنه لم يكن هناك مفهوم قانوني للعبودية، حيث وكما ذكر، فقد كان جميع الرجال عبيدا للملك²، غير أن الفرس الإخمينيين، قد عانوا حياة العبيد خلال غزو الإسكندر المقدوني للإمبراطورية الفارسية الإخمينية، وكانت العاصمة بيرسيبوليس، من أكثر المدن التي أحصت الأسيرة العبيد الذين وقعوا في يد المقدونيين³، وبالنظر للامتيازات التي كان تتمتع بها فئة العبيد في الإمبراطورية الفارسية أثناء حكم قورش الثاني وقيبيز، لم نجد ما يدل على استمرارية معاملتهم بنفس المستوى، إذ تضاءلت حقوقهم واختفت امتيازاتهم، خاصة في عهد زيركسس أين نشطت الحركة التجارية أكثر وأكثر، حيث ازدهر سوق العبيد، وبالأخص في الفترة التي كان فيها هذا الملك يحضر إلى حملته (480-482 ق م)، حيث ظهر العبيد في شكلهم المعروف في القديم، وكانت هذه مشكلة مزمنة للإمبراطورية الفارسية الإخمينية⁴.

في قضية أن العبد في أصله حر، في الفترة الفارسية الإخمينية، هو أن النظام الضريبي الذي فرض على الشعوب الخاضعة، ومنهم يهودا وبابل، كان ثقيلًا على العائلات، مما اضطروا إلى رهن

¹ - Isaac Mendelsohn, op. cit, pp 114, 115.

² - Ilya Gershevitch, op. cit, p 281.

³ - Ali Mousavi, Persipolis : Discovery and afterlife of World Wonder, Walter de Gruyte, Germany, 2012, p 58.

⁴ - Ilya Gershevitch, op. cit, p 281.

أراضيهم، ويبيع أطفالهم في سوق النخاسة، ليصبحوا عبيدا بعد أن كانوا أحرارا، وهذا لتوفير المبالغ المناسبة من معدن الفضة، وهكذا كانت تجارة العبيد تملأ الخزانة بمختلف المعادن الثمينة، بسبب إدراج العبيد من ضمن الضرائب¹.

4-4-2 الأسواق:

يذكر هيرودوت أن الاقتصاد كان راكدا في الإمبراطورية الإخمينية، ولم تكن هناك أسواق في مختلف أنحاءها²، هنا نستشف صورة نمطية للكتابة الإغريقية، ونرى التحيز الذي لا طالما عهدناه في المؤرخين الإغريق، خاصة فيما يتعلق بتاريخ الفرس الإخمينيين، ومن الطبيعي أن يكون هناك تحيز، وحتى هجاء لما عاشه الإغريقيون من صراع مع الفرس الإخمينيين، فدحض مؤشر التجارة المتمثل في التعاملات التجارية ووجود الأسواق، هو تحيز صارخ من هيرودوت، ومبالغ فيه، فعلى سبيل المثال يجبرنا بعدم وجود أسواق، والتي هي بالتأكيد معلومة غير صحيحة، ربما كانت غير شائعة، على الأقل في الغرب، فاكسينوفون من الناجين العائدين، الذين كانوا في الحملة مع قورش الصغير ضد ارتكسيركسيس الثاني، يذكر أن الجيش كان قادرا على شراء مستلزماته من الأسواق التي أنشأها تيسافرنس³.

5-2 الزراعة:

باكتريا، مارغيانا، سوغديانا، أريا، اراخوسيا زخورزما، اعتمدت الإمبراطورية على هذه المناطق في اقتصادها الزراعي، وكانت هذه المناطق بدورها تعتمد في اقتصادها على الري الزراعي، غير أننا لن نتجاهل تربية الحيوانات والفنون والحرف اليدوية، وكذلك شبكة الرعي التي كانت جديدة ومستحدثة، حيث أن جزءا كبيرا منها يعود تاريخها إلى العصر البرونزي المتأخر في الألفية الأولى قبل الميلاد، حيث يمكن تمييز منطقتين للري، واحدة بمحاذاة أسفل اوكسوس (على الضفة اليسرى، من كالالي جير، وجوزلي جير وعلى الضفة اليمنى دينجيل چه Dingil'dže وكانغا كالا Kanga kala) وواحدة على طول الجزء السفلي من جاكسارتس (المنطقة المحيطة بـ بابيش مولا Babiš Mulla، وتشيريك

¹ Richard Stoneman, Xerxes : A Persian Life, Yale University Press, USA, -
2015, p 44.

² Herodotus, B1.154.

³ Richard Stoneman, op. cit, p 45.

رباط (Cirik Rabat)، في مرغيانا (مرجيانا) كانت واحة مرو Merv أما منطقة أرفالي وحاز تيبى كانت مروية، في اراخوزيا في قندهار، موندیغاك كانت مأهولة مثلها مثل دهان-أي-غولامان ونادي علي في درانغيانا، في باكتريا مجموعة دلتا للأنهار الواقعة في المناطق المنحدرة كانت أيضا محتلة من قبل التجمعات البشرية، وغيرها من المناطق التي كانت مأهولة وتحتوي على مناطق للري الزراعي، حيث كانت قنوات الري باتساع عشرة أمتار تحوي مياه ضحلة أي غير صالحة للشرب، كانت شبكات الري تتفرع من القناة الرئيسية مع قناة ثنائية ثم رباعية، تحدد مجموع الحقول¹.

غير أننا، لا نجد ذكرا للزراعة، في الكتاب المقدس الأفيستا، لم يذكر مصطلح الزراعة، أول على الأقل بشكل إيمائي في نصوص غاثاس Gāthās التي تصور المواشي، وفي الأفيستا الأصغر، يذكر الحرث، البذر، الحصاد، الحبوب والري... إلخ².

2-5-1 الزراعة والإنتاج الزراعي:

عرفت خورزمية منذ القرن السابع قبل الميلاد بتربيتها الماشية (أغنام وماعز)، خنازير، حمير، خيول وجمال، وكانت هذه التربية السائدة في تلك الفترة، غير أنها تضاءلت بحلول القرن الرابع قبل الميلاد تاركة الحصة الأكبر للغنم والماعز، هذه المعطيات لسنا بحاجة إلى تأكيدها من النصوص، بل إن الآثار الموجودة في جداريات العاصمة الإخمينية بيرسيبوليس تؤكد وجود الجمال والخيول من خورزمية، حيث لم تقتصر تربيتهم على الأراضي الخصبة والواسعة (المزروعة)، ولكن أيضا على السهوب الشاسعة غير المزروعة التي تفصل الواحات التي تم اجتيازها من قبل البدو الرحل، حيث يلقي الضوء على الآثار من بعض المقابر الخاصة بهؤلاء البدو من خورزمية إلى منغوليا للسقا المساجيتاي تيغراخوندا، يبدو أنها كانت تنشط في تربية الخيول وتربية الأغنام في المقام الأول، كما يبدو أن للسقا برادرايا نفس النظام الإقتصادي التي كانت تحوي مناطق تربية الحيوانات، ومناطق زراعية في السهول والوديان المتشابكة، بحيث من الصعب أن نرسم حدودا لمناطق النفوذ الإقتصادي تحدد هذه قبائل البدو الرحل³.

¹ John Boardman, op. cit, pp 183, 184.

² Ilya Gershevitch, op. cit, p 662.

³ John Boardman, op. cit, p 184.

في أجزائها الإيرانية، كانت الإمبراطورية الفارسية الإخمينية في عهد داريوس جغرافيا ومناخيا، مختلفة من حيث التقسيم الطبوغرافي والإقليمي لأراضيها، من حيث تطوير الزراعة والبنية التحتية، وكذلك السيطرة السياسية، لا يمكن النظر والتدقيق فيها إلا بعد المعرفة الجيدة بطبيعة إيران الجغرافية، حيث تحتوي على مرتفعات وسطى تتكون من أودية وأحواض مائية جزئية محاطة بنطاقات حدودية شمالا يتم تشكيل هذا النطاق من قبل جبال البرز، تنم عن الجغرافية الصعبة والغنية في نفس الوقت¹، من جهة أخرى، كانت أناتوليا مهدا للحضارات القديمة، قائمة بقرب البحر، كانت من المناطق التي قامت على الزراعة، على غرار حضارة بلاد ما بين النهرين الزراعية المتمثلة في بابل بحكم أنها تخضع للإمبراطورية الفارسية الإخمينية منذ غزو قورش الثاني لها².

إلى جانب التجارة والتبادل داخل حدود الإمبراطورية الإخمينية، يبدو أن جزءا من آسيا الوسطى في عهد الإخمينيين كانت على اتصال بقبائل السقا الذين كان لهم احتكاك مع الصين، ومن ناحية أخرى، يفترض أنه كان هناك تبادل عام من جهة الشمال خارج حدود الإمبراطورية التي تربط أوروبا وآسيا الوسطى، غير أن الإنتاج الاقتصادي لآسيا الوسطى لا يقارن بتلك الثروة الموجودة في الهند وبابل ومصر، ومع ذلك فإن التوازن الذي يبدو انه موجود بين استغلال الموارد الزراعية والمعدنية مدعوم بالتعداد السكاني لهذه المنطقة، أبقى عليها نشطة عسكريا خاصة في الاتصال بالجهة الأخرى والتي كانت مضطربة لوجود البدو في السهول، هذا الوضع خلق فائضا في الإنتاج، وإمكانات عسكرية، والتي لا يمكن أن يتجاهلها الإخمينيون في مقاصد تفيدهم، حيث يذكر هيرودوت مقطعا شهيرا يصف فيه هذا المؤرخ الملك العظيم وربحه الواسع من استغلال ري سهل خورزميا³.

كان اقتصاد بابل قائما على الزراعة لاثني عشر قرنا قبل الميلاد، وكانت الأوضاع التي مرت بها بابل، جراء الحروب الطويلة والمدمرة في الكثير من الأحيان، نقمة ونعمة في نفس الوقت، نقمة أنها بقيت تحت نير الاحتلال لمدة طويلة جدا، ونعمة بالنسبة للجانب الاقتصادي الزراعي، الأمر الذي ساعد على توسيع شبكة قنوات الري التي كانت قائمة أصلا في جميع أنحاء المناطق الريفية، مما ساعد على توسيع مساحة الأراضي القابلة للزراعة، على الرغم من أن المياه كانت من السلع باهظة الثمن

¹ - Josef Wiesehofer, op. cit, p 3.

² - Touraj Daryae and Ali Mousavi and Khodadad Rezakhani, op. cit, p 6.

³ - John Boardman, op. cit, pp 185, 186.

وكان من الصعب الحصول على عمل، وقد انتهجت بابل ومن جاء بعدها سياسة الترحيل التي اتبعتها المملكة الآشورية، توطين الكثير من الشعوب في بابل (وهذا يعكس سياسة الاستعمار الداخلي)، إذ أصبح هناك الكثير من المبادلات لعديد السلع، سواء داخل بابل أو خارجها، وقدمت القنوات بدورها وسيلة سهلة لنقل المنتجات الزراعية عن طريق القوارب، حيث عثر على العديد من الوثائق التي هي عبارة عن سجلات لشحنات من الشعير والتمور، وغيرها من شحنات المواد المختلفة، حيث تم تمويل هذه المبادلات من طرف بيت المال (بنك) لعائلة ايغيي، الذين استقبلوا الودائع وقدموا القروض، حيث نجحت هذه العائلة في تجارتها من المنتجات الزراعية¹.

بعدما ثبت الفرس الإخمينيون حكمهم وبنوا إقاماتهم الملكية، استقر السكان حول المباني الملكية ثم اتجهوا بعد ذلك إلى النشاط الزراعي، إذ رغم استقرارهم تحت سقف مبني، لم يتخل الفرس الإخمينيون عن حياة البدو والبداية، حتى أن المصادر الكلاسيكية لاحقاً، قد تحدثت بهذا الشأن، حيث تذكر أنه من الممكن تحديد العديد من المجموعات الثانوية التي تنتمي على العرقيات الفارسية، قد مارست حياة البدو بشكل محدود وقصير المدى إلى جانب الزراعة على الوديان، ومع ذلك لا يمكن الشك في التنمية التي شهدتها الإمبراطورية نتيجة سياسة واعية سنها الملوك وسمحت بانفجار الثروات المختلفة، ولقد كان الفارسيين مندمجين في التجارة مع البابليين خاصة مع بيت ايغيي، إذ عثر على العديد من الألواح الأسطوانية تحوي معاملات تجارية كان لأصحابها أسماء إيرانية².

لقد حصلت العديد من التغيرات حول نظام الأراضي في الشرق الأدنى، وكل الأراضي التي كانت صالحة للزراعة، كانت تقاس بعناية، وكان أفضل جزء منها يخصص للملك، المعابد، وبيوت المال (البنوك)، النخبة العسكرية، والمدنية وخدم الإدارة الملكية والمعبد، كان محصول الشعير من بين محاصيل الحبوب الأكثر شيوعاً في الإمبراطورية الإخمينية خاصة في كل من ساترية بابل، مصر، عيلام وبلاد فارس، بينما كان تداول القمح قليلاً، وغير أن هذا الأخير كان متوفراً وكان القاعدة الأساسية في الطعام عند الفلسطينيين، حيث نمت هناك العديد من المحاصيل، على غرار البازلاء والعدس والخردل، وفي بابل زرعوا الشعير، الدخن، السمسم، البازلاء، الخردل، الثوم والبصل، بينما الخضروات والفواكه فقد زرعوا الخيار، التفاح، الرمان والمشمش في بابل وعيلام، حيث كانوا يصنعون منها الخبز

¹ - Marc Van De Mierop, op. cit, pp 281, 282.

² - Pierre Briant, op. cit, p 88.

والنبيد والخل، العسل، والتي كانت أساسية في غذائهم، وجنبا إلى جنب مع الشعير، المنتجات الفرعية، مثل فروع النخيل واستخدام أليافها كعلف للماشية، وكذلك كجداول للأبواب وصنع الأساور وتصنيع الحبال، ونسج الأكياس، والحصير، وحتى الملابس، حيث بلغ متوسط العائد من زراعة النخيل وما تنتجه من تمر، واحد هكتار ينتج ما يقارب 7000 لتر^{1*}.

كانت كثافة الشعير ماثلة لإنتاج التمر، حيث كانت 112.5 أو 67.5 لتر لكل هكتار، وقد قدمت بابل أثناء موسم الحرت عائدا قدر بـ 1.575 لتر لكل هكتار، ولم تستخدم في ذلك أدوات حرت متعددة، إذ استعملوا ثيران في محراث واحد، هذا وقد كان العديد من بساتين الفواكه في سوريا، ليديا، وقيليقيا، بينما كانت فاكهة الكمثري والفستق تزرع في بلاد فارس، يؤكد هيرودوت في حديثه عن المنتجات الزراعية في بلاد فارس لم يكن ينمو فيها التين، كما لم ينم العنب في بابل، وهو الأمر الغير صحيح، إذ تذكر النصوص من إيران وبابل أن هذه المزروعات كانت موجودة والدليل على ذلك صنع النبيذ (إذ اشتهرت منطقة شيراز منذ العصور القديمة بمحورها)².

نرى تجسيدا للمنتجات الزراعية، وهو العرف الذي أيده ملوك الفرس الإخمينيين بعناية شديدة، وهو أنه عند توجه الملك إلى بيرسيبوليس، يجب على كل واحد من الأفراد أن يجلب هدية وفقا للمنطقة التي أتى منها، خاصة عند فئة العمال الذين يكدحون في خدمة الأرض كمزارعين، وما عليهم إلا أن يقدموا ما جادت به أرضهم، أو ما برعوا في تربيته من حيوانات (خاصة الثيران، الأغنام الحبوب وفي بعض الحالات النبيذ)، ولا يحتاجون لتقديم هدايا فاخرة، حيث اعتبرها الملك كهدية مقدمة إليه من المزارعين البسطاء، كل فرد يمسك بهديته، أما الأفراد الذين هم أكثر فقرا، فيقدمون الحليب، التمر، الجبن، كما يحضرون الفواكه الطازجة التي تزرع محليا³ وهذه كانت أيضا صورة عن المنتجات الزراعية التي كانت تجود بها بلاد فارس والمناطق المختلفة التابعة للإمبراطورية الإخمينية.

لقد صناعة الخمر في قيليقيا معروفة، فارس، أرمينيا وسوغديانا، بينما كانت البيرة في بابل تصنع من مادتين بسيطتين متوفرتين بكثرة، وهي الشعير والتمر، وقد كانوا يخمرون الشعير لصنع البيرة

* - ملاحظة: ربما يقصد الباحث بوحدة اللتر هنا، بأنها الكيلوغرام

¹ - Muhammad A. Dandamaev and Vladimir G. Lukonin, op. cit, p 130.

² - Ibid, pp 130, 131.

³ - Lloyd Llewellyn-Jones, op. cit, p 177.

في مصر، وهنا ذكر صانع الجعة المصري في الوثائق الأرشيفية لبيرسبوليس، كما درست الشعوب الغربية اليونانيين من الفرس كيفية زرع أشجار الليمون، حيث أطلق الإغريق على الليمون اسم التفاح الفارسي أو التفاح الميدي¹.

لقد كانت الإمبراطورية الإخمينية، تولي اهتماما للمعبد في ما يتعلق بالاقتصاد، إذ كان مركزا للحياة الاقتصادية هو الآخر، من حيث التبادلات التجارية، والتزويد بمختلف المنتجات سواء الزراعية أو غيرها من المنتجات، بالرغم من أنها فقدت الاحتكار في فترات زمنية لاحقة من عهد الإمبراطورية².

لقد أجريت الأشغال العامة في جميع أنحاء البلاد لزيادة الطاقة الإنتاجية، وكان من بين المشاريع التي تحدث عنها التاريخ لأهميتها، هي حفر القنوات الجوفية (*ghanats*) كما ذكرنا، وقد وقف الملوك الإخمينيون، على مهمة حفر القنوات الجوفية، والتي كانت ذات أهمية حيوية للاقتصاد على الهضبة الإيرانية والمناطق الأخرى التي كانت تجري فيها المياه في مجرى قصير مثل الصحراء السورية ومناطق آسيا الوسطى، كما تم إنشاء بحيرات اصطناعية إن صح التعبير (لتخزين المياه) وهذه الطريقة التي كان معمولا بها عند الإغريق³.

هناك تقاليد وتطورات ثقافية وجغرافية (مثل المستوطنات، البنية التحتية، أنظمة الري والمنتجات الزراعية)، يمكن أن نفهم من خلالها النظام الاجتماعي والاقتصادي داخل وخارج الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، لقد كانت ندرة المياه في تلك الفترة، تساعد على ظهور أنواع جديدة من النباتات واستحداث أنواع من المزروعات، من خلال إنشاء الري الصناعي في المناطق التي لم تكن صالحة للزراعة، فقد اقتضت الزراعة التي تعتمد على الأمطار في الجزء الشمالي الغربي للبلاد وعدد قليل من المناطق الصغيرة الخصبة في الجنوب وبشكل خاص في المناطق المتواجدة على بحر قزوين⁴.

توسعت الزراعة وازدهرت نتيجة الحروب التي خاضتها الإمبراطورية، وقد تأثر الغرب بما كان الفرس يزرعه من نباتات مختلفة، حيث ساعدهم ذلك على استخدام المزروعات بشكل أوسع، كما

¹ - Muhammad A. Dandamaev and Vlamdimir G. Lukonin, op. cit, p 131.

² - R. Ghirshman, op. cit, p 187.

³ - Ibid.

⁴ - Josef Wiesehofer, op. cit, pp 10 Tr, 4.

حثهم على تنويع الإنتاج الزراعي، خاصة نبات الفصه (نبات من فصيلة البقوليات) والتي نمت على ضفاف الوديان الميدية، وكانت تعتبر العلف المثالي للخيول، وقد دخل هذا النوع من النباتات إلى بلاد الإغريق، من خلال فرسان الإمبراطورية إذ رافقهم في حروبهم كعلف لخيولهم¹.

لقد اهتم الملوك الإخمينيون بزراعة مختلف الأشجار خاصة الفاكهة منها، وذلك لتعزيز الزراعة، وكذا لزينة الحدائق، خاصة الحدائق الملكية وقد اعتنى الملك بنفسه بتسيير هذه الحدائق والاعتناء بالنباتات، حيث يعتقد الملك أن هذه الجنان ستكون البذور الجيدة لجميع ما سيزرع في مختلف أراض الإمبراطورية، وقد حرص الملوك على أن يحضروا معهم كل الأنواع التي لا تنمو على أرض بلاد فارس، ومنها حدائق سارديس والتي وصفها أكسينوفون، والتي تخص الأمير قورش الصغير²، ربما يقصد الملوك الإخمينيون من الاعتناء بهذه الحدائق بأن تكون مشتملة لمختلف المزروعات، وكانت سياسة حكيمة من الملوك الإخمينيين في تنويع المحاصيل الزراعية.

لقد نقل الملوك تقليدا عن داريوس الأول يقضي بأمر موظفهم بجلب أنواع النباتات لمركز الإمبراطورية من أجل تعزيز الإنتاج وحرصا منهم على زراعة أشجار مختلفة الأنواع، وذلك من خلال مراسلة ملكية، هذه الرسالة الغربية التي بعثها للساتراب غاداتاس Gadatas وأمره فيها بأن يزرع النباتات والأشجار التي تنمو في الجهة الشرقية في كل من آسيا الصغرى قائلا: " أنا أشيد بأعمالك، لتحسين بلادني بزراعة أشجار الفاكهة التي تنمو في الجانب الآخر من الفرات في الجزء الآخر من آسيا"، لم تكن هذه الخطوة التي قام بها الساتراب بهدف كسب ثقة الملك أكثر منها أنها جزء من السياسة الاقتصادية للإمبراطورية، التي اتبعتها عمدا لنشر أنواع النباتات على أوسع نطاق، والتي من الممكن أن تحسن مستوى المعيشة في المناطق التي كانت تابعة للإمبراطورية³.

حيث يذكر المؤرخون أن الملك داريوس الأول، أمر بزراعة الكروم في المناطق المحيطة بسوريا، إذ أن الملك لم يشرب النبيذ إلا ذلك المستخرج من العنب⁴، وهكذا حرص الفرس على زرع هذا النوع من الكروم في دمشق، لما كان يحظى به من اهتمام في البلاط الملكي، وهم أول من أدخلوا زراعة

¹ - R. Ghirshman, op. cit, p 182.

² - Muhammad A. Dandamaev and Vlamdimir G. Lukonin, op. cit, p 144.

³ - R. Ghirshman, op. cit, p 182.

⁴ - Muhammad A. Dandamaev and Vlamdimir G. Lukonin, op. cit, p 144.

الفسق في حلب، في هذه الفترة، ظهر الجوز الذي اشتهرت به بونتوس اليونانية، كما استورد الفرس السمسم إلى مصر والأرز لبلاد ما بين النهرين، كما أولى الفرس اهتماما بالغابات ليس الاهتمام الفعلي، بل من ناحية التجارة والاستيراد، حيث اهتموا بخشب الأرز الذي كان ينمو في غابات لبنان وخاصة خشب الساج، هذان النوعان كانا مطلوبين في مشاريع البناء الملكية، وكانت الأحشاب تستخدم على نطاق واسع للمساكن، لصناعة القوارب، العربات الحربية، الأسلحة والآلات الحربية، حيث كانت كريت، وجزيرة قبرص، لبنان والهند من المراكز الأساسية لتجارة الخشب¹.

2-5-2 المنتجات الزراعية والحيوانية من خلال طاولة الملك:

أردت أن أوضح من خلال ذكر مكونات طاولة الأكل الملكية، مختلف المنتجات من خضر وفواكه، وأطعمة أخرى، إذن، لقد كانت طاولة الملك تتكون من العديد من الأطعمة، التي كانت تقدم إليه، وقد دأب الملك على مشاركة طعامه مع موظفي البلاط الملكي، واعتاد أن تحوي طاولته طعاما عاديا بحيث يتساوى هو ورعيته بأكل نفس الطعام، فكان يشارك الشراب أيضا مع من حوله، فكانت الوجبة الفاخرة توضع جنبا إلى جنب مع الوجبات البسيطة في مكوناتها، كما اعتاد أن يوزع جزءا من طعامه على مرافقيه، بحيث كان يكفيه ويكفي زملاءه وحتى الناس القريبين من القصر، وقد هدف من خلال مشاركته طعامه أن يظهر الود لمن حوله ولرعيته، حتى أنه شارك عبده طعامه الخاص، ووصل به الأمر أن أجلس إلى طاولته الخدم الخاص به، معتقدا أنه بهذه الطريقة سيولد انطبعا حسنا، "مثل ما يفعل مع الكلاب"، كان يرسل من مائدته لجميع أصدقائه، مولدا بذلك فكرة عند هؤلاء، بأن الملك خصهم وشرفهم من خلال مشاركتهم طعامه، وبأنهم ذوو حظوة عنده².

كما يتحدث المؤرخ الإغريقي أثيناوس من نوكراتيس نقلا عن المؤرخ هيراقليدس، عن أنواع الأطعمة التي يتناولها الملك هو من معه من مرافقين، في أحد الاحتفالات بما يسمى بعشاء الملك، وقد خصص لهذه المناسبة ميزانية اقتصادية دقيقة، بما في ذلك الخيول، الجمال، الثيران والحمر والغزلان، خلافا للأغنام والماعز، كانت هناك الطيور مثل النعام، الإوز والدجاج، حيث يتم تقديم جزء بسيط من الطعام إلى الحاضرين، على أن يأخذوا الباقي في اليوم الموالي، لكن غالبية اللحوم المطبوخة والخبز يتم تقديمه للحراس الشخصيين والقوات العسكرية التي تتواجد في البلاط الملكي، كما

¹ - R. Ghirshman, op. cit, pp 182, 183.

² - Xenophon, Cyr, B8. 2. 2-4.

يحصل الجنود المرتزقة الإغريق على الطعام أيضا مقسمة بالتساوي بينهم وبين باقي الجنود، ولقد تعدت الأضاحي 1000 أضحية¹.

يذكر نقش عثر عليه في عهد الإسكندر المقدوني في قصر الملك الفارسي، يسجل النفقات اليومية للأسرة في القصر، ليس له علاقة بالملك قورش الثاني، وإنما يرجع لفترة تلت حكم قورش بمدة طويلة، حيث يذكر ما قيمته 1000 أرتابا (1 أرتابا يساوي 30 لتر (كغ)) من دقيق القمح، 1000 من دقيق الشعير، 200 أرتابا من الشعير و 10 أرتابا من أجود الشعير، ولقد إنفاق الدقيق يوميا على العشاء في البلاط الملكي، إلى جانب غيره من المنتجات، أما القوات التي تحرس الملك، فقد استلمت يوميا 500 أرتابا من دقيق القمح، و 2000 من دقيق الشعير، 500 أرتابا من دقيق الحنطة، و 20 ألف من الشعير المخصص للعلف، وهذه تعتبر صورة عن العائلة الملكية من خلال دراسة وثائق بيرسيبوليس، من أجل الوقوف على دخل ونفقات الأسرة المالكة في مختلف المناطق الشاسعة في بلاد فارس وعيلام خلال سنة مالية واحدة، حيث تحوي النصوص المؤرخة في العام 22 من عهد داريوس الأول (500 ق م)، بيانات عن من أين ومتى ومن تم استلام أو أخذ المنتجات ولأي غرض يستعمل (كان الهدف من تسجيل كل هذه المعلومات إنشاء صندوق احتياطي، يتضمن مسألة الإعاشة للعاملين، والمرتبات لموظفي الخدمة المدنية، توفير العلف للماشية والدواجن وما إلى غير ذلك)، وكانت هذه صورة غير كاملة لعدم كفاية النصوص الاقتصادية².

2-6 الصناعة:

لقد اشتهرت الإمبراطورية الفارسية باختلاف مناطقها بالعديد من المعادن، التي كانت أساسية في الصناعة التي كانت من شأنها أن تعزز الاقتصاد الإخميني، وقد ساعدت التوسعات العسكرية التي قام بها قورش الثاني وصولا إلى زيركسيس الأول ابن داريوس الأول، إلى استغلال المعادن في العديد من الصناعات مثل الأسلحة، الأدوات المنزلية، البنيان وحتى صياغة الحلبي التي هي جزء من كنوز الإمبراطورية، وهي تمثل صورة عن الرفاهية الاقتصادية التي تمتع بها الفرس الإخمينيون.

¹ - Athenaeus, The Learned Banqueters : Books 3. 106e-5, Translated by S.

Douglas Olson, Harvard University Press, England, 2006, Book 4. 145.

² - Muhammad A. Dandamaev and Vlamdimir G. Lukonin, op. cit, pp 145, 146.

كانت الإمبراطورية الفارسية الإخمينية مكتفية من حيث المعادن، حيث توفرت الفضة، الحديد والنحاس في قبرص، كما كان النحاس والفضة موجودين في آسيا الصغرى، نفس هذه المعادن وجدت في فلسطين (أدوم)، كما توفر الحديد والنحاس في لبنان، وأعلى نهر دجلة والفرات، ولقد أعطت منطقة كرمان الذهب والفضة، ولوحظ أن منطقة سيستان تنتج القصدير، أما منطقة جنوب القوقاز فقد حوت الفضة والحديد، نفس المعادن أيضا جاءت من الشاطئ الجنوبي للبحر الأسود¹.

المعلومات عن الصناعة في العهد الفارسي الإخميني، بشكل مفصل قليلة ونادرة، إلا فيما يتعلق ببعض المعلومات عن التعدين والحرف المختلفة، صناعة الزجاج، صناعة الفخار، وصناعة الصوف والملابس، التي من الممكن أن تمنحنا تصورا ولو ضئيلا عن المجال الصناعي للإمبراطورية الإخمينية.

2-6-1 التعدين:

بدون المجموعة المكونة من المخلفات الأثرية والتي كشفت عنها الحفريات التي تمركزت في غرب إيران في المواقع التي تعود للقرنين السابع قبل الميلاد وبداية القرن السادس قبل الميلاد، لا يمكننا أن نستوعب مدى دقة الطابع الخاص بالمصنوعات التي تنتمي للفترة الميدية، والتي تعتبر نهايتها بداية الإمبراطورية الفارسية الإخمينية².

لقد كانت المعابد كما ذكرنا سابقا، تحتل مركزا هاما من ضمن المؤسسات الإدارية، حتى أنها كانت مركزا تجاريا، وعليه فقد ضمت هذه المعابد فئة العبيد التي كانت من الطبقة العاملة داخل الإمبراطورية، إلا أن الأحرار من السكان الفرس الإخمينيين والمناطق التابعة للسلطة المركزية، اضطر المعبد وملاك العبيد إلى استخدامهم كعمال أحرار في الصناعات اليدوية، والزراعة، خاصة أداء الأعمال الصعبة (الري، المشاريع، أعمال البناء، وما إلى ذلك)، إذ كانوا من العمالة الماهرة عملوا كناقشي المعادن، الصائغين، ومختلف الصناعات المعدنية³.

¹ - R. Ghirshman, op. cit, p 183.

² - Ilya Gershevitch, op. cit, p 856.

³ - Muhammad A. Dandamaev and Vlamdimir G. Lukonin, op. cit, p 157.

لم تحدد ورش صناعة المعادن داخل وخارج الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، فالمواقع الدقيقة للمصادر الخام، غير معروفة إلى حد كبير، كما لم تدرس تقنيات التصنيع، وما لدينا من قطع ثمينة هي اكتشافات وليدة الصدفة مبعثرة على نطاق واسع داخل وخارج الإمبراطورية، مما يصعب عملية التدقيق الزمني، وتحجب الثقافة المحلية للصناعات المعدنية، وعليه فقد تم تحديد الثقافة من خلال ما وجد من آثار مختلفة وكنوز ملكية، خاصة ما تركه الجيوش من خلال نشاطهم في منطقة معينة، ضمن متطلبات السلطة المركزية في الحرص على استتباب الأمن، حيث تعزل ورشات العمل وتحصرها، مثل تلك الورش التي وجدت في مناطق غرب الأناضول، حيث تبين العمل على المعادن خاصة معدن البرونز، وتبقي على التطور التدريجي للصناعة وصولاً إلى استخدام المعادن النفيسة، ولقد صنع من النحاس شفرات الأسلحة وكل ما يخص الأغراض الحربية، حتى أنهم استخدموا لأول مرة النحاس والزنك في صناعة السفن¹، هذا وقد بدأت الصناعة في التطور في المدن على الرغم من استمرار الإنتاج عن طريق الحرفيين العبيد في المناطق الكبيرة، ومن بين الصناعات الرائدة، والتي كانت مقتصرة على الاستهلاك من طرف الطبقة الغنية، صناعة الأواني الذهبية، الفضية والبرونزية، وبعض الأثاث حيث كانت استثماراً للدولة، غير أن جميع الفرس وخاصة النساء تزينوا بالحلي الثمينة².

جلبت الأوعية أو الأواني ويفترض أنها ثمينة أيضاً كهدايا، للملك وهو الشيء الملاحظ بالعين في النقوش الفارسية الإخمينية في بيرسيبوليس، وقد تكونت هذه الوفود من البابليين، الليديين، الآشوريين، الأيونيين، والباكتريون وهم يحملون نفس الشكل من الوعاء، أما الميديون والأيونيون والبارثين يحملون كؤوس طويلة نهايتها على شكل مزمار، الأرمينيون والليديون كانت أوانيهم أكثر تفصيلاً وهي عبارة عن أمفورات منتفخة الشكل³.

هناك القليل من ما يأتينا من مركز الصناعة للإمبراطورية الفارسية الإخمينية، وهي ساترية مصر، حيث يذكر نقش داريوس الأول في قصر سوسة، أنه أحضر الصناع المصريين والميديين لصياغة الذهب الذي

¹ - Ilya Gershevitch, op. cit, pp 856, 857.

² - R. Ghirshman, op. cit, p 184.

³ - Ilya Gershevitch, op. cit, p 860.

جلب من سارديس وباكتريا، حيث تواجدت معامل الصهر والأفران(البدائية) في مختلف أنحاء الإمبراطورية، حيث كان الحدادون أسياد تقنيات الحديد منذ وقت طويل¹.

هناك العديد من النصوص التي تسجل إحضار الذهب والفضة إلى بيرسيبوليس من أماكن متعددة، إحدى الوثائق تتحدث عن إيصال كمية من الذهب من مدينة ماتزيش (Matezzish)، وبالنسبة لوثيقة أخرى أرخت بسنة 500 ق م، تذكر أن أربعة رجال برئاسة المدير العام للخزينة الملكية التي شاركت في تسليم الفضة من سوسة إلى ماتزيش، ومن المحتمل أن تكون هذه الفضة ذاهبة إلى بيرسيبوليس، مع العلم أن الخزينة الملكية لم تكن في مركز الولاية فقط، بل تواجدت عدة خزائن في مختلف المناطق، وهذا ما يفسر وجود أنماط مختلفة من الصناعات المعدنية وخاصة فيما يتعلق بالحلي²، مما يذكره هيروdot، عن الجيش الفارسي الذي انهزم في معركة بلاتيه 479 ق م من ضمن سلسلة الحروب الفارسية الإخمينية، أنه عند سقوط جنود الفرس تناثرت أساورهم وقلائدhem، أقراطهم، بحيث أصبحت ساحة المعركة تضيء من شدة لمعان الذهب³.

2-6-2 صناعة الزجاج:

في التاريخ ومن خلال الحفريات، يتهيأ لنا أنه لا توجد دلائل على التواجد الفارسي الإخميني في نينوى، خاصة المحرقة التي قام بها الفرس، إلا أنه في مجمع القصر، وفي معبد نابو Nabu، وفي القصر الجنوبي الغربي، عثر في هذه المواقع على أواني فخارية، بعضها تائم، عصي برونزية ومصفاة برونزية مع رأس عجل في نهاية المقبض(العجل المشهور عند الفرس الإخمينيين)، وورشة لصناعة الزجاج⁴.

كان صناع الزجاج يشبهون الحدادين وصناع المعادن، حيث كانوا يضاھونهم مهارة، ولقد تم صنع الزجاج بصورة كثيفة في تركيا، وطوال الفترة الإخمينية كانت مصانع الزجاج متواجدة في سوريا وبلاد ما بين النهرين، حيث كانت تنتج زجاج ملون ومخرز، كما صنعت زجاجا شفافا مع قطع من الديكور تشير إلى نوعية فاخرة من الأدوات الزجاجية، عثر على شظايا هذه النوع من الزجاج في

¹ - Ilya Gershevitch, op. cit, p 861, 862.

² - Muhammad A. Dandamaev and Vladimir G. Lukonin, op. cit, p 208.

³ - Ilya Gershevitch, op. cit, p 857.

⁴ - J. E Curtis and Nigel Tallis, op. cit, p 40.

خرائب بيرسيبوليس¹، وقد حققت صناعة الزجاج، مستوى عال من الدقة، وهذا ما حواه متحف اللوفر من أوان زجاجية تعود لهذه الفترة، والتي حللها الباحثون وصنفوها بين زجاج وزليج، من مجموعات الشرق الأدنى القديم، كما يمكن إلقاء الضوء على اللقى التي عثر عليها في مصر، وفي بلاد الشام والتي تشبه تلك الموجودة في متحف اللوفر²، حيث على جرار مطعمة بالزجاج، تحوي رسومات فارسية، أثر لاحقاً على ثقافة المصريين، خاصة بعد احتلال الأسد جزءاً كبيراً من رسوماتهم³، بحيث أن الصناعات الزجاجية في مصر، فينيقيا وبابل كانت هي الأكثر تطوراً، وأدى هذا التطور والعائد من أموال هذه الصناعات، إلى كثافة وبناء المدن، كمدينة إدارية خاصة بالحرفيين ومراكز ثقافية⁴.

3-6-2 صناعة الفخار:

المعروف أن الأواني الفخارية، متعددة الاستعمالات، وصناعتها من أقدم الحرف في تاريخ البشرية، فهي للأكل، للشرب، الزينة وحتى الطقوس الدينية، وحتى أنها كانت تجسد الآلهة كما كانت تستعمل كدمى.

استندت الفنون والحرف الصناعية في آسيا الوسطى على استغلال العديد من المواد، منها الطين والحجر والمعادن، مع معالجة هذه المواد بطبيعة الحال، ولقد كان الطين من المواد المتوفرة في جميع مناطق الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، وكانت المادة التي صنع منها الفخار الإخميني، على نطاق واسع، بحيث تكررت أشكاله، وتقع الأفران الخاصة بشي الأواني الفخارية في كل من المناطق التي تقع في الواحات مثل مارغيانا وخورزمية⁵.

كما اشتهرت مصر، وبابل بصناعة الفخار، الذي كان موجهاً للإمبراطورية الفارسية الإخمينية، بحيث تختلف عن الإنتاج المحلي الخاص بالأسلوب الإخميني، ولكن سرعان ما لوحظ التأثير

¹ - Ilya Gershevitch, op. cit, p 863.

² - John Curtis and St John Simpson, p 409.

³ - John Boardman, op. cit, p 282.

⁴ - Muhammad A. Dandamaev and Vlamdimir G. Lukonin, op. cit, p 286.

⁵ - John Boardman, op. cit, p 185.

الإخميني على النمط المصري والبابلي، حيث يصنع الحرفيون على غرار الإخمينيين أواني تحوي رسومات كالأسد ذو القرون، الحصان، والماعز¹.

لقد كان الفخار متاحا لكلا الطبقتين، الطبقة الغنية، والطبقة الفقيرة، إلا أن الأواني والأدوات الفخارية كانت مقتصر على الطبقة الفقيرة من المجتمع الفارسي الإخميني²، ذلك أن المادة الأساسية لصناعة الفخار متاحة لدى جميع فئات المجتمع، ولم تكن عليها ضريبة، ولا حتى قيود تمنع من استهلاك هذه المادة، غير انه لا ضير إن قدمت كهديّة للسلطة الملكية العليا المجسدة في الملك، حيث تؤكد الحفريات لمقبرة بالقرب من باكتولوس من الفترة الليدية إلى الفارسية، عثر في قبر على هدية من فخار أتيكا وكورنثيا³.

2-6-4 صناعة النسيج:

لقد اشتهرت بابل في العهد الإخميني بصناعة الصوف والنسيج والملابس، حيث تميزت صناعة الملابس بنوعين، صناعة ملابس الطقوس الدينية، وصناعة ملابس الحياة اليومية، والملابس واحدة من الدراسات المهمة في التاريخ، وإن بدت تافهة للبعض الآخر، فهي مهمة من حيث الهوية الثقافية⁴، كما كان الإخمينيون، يبرعون في النسيج، وخاصة السجاد، حيث تظهر رسوم تعود للفترة الإخمينية راكب وحصان وفوق الحصان سجادة مرسومة بتفاصيلها، وهي محاكاة بطريقة العقدة، وجدت في جبال ألتاي في شرق سيبيريا، حيث تصور حصان مشابه لتلك الرسومات الموجودة في بيرسيبوليس، ولقد كان يعتقد أنها هدية من طرف الملوك الفرس الإخمينيين لشيوخ العشائر لتلك المنطقة، كنظام تبادل الهدايا، الذي يساعد على تدعيم العلاقات، مما سمح للفرس من الاستفادة بشكل كبير من القوة العاملة في المنطقة، مما يدل على أن السجاد كان يصنع محليا داخل الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، وكانت ورشة العمل في سوغديانا وباكتريا تتأثر بشكل كبير بنمط السجاد الإخميني⁵.

¹ - J. E Curtis and Nigel Tallis, op. cit, p 109.

² - R. Ghirshman, op. cit, p 184.

³ - John Boardman, op. cit, p 217.

⁴ - Catherine Breniquet and Cécile Michel, Wool Economy in The Ancient Near East and The Aegean: From the Beginnings of Sheeps Husbandry to Institutional Textile Industry, Oxbow Books, UK, 2014, p 453.

⁵ - Améli Kuhrt, op. cit, p 842.

بالإضافة للصناعة المحلية، وصلت الإمبراطورية الفارسية الإخمينية جزية، من مختلف المنتجات منها المنسوجات وعلى سبيل المثال منسوجات كورينثيا¹، حيث كان اللباس ينم عن مستوى الفرد الفارسي، وفيما يتعلق بالجنود فإن أمر بلبس ألبسة بسيطة وجرودوا من ملابسهم العسكرية، فقد قيمتهم وكان هذا بمثابة عقاب لهم، فالملابس تجعل للرجل قيمة على المستوى العملي².

يذكر هيراقليد في مؤلفه تاريخ الفرس، أن لباس الملك كان من قماش أبيض، حيث يذكر أنه لبس هذا اللباس أثناء إقامته عشاء ملكيا³، كما تذكر سجلات نبونائيد الملك البابلي الذي قام بإسقاطه من عرشه الملك قورش الثاني، الزي الذي لبسه قورش أو ابنه قمبيز الثاني سنة 538 ق م، وقد تم ذكر بعض ملابس الملك في الطقوس، حيث كان اللباس الموحد للملك في الواجبات الدينية لازما، حيث أتت السجلات على وصف الملابس بأنها من الكتان، وبأنها مطرزة، مصنوعة من الصوف المصنوع يدويا، منسوجة بطريقة الجديدة، وخلال بعض الاحتفالات تم ذكر زي ملكي يطلق عليه اسم túg-síg تترجم حرفيا ب الملابس الصوفية⁴، وعلى العموم، فقد كانت خاماة الصوف هي الخاماة البارزة في صناعة الملابس، سواء العادية، أو الملكية، وحتى الملابس المخصصة للطقوس الدينية، وكما اشتهرت الإمبراطورية الفارسية الإخمينية بالسجاد، الذي مازال علامة مسجلة باسم السجاد الإيراني الفاخر، بحكم أن السجاد كان صناعة محلية خاصة في فارس الإخمينية، فقد اختلف عن بقية السجاد.

إذن كان الاقتصاد الفارسي الإخميني مزدهرا، من خلال التوسعات العسكرية، لاحظنا كيف عززت الإمبراطورية الفارسية الإخمينية اقتصادها، بعد أن كان محصورا محليا، من خلال إنشاء الطريق الملكي، والذي يرجح أنه طريق الحرير، وسعت الإمبراطورية الفارسية الإخمينية تجارتها، وأوصلتها للعالمية، كما سمحت لمختلف المنتجات الأجنبية بالدخول لحاضرتها، وتدعيم أسواقها المحلية، وعليه كان للتوسع العسكري كل المساهمة في ازدهار الاقتصاد الفارسي الإخميني.

¹ - R. Ghirshman, op. cit, p 185.

² - Lloyd Llewellyn-Jones, op. cit, p 66.

³ - Amélie Kuhrt, op. cit, p 610.

⁴ - Catherine Breniquet and Cécile Michel, op. cit, p 455.

3- دراسة لاقتصاد أهم الساتريات:

3-1 الإقتصاد في بابل:

كانت إصلاحات داريوس الأول من شأنها أن أنشأت نظاما جديدا لضرائب الدولة، قبل داريوس الأول وتحت حكم قورش وقمبيز لم يكن هناك نظام ضرائب منظم بشكل صارم قائم على حساب الإمكانيات الإقتصادية لساتريات الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، وفقا لإصلاحات داريوس الأول، اضطرت جميع المارزبانان إلى دفع الضرائب بالفضة، حيث يتم تحديد المبلغ على أساس مساحة الأرض المزروعة وخصوبتها كما تم حسابها وفقا لمتوسط العائد العام، لهذا تم قياس الأرض بدقة وتصنيفها حسب المحاصيل، السؤال الذي يطرح نفسه: متى تم إدخال هذه الإصلاح؟ تم إدخاله في بداية حكم داريوس الأول، عندما قمع الثورات التي حدثت في الإمبراطورية الفارسية الإخمينية في الفترة ما بين 522 و521 ق م، غير أنه لم يجد الباحثون أي دليل آخر غير الذي ذكره هيرودوت في تأريخ إصلاحات هذا الملك، كما تم الحفاظ على المخططات الميدانية البابلية المتأخرة، والتي عادة ما يتم تصويرها على أنها مستطيلات أو مثلثات تحتوي على معلومات عن سعة البذور وعدد أشجار النخيل، والوضع القانوني للأرض والمباني المقامة في الحقول، غير أن شرحها لم يكن بالشيء المرضي لقريحة الباحث في التاريخ القديم¹.

بينما كانت دعوة قورش الثاني لحقوق الإنسان قبل وقته، وهو ما يدل على كيفية دخوله لبابل بشكل يكاد يكون خالي من أي سفك للدماء، كانت عبقرية داريوس موجودة في الإدارة والتجارة، قدم داريوس وسيلة قوية وفعالة للحكومة المركزية في تسيير الإدارة والتحكم في التجارة وفرض الضرائب بشكل ذكي، كانت من المفروض أن تستمر حتى سقوط الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، في عهده انتقلت الإمبراطورية من إطارها الآري إلى تقاليد الشرق القديم، وسعى إلى تدوين النظم القانونية لجميع الشعوب الخاضعة، وهذه الإصلاحات تفسر سبب استمرارية الإمبراطورية رغم إخفاقاتها العسكرية الصارخة أمام الإغريق، فكانت بابل متطورة حضاريا بقانونها الخاص ضمن مجموعة قوانين الإمبراطورية².

¹ - M. A. Dandamayev, op. cit, p 10. للمزيد أنظر: Herodotus, 3.89.

² - K. Ferrokh, op. cit, pp 59, 60.

كانت التمثيلات البيانية لسندات الضمان بالإمكان استخدامها لإعداد صكوك الضمان نفسها، وهي عبارة عن ألواح طينية منفصلة كانت ضرورية للتوثيق الكامل للضرائب، ومع ذلك لم تكن المعلومات كافية أو مقنعة بالشكل المرضي مرة أخرى، حيث أن المعلومات المتعلقة بالحدود والمساحة ترد في الوثائق الاقتصادية التي تسجل بيع الأراضي، إلى جانب ذلك كانت الأراضي قد بيعت قبل فترة طويلة من خضوع بابل للحكم الفارسي الإخميني، لكن هناك تخطيط يحتوي على عدد من الأشجار المثمرة، ونوع المحصول، وحالة الأرض المحروثة تظهر فقط في السنة الثالثة من حكم داريوس الأول، ويبدو أنها مرتبطة بإصلاحاته، وأن الألواح هي نفسها الوثائق التي تحوي المساحة، إذا كان الأمر كذلك يمكن تأريخ إصلاحات داريوس حوالي 519 ق م أي السنة الثالثة من ملكه، وهناك محفوظات لأدلة أخرى فيما يتعلق بتسجيل الأراضي على سبيل المثال وثيقة من أرشيف موراشو تمت صياغتها في نيور سنة 445 ق م فحوى هذه الوثيقة نزاع حول ملكية منزل: هذه الملكية ملك لي لقد كتبت لي في *kalamari* في السنة الثانية والعشرين من حكم داريوس، تم النظر في القضية أمام جميع المواطنين في نيور، وما هو موضح فإن كلمة كالاماري تعني تسجيل الملكية، وهي تظهر في النصوص العيلامية من بيرسيبوليس تحت اسم *karamaraš*¹، في نهاية ذكره لقضية الضريبة أو الجزية، يستثني هيروودوت ساترية فارس من دفع الضريبة، فهي لم تخضع للنظام الضريبي، حيث يقول: «البلاد التي لم أشر لها في دفع الضريبة هي فارس، فهي لا تدفع أيا منها»².

يأتي هذا الإعفاء من المكانة المرموقة التي تحتلها فارس بالنسبة للملك، والذي يخصها دائما بالمراسيم الملكية ومن السهل أن نرصد هذا الإستثناء الذي أورده هيروودوت حول ساترية فارس، من الممكن أن نحتوي هذا الطرح لو بقي بدون مقارنته بألواح بيرسيبوليس التي ودت لتؤكد أن هناك قيمة من الضرائب كانت تدفعها فارس والتي سجلت تفاصيلها على هذه الألواح، وهي عبارة عن تقييمات ملكية على منتجات زراعية وحيوانية، ووجود هذه المعلومات يشكك فيما جاء به المؤرخ الهاليكارناسي، لا يمكن إنكار التناقض الصارخ للمصدرين مؤلف هيروودوت ودليل الألواح، غير انه يبقى شيئاً ثانوياً كدليل قاطع، لا ننكر أن توجه هيروودوت سياسي ولا صلة له بالمعلومة الحقيقية منها أو الكاذبة، فأولا وقبل كل شيء كإثنية لم يتم تصنيف فارس ممن يدفعون الضرائب هذا لا يعني أنها

¹ M. A. Dandamayev, op. cit, p 11.

² Herodotus, B 3.97

غير خالية من الالتزامات اتجاه الملك وهذا الأمر من الممكن أن هيروودوت لم يكن على دراية به، لكنهم ليسوا ملزمين بدفع مبلغ ثابت والمبلغ السنوي المفصل والمحدد على أنه جزية¹. من المؤكد أن العديد من الساترييات قد أنشأها وحددها قورش الثاني ومن جاء بعده ونقصد به ابنه قمبيز، رغم صفة صفة الساتراب العسكرية إلا أن داريوس وضع قائد للقوات المسلحة بحيث تتمركز في المقاطعة مسؤولين بالتساوي في علاقتهما بالملك بصفة مباشرة بالإضافة ضم مسؤولاً ثالثاً إلى جانبهما يختص بجباية الضرائب بأمر المرسوم الملكي، حيث بلغت واردات الخزينة مجموع مبلغ قدر بـ 14500 طالنت من الفضة، وقد ساهمت ساترية الهند بما يقرب الثلث من هذا المجموع، بالإضافة للمعادن الثمينة والمستحقات المترتب دفعها من خيول ورؤوس الماشية والغذاء، إذ تساهم هذه الضرائب في تلبية حاجيات البلاط الملكي، تتضمن آلاف القطع من الأثاث وأغراض لصيانة الجهاز العسكري للجيش المتمركزة في الساترييات أو تلك المشاركة في الحملات، ووحده بابل قامت بتزويد الجيش بمؤونة الطعام لثلاث سنة كاملة².

تعد أرشيفات موراشو التي قدرت بـ 800 وثيقة، دليلاً للتغيرات التي أدخلتها الإدارة الإخمينية في إدارة الممتلكات في منطقة نيبور بساترية بابل، حيث تم تقسيم أراضي بابل إلى حصص وتوزيعها على المسؤولين الملكيين ومجموعة من الجنود الذين لم يحملوا صفة مزارع، حيث قامت هاتين الفئتين بتسليم أراضيهم للآخرين بما في ذلك عائلة موراشو لزراعتها والتي دفعت الضريبة لملاكها كصيغة عقد إيجار، وكذلك دفع الضريبة للخزينة الملكية، وقد قامت عائلة موراشو بدفع إيرادات الإيجار للملاك والضرائب للقصر ببيع المنتجات التي حصلوا عليها من استصلاح الأراضي³.

¹ - Pierre Briant, op. cit, pp 397-398.

² - Roman Ghirshman, op. cit, p 144.

³ - Francis Anthony Mirko Hay, Trade In Mesopotamia From the early Dynastic period to the early Achaemenid period with emphasis on the finance, of such trade, submitted in fulfilment of requirements for the degree of master of arts, Southe Africa, 2014, p 49

كانت بابل واحدة من أغنى الساتريات في الإمبراطورية الإخمينية، منذ بداية إصلاحات داريوس الأول دفعت ضرائب مالية قدرها 1000 طالنت (حوالي 300 طن) من الفضة سنويا كما دفع سكان بابل الجزية عينيا كالحبوب، الماشية مختلفة الأنواع والشراب، كان من الصعب تحديد قيمة هذه الاخيرة، كانت جزية مخصصة لدعم الحاميات والبلاط الملكي والساتريات وإدارة الدولة بمعنى أنها موجهة لجميع أجهزة الإمبراطورية الإخمينية، بالإضافة لضريبة السلع¹.

أُجرت الأراضي في عهد داريوس الثاني لجماعة موراشو بشرط أن يجمعوا الضرائب المتمثلة في واحد برميل من الخمر (البيرة) 2 وعاء ساتو من القمح والشعير، 2 ميناس من الفضة وكل الضرائب مكرسة للملك، بالرغم من أن الهدايا تخصص للملك والبلاط غلا انه تحسب على أنها ضريبة، ولها قيمة إلزامية².

بالنظر للكم الهائل والمتنوع من الضرائب في غرب آسيا الصغرى وعلى الرغم من السيورة الواضحة لهذا النظام في الفترة الإخمينية، من المستحيل القول بأن كل هذه الضرائب كانت متواجدة بالفعل في زمن داريوس الأول، غير أن هناك ما يؤكد وجود نوع آخر يضاف لبقية من الضرائب استحدثت في عهد أحد الملوك أرتكسيركسس الثاني أو الثالث وهي ضريبة العبيد والتي سجلتها الألواح، وهي سجلات وجدت في مكتب يعنى بالضرائب الملكية، ومن الواضح انه تم تحصيل ضريبة فيما يخص العبيد، وهذا الإجراء معمول به في عهد المملكة السلوقية ومن الواضح انه مُستمد من داريوس الأول، لكن الإخمينيون الهلستينيون يعتقدون أنه يعود للعهد السلوقي زمن الملوك العظام³.

3-1-1 ضريبة الداسموس *dasmos*:

وهي الضريبة التي تقدم للملك وهي تعتبر خارج نطاق الجزية، وعليه ربما فرض هذا النوع من المستحقات، حيث ركز هيرودوت على بابل وقيليقيا ومصر بخصوص هذه الضريبة⁴، بصرف النظر عن تناول هيرودوت أنواع المستحقات الضريبية في بابل كان حريصا على تسليط الضوء على ثروات بابل، ويشير بشكل أكثر وضوحا للجانب الاقتصادي للإمبراطورية الفارسية الإخمينية عن طريق

¹ - M. A. Dandamayev, op. cit, p 11.

² - Pierre Briant, op. cit, p 397.

³ - Ibid, p 400.

⁴ - Pierre Briant, op. cit, p 404.

ساترية بابل، تخطيا للجزية العادية، توفر بابل الإمدادات للملك نفسه وجهازه العسكري كما ذكرنا ويعدد هيرودوت المزايا التي حصل عليها الساتراب من حكمه في بابل من تمتعه بمزارع وإسطبلات خيول بعدد 800 فحل و 16000 فرس حاضنة والعديد من الكلاب الهندية لدرجة أن أربع قرى قد تم إعفائها من الرسوم بشرط إمدادهم بالطعام¹.

2-1-3 الجبايات العسكرية:

وهي جباية العامة مقابل الموارد العينية، واستقدام الأفراد للتعبة العامة ولم يكونوا بالضرورة جنودا في الأصل (من عامة الشعب غير عسكريين) بما يسمى بجند الملك، حيث يجب عليه الانطلاق في حال صدور الأمر بماله وسلاحه، بمعنى الجندي هو من يدفع رسوم أسلحته وإعالته².

سمحت الإيرادات الضريبية بتمويل مشاريع الري في المناطق الجافة وبالتالي تعزيز الزراعة وبذلك إحصاء الأراضي وتخطيطها، وفرض الضرائب وفقا لذلك، هذا الإصلاح الضريبي الشامل استوجب وجود بما يسمى شركة مصرفية تسهل التعامل المالي بمفهومنا الحالي وهو ما مثلته عائلة موراشو³.

3-1-3 النشاط الزراعي في بابل:

تظهر الأدلة الأثرية في معظم مناطق بلاد ما بين النهرين نشاط زراعي، حيث تمثل الفترتان البابلية الجديدة والإخمينية بداية مرحلة طويلة من النمو العام، وإعادة التوطين وزراعة الأراضي المتروكة منذ فترة طويلة، ففي القرن الخامس قبل الميلاد كان هناك الكثير من الأراضي غير المكلفة، مما أوجد منشآت جديدة وتقنيات أحدث، واستخدام أفضل المياه المتاحة، ووصلت لنا المعلومات عن التاريخ الاقتصادي لبابل خلال العهد الفارسي الإخميني في الجزء الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد، وهي معروفة لنا بشكل نسبي عن طريق أرشيف موراشو، وكانت أنشطة الشركة المصرفية مشروطة بالتغيرات التي أدخلها الفرس في السياسات الملكية في بابل، تم تقسيم الأرض إلى تجزئات وأعطيت للنبلاء الفرس، ومجموعة من الجنود والمسؤولين الذين لم يكونوا مزارعين في الأصل، وبالتالي سلموا أراضيهم

¹ - Herodotus, B 1.192.

² - Pierre Briant, op. cit, p 405.

³ - K. Farrokh, op. cit, p 65.

المملكة عن حديث إلى أشخاص آخرين لزراعتها، قامت عائلة موراشو بتأجير هذه التجرئات ودفع الإيجار لأصحابها بالإضافة إلى ضرائب الدولة المناسبة للخبز، ومع ذلك كانت الأرض عادة ما يتم تركها من قبل عائلة موراشو لمؤجر محلي الذي يملك ما يسهل عليه حراثة الأرض من حيوانات وري، ومن خلال عائلة موراشو كانت مدفوعات الإيجار منخفضة للغاية حوالي كور واحد (180 لتر) من الشعير لكل كور (13500 متر مربع) من مساحة الأرض أو أقل، شكلت الأرض المصدر الرئيسي للضرائب الملكية¹.

كانت الزراعة هي القطاع الأساسي للإنتاج في غالبية بلدان الشرق القديم، خلال الفترة الإخمينية حدثت تغييرات في نظام علاقة المالك بأرضه، حيث تم قياس جميع الأراضي المزروعة بدقة وكان الجزء الأفضل منها للملك والمعابد وبيوت الإدارة والنخبة العسكرية وموظفي الخدمة المدنية سواء الذين يشتغلون داخل الإدارة الملكية أو داخل المعابد، من بين محاصيل الحبوب في بابل ومصر وقيام وبلاد فارس كان الشعير هو الأكثر زرعاً، بينما ما يتم زرع الحنطة والقمح، كان هذا الأخير الغذاء الأساسي في فلسطين، قاموا بزراعة العدس البازلاء، الخردل، الثوم، الدخن، السمسم، البصل، الخضار والخيار، الفواكه بأنواعها التفاح والرمان والمشمش، التمر، إنتاج النبيذ، الخمر والعسل².

كانت أسعار المنتجات الزراعية خلال عهد قورش الثاني منخفضة لحد ما، لكن وبحلول سنة 540 ق م بدأت الأسعار بالارتفاع بشكل كبير نتيجة للضغط الحاصل إثر التضخم المالي، حيث توسع العرض النقدي بشكل كبير مما أدى إلى استنزاف المعروض السلعي، ففي الفترة ما بين 575 و530 ق م كان سعر الشعير 1.04 شيكل للكورو، بينما ارتفع السعر في القرن الخامس قبل الميلاد لـ 7.85 شيكل للكورو³.

¹ - M. A. Dandamayev, op. cit, pp 12-13.

² - M. A. Dandamayev & Vladimir G. Lukonin, The culture and social institutions of ancient Iran, p 130.

³ - Reinhard Pirngruber, op. cit, p 94.

زادت المساحة الإجمالية للأراضي التي تقع في نيبور، والمناطق المجاورة بابل وسيبار وأور ودلبات ومدن أخرى في بلاد ما بين النهرين، وكدليل على تأجير عائلة موراشو لهذه الأراضي، هناك عقد مؤرخ بسنة 420 ق م، قام أفراده بتأجير الحقول الملكية على طول ضفاف العديد من القنوات بالقرب من نيبور لمدة ثلاث سنوات، تعدوا بدفع إيجار سنوي قدر بـ 220 كور (39600 لتر) من الشعير و 20 كور (3600 لتر) من القمح، و 10 كور (1800 لتر) من الحنطة وما إلى ذلك، ويذكر انه في سنة 507 ق م قام مستأجران بدفع 9 كور (1600 لتر) من التمور كإيجار سنوي لبعض الأراضي ذات ملكية ملكية، وكان اسم أحدهما silim-bēl، امتلك الملك عددا كبيرا من القنوات المائية والتي أجرها مديروه بأسعار عالية، في نيبور استأجر أفراد موراشو القنوات الملكية وقاموا بدورهم بتأجيرها لملاك الأراضي الصغيرة، وهكذا في عام 439 ق م وقع سبع من ملاك الأراضي عقدا مع ثلاثة مستأجرين لقناة الملك من بينهم عائلة موراشو وبحسب هذا العقد يمكن لأصحاب الأراضي ري حقولهم لمدة ثلاثة أيام من كل شهر من القناة الملكية¹.

3-1-4 التجارة في بابل:

العديد من العوامل مثل الهدوء النسبي الذي ساد الشرق الأدنى بعد عشرينات القرن السادس قبل الميلاد والازدهار الاقتصادي والطرق البحرية الجيدة إثر التوسعات التي قام بها ملوك الفرس الإخمينيين، والصيانة النموذجية للطرق التجارية القديمة وإنشاء طرق جديدة أكثر، واستخدام الأموال على نطاق واسع وإعادة إقامة الاتصالات بين ممثلي مختلف الشعوب، أدى إلى تعزيز تنمية التجارة الدولية على نطاق لم يكن معروفا من قبل في الإمبراطورية الإخمينية، ربطت عدة طرق رئيسية للقوافل بالمقاطعات المنفصلة عن بعضها البعض بمئات الكيلومترات، بدأت إحدى هذه الطرق في ليديا وقطعت عبر آسيا الصغرى وصولا إلى بابل، ومر طريق آخر من بلاد ما بين النهرين عبر الأراضي السابقة لما كان في الأصل آشور الذي يصل آسيا الصغرى أيضا، هناك طريقان للتجارة يقودان من طرسوس في آسيا الصغرى أحدهما عبر بوابة قيليقيا نحو إلى الشمال تؤدي في النهاية للبحر الأسود، والثانية إلى الغرب على طول ساحل البحر ثم عبر كرمان، هذا وقد تم شق طريق من الساحل الشمالي للبحر الأسود على طول السهوب الروسية الجنوبية عبر جبال الأورال ثم إلى سيبيريا، حيث نقل

¹ M. A. Dandamayev, op. cit, p 13.

الذهب إلى الدول الغربية على طول هذا الطريق طريق القوافل الذي شق جبال زاغروس الذي ضم بابل بالعاصمة أكباتانا واستمر أبعد من ذلك إلى باكتريا ولا نستثني حدود الهند التي كانت لها أهمية ضمن هذه الطرق، وهناك طريق امتدت من خليج إيسوس إلى سينوب عبر آسيا الصغرى ربطت في نهاية المطاف بحر إيجه بمنطقة القوقاز والجزء الشمالي من غرب آسيا، وطريق عبر مكران ربط إيران بواد السند¹.

كان للتوسع التجاري أثر على التبادل وعليه قام داريوس بسك العملة الخاصة به تسهيلا للمعاملات التجارية، حيث قدم العملات الذهبية والفضية وسكها وفقا للمعيار الفارسي، وهو الأمر الذي شكل فارقا بينه وبين قورش الثاني، حرصا منه على استمرارية التجارة وجعلها أكثر سهولة خاصة على النطاق البحري²، ورغم ازدهار التجارة وزيادة نشاط التبادلات التجارية إلا أن المقايضة لم تختف، على سبيل المثال، السكان الذين تواجدوا بالضفة الشرقية لنهر الفرات قد جلبوا إلى بابل أحجار الرحي التي باعوها مقابل الطعام ليطعموا أنفسهم³.

3-2 إقتصاد منطقة الأناضول:

كباقي الساتريات خضعت منطقة الأناضول بجميع ساترياتها إلى النظام الضريبي الذي استحدثته الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، حيث كانت تدفع الجزية بمختلف أنواعها سواء سلع مادية أو معادن، بحيث وكما سبق وعلمنا أن الملك قد عين حكاما كرسوا لنقل الثروة من شعوب الإمبراطورية، غير أن الساتراب لم يرسل من طرف الملك لبعض الشعوب المتواجدة في قيليقيا وقبرص وبافلاغونيا⁴.

¹ M. A. Dandamayev & Vladimir G. Lukonin, The culture and social institutions of ancient Iran, p 210.

² Maeia Brosius, op. cit, p 20.

³ Xenophon, Anb 1.5.5.

⁴ Xenophon, Cyr 7.4.

بالنسبة للمعادن كمدفوعات مستحقة من ضمن الجزية السنوية المترتبة على بعض الساتريات التي تضمها منطقة الأناضول، هناك جدول يوضع هذه القيمة:

الشعوب	الوزن بالطالنت	الوزن بالكيلوغرام
أيونيا، أيوليس، كاريا، ليسيا، ميليان، بمفيليا	400	13.600
ميسيا، ليديا، اللاسونيون، الكاباليون، الهيتانيون	500	17.000
فريجيا الهللينستية، تراقيا، بافلاغونيا، المارياندينيون، السوريون	360	12.240
قيليقيا	360	12.240
باكتيسيا، أرمينيا	400	13.600

جدول (4) يوضح الجزية السنوية بالأناضول¹

عن الزراعة والمنتجات الزراعية تمتعت منطقة الأناضول بعدة محاصيل زراعية نذكر منها الفواكه في كل من ليديا وقيليقيا كالكمثري والفسق²، في حين أن هيروودوت قد وصف ليديا بالأرض الحجرية، وبأنهم لا يشربون النبيذ، فقط الماء، وحتى ليس لديهم التين ليأكلوه، وقد جاء وصفه لهذه الأرض ضمن ذكره لصراع قورش الثاني ضد الملك الليدي كرويسس³، حيث كانت صناعة النبيذ متطورة في كل من سوريا وقيليقيا وفارس وأرمينيا وسوغديانا وهذا ما يفسر توفر محصول جيد من العنب وهذا ما يدحض نظرية هيروودوت حول عدم توفر هذا النوع من المحاصيل، هذا وقد كانت فريجيا غنية بالثروة الحيوانية على غرار بابل ومصر، حيث قدم الفرس على موائدهم خلال الإحتفالات

¹ - Elspeth R. M Dusinnerre, op. cit, p 40.

² - M. A. Dandamayev & Vladimir G. Lukonin, The culture and social institutions of ancient Iran, p 133.

³ - Herodotus, B 1.71.

مائدة كاملة من الثيران المشوية والخيول والجمال، أين كانت اللحوم من الكماليات في معظم البلدان في حين تعتبر اللحوم في بلاد فارس من الضروريات¹.

3-2-1 المحاسبة في عهد الإمبراطورية الإخمينية:

توفر المحفوظات التي تعنى بالمحاسبة ونوع التعليم المفروض لتطبيق هكذا وظيفة، تم تدريب الكتبة على عملهم هذا، تذكر الشواهد التي تخص هذه الأرشيفات أن الفتيان الفارسيين نسخوا هذه النصوص مرتين على الأقل باللغة الفارسية بينما الآرامية كانت لها الحصة الأكبر من النصوص المسجلة في مختلف أرجاء الإمبراطورية، وكانت دسكيليوم الأفضل في تمثيل منطقة الأناضول من ناحية اللقى الأثرية التي تشير إلى وجود منظومة إدارية فارسية إخمينية هناك، رغم عدم تضمين نصوص حول المراسيم الإدارية، ومما سهل تحليل الأختام الموجودة في دسكيليوم وجود أختام شبيهة من بيرسيبوليس وهو ما جعل الدراسة في هذا المجال والفترة ممكنة، ومن ناحية النظام تعاملت دسكيليوم مع القضايا البيروقراطية والاقتصادية المحلية، واقترح أن أرشيفها قد تضمن نسخا من الوثائق المتعلقة بالأنشطة البيروقراطية الملكية والعرائض المرسلّة إلى الساتراب ومراسيمه بشأن القضايا المحلية، كانت المراسيم المختومة مرفقة في الأصل بهذه المستخرجات، مكتوبة على ورق البردي أو الرق، ومع هذا النظام المحاسباتي المفصل كان لا بد من وجود تدريب وإشراف مكثف، وهو ما يوضح وجود تعليم مكثف في مجال معين، فضلا عن اختيار الطلبة الكفوئين، ففي فريجيا تم التنقيب على أختام تحمل طابعا، ووجود هذه الأختام والأسطوانات، كان حاجة فريجيا لمثل لهذه الأختام لأغراض المحاسبة أو كجهاز ترخيص مرفق برسالة شفوية في ظل عدم وجود أرشفة².

يتحدث سترابون عن طبيعة المنطقة بالنسبة لحجمها طولها وعرضها المتساوين تقريبا، حيث إن الممر الأكبر اتساعا لميديا هو ذلك الممر الذي يؤدي إلى الطريق فوق جبال زاغروس، ويؤدي الطريق الذي يسمى البوابة الميديّة إلى بوابات قزوين عبر سيغريانا، حيث تتفق التقارير الخاصة بتقديم

¹ M. A. Dandamayev & Vladimir G. Lukonin, The culture and social institutions of ancient Iran, pp 130 ; 131

² Elspeth R. M Dusingere, op. cit, p 256.

الضريبة مع حجم وقوة البلاد بالنسبة لكبادوكيا كانت تدفع للإمبراطورية الفارسية الإخمينية سنويا بالإضافة إلى كمية الفضة المقدرة، قدمت 1500 وحصان 2000 بغل، 50000 من الضأن¹.

هناك أربع أنواع من الإدارة التي يمكن تمييزها إدارة ملكية، ساترية ومدنية، وإدارة خاصة، من بين هؤلاء النماذج كانت الإدارة الملكية أقواها، الإدارة الساترية الأكبر والأكثر تعقيدا، المدينة الأكثر تنوعا وسهولة، والأصغر والأكثر تذبذبا هي الإدارة الخاصة، من الواضح أن هذه الإدارات تشترك في العديد من الميزات، لكن يجب فحص الطبيعة المحددة لكل هذه الإدارات، لنبدأ بالإدارة الملكية لديها قوة مطلقة وكاملة ولها أربع اهتمامات: العملات البضائع الخارجة والسلع الواردة والنفقات، بالنسبة لمشكلة السك واستصدار العملة، هناك مشكلة في تحديد التواريخ بشكل دقيق وحتى نوع الإصدار، أما البضائع الخارجة والواردة وصولها للساتراب كإيراد وكيف ومتى يجب التصرف فيها بشكل جيد (طرحها في السوق)، فيما يتعلق بالنفقات، ما الذي يجب إزالته ومتى، ثم ما إذا كان أنواع يجب موازنة التكلفة بعملات مسكوكة أو سلعا بدلا من ذلك، بالنسبة للساتراب يتعلق الأمر بستة من الدخل: من الأرض، من المنتجات الخاصة بمنطقة معينة، من التجارة، من الرسوم، من القطعان الحيوانية ومن أشياء أخرى، من بين هذه الدخل الناتج من الأرض هو الأهم *ekphorion* وأحيانا باسم *dekate*، والثاني هو ما يميز منطقة ما ربما يكون ذهبا أو فضة أو نحاس أو أيا كان نوع الإنتاج، والثالث ما يأتي من المحطات التجارية، والرابع من المستحقات المفروضة على الأراضي والأسواق، الخامس يأتي من القطعان تسمى *epikarpia* ' والسادس من الأفراد المعروفة باسم ضريبة الاقتراع أو ضريبة الحرفيين، من المفروض أن يكون هناك نوع ما موجود في السنوات الأولى من الإمبراطورية ولكن يبدو من المرجح أن داريوس أعاد تنظيمه وربما شدد في الإجراءات².

حرص داريوس الأول على السداد المنتظم، ويبدو أن قوائم الجزية التي قدمها هيروودوت، توفر بشكل عام تقييما دقيقا للمدفوعات المفروضة على مقاطعات مختلفة من الإمبراطورية، النقوش الموجودة في أبادانا خير دليل على جزء من الهدايا المتمثلة في سلع بمختلف أشكالها ومحتوياتها، ووفود ترافقها حيول، على سبيل المثال قد يشير المصطلحان *ekphorion dekate* إلى نظامين مختلفين لحساب الإيرادات، الأول في إشارة إلى المعدل التي تحدده السلطة على أساس الإنتاجية الزراعية

¹ - Strabo, B 11.13.8

² - Elspeth R. M Dusingere, op. cit, p 38.

المقدرة ويتم فرض الأخير كعشر على المحصول الفعلي، هناك نقش يدعى نقش Mnesimachus المحفور على جدار معبد أرتيميس في سارديس يعود إلى الفترة الهلنستية المبكرة وربما يشير إلى ملكية الأراضي الإخمينية، تشير إلى أنه تم تحصيل الجزية السنوية بمعدل 12/1 على أساس وحدة مالية تقدر بقطعة من الذهب لكل باراسانغ (parasang) وحدة طول مرتبطة بالمسافة المقطوعة خلال فترة زمنية معينة وربما تساوي تقريبا ثلاثة أميال)¹.

3-2-2 التجارة في الأناضول:

كانت العملة العالمية إن صح التعبير أحد الجوانب الأكثر ديمومة في عهد الإمبراطورية الفارسية منذ سكها في عهد داريوس الأول، بحيث كان ملكا قد سعى لتحقيق كل شيء، فكان الهدف من سك العملة هو توحيد التجارة عبر القارات، ومنه توحيد مختلف ثقافات الشعوب ولغاتها وعاداتها، أدى استحواذ قورش الثاني على ليديا، بابل، آشور إلى زيادة واسعة في خزينة الإمبراطوري، وكان هناك منتجات و سلع أخرى وحتى في القوى العاملة، والثروة الحيوانية والأخشاب والمعادن والسلع الثمينة الأخرى، من الممكن أن قورش قد تأثر بعملة خصمه كرويسس وكانت الممهد لسلك هكذا طريق، إذ يؤكد التاريخ أنه الملك الليدي أول من سك العملة بمعديها الذهبي والفضي، يتجه بعض الباحثين أن صاحب فكرة سك العملة في الإمبراطورية الفارسية الإخمينية لم يكن داريوس الأول بل كان قورش الثاني بحكم احتكاكه بالنظام المالي الذي قامت عليه المملكة الليدية، ومع ذلك فداريوس هو أول من طبق رسميا نظام العملات باعتباره نظاما قياسيا عبر ربوع الإمبراطورية².

كان الداريك دفعة كبيرة لحركة الأعمال التجارية الداخلية والخارجية زمن الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، وقد تم فعلا إنشاء الطريق الملكي لهذا الغرض، والنظام البريدي والشحن التجاري الذي تميزت به فينيقيا، مما أدى إلى زيادة وارتفاع في القطاع الخاص، خاصة السلع المصنعة، بدءا بالمنسوجات والسجاد، الفواكه المجففة، والملابس والأشغال والحلي المعدنية، ومختلف الأدوات اليومية، مما خلق عنصر تدفق بين آسيا والشرق الأدنى وإفريقيا وأوروبا، ليتم خلق تجارة حرة واقتصاد السوق

¹ - Elspeth R. M Dusingere, op. cit, p 39.

² - Kaveh Farrokh, op. cit, 65.

المشتركة، من خلال تقليص المعاملات التجارية التي كانت تجري عن طريق مقايضة السلع، وأصبح هناك قاسم مشترك أساسه النقود¹.

ذكر هيرودوت للطرق التي قام بإنشائها بمنطقة الأناضول والتي كانت بهدف تسهيل التنقل القوافل التجارية والعسكرية على حد سواء رغم أنه جاء بإسهاب، إلا أن وصفه لهذه يعتبر عقيماً لدرجة أننا لا نستطيع وضع مخطط دقيق على خريطة نموذجية في حال ما أردنا أن نجسد الطرق بمختلف أغراضها التي قام بإنشائها داريوس الأول ربما كان التشويه الذي قام به المؤرخ الهاليكارناسي في أسماء المناطق ومواقعها هو ما جعل العملية مستحيلة على أرض الواقع².

كانت هذه الشبكة معنية بالطرق الملكية فقط، في حين تم تجاهل العديد من مسارات الرحلات الأخرى، التي غالباً ما تكون أقصر بكثير من تلك الأولى، وغالباً ما تتبع الطرق الجبلية أو الصحراوية، حيث تتضح هذه الأخيرة من خلال الحملات التي قام بها الفرس الإخمينيون، على سبيل المثال الطريق بين ميليتوس وسارديس ساعدت الأيونيين من شن هجوم مفاجئ على العاصمة الإخمينية في آسيا الصغرى بمساعدة مرشدين من افسوس أواخر القرن الخامس قبل الميلاد، أعيد استخدام هذا الطريق بعد قرن من الزمن من قبل الساتراب تيسافارنس، عندما حاول اعتراض جيش القائد الإسبرطي أجيسيلوس العائد من سارديس إلى إفسوس عبر الطريق الرئيسي الذي عبر ممر كارابال³، هذا وقد قيم المؤرخ الفرنسي بيير براينت مجموع الطرق الملكية للإمبراطورية الفارسية التي تربط مناطق الأناضول ببعضها البعض أو تلك التي تسهل الديناميكية في التنقل بين ساتريات الإمبراطورية الإخمينية ولخصها في جدول من وإلى وعبر، وحدة قياس الباراسانغ وعدد مرات التوقف "مرة واحدة".

¹ - Kaveh Farrokh, op. cit, 65.

² - Herodotus, B 5.52-53.

³ - Pierre Briant, op. cit, 360.

التوقف	الباراسانغ	عبر	إلى	من
3	22	ميندر	ليديا	سارديس
1	8	كولوسيا	فريجيا	
3	3	سيلينيا	فريجيا	كولوسيا
2	10	بلتيا	فريجيا	سيلينيا
2	12	سيرامون - أغورا	فريجيا	بلتيا
5	30	غايسترو - بيديون		سيرامون - أغورا
2	10	ثمريوم	فريجيا	غايسترو - بيديون
2	10	تيرايوم	فريجيا	ثمريوم
3	20	ايكونيوم	ليكايونيا	تيرايوم
4	25	دانا	كبادوكيا	ايكونيوم
4	25	بوابة قيليقيا	قيليقيا	دانا
1	10	نهر ساروس	قيليقيا	بوابة قيليقيا
1	5	نهر بيراموس	قيليقيا	نهر ساروس
2	15	ايسوس	قيليقيا	نهر بيراموس
1	5	بوابة سوريا	قيليقيا	ايسوس

جدول (5) الطرق التي تربط منطقة الأناضول¹¹ Pierre Briant, op. cit, p 359.

غالباً ما تكون المناطق الساحلية صخرية أو عبارة عن مستنقعات قريبة من البحر، لدرجة أن الطرق التجارية تكاد تكون منعدمة أو يصعب الوصول إليها بالكامل، يستغرق الوصول لمناطق التبادل التجاري عدة أشهر، وتشهد على ذلك العديد من الأحداث التاريخية في آسيا الصغرى سنة 395-396 ق م عندما تفاوض القائد الإسبرطي أجيسيلوس بين عائلة أوتيس الحاكمة بشأن الزواج من ابنة أحد النبلاء الفرس يدعى سيثيريداتس، كانت تعيش آنذاك في سيزيكوس وهو ميناء على بحر مرمرة، كان من المستحيل إحضار الأميرة برا قبل الربيع بسبب البرد والثلج، كانت عائلة أوتيس على عجلة من أمرها، وما كان من أجيسيلوس إلا أن يطرح فكرة استقدامها عن طريق البحر حيث قام بتجهيز سفينة تريم ثلاثية الطوابق وأمر اللاكيديمونيين بالإبحار لجلب الفتاة¹، كما كانت هناك مشكلة في نقل البضائع الثقيلة أو إنزالها، من المناطق التي تبعد عن ساحل البحر، لم يكن هناك بديل آخر سوى استخدام مستنقعات ساحلية وعبور الشواطئ الصخرية حتى يتمكن التجار أو المسافرون من الوصول إلى مصب نهر آخر، انتشرت العملة المعدنية الإغريقية التي ظهر إله النهر وغالباً ما كان القوس في المؤخرة أو الدفة، في شمال آسيا الصغرى كانت انهار Hippius، Iris، Sangarius، Lycus، Rhyndacus، Halys، صالحة للملاحة، كانت هذه طرق شحن الأخشاب المقطوعة على طول روافدها العليا².

3-3 الإقتصاد ونظام الجزية في مصر:

كما سبق وأن عرفنا أن الأراضي ذات التربة الخصبة والمنتجة تعود للملك والنبلاء الفرس الإخمينيين، حيث كان الشعير من أكثر المحاصيل التي تزرع في مصر، مع وجود ندرة في القمح لعدم الاهتمام بزراعته، كما كانت تزرع مختلف أنواع الخضر والفواكه، كانت تتمتع هذه الساتيرية بفن صناعة البيرة من الشعير، حيث توجد إشارة لصانعي البيرة من مصر في مخلفات قصر بيرسيبوليس³.

إن تزايد الجزية هو سمة متكررة للإمبراطوريات القديمة وهذا ينطبق على الإخمينيين أيضاً، في مصر دفعت بما في ذلك قورينا وبرقا 700 طالنت سنويا كجزية، بالمقارنة مع الجزية التي كانت تدفع في عهد الإمارة البطلمية والتي قدرت بـ 12.000 طالنت، فإن هذا المبلغ متواضع لحد ما، لكن في

¹ - Pierre, Briant, op. cit, p 378. Xen, Hell 4.4-45. أنظر:

² - Pierre, Briant, op. cit, P 379.

³ - Ibid, 130, 131.

الوقت نفسه غيرت مطالب الإمبراطورية الإخمينية الاقتصاد المصري في بعض النواحي والتي تعتبر أساسية، بعد الحكم الفارسي الإخميني تم إدخال العملة المعدنية في مصر لأول مرة، جاءت العملات السابقة بشكل دقيق من بلاد الإغريق، وتم استيراد جزء كبير منها لتلبية المستحقات المترتبة عنها كجزية على وده التحديد، كانت أثينا هي المورد الرئيسي للعملات المعدنية في مصر خاصة عملة تترادارخا في هذا الوقت في ذروة قوتها في القرن الخامس قبل الميلاد، حيث كانت أثينا بحاجة إلى الجوب وبالتالي تبادل العملات المعدنية مقابل الجوب، وبحلول منتصف هذا القرن كانت هي الأكثر شيوعاً في مصر¹.

كانت ساترية مصر تدفع ما قيمته 120.000 ميديمنوس (52,53 لتر) من الخبز للحاميات المنتشرة بأحاء البلاد، ما يمكن رؤيته من البرديات الآرامية أن سكان الجنوب المصري، أنهم كانوا ملزومين بتزويد الحامية الفارسية في جزيرة ألفونتين بالمؤونة، هناك إيصال يعود لسنة 484 ق م وجد في حالة جيدة من الحفظ، تشير إلى تلقي شخصين ما وزنه 55 مقياس من الشعير والفاصولياء لـ 200 جندي موجود في حامية ألفنتين².

هيرودوت الذي كان مفتونا بقوارب الفرات، كان له ذكر لمثيلتها في مصر، وهو ما توضحه بردية باللغة الآرامية عبارة عن قضية إصلاح قارب تابع للإدارة الفارسية، ونظراً لذكر أن القارب يخص جهة معينة، يعني وجود فقر مدقع في تلك الفترة، خاصة وأن النيل يعتبر شريان الملاحة المصرية³، حيث كانت هناك أعمال حفر لقنوات مائية على كامل أرض ممفيس إلى البحر وأخرى لمياه الأنهار، كان الهدف منها أن يقوم الناس بحصد محاصيلهم بسرعة وبسهولة، ومن خلال الاتصال المستمر بين الفلاحين، يمكن أن تتمتع كل مقاطعة بمعيشة سهلة ومنتوج وافر مع كل الأشياء التي تخدم متعة الفرد المصري، لكن أفضل نتيجة لشق القنوات المائية، أن جعلت لهذا العمل فائدة وهي تحصين البلاد مما يخلق صعوبة في الوصول إليها، وبالتالي أصبحت آمنة ضد هجمات الأعداء، سابقاً كانت كل أجزاء مصر يسهل المرور إليها على الخيول أو العربات، ولكن بإنشاء القنوات المائية أصبح من الصعب

¹ Henry P. Colburn, op. cit, p 221.

² M. A. Dandamayev & Vladimir G. Lukonin, The culture and social institutions of ancient Iran, p 125.

³ Pierre Briant, op. cit, p 383.

غزوها، بمقدم الفرس الإخمينيين حافظوا على القنوات المائية واعتنوا بالسدود لتجنب خطر الفيضانات خاصة فيضان ممفيس، إذ كان ميناء ممفيس مزدهما حيث لم يكن مركزا إداريا فحسب بل كان ميناء تجاريا¹.

لقد تمتعت الساتريات التي كانت تحت حكم الإمبراطورية الفارسية الإخمينية بجميع المزايا التي تجعلها هدفا مرجوا، وهذا ما عزم على تحقيقه حكام الإمبراطورية بدءا من قورش الثاني إلى آخر ملك فارسي إخميني، فتوسع الإمبراطورية كان له الأثر الكبير في تغيير أنظمة الإدارة والاقتصاد واستبدالها بالنظام المستحدث الذي ابتدعه داريوس الأول، متتبعا نهج الممالك الكبرى في الشرق الأدنى في تخطيط أجهزة إمبراطوريته الواسعة، فالفترة التي صمدت فيها دليل على أن السير المؤسساتي كان ناجحا على جميع الأصعدة، حيث حظيت كل من بابل ومنطقة الأناضول ومصر بسمعة أهم وأقوى الساتريات، رغم خلفية هذه الممالك قام حكام الفرس الإخمينيين بإحلال السلطة تدريجيا، وأصبح التأثير الإخميني واضحا سواء في الإدارة والجبابة والعمل.

¹ - Pierre Briant, op. cit, p 382, 383.

الفصل السابع

الفصل السابع: إنهيار الإمبراطورية الفارسية الإخمينية

1- أزمات الإمبراطورية الفارسية الإخمينية

1-1 أزمة الساتريات

1-1-1 ساترية مصر

1-1-2 أزمة إقليم يهوذا

2-1 التدخل الفارسي في الشؤون الإغريقية

2- ثورة الساتراب الكبرى 360-366 ق م

1-2 الثورة في الأناضول

2-2 الثورة في داسكيليوم

3-2 ثورة الساتراب أورونتس Orontes

3- إنهيار الإمبراطورية الفارسية الإخمينية

1-3 ثورة ساتراب فرجيا الهليسبونتية

2-3 استرجاع مصر والقضاء على التمرد

3-3 داريوس الثالث ونهاية الإمبراطورية الفارسية الإخمينية

1-3-3 تدهور الوضع الإداري والاقتصادي

2-3-3 مرتزقة الجيش

3-3-3 الإجتياح المقدوني للإمبراطورية الفارسية الإخمينية

كان للجهاز الإداري الذي طوره داريوس الثاني، والسياسة الاقتصادية التي انتهجها للصعود بالإمبراطورية الفارسية الإخمينية لمصاف الإمبراطوريات العالمية في العالم القديم، كبير الأثر في سياسة الحكام الذين جاءوا بعده، وقد كان مدى تحكمه في تسيير الإمبراطورية الواسعة النطاق سياسيا وإداريا واقتصاديا، ينم عن شخصية إدارية بالدرجة الأولى، فكانت القوانين التي سنها والمراسيم الإدارية، التي أعلن عنها في نقوشه الموجودة في بيهستون وبيرسبوليس وفي قصره بسوسة، من القوانين العالمية والتي لا زال معمولا بها لحد الساعة على غرار قوانين حمورابي، وقد استمر الجهاز الإداري والاقتصادي على هيئته منذ مجيء داريوس، فبالنظر للوقت القصير الذي تهاوت فيه الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، يجعلنا نتساءل إن كانت السياسة الإدارية والاقتصادية للإمبراطورية سببا في سقوطها، باعتبارها ركائز قيام أي كيان سياسي قديما وحديثا، وهذا ما سنراه في هذا الفصل.

1- أزمات الإمبراطورية الفارسية الإخمينية:

بالرغم من استمرارية تسيير أمور الإمبراطورية بعد وفاة داريوس الأول، سياسيا إداريا واقتصاديا، إلا أن الإمبراطورية كانت تعاني من توترات الساتريات وأزمات خارجية تنخر أساساتها، خاصة فيما يتعلق بالساتريات التي كانت تابعة لها، كما كانت أزمة الغرب من بين الأهداف التي جاهد الفرس الإخمينيون على تحقيقها.

لقد نمت وجهات النظر التنموية والتنافسية روح السيطرة في أروقة إدارة الساتريات، ففي بادئ الأمر كان الهدف من إنشاء هذا النظام الشامل، جعل الإمبراطورية في مشهد يشبه العظمة إن صح التعبير من إدارة وساتريين وموظفين ومرافق عامة تغطي كل احتياج حتى لو كان بسيطا، بالإضافة للتسهيلات التي منحت للحكام المحليين للحكام، وإدارة المنتجات بشكل جيد خال من أي خلل سواء داخلي أم خارجي، كان من المفترض أن يتحقق هذا الهدف من الإستخدام الرشيد للسلطة من عناية بالشعب وتنمية الإقتصاد، أو بذل الجهد بتسيير الإدارة والسلطة من خلال المنجزات التي من المزمع أن يقوم بها الساتراب لجعله يستحق هذا المنصب وفي نفس الوقت الترويج للسلطة الرشيدة للملك، مما يظهر بطولية الملك إن صح التعبير¹.

¹ Michael Weiskopf, The so-called " Great Satraps Revolt " 366-360 BC, Franz Steiner Verlag, Germany, 1989, p 14.

اعتاد ملوك الفرس الإخمينيون، بأولى مراحل حكمهم على القضاء على الثورات وسد أي منفذ معارضة، أو أفراد ممن اختاروا معاداة الملك، أو رفض هذا الأخير سلطة المسؤولين الحاليين في تلك الفترة، غير أن الفترة التي تلت وفاة أكسيركسس واعتلاء ارتكسيركسس الأول عرش الإمبراطورية الفارسية الإخمينية لم تشهد ما شهدته الفترتين السابقتين (داريوس الأول وأكسيركسس) من استكمال مشروع والده وجده من القضاء على المد الإغريقي، حيث لم يتمكن الملك الجيد من تحويل انتباهه نحو الجبهة بحر إيجه، حيث وجه اهتمامه لإجراء تعديلات كبيرة في البلاط وإزالة العديد من الشخصيات كانوا من المفضلين عنده¹.

ارتكسيركسس الأول Artaxerxes I العرش، حيث تذكر الألواح التي تؤرخ لفترة مبكرة من حكم هذا الملك بأن اسمه يعني "الحكم عن طريق الاستقامة"، بدأ في جوان عام 464 ق م وانتهى في ديسمبر من سنة 424 ق م، وفيما يخص مجريات فترة حكمه، لا يوجد الكثير عنها خاصة فيما يتعلق بآثار بيرسيبوليس عكس والد، حيث انه قضى معظم وقته في سوسة، وربما أغلبها في الهضبة².

وصف أتكسيركسيس بأنه شخصية ضعيفة، غير انه اتبع سياسة أجداده بشكل رئيسي، كما سمح للبابليين من ممارسة عبادتهم بحرية، واستمرار لسياسة قورش الثاني وداريوس الأول المتسامحة مع اليهود، سمح لما يقارب ألف وخمسمائة من العائلات اليهودية بالعودة إلى القدس، وكان هؤلاء من ضمن اليهود المنفيين، مما أوقع الطرفين في صدام، واضطر ارتكسيركسيس للتدخل وحل الخلاف، وبقي ودودا نحو الجالية اليهودية شريطة أن يكون هو المسؤول الأول عنها، وأن يكون قادتها موالين للعرش الفارسي الإخميني، وفي عهده شهد تغيرا في العلاقات مما سمح للمؤرخين اليونانيين من التحول والسفر في مختلف المناطق التابعة للإمبراطورية، مثل مصر وبابل، وحتى إيران، واكتسبوا معرفة كبيرو بالتاريخ وأديان وعلوم الشرق³.

عندما توفي ارتكسيركسس سنة 424 ق م، تناحر أبناؤه على العرش، وقد نجح واحد من هؤلاء الأمراء في اعتلاء العرش والملقب بأوخوس (Ochus)، والذي أصبح اسمه داريوس الثالث بمجرد اعتلائه سدة الحكم، وأهم منجزاته انه قضى الوقت في قمع الثورات التي قاده مجموعة من الساترابيين،

¹ - Pierre Briant, op. cit, p 570.

² - Richard Nelson Frye, op. cit, p 127.

³ - R. Ghirshman, op. cit, p 195, 196.

الذين استعملوا المرتزقة الإغريق في صراعهم مع السلطة الملكية، وكان هيتاسبس Hystaspes واحدا منهم، وقد قام أبناؤه مرة أخرى بالتمرد على العرش، وقاد احدهم والذي يدعى قورش الصغير الحاكم الأعلى على الساتريات الغربية، التمرد مدعوما بالمرتزقة الإغريق من بينهم المؤرخ الشهير أكسينوفون، غير انه قتل في إحدى المعارك¹.

لقد سعى قورش الصغير لإزاحة الملك الجديد الذي يدعى ارتكسيركسس الثاني، شهد حكمه بعض التحرر من سيطرة الغرب (الإغريق)، كم شهدت فترته أيضا بعض التمردات، وهنا بدت الديبلوماسية الفارسية الإخمينية في بسط قوتها، وضمنت أن الإمبراطورية الفارسية هي سيد آسيا الصغرى بلا منازع، كما شهد عهده التحولات الدينية فيما يختص بعبادة الآلهة ميثرا وأناهيتا، وكذلك عبادة اهورامازدا الممارسة الدينية لأسلافه، حيث أصبحت أناهيتا تعبد في المعابد الدينية الإغريقية².

بدأ مصير الإمبراطورية الفارسية في الاتضاح، وقد منحت فرصة أخيرة للملك أرتكسيركسس الثالث الذي وصف، بأنه وحشي وقاسي، غير انه امتلك إرادة من حديد، وكان رجل دولة بامتياز، وكان اعتلائه للعرش ملطخا بالدماء حيث صعد فوق مذبحه لإخوته وأخواته، أين راح العشرات من العائلة الملكية ضحية كرسي العرش، كان هذا الثمن الباهظ يجب دفعه لإعادة تأسيس وحدة الإمبراطورية، التي واجهها خطر تلو الآخر، حيث كانت مصر في عهده خارجة عن سيطرة الإخمينيين، وقد حاولوا استرجاعها، وكما شهدت فترته المزيد من التمرد، وقد نجح في اختراقها ودمر مدنها، وفي عام 338 ق م مات هذا الملك إثر تسميمه³.

وفاة ارتكسيركسس هذا الملك الشجاع والحاكم القدير، أثار أطماع المقدونيين، وقد تعاقب على الحكم كل من أرسس Arses والذي لقب فيما بعد بـ أرتكسيركسس الرابع والذي حكم من الفترة الممتدة من 338 إلى 336 ق م، ليخلفه داريوس الثالث كودومانوس Codomanus

¹ - Touraj Daryaee, op. cit, p 130.

² - T. M. Lewis, The Cambridge Ancient History, 2nd ed, vol6, Cambridge University press, UK, 1994, p 49.

³ - R. Ghirshman, op. cit, p 202.

الخصم الجبان للإسكندر المقدوني، الذي اشتهر بالفرار من المعارك التي خاضها ضد هذا الملك المقدوني، والذي كان نهاية السلالة الملكية الفارسية الإخمينية¹.

1-1 أزمة الساتريات:

سافر قائد معركة سالاميس البحرية الأميرال ثيمستوكليس على حدود الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، والذي نفي من قبل الأثينيين بسبب مشروعه، الذي طرحه حول إعادة تجهيز الأسطول وتحضير الأثينيين من أجل مواجهة أخرى أمام الفرس الإخمينيين، مما أثار حفيظة الإسبرطيين، الذين كانوا في صراع مع الأثينيين حول زعامة المدن²، بعد حادثة النفي بعد أن رافق أحد الفرس ممن تواجدوا على سواحل إفسوس، وقام بمراسلة أرتكسيركسس ليتقرب منه، قائلاً بأنه قد تسبب في إيذاء والده لأنه كان مضطراً للدفاع عن نفسه، وأن انسحاب الهلنيين وتجنّب أكسيركسس للكارثة الكبرى كان بسببه فهو الذي منع من تحطيم الجسور التي أنشأها الفرس الإخمينيون، منها رسالته بأنه مستعد لتقديم خدماته لأرتكسيركسس لأنه هنا بسبب اضطهاد الهلنيين له، على أن يمهل سنة وتركه يقيم ضمن حدود الإمبراطورية، قام القائد المنفي من تعلم الفارسية في هذه المدة التي انقضت بتقريبه من أرتكسيركسس وأصبح يخطط من خلال آمال الملك أنه سيتعبد الهلنيين تحت سلطته، حيث أصبح من أقوى الرجال الإغريق نفوذاً في بلاط أرتكسيركسس³.

الإستثنائية التي حصل عليها ثيمستوكليس لم تكن عادية، الأمر الذي أثار حفيظة نبلاء الطبقة الحاكمة، كيف لقائد إغريقي قد تسبب في خسارة الفرس من أن يحتل مكانة عند الملك، كما شهد عهد أرتكسيركسس نوعاً من التساهل وإرخاء الحبل فيما يخص العقوبات التي فرضتها السلطة الملكية خلال الفترات التي سبقتة والتخلي عن بعض بروتوكولات القصر، وهو الأمر الذي أكدته أرتكسيركسس الثاني مستنداً في أحكامه على حكم أرتكسيركسس الأول⁴، الإختلال الذي سيولد عدة توترات بدءاً بتمرد الساتريات التي اعتاد الملوك مواجهته ببداية حكمهم وتمرد الساتراب الذي أضعف وزعزع أركان الإمبراطورية.

¹ - T. M. Lewis, op. cit, pp 49, 50.

² - Plutarch, Themistocles, 19.1-4.

³ - Thucydides, B1.137-138.

⁴ - Pierre Briant, op. cit, p 572.

1-1-1 ساترية مصر:

في ضوء استنزاف الموارد المالية لساترية مصر والمقتطعة من مداخل الفرد المصري، لتمويل الحملة في الغرب الأقصى، كان لزيركسس خياران بمجرد استرداد مصر، الخيار الأول وهو التخلي عن العمليات العسكرية الموجهة نحو الغرب لضمان استقرار ساترية مصر، والخيار الثاني الذي يقضي بالتخلي عن سياسة قمبيز وداريوس الأول (اعتماد النهج المصري المعتاد في الحكم)، لصالح الحكم المباشر ومواصلة العمليات العسكرية في أقصى الغرب، حيث أصبح المصريون المستعبدون من الحكم أكثر عددا مما كانوا عليه في عهد داريوس، فمن الواضح أن سياسة زيركسس شملت الاعتماد على المصريين في المناصب الإدارية كخاضعين، كما ضاعف القوات في الحامية ممفيس، وأنهى الإعانات المالية للمعابد المصرية، على عكس قمبيز وداريوس الذين حاولوا أن يؤدوا دورهما في الحكم كملكين مصريين هادفين أن يكونا أكثر قربا من الشعب المصري، وما قام به زيركسيس من تعيين أخيه حاكما على مصر، ونظرا لمهمة الاحتفاظ بمصر وحكمها الذي يتطلب أن يكون مرتبطا ارتباطا وثيقا بالملك الفارسي، تغيرت هذه المفاهيم منذ أن اعتلى زيركسس العرش، حيث لم يحاول أن يظهر الملك الفارسي على أنه ملك مصري، وكان هذا قرارا مصيريا على المدى القصير، إذ أن استعادة مصر، وتكثيف الحكم على النهج الفارسي، مكن زيركسس من استئناف مشروعه العسكري في أقصى الغرب على نطاق غير مسبق¹.

في وقت مبكر من عهد ارتكسيركسس من سنة 465-464 ق م إلى 425 ق م كانت هناك حركة نحو القيام بتمرد في مصر بدأت سنة 460 ق م بقيادة الليبي إيناروس ابن بسماتيكوس²، ملك الليبيين المتأخمين لمصر الذي كان سببا في ثورة أكبر جزء في مصر بدءا من منطقة مرية المدينة التي تقع شمال فارس، حيث نصب نفسه حاكما وقد أفتع 200 سفينة تعود للأثينيين وحلفائهم، للانضمام إليه، وذلك أثناء توجهها نحو قبرص، لتتوجه بعد ذلك نحو مصر، وعندما أبحروا في النيل وجدوا أنفسهم سادة النهر وصولا إلى ممفيس³.

¹ - Stephen Ruzicka, op. cit, p 28.

² - Ilya Gershevitch, op. cit, p 510.

³ - Thucydides, History of the Peloponnesian War, translated by Charles Forster

Smith, vol1, William Heinemann, Great Britain, 1980, Book 1.104.

شرعت القوى المتحالفة بمهاجمة الجزء الثالث والمسمى بالحصن الأبيض، هذه المنطقة التي تحصن بها الفرس الإخمينيون والميديون والتجأوا إليها، لأن سكانها المصريين لم ينضموا للتمرد¹، هنا اشتبك الطرفان المصري(الليبي) الإغريقي والطرف الفارسي، حيث يصف هيروdotus المعركة بالوحشية، ويذكر أن جماجم الفرس كانت هشة بحيث أنها إن ضربت بحجر سوف تحترق بسبب أنهم كانوا يغطون رؤوسهم دائما بالقبعات، على عكس المصريين الذين كانوا يخلقون رؤوسهم منذ الصغر كما كانت عظامهم قاسية بفضل تعريضها للشمس بشكل مستمر، ويضيف أن الجثث كانت مبعثرة من كلا الطرفين المصري والفارسي، وقد قام ايناروس الليبي بذبح شقيق ارتكزيركسس حيث قضى نحيبه هو ومن معه في معركة سميت بمعركة بابريميس Papremis سنة 450 ق م، وسقطت ممفيس بيد الإغريق والمصريين².

ببقاء الأثينيين والمصريين بممفيس أخذت الحرب في مصر عدة أشكال، في البداية كان للأثينيين السيادة في مصر، أرسل على إثرها الملك مبعوثه الفارسي ميغابيزوس محملا بالأموال إلى لاكيديمونيا لحث اللاكيديمونيين لغزو أوتيكا وبالتالي إرغام الأثينيين على الانسحاب من مصر، إلا أنه لم يلق استجابة بحيث أنفق جزءا من الأموال وعندما تأكد بعدم جدوى عرضه، عاد إلى آسيا، ليقوم بتجهيز جيش كان هو على رأسه واشتبك مع المصريين في معركة حامية الوطيس انتهت بهزيمتهم هم وحلفائهم وطرد الهلليين من على أرض ممفيس إلى جزيرة بروسويتيس Prosopitis حيث حاصرهم الفرس هناك لما يقرب سنة وستة أشهر، قام من خلالها الفرس بتحويل مسار المياه، أين جفت القناة التي كانت ترسو عليها سفن العدو، وافتك الفرس الجزيرة بعد حرب دامت ست سنوات حيث غادر العديد من الهلليين وشقوا طريقهم هربا عبر ليبيا نحو سيران (شحات) حفاظا على حياتهم، ورجعت مصر مرة أخرى تحت السيطرة الفارسية الإخمينية باستثناء مدينة اميرتايوس إذ لم يتمكنوا من التغلب على ملك منطقة المستنقعات إذ أن سكان هذه المنطقة من أقوى المقاتلين³.

¹ - Thucydides, B1.104.

² - Herodotus, B3. 12.

³ - Thucydides, B1. 109-110.

بالرغم من أن الملك الليبي ايناروس، كان هو من حرض المصريين على الثورة (مستغلا تدمير السكان من الضرائب نظرا لأول رد فعل قاموا بهو هو طرد جامعي الضرائب)¹، إلا انه أخذ غدرا وتعرض للخيانة، وذلك أثناء رسو 50 سفينة والتي أبحرت من أثينا نحو مصر لدعم الأسطول الموجود في أحد فروع النيل والمسماى المنديسي، غير مدركين لما يجري هناك، ليتلقوا هجوما كاسحا من طرف المشاة من على الشاطئ والأسطول الفينيقي من البحر الذي دمر معظم السفن مع هرب عدد قليل منهم، وهكذا انتهت الحملة الكبيرة التي قاده الأثينيون وحلفاؤهم على مصر².

تم تسليم ايناروس للفرس أين صلب سنة 450 ق م، هنا استقرت الثورة على جزء واحد فقط من الدلتا، حيث تذكر الآثار المصرية، أن مصر العليا قد خضعت للسلطة الفارسية في تلك الفترة، حيث يذكر نقش موجود في وادي الحمامات مسؤولا فارسيا يدعى اتياوراتا *Atyawrata* من السنة الخامسة لحكم أرتكزيركسس، وبالتالي ظلت السلطة الفارسية تنعم بالاستقرار طول مدة حكم هذا الملك وحتى الفترة التي تلت حكمه، علاوة على أن معاهدة السلام كالياس الموقعة سنة 449 ق م، أجبر على إثرها الأثينيون عن الابتعاد عن الشؤون السياسية لمصر وقبرص، وبعد وفاة أخيمينيس، تقلد منصب ساتراب مصر الأمير أرسامس والذي بقي على رأس السلطة هناك طوال عهد الملك داريوس الثاني (424-404 ق م)، هذا وقد كانت طبيعة العلاقات السياسية الفارسية المصرية غير معروفة في عهد هذا الملك، سوى بعض المراسيم التي حررت في السنة الخامسة قبل الميلاد (419 ق م) والتي تتعلق بالمستعمرة اليهودية في أليفانتين، حيث أجبر اليهود بإقامة شعائر عيد الخبز (الفطير) من 15 على 21 أبريل، وقد أرسل هذا المرسوم لينفذه أرسامس بحيث يراقب سير هذه الشعائر التي تسمح لليهود بعدم العمل لمدة سبعة أيام، من الواضح أن التدخل الملكي في الأعياد الدينية لليهود، محاولة من الفرس لكسب الجانب اليهودي، حيث أن الولاء اليهودي للسلطة الملكية الفارسية الإخمينية قد كلف اليهود تدمير معبد يهوذا، من طرف الذين يجرؤون ضد الحكم الفارسي في مصر، تلك التوترات التي بدأت في نهاية حكم داريوس الثاني بين سنتي 411 و 408 ق م عندما كان أرسامس متواجدا في سوسة³.

¹ Diodorus, 11. 71.3-6; 74 -

² Thucydides, B1. 110. -

³ Ilya Gershevitch, op. cit, p 511. -

منذ سنة 411 ق م، يبدو أن مصر استفادت من الأزمات التي كانت تمر بها الإمبراطورية الفارسية الإخمينية والتي كانت في تزايد مستمر، حيث بدأت تستعيد استقلالها غير أننا لا نستطيع أن نحصل على المعلومات الكافية عن هذا التفوق، وكل ما لدينا من معلومات عن هذه الأفضلية وعن مجريات الأحداث، تنتهي بثورة أميرتايوس Amyrtaeus ملك مصر من الأسرة الثامنة والعشرين، ومع ذلك فإن قادة المتمردين قد تم عزلهم عن السكان المحليين، حيث أصبح المصريون في ممفيس يقاتلون ضد ايناروس، ورغم التفوق الفارسي، إلا أن مصر بقيت مصدر دائم لمتاعب الإمبراطورية¹.

في سنة 404 ق م وصلت الأسرة الفارسية الإخمينية إلى نهايتها، بالرغم من بقاء مصر العليا في يد الفرس على الأقل إلى سنة 401 ق م، وبالرغم من استسلام أثينا لاسبرطة عام 404 ق م، وبالنظر إلى استقلال منطقة الدلتا، كانت هناك حاجة ملحة لاستمرار قمع التمرد، فالتأخير يمكن أن يعرض السلطة الفارسية في مصر والمناطق التي تقع شرق البحر الأبيض المتوسط خاصة الشرق إلى الخطر، وكان مرض داريوس الثاني المميت ربما منع الفرس من التقدم في العمليات العسكرية في مصر، لكن هناك دلائل تشير لوجود جيش فارسي متواجد في فينيقيا يستعد لمهاجمة مصر في سنة 401 ق م، يدل على أن هناك استعدادات عسكرية من طرف ارتكزيركسس الثاني خليفة داريوس الثاني، ربما قام بها مباشرة بعد توليه العرش، ومع عدم وجود احتمال لأي مساعدة خارجية خاصة هزيمة أثينا(الحروب البيلبونيكية)، كان لا بد أن تنضم الثورة المصرية لمجموعة الثورات الفاشلة أو المجهضة في القرن السادس والقرن الخامس قبل الميلاد، وذلك منذ أن استطاع الفرس الاحتفاظ بممفيس، غير أنه اتضح فيما بعد أن هناك تواطؤ من الغرب، وهذه المرة جاء من طرف شقيقه الصغير الطموح قورش الصغير، الذي ثار على شقيقه الملك نتيجة الحد من امتيازاته وخفض رتبته بعد وفاة داريوس الثاني من الرتبة العسكرية كارانوس(القائد الأعلى) في أناتوليا والتي كان محتفظا بها منذ 407 ق م إلى منصب منخفض كمشرف لأيونيا، لذا تخوف قورش الصغير من إمكانية منعه من تقلد مناصب في الحكم، ارتأى أن يرسل جيشا إلى مصر ليقود تمردا من هناك لانتزاع الملك من شقيقه².

لقد جند قورش الصغير سرا العديد من المرتزقة الإغريق في حملته على شقيقه الملك، مستغلا مغادرة أبروكوماس Abrocomas وبالتالي سيتترك الملك عبر رأس عدد قليل من القوات، وبينما

¹ John Boardman, Cambridge Ancient History, vol 4, p 276.

² Stephen Ruzicka, op. cit, p 38.

حشد ابروكوماس قواته جهاز قورش جيشه المتكون من المرتزقة (في ظل العداوة التي يكنها قورش الصغير لتيسافارنس ساتراب ليديا، كانت ذريعة له بأن يجذب عناصر لجيشه)، وإن تقدم قورش بجيشه نحو شقيقه، بينما أبروكوماس يتواجد في مصر، سيحقق قورش النصر في معركته هذه، والنتيجة الحاسمة لنجاح هذا المخطط ستكون باستمرار التمرد في مصر، ونظرا لعدم جدوى المساعدة الأثينية بسبب انهزامها أمام اسبرطة، تقرب قورش الثاني من ملوك سلالة الدلتا وشجعهم على الاستمرار في التمرد، ويتضح ذلك من خلال معاملة قورش لأميرتايوس وتأتي هذه المعلومات على لسان قائد فرسان قورش الصغير وقائد قواته المصري والمدعو تاموس¹.

انهزم قورش أمام شقيقه سنة 400 أو 401 ق م ق م، أرسل ارتكزيركسس الثاني تيسافارنس لإحكام قبضته على جميع الساتريات التي يحدها البحر والتي ساندت قورش الصغير في حملته ضد شقيقه، وخشية أن يعاقبها الملك، أبدت هذه الساتريات ولاءها، باستثناء تاموس أقوى شخص والذي أصبح ساترابا على أيونيا، قام بجمع ممتلكاته والفرار مع أبنائه على متن السفن نحو مصر سنة 400 ق م خوفا من تيسافارنس، طالبا من الملك المصري بسماتيك عند ديودور الصقلي (اميرتايوس) الأمان، لكن الملك المصري تجاهل لجوء تاموس، وسلبه ممتلكاته ثم قتله هو وأبنائه².

كان لقتل تاموس وأولاده على يد الملك المصري، خطوة جريئة منه ربما لكسب عطف ارتكزيركسس الثاني، محاولا استجداءه لكي لا يكمل حملته لقمع التمرد في مصر، حيث توضح وثائق اليفانتين أنه وبالرغم من استمرار سلطنة الفرس على مصر، إلا أن اميرتايوس استطاع أن يمد ملكه لشمل كامل مصر، وبالتالي عدل ارتكزيركسس عن شن هجماته ولو ظاهريا³.

من المرجح أن اميرتايوس قد انتقل للجنوب بعد أن اطمأن على ملكه في الدلتا، ليقوم بشن هجوم من ممفيس من خلال القوات التي استولى عليها تاموس والتي تمكنه من مجابهة القوات الملكية المتمركزة في ممفيس وزيادة الثقل في الهجوم على الحصن الأبيض، ومع ذلك فلا توجد أي سجلات أو معلومات عن المعارك الفارسية المصرية، ونظرا للضغط الكبير الذي واجهته القوات الفارسية الإخمينية

¹ - Stephen Ruzicka, op. cit, p 38.

² - Diodorus of Sicily, The Historical Library, translated by C. H. Oldfather, vol6, William Heinemann, Great Britain, 1954, Book 14. 35.

³ - Stephen Ruzicka, op. cit, p 39, 38.

إن لم يكن في جميع مناطق الهجمات مع تعطل إمدادات الطعام وتوقف الأجور، وعدم توقع أي إغاثة وشيكة، ربما استسلمت قوات الحامية الفارسية المتعددة الأعراق في ممفيس وفي أماكن أخرى من مصر، دون قتال وبعبارة أخرى فقد قبلوا بعرض الأجور الجديد من خلال الوثائق التي عثر عليها في اليفانتين حيث تقيم الجالية اليهودية، والتي تلمح لانتقال سلمي للسلطة، مع استمرار نفس الوحدات العسكرية التي كانت تحت السيطرة الفارسية، في حين أن المسؤولين الفارسيين رفيعي المستوى ربما قد أعدموا، إذن وبجول 399/400 ق م انهارت السلطة الفارسية في مصر، وأصبحت مصر مستقلة مرة أخرى تحت حكم مملكة موحدة، وكانت موارد مصر في أيدي المصريين، مما أعاد الفرس للوضع السابق، النواة الشرقية والنواة الغربية والصراع في فرض السيطرة على الجهتين¹.

على الرغم من أنه كان مقدرا لارتكيزيركسس التمتع بحكم بلاد فارس لفترة طويلة، إلا أنه كان يحاول استعادة مصر عن طريق الغزو المسلح خلال عهد هاكور من الأسرة التاسعة والعشرون، ولكن هاكور عين عشرين ألف من المرتزقة الإغريق وكان قادرا على طرد الفارس من مصر، لذا تمتعت مصر بالاستقلال ما دامت الإمبراطورية الفارسية الإخمينية لا تزال مشغولة بالشرق².

هذا الملك المصري الذي تولى عرش مصر بعد اميرتايوس، كان قد تحالف مع سكان برقا، كما طلب دعم ايفاغوراس القبرصي، في مقاومته ضد الملك الفارسي ارتكيزيركسس الثاني، حسب ما جاء به المؤرخ الإغريقي ثيوبومبوس Theopompus³.

لقد عانى الفارسيون من الهزائم المتتالية في سنة 385 ق م، فمنذ أن ثارت ساترية مصر على الحكم الفارسي، لم يتقدم الفرس في مواجهتهم ضد سكانها، بالرغم من إرسال أقوى قادتهم على غرار ابروكاموس وتيثراوستس وفارنابازوس الذين فشلوا في أغلب الأحيان، وذلك لمدة ثلاث سنوات وعانوا الكثير والمزيد من الكوارث أكثر مما واجهوه من قبل، ولم يدافع المصريون عن حريتهم بل

¹ - Stephen Ruzicka, op. cit, p 40.

² - Kathryn A. Bard, Encyclopedia of the Archaeology of Ancient Egypt, Routledge, USA, 1999, pp 741, 742.

³ - Gordon S. Shrimpton, Theopompus The Historian, McGill-Queens University Press, Canada, 1991, p 73.

أصبحت لديهم أطماع في السيطرة على الشعوب المجاورة، أي تنامت قوتهم منذ أن تحدى الإمبراطورية الفارسية ونجحوا في إفشالها¹ وهذا ما يؤكد بلوتارك².

كانت المواجهة بين الفرس والمصريين سنة 379 ق م عندما بدأ الطرفان في تحضير جيشيهما للقتال³، حيث يذكر ديودور أنه في سنة 377(376) ق م أن الملك المصري جهز جيشا كبيرا مؤلفا من العديد من المرتزقة الإغريق، حيث قدم لهم أجورا عالية من أجل الالتحاق بقواته، ونظرا لعدم وجود قائد يقود هذه القوات أرسل في طلب الأثيني كابرياس(chabrias)، والذي تميز بحكمته العالية وبراعته في الفنون الحربية وله باع طويل في الحروب، ولقد وافق الأثينيون على إرسال رجلهم لقيادة القوات المصرية مجهزا بعتاد حربي قدم له من طرف ملك مصر، من جهته جهز فارنابازوس جيشا هائلا، وأرسل رسلا إلى أثينا لشجب أفعال كابرياس الذي أصبح قائدا للجيش المصرية، وثانيا طلب منهم جلب القائد الأثيني افيراتس ليخدم ضمن الجيش الفارسي كقائد، وعددا لا يحصى من الأثينيين لكسب الجانب الفارسي وجذب فارنابازوس لجانبهم، أرسلوا على جناح السرعة طلبا لكابرياس، وأرسلوا افيراتس كقائد من ضمن قادة الحملة وقد اعتبرت هذه الخطوة كتحاليف بين الفرس والأثينيين⁴.

تمتعت مصر تحت حكم هاتور بالقوة، وعادت مرة أخرى لتبرز على الساحة السياسية في العالم القديم، خاصة في الدفاع التي استماتت فيه للمحافظة على الساحلية التي تعرضت لخطر الغزو الفارسي والذي جاء بفضل المرتزقة الإغريق، وأصبحت مصر قوة بحرية، ومما يدل على قوة هذا الملك وسيطرته على الواحات الليبية، هو خضوع حاكم واحة سيوة ستيشريدس والذي اعترف بسيادته، ثم

¹ Isocrates, Delphi Complete Works :Panegyricus , translated by George Norlin, Delphi Classics, UK, 2016, 140.

² Plutarch, Delphi Complete Works of Plutarch Parallel Lives : Artaxerxes, traslated by Bernadotte Perrin, Delphi Classics, UK, 2013, 24.

³ Amélie Kuhrt, op. cit, p 396.

⁴ Diodorus, B 15. 29.

خلفه نيفيريتس الثاني والذي دامت مدة حكمه بضعة أشهر فقط¹ فكلما الحاكمين كانت نهايتهما دموية².

كان نكتانبو الأول هو من أوجد الأسرة الثلاثين، وهو الذي أزاح نيفيريتس الثاني، وقد خدم في جيش الملك السابق كجنرال، وقد وصل للسلطة إثر انقلاب، غير أنه يبدو أنه ينتمي لعائلة نيفيريتس الأول، إذا كان من الواضح أن الشؤون المصرية كانت متقلبة وفقا لتوازن التحالفات السياسية والعسكرية في الحوض البحر المتوسط، نجد قضية السلالة الثلاثين والانتماء صحيحة، وصحيح أن كل من الجنرالين الإغريقيين اجيسيلوس من اسبرطة وكابرياس لعبوا دورا حيويا ومهما في الدفاع عن مصر في عهد هذا الملك وفي عهد تاكوس أو تيوس Tachos، حيث أعطت معاهدة التي أبرمتها الإمبراطورية مع أثينا في قضية سحب جنرالها من مصر وجلب افيراتس، الذي سار في حملة الفرس على مصر سنة 373 ق م بقيادة الجنرال فارنابازوس ووصلوا لأبعد من بيليزيوم، أين اصطدموا بدفاعات نكتانبو أو نخت انبو الأول وتراجعوا، غير أنهم عاودوا الهجوم على فرع النيل المسمى المنديسي، واضطروا للانسحاب بسبب فيضان النيل³.

خطط تيوس ابن نخت انبو الأول لاحتلال سوريا وفلسطين بالقوة وهو الذي لم يصبح ملكا بعد، مستفيدا بذلك من التوترات التي كانت هناك ضد ارتكيزركسس، قامت على إثرها اسبرطة بإرسال جيش من المرتزقة بقيادة الجنرال واجيسيلوس، وكابرياس الذي أتى من أثينا ليقود الأسطول⁴.

لم ينضم كابرياس للأسطول المصري بأمر من السلطة الملكية في أثينا، بل أتى بمحض إرادته الشخصية، حيث بطريقة أو بأخرى أقنع الملك المصري تيوس هذا القائد بقيادة الجيوش المصرية جنبا إلى جنب مع اجيسيلوس الإسبرطي الذي أرسله اللاكيديمونيين كحليف مع فرقة مشاة ثقيلة تعدادها الألف، وعرف بشجاعته وتكتيكة الحربي، حيث كانت القيادة العامة للجيوش بيد كابرياس، وانتصر

¹ - Ilya Gershevitch, op. cit, p 523.

² - Robert Morkot, The Egyptians : An Introduction, Routledge, USA, 2005, p 142.

³ - Ilya Gershevitch, op. cit, pp 523, 524.

⁴ - Ibid, p 524.

الجيش في فلسطين¹، واستولى نخت انبو الثاني على عرش عمه إثر الانقلاب الذي قام به²، عندما أراد اجيسيلوس قيادة الحملة على آسيا بنفسه، وأجبر على إثرها لمغادرة مصر بسبب جنرال تمرد عليه وهو الذي دفع بابنه للاستيلاء على العرش³.

جراء هذه الخيانة فضل تيوس اللجوء للملك الفارسي، في حين فضل كابرياس العودة إلى أثينا، عاد على إثرها نخت انبو إلى مصر، واغتصب السلطة من مندس ربما هو ملك ينحدر من الأسرة التاسعة والعشرين، وأبقى أجيسيلوس وفيما له، حيث نجح هذا الملك في صد هجومات الجيش الفارسي مرتين الأول كانت سنة 358 ق م عندما كان ارتكسيركسس الثالث أميراً والثانية عندما أصبح أرتكزيركسس أونخوس ملكاً سنة 351 ق م، وفي 349 ق م إلى 346 ق م بقي نخت انبو محايذا أثناء المشاكل التي كانت تعانيها الإمبراطورية في قبرص سوريا، لكنه في عام 346 ق م أرسل العديد من المرتزقة الإغريق بما يقرب الأربعة آلاف إلى ملك صدا بطلب من مستشار رودس، وعندما استعاد ارتكزيركسس الثالث قبرص، في حين تحررت صيدا، ركز بعده جل جيشه في الحملة ضد مصر، وكان قادراً على التقدم نحو بيليزيوم، وتمكن الفرس من اختراقهم بوشاية من مستشار رودس فانس، وبهذه الطريق أخذ باغواس قائد الجيوش الفارسية، بليزيوم ومدن آخر من الدلتا، في حين بقي نخت انبو في ممفيس، وبمجرد أن سمع بسقوط مصر السفلى في يد الفرس، هرب إلى النوبة مع ممتلكاته ربما كان يأمل في طلب المساعدة من الملك النوبي، لكنه لم يعد على الإطلاق، وأصبحت مصر تحت السلطة الملكية الفارسية الإخمينية مرة أخرى⁴.

كان عمر الاستحواذ الفارسي على مصر قصيراً، وسميت هذه الفترة بالهيمنة الثانية أو فترة الأسرة الواحدة والثلاثون حتى سنة 332 ق م، وكما حصل مع قمبيز الثاني، فقد تناولت المصادر فترة حكم ارتكزيركسس بالسوء، ووصفت سلوكه بالبغيض وممارسة العنف مع تفاصيل مكررة تصف قسوته، ويذكر أنه قام بقتل الثور ايبس وأكله هو ورفاقه، وقدم بدلا لذلك حماراً ليعبدوه، وصادر ممتلكات تابعة للآلهة، ومهما يكن فلا يعرف عن مجريات الأحداث التي جرت بعد الغزو الثاني على

¹ - Diodorus, B5 92.

² - Robert Morkot, op. cit, p 143.

³ - Ilya Gershevitch, op. cit, p 524.

⁴ - Ibid, pp 525, 526

مدار عشر سنوات، حيث سمم الخصي باغواس ارتكزيركسس وقضى نجبه سممة 338 ق م ، الذي نصب ابنه الأصغر مكانه والمدعو ارسس، غير أنه قتل على يد الخصي نفسه بعد سنتين من تنصيبه على العرش¹.

في عهد داريوس الثالث، كانت لا تزال مصر ساترية فارسية تحت حكم الساتراب ساباكاس، الذي نودي من طرف داريوس الثالث للمشاركة في معركة ايسوس ضد الإسكندر المقدوني، حيث قضى نجبه هناك².

1-1-2 أزمة إقليم يهوذا:

لقد كان نحميا* Nehemiah حاكما بإقليم يهوذا، أين عانى السكان من ثقل الضرائب التي فرضها عليهم الساتراب والإمبراطورية الفارسية الأخمينية، خاصة وأن الإفراط في فرضها، قد أثقل كاهل الشعب، وأدى إلى كارثة سنة 433 ق م، هي نفسها الكارثة التي حدثت في ساترية بابل، وكانت طبقة العمال وأبنائهم الطبقة الأكثر تضررا، أدى بهم ذلك إلى مناشدة السلطة المركزية، بأن يوفروا القمح ذلك أن أبنائهم وبناتهم لم يجدوا شيئا ليأكل، في حين أعلن الفلاحون أنهم سيقومون برهن حقولهم ومزارع الكروم التي بحوزتهم حتى ييوتهم من أجل الحصول على كميات من القمح من شأنها أن تسد جوعهم وتقضي على المجاعة التي أصبحوا يعانون منها بسبب الضرائب المحففة³.

¹ - Ilya Gershevitch, op. cit, p 526.

² - Thierry Petit, Satrapes et Strapies dand l'empire achéménide de Cyrus le Grand à Xerxès 1^{er}, Librairie Droz, France, 1990, p 210.

* - نحميا: حاكم منطقة يهوذا ما يقارب الإثني عشر سنة، ذاع صيته في عهد أرتكسيركسس سنة 433 ق م، كونه غير معروف على الساحة السياسية(ربما كان حاكما فرعيا) أثناء فترة ساتراب المنطقة ما وراء النهر(الفرات) تتناي Tattenai، للمزيد أنظر: Deirdre Fulton, What Kind of Governor was Nehemiah?, *Zeitschrift für die alttestamentliche*, vol 130, 2018, p 256.

³ - A. T. Olmstead, op. cit, 345.

إلتجأ إليه أهالي يهوذا، يشتكون ثقل المعيشة التي فرضت عليهم¹، غير أن الضرائب لم تكن العامل الوحيد الذي أتعب كاهل اليهود، بل التفاوت الطبقي الذي نتجت عنه ما يسمى بصراع الطبقات التي كانت تعاني منه هذه المنطقة في ظل إعادة إنشاء المعابد اليهودية وإحيائها واستكمال بناء الجدار، إثر تعرضها للتخريب في الفترة التي سبقت وصول قورش الثاني، نفس الشيء كان يحدث في المدن الإغريقية، حيث كانت هناك مضاربات في محصول القمح².

هذا وقد اشتكى المواطنون، ليس فقط من ثق الضرائب، بل حتى اضطراهم لاستعارة الفضة لسداد جزية الملك، محتجين بأنهم جميعهم هم والفرس بنو جلدة واحدة وأنهم كجنس بشر إخوة، وأن أطفالهم مثل أطفال الفرس، ومع ذلك جعلوا أطفالهم عبيدا واستعبدت بناتهم بسبب عد استطاعتهم دفع الأقساط والديون المترتبة عليهم، بسبب أن هناك أفرادا يملكون حقولهم، حيث ألقوا اللوم على جميع اليهود الأغنياء، ذلك أنهم استغلوا فرصة المضاربة على محصول القمح³، بالإضافة لعائلة موراشو المتحكمة في اقتصاد بابل، وما صاحبهم من ربح عاد إلى خزينتها حيث اعتبرت هذه الأرباح سرقة أمام الوضع التي يعيشه السكان، وزادت الضرائب المدنية علاوة على الضرائب الملكية من سوء الأوضاع، فتحكم هذه العائلة ومدراء الحقول الآخرين، ساهم في تأجيج الوضع خاصة وأنها كانت على قدر عال من الذكاء في التفاوض لصالحهم (عائلة موراشو) بحيث جنت جل أرباحها من تحويل الضرائب المدفوعة عينيا إلى فضة وبذلك نفاذ المنتج أمام تضخم السيولة النقدية⁴.

رغم وجود المضاربين أمثال موراشو ومدراء الحقول، ومستغلي الأزمة من اليهود أنفسهم، إلا أن المتسبب الوحيد في هذه الكارثة، الإدارة التي مارسها نحميا ذاته نحو شعبه، إذ كان يحصل على نفقاته الخاصة من عائدات الضرائب، الأمر الذي جعله يراجع أفعاله ويحد من أفعال المرابين الذين استغلوا احتياج السكان⁵.

¹ Isaac Kalimi, *New Perspectives on Ezra-Nehemiah: History and Historiography, Text, Literature, and Interpretation*, Eisenbrauns, USA, 2012, p 28.

² Pierre Briant, *op. cit*, p 811.

³ A. T. Olmstead, *op. cit*, p 345.

⁴ Pierre Briant, *op. cit*, p 811.

⁵ A. T. Olmstead, *op. cit*, p 345.

حتى لو كانت هناك علاقة بين الخضوع والفقر، إلا أن النخب المحلية التي ارتبطت بعلاقتها مع الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، أو جزءاً منها، قد استفادت منها من تداول المنتجات المدفوعة في إطار نظام الضرائب الملكي، وربما كان هذا أحد أسباب طول العمر الذي تمتعت به السلالات المحلية في مختلف الساتريات الفارسية الإخمينية، وبشكل عام كانت السلطة الفارسية إلى حد ما تختبئ وراء ستار طبقة النبلاء المحليين، الذين عهدت إليهم إدارة الإمبراطورية بجمالية الجزية والضرائب على المستوى المحلي، مما يؤدي إلى ظهور الإستياء وهذا ما رأيناه عندما اتهم الفلاحون الطبقة الغنية من اليهود في هذه الأزمة¹.

قام أرتكسيركسس الأول باستدعاء نيحميا قبل انتهاء سنة 433 ق م إثر شكوى هؤلاء التجار الذين منعهم نيحميا من ممارستهم الغير مقبولة اتجاه الطبقة المستضعفة²، غير أنه لا يمكن أن نعم السبب الإقتصادي المتمثل في المضاربات وثقل الضرائب، على جميع التوترات، التي حدثت بعد سنة 522 ق م، ذلك أن الثورات التي قمعها داريوس الأول في بداية توليه لحكم الإمبراطورية الفارسية الإخمينية كانت بسبب الضرائب المحيطة التي كانت أثناء عهد سابقه قميير الثاني استناداً لأول مرسوم قام به الدعي برديا والمتمثل في إعفاء سكان الإمبراطورية من الضرائب لمدة ثلاث سنوات كاملة³.

بغض النظر عما إذا كان هؤلاء الموظفون أي جامعي الضرائب، هم في الأصل فارسيون أم هم من النبلاء المحليين للساتريات، ذلك أن جامعو الجزية هم الرموز الأساسية للسلطة الفارسية الإخمينية مهما كان عرقهم⁴، وهذا ما كان يهم الإمبراطورية وهو المزيد من الضرائب مقابل استثناءات قدمتها من ناحية الأصول.

¹ - Pierre Briant, op. cit, pp 811-812.

² - A. T. Olmstead, op. cit, p 346.

³ - Pierre Briant, op. cit, p 812.

⁴ - Ibid.

2-1 التدخل الفارسي في الشؤون الإغريقية:

حدثت الأزمة بين أثينا واسبرطة، بعد نهاية الحرب الفعلية بين الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، ذلك أنه من غير العادل مجاهدة الخطر الفارسي بمدينة واحدة، لذا تحالفت جميع المدن الهلينية، مما أدى إلى بروز أثينا واسبرطة كقوتين متنافستين في حروب اشتهرت بالحروب البيلونيزية، وقد اتخذت الإمبراطورية الفارسية الإخمينية مكانا لها في هذا الصراع¹.

استمرت هذه الحرب البيلونيزية أو الحرب الأثينية كما أطلق عليها الإسبرطيون والسيراقوسيون أربع وعشرون سنة (من 431 ق م إلى 404 ق م)، حيث أعادت هذه الحرب المدن الهلينية العيش تحت نير الحكم الإستبدادي، الذي حاولت إسبرطة الخروج منه، وحول ميزان القوى السياسية لصالح الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، حيث تسببت هذه الحرب بخسائر فادحة في عدد السكان لا سيما بين الرجال الفقراء الذين استقدموا للتجديف في سفن الأساطيل الحربية، واعتبرت كارثة ديموغرافية بحيث انخفض عدد السكان من 6% إلى 4% من العدد الإجمالي لسكان أثينا بحلول سنة 350 ق م².

استفادت الإمبراطورية الفارسية الإخمينية من هذا الصراع، الذي يظهر بالنسبة لهم كأنه تقاتل بين الإخوة، خاصة بعد أن نادى الإسبرطيون بشكل صريح تحرير مواطني أثينا من الحكم الإستبدادي، وقد حاول الإسبرطيون الإستنجاد بالملك الفارسي الإخميني أرتكسيركسس، الذي كان مستمتعا بالصراع الأثيني الإسبرطي، غير آبه ومعترض على النشاط الذي تزعمه القراصنة الذين ينحدرون من جنوب غرب آسيا، الذي من خلاله استولوا على السفن التجارية المتجهة من فينيقيا وفاسيليس Phasaelis إلى بيروس Piraeus، إذ أن احتقار أثينا ورفض الجزية التي فرضتها على كل من كاريا وليبيا كان لصالح الملك الفارسي الإخميني³، غير أن تدخل الفرس في هذه الحرب الأهلية رغم أنه عاد بالإيجاب على الملك من ناحية بث الشقاق، إلا أن عواقبه ستكون مضاعفة وسترتب عنه ثورات وانقلابات جعلت زوال الإمبراطورية كنتيجة حتمية.

¹ - Thucydides, B 1.1-5.

² - Ian Morris & Walter Scheidel, op. cit, pp 103 ; 115.

³ - A. T. Olmstead, op. cit, p 348.

2- ثورة الساتراب الكبرى 360-366 ق م:

من بين جميع الأوفياء للملك الساتراب (حماة السلطة أو حماة المملكة)، والذي لعب دورا أساسيا في الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، مع القوة والهيبة التي كانوا يتمتعون بها منحتم مسافة من شأنها أن فصلتهم عن الملك، فتربط وتضامن العائلات الفارسية الإخمينية، يشرح كيف أنه بمجرد تسمية الفارسي النبيل ساترابا يمكنه أن يأخذ معه عائلته بأكملها، كما يوضح أيضا أنه كيف يمكن لأبنائه التعاون مع حكومته، أو ربما حتى المشاركة معا في تمرد ضد الملك، وكان لكل رب عائلة هدف وهو ترقية أولاده¹.

يتم نقل الأطفال الفرس بعيدا عن عشيرتهم، ليتعلموا كيف يكونون موالين للملك، ونتيجة لمثل هذا التعليم، تم إنشاء في كل ساترية "بلاد فارس صغيرة"، مما يدل على نواة ثقافية وسياسية جديدة بالثقة إلى حد ما، ويرتبط مصير الإمبراطورية بشكل أساسي، ببقاء واستمرارية هذه الفئة العرقية المهيمنة².

كان هدف تعزيز هيبة الأطفال في الساتريات هو أمل الساتراب الأب بأن يتقلد ابنه أعلى المراتب في الإمبراطورية، وكثيرا ما يشهد التاريخ من نقل المسؤوليات للجيل القادم، فنرى الإبن أصبح ساترابا بدلا لأبيه³

القضية الأكثر شهرة، تتعلق بساترية فريجييا الهلليسيونتيه سنة 479 ق م، حيث عين زيركسس على رأس الساترية أرتابازوس Artabazus كان رجلا موهوبا بالفطرة ولامعا، وهو ابن فارناسس Pharnaces الذي كان على الأرجح نفسه بارناكا Parnaka وزير الإقتصاد في فارس في عهد داريوس الأول، وهو بدوره ابن أرسامس والذي يتفق الجميع أنه شقيق هيستاسبس والد داريوس الأول، كان أرتابازوس وثيق الصلة بالعائلة الملكية، بحيث رافق زيركسس في حملته بصفته قريب والده سنة 480 ق م، كما كان مرافقه في طريق عودته إلى سارديس، وكان بالفعل رجلا مشهورا

¹ - Pierre Briant, op. cit, p 339.

² - Mehr Azar Soheil, The Concept of Monument in Achaemenid Empire, Routledge, USA, 2019, p 6.

³ - Pierre Briant, op. cit, 339.

بجلول ذلك الوقت أي أصبح يلقب بدوكيموس Dokimos المحترم¹، وبعد أزمة خلقيس Chalcis، عاد ووضع نفسه تحت قيادة ماردونيوس لكنه عارض استراتيجيته، وبعد الهزيمة في بلاتيه نجح بطريقة أو بأخرى في قيادة بعض سرايا القتال إلى آسيا الصغرى، وهذا كان عندما منحه زيركسس ساترية هليلسبونت في سياق إعادة تنظيم ممتلكاته في آسيا الصغرى².

لقد كان هناك فصل واضح المعالم بين المهام العسكرية والمهام المدنية، لكل واحد اختصاصه هذا النظام الذي كان معمولاً به في عهد داريوس الأول، غير أنه وبعد وفاته، لم يتم التقييد الصارم بتقسيم المهام العسكرية والمدنية، ومنذ عهد زيركسس والملوك اللاحقين، أصبح للساتراب سلطة متعددة المجالات، فتحوّلت مهام الساتراب من المهام المدنية إلى المهام العسكرية، حتى وصل ببعض الماغوي أن حصلوا على منصب الساتراب، فخلال حملة زيركسس نلحظ أن بعض الساتراب قد قادوا قوات عسكرية ثانوية من مناطق حكمهم، وعلى سبيل المثال نذكر سيينيسيس حاكم قيليقيا الذي قاد القوات القيليقية أثناء هذه الحملة، وخلال هذه الحملة قوات ست ساتريات بدءاً من أيونيا إنتهاء بمنطقة القوقاز كانت بعشر وحدات عسكرية منفصلة تحت قادة مختلفين، يرى مختلف العلماء أن الساتريين هم من كانوا قادة هذه القوات، ولكن ماير يقترح أن هؤلاء القادة العسكريين لم يكونوا برتبة ساتراب باستثناء أخيمينس ساتراب مصر الذي قاد الأسطول المصري، غير أن يعود ويقول، بأن كلتا السلطتين العسكرية والمدنية كانت بيد الساتراب في أغلب الأوقات³.

أحد الدروس التي تعلمها داريوس الأول، من تمرد ساتراب سارديس المدعو أورويتس، أنه بالإضافة لجهازه الإداري، كان للساتراب موارد كثيرة لتحرير نفسه من القوة المركزية، وواحدة من المزايا التي تحسب لأورويتس إحكام قبضته على القوات المسلحة، فهو المسؤول عن آلاف الجنود الفرس، كما كانت لديه السلطة لسحب العديد من القوات من كل من فريجيا، ليديا وأيونيا، هل هذه القوة من قلب النظام أم أنها برزت نتيجة ضعف مؤقت للسلطة المركزية أو بمعنى آخر، هل كان للساتراب سلطة كاملة على قوات الساترية؟ في حال وجود حملة عسكرية فالجواب واضح، مثال على ذلك حملة أوتانيس ضد ساموس، وكذلك أريارمنيس على سكيثيا وأريانندس ضد برقة، كما كانت أوامر

¹ - Herodotus, 8.126.

² - Pierre Briant, op. cit, p 339.

³ - Muhammad A. Dandamaev and Vlamdimir G. Lukonin, op. cit, p 101.

السلطة المركزية، قد كلفت في بعض الأحيان الساتراب أو مسؤول كبير بقيادة القوات من منطقة أكبر، هؤلاء القادة الذين سمو بـ كرانوس* Karanos، بمعنى تعطى لهم الصلاحية الكاملة¹.

لكن في القرن الرابع قبل الميلاد، أصبح الحراس الملكيون يمارسون أيضا القيادة العسكرية لقوات مناطقهم الخاصة، ولكن بتبعية للقائد الأعلى (Karanos)، الذي كان أحيانا ساترابا على كل المنطقة، كما كان مسؤولا عن الإزدهار الإقتصادي ومسؤولا عن تحصيل الضرائب، على سبيل المثال كان لقورش الصغير مخزون من الفضة والذهب، وبوفاته صعد تيسافرنس الذي كان قائدا عسكريا وأصبح ساترابا في الوقت نفسه، وفي وقت لاحق أصبح فارنابازوس قائدا عسكريا في آسيا الصغرى مع الاحتفاظ بمنصبه كساتراب، وقد قاد قوات قورش الصغير ضد شقيقه أرتكزيركسس الثاني في قضية التمرد على العرش الملكي، فخلال القرن الخامس والرابع قبل الميلاد كانت مهمة الساتراب قمع الثورات ضد الإمبراطورية، وهكذا كانت القوات عند تصرف الساتراب منذ القرن الرابع (مثال: حاكم سوريا ميغابيزوس، تيسافرنس من كاريا)، أعطاهم الفرصة للثورة ضد السلطة المركزية².

كان ميغابيزوس من الشخصيات الفارسية اللامعة في عهد زيركسس، كان قد أرسل من طرف الملك إلى مصر لمعاقبة قتلة أخيمينيس، وقد اتهم هو وأرتبانوس بضلوعهم في مقتل زيركسس من طرف ارتكزيركسس الأول³، الذي تقدم بطلب للملك بالعودة إلى أرضه سوريا (هنا نجد أن في حالة ميغابيزوس أن الساتراب كان يضمن أن الساترية تعتبر من ممتلكاته) إثر الحزن الذي أصابه جراء الاتهام، حيث قام بإرسال جنود إغريقين مرتزقة إلى هناك بسرية تامة، وغادر ليصل إلى سوريا ليعلن بعدها الثورة على الملك، تجدر الإشارة هنا بأن الساتراب يحتفظ بقوات تابعة له لتنفيذ الأوامر في الوقت المناسب، وهذا ما حدث معه، حيث جمع قوة لا يستهان بها بحوالي 150.000 تتكون من سلاح الفرسان والمشاة، وقد أرسل أوزيريس مع 200.000 جندي ليردعه، وأصيب كلا القائدين،

* - كرانوس Karanos : هو القائد الإقليمي للجيش الفارسي، وهو القائد المسؤول عن تجميع وقيادة الجيش من إقليم معين، للمزيد انظر:

Eduard Rung, Some notes on Karanos in The Achaemenid Empire, Iranica Antiqua, vol 50, 2015, p 333.

¹ - Pierre Briant, op. cit, p 340.

² - Muhammad A. Dandamaev and Vlamdimir G. Lukonin, op. cit, p 102.

³ - Pierre Briant, op. cit, p 564.

وقد خرج ميغابيزوس منتصرا إلا أنه فقد ولديه زوييروس وأرتيفوس، غير أنه لم يقتل أوزيريس وأرسله إلى أرتكزيركسس بعد أن اعتنى به، لكن هذا الأخير عاود الكرة وأرسل قائدا آخر يدعى مينوستانس ابن أرتاريوس ساتراب بابل وشقيق أرتكزيركسس، وفاز ميغابيزوس مرة أخرى، أرسل بعده ساتراب بابل أرتايوس رسولا لميغابيزوس يطلب منه أن يوقع معاهدة سلام، أخبره بأنه يريد أن يعقد معاهدة سلام مع الملك غير أن لا يريد الذهاب إلى الملك، وقام أميرتايوس ببحث زوجة ميغابيزوس للمساعدة بعقد المعاهدة، وبعد مد وجزر قبل العودة، وأخبره الملك بأنه غفر كل أخطائه، ليضيف كتسياس في سياق نفي ميغابيزوس بعد كل هذه الأحداث ويروي قصة عن الملك زيركسس حول خروجه في رحلة للصيد أين أعترضهما هو وميغابيزوس أسد وقد قام هذا الأخير بقتل الحيوان قبل أن يقتله، حيث شعر الملك بالغيرة وأمر بقتله، لينفى بعدها إلى مدينة كيرتا في البحر الأحمر، وعاد خفية لزوجته ليجد الملك هناك وقد عفا عنه، توفي ميغابيزوس عن عمر ناهز 76 سنة، وأقام الملك حدادا¹.

لقد كانت السلطة المتاحة للساتراب تمكنه من امتلاك جيش سواء من الفرس أو المرتزقة، كما في قضية ميغابيزوس، وأن من السهل حيازة الإقطاع الذي من المفروض أن يكون تابعا للملك، خاصة وإن تتبعنا ما جاء به كتسياس من أن ميغابيزوس يريد أن يرجع إلى أرضه سوريا.

والقضية الأكثر شهرة هي قضية تمرد قورش الأصغر والذي كان ساترابا وقائدا عسكريا في نفس الوقت، ولقب بالساتراب القوي في آسيا الصغرى (ساتراب ليديا وفريجيا وكبادوكيا)، حيث قاد جيشا عرمرم أغلبيته من المرتزقة الإغريق²، وقد باءت محاولة قورش الأصغر في التمرد على شقيقه أرتكزيركسس الثاني من أجل العرش بالفشل، إذ انهزم في معركة كوناكسا *cunaxa* سنة 401 ق م³.

¹ - Ctesias, B 16-17. 40-43.

² - Muhammad A. Dandamaev and Vlamdimir G. Lukonin, op. cit, pp 102, 198.

³ - Amélie Kuhrt, op. cit, p 542.

ثورات الساتراب الكبرى والتي تناولها ديودور الصقلي بشيء من التفصيل¹، والتي كانت بوادها منذ سنة 366 ق م لتبدأ فعليا سنة 362(1) ق م، حيث يذكر أنه عندما انتخب مولون (Molon) أركون في أثينا، انتخب كل من لوكيوس جينيكيوس وكوينتوس سيرفيليوس، ثارت المدن الواقعة في الساحل الآسيوي على الحكم الفارسي، وقد قام بعض الساترايين والجنرالات بالتمرد على الملك الفارسي أرتكزيركسس الثاني، وفي الوقت نفسه قرر الملك المصري تيوس الثورة على الفرس أيضا وأعد السفن وجمع قوات المشاة بعد أن دفع الأموال للمرتزقة اليونانيين للانخراط في قواته، كما أقنع اللاكيديمونيين كذلك للقتال معه، وعندما ثار الجنرالات أصبحوا يهددون الإمبراطورية، مما استدعى الملك للتحضير لقمعهم، وفي الوقت نفسه لمحاربة الملك المصري المتمرد، في هذه الأثناء قامت المدن الإغريقية في آسيا واللاكيديمونيين وحلفاؤهم، وعدد من الساتريين والجنرالات الذي يحكمون المناطق الساحلية، بالاتفاق على جعل قضيتهم وهي الثورة على الحكم الفارسي قضية مشتركة، ومن هؤلاء كان الأكثر تميزا ساتراب فرجيا أريوبارزانس Ariobarzanes، الذي أخذ الولاية بعد وفاة ميثريداتس، وموسولوس Mausolus حاكم كاريا وسيد العديد من المعازل والمدن الهامة والتي كان قلبها هاليكارناسوس، بالإضافة إلى هؤلاء ثار ساتراب ميسيا أورانتس، وساتراب ليديا أوتوفارداتس، وقد انضمت شعوب التي هي جزء من أيونيا كسامفيليا وبيسيديا، ليسيا وقيليقا، وكذلك السوريون والفينيقيون، وجميع الشعوب الساحلية، كانت عمليا مع التمرد، وهكذا كانت الثورة واسعة النطاق، وتم قطع إيرادات الملك ونقصت النفقات وأصبحت غير كافية للحرب².

2-1 الثورة في الأناضول:

لقد كان للموظفين الفرس الإخمينيين ونخص بالذكر الموظف رفيع المستوى وهو الساتراب، مكانة سياسية واجتماعية مرموقة، وكانت هذه الخطوة مصدر فخر لهم، ففي حالة وجود تناقض بين مهام الساتراب ومصالحه الشخصية سواء كان ظاهرا أم مبطنا أمام علو سطوته على باقي الموظفين، ينتج عنه احتمالية أن يثور الموظف على موظف أكبر منه مكانة وسلطة أو يثور الساتراب على ملكه، بحيث يصبح الساتراب في وضع يهدد منزلته وسطوته ويلجأ للتمرد لمحاولة إثبات قوته³.

¹ - Diodorus, B 15.90.

² - Ibid

³ - Michael Weiskopf, op. cit, p 16.

ثار سكان الساحل الآسيوي من بلاد فارس، حيث شن بعض الساتريين والقادة العسكريين تمرداً، اعتبر بمثابة انتفاضة أدت إلى نشوب صدام حربي مع أرتكسيركسس الثاني، في الوقت التي كانت الثورة فيه مشتتة على الجانب المصري من طرف الملك المصري تيوس الذي قام بتجنيد المرتزقة الإغريق وأقنع اللاكيديمونيين بالقتال معه ضد الفرس بسبب عدم اهتمام الملك بالإسبرطيين، مما أرغم الملك الفارسي على شن هجوم على الجبهتين المصرية وعلى جبهة المدن الإغريقية في آسيا، وهؤلاء اللاكيديمونيين والساتريين وقادة الجيش، كلهم مجتمعين ولكن في أماكن متفرقة، وبسبب هذه التصعيدات، اعتبرت هذه الثورات من أكبر الثورات التي قام بها موظفو الساتراب التابعين للإمبراطورية الفارسية الإخمينية، ففي الأخير اتفق الساتراب والقادة العسكريين على ضم جهودهم مع بعض في مواجهة الملك أرتكسيركسس الثاني، وكان على رأسهم ساتراب فريجيا أريوبارزانس Ariobarzanes الذي استحوذ على الحكم بعد وفاة ميشيريداتس، وموسولوس Mausolus حاكم كاريا الذي كان سيدياً على العديد من المعازل والمدن المهمة التي تضمها المدينة الأم هاليكارنسس، بالإضافة إلى آخرين مثل أروننتس Orontes ساتراب ميسيا Mysia، وأتوفراداتس Autophradates ساتراب ليديا، ومن غير الأيونيين كان هناك الليسيون والباسيديون والبامفيليون، القيليقيون، كذلك السيوريون والفينيقيون وجميع شعوب الساحل تقريباً، مع انتشار التمرد على نطاق واسع، تم اقتطاع نصف إيرادات الملك وما بقي منها لم يكن كافياً لنفقات الحرب¹.

العلاقات الموثقة بين تنافس الساتراب، تعود للسنوات ما بين القرن الرابع والخامس قبل الميلاد بين ساتراب داسكيليوم فارنابازوس وساتراب سباردا(ليديا) تيسافارنس، ربما الأول أو الثاني كان أحدهما فرع عائلته ينتمي للبيت الإخميني، وكلاهما كان حريصاً على إزالة التأثير الأثيني من المناطق الساحلية للساترايات التابعة للإمبراطورية الإخمينية وتأمين استخدام الأسطول الإسبرطي، فانهى بهما الأمر بالتنافس فيما بينهما، كان التنافس قد قضى على تواجد بعض الأثينيين، لكنه سمح في نفس الوقت بإرسال قوات إسبرطية في المنطقة، الأمر الذي جعل داريوس الثاني بإرسال شقيقه قورش الأصغر إلى غرب الأناضول، على أمل أن ينهي وجوده الصراع القائم بين هذين الحاكمين².

¹ - Diodorus, B 15. 90.

² - Michael Weiskopf, op. cit, p 17.

بعد حادثة تمرد قورش الأصغر على أخيه أرتكسيركسس، تم تعيين فارنابازوس كقائد خاص في أقصى الغرب للتعامل مع الأزمة الإغريقية، وهكذا أصبح فرنابازوس متفوقا على تيسافارنس¹ غير أن هذا الأخير ورغم جهوده في الحفاظ على ملك أرتكسيركسس إلا أن حركته ضد قورش الأصغر وتسببه بقتله، جعلت من الملكة الأم باريساتيس، تضرر الحقد لتيسافارنس لتتمكن في الأخير من إقناع أرتكسيركسس بأنه خائن²، بالإضافة إلى شكوى فارنابازوس عن استيائه من عدم التواصل مع زميله والتنسيق في العمليات العسكرية من جهة الشمال، الأمر الذي سرع من قرار أرتكسيركسس الذي قام بإعدام أحد القادة الفرس الأكفاء، وبذلك أنهت الملكة الأم انتقامها أولا بقتل الخصي، وثانيا التحريض على قتل تيسافارنس³.

تشير هذه الأزمة التي حدثت بين هذين القائدين، إلى أن حدوث مشكلة إدارية قد تمس معظم الساترية، وقد تكون إحدى نتائج هذا التنافس التمرد في نهاية المطاف، ذلك أن المبادئ التوجيهية للإدارة الحدودية في جوهرها مقسمة ومرنة، وكان التمرد مسألة تتجلى في سهولة ووضوح المهام الموكلة أو الصلاحيات الممنوحة إلى الساتراب وهو الأمر الذي لم ينفذ الإمبراطورية بقدر ما مس وحدة جهازها الإداري، فلا شك أن الصلاحيات المطلقة التي منحت للساتراب والإستثناءات العسكرية، وكذلك السماح للحكام المحليين بالإحتفاظ بالحكم على المستوى المحلي، قد قلب الحكم المرن واللين إلى وارتدت القبضة الفارسية الأخمينية بالعكس.

النزعات الانفصالية في هذه المناطق، والتوترات داخل البيت الإخميني والتي أصبحت ظاهرة للعيان، والتوترات التي كانت تحدث بين الملك والساتراب، وتزايد انخراط المرتزقة، والركود الإقتصادي الناجم عن الاكتناز الهائل للملك للأشياء الثمينة والموارد من المعدن النفيس، واستنزاف الأراضي الصالحة للزراعة والأعباء الضريبية المفرطة، وتزايد الخلافات بين الطبقات الإجتماعية، كل هذه العوامل أدت لظهور التمرد على السلطة العليا من قبل الساتراب والقادة العسكريين⁴.

¹ - Xenophon, Hell, B 3.1-2.

² - A.T Olmstead, op. cit, p384.

³ - Michael Weiskopf, op. cit, p 17.

⁴ - Ian Morris and Walter Scheidel, op. cit, p 91.

قام تيسافارناس بنقل حزمة من المعلومات من بينها أدلة لا يمكن إنكارها وهي تمرد قورش الأصغر سابقا، بالإضافة إلى وجود تهديد من قبل إيفاغوراس حاكم (ملك) على جزيرة قبرص، وأنه عنصر تهديد في الوضع الراهن، كما أن ابن الساتراب داتامس (ساتراب كبادوكيا) Datames المدعو سيسيناس Sysinas قد اتهم والده بأن توطيده لسلطته بالجزيرة قد يضر التاج الملكي¹، وبالتالي هناك خطرين على الجبهة في الأناضول يشكلان تهديدا حقيقيا للإمبراطورية الفارسية الإخمينية، حيث أعلن داتاماس استقلاله عن الإمبراطورية (من 368 إلى 367 ق م)².

رغم المنجزات الحربية التي قام بها داتاماس، حيث خدم في الحرس الملكي لأرتكسيركسس، قاتل ضد الكادوسيين في عام 384 ق م، إنضك إلى ساتراب ليديا أتوفراداتس ضد مجموعة من المتمردين من بينهم البيسديين، وشارك فارنابازوس في حملته على مصر، وقد بدأ ثورته ضد الملك باحتلاله جزءا من بافلاغونيا Paphlagonia، ومهاجمة منطقة سينوب Sinope على ساحل البحر الأسود، اختتم داتامس أعماله بتحالف سري مع أريوبارزانس Ariobarzanes ساتراب دسكيليوم، حيث أرسل ابنه ارسيدوس Arsidaeus ضد البيسديين الذي قتل أثناء المعركة، ليقوم هو بذاته بقيادة المعركة أين تعرض للخيانة من والد زوجته ميثروبارزانس Mithrobarzanes الذي انحاز للبيسديين بالإضافة إلى رفع ابنه شكوة لدى أرتكسيركسس، أرسل إليه ساتراب ليديا أتوفراداتس Autophradates ليبرم معه اتفاق يقضي بإنهاء تمرد، والإمتناع عن القيام بتحركات عسكرية ضد الملك، غير أنه في السنوات التالية، قام داتامس بالعديد من المناوشات بدعم جزئي من تيوس المصري سنة 1/362 ق م، لكنه قتل في نفس السنة بطعنة من قبل ابن أريوبارزانس Ariobarzanes ميثريداتس Mithridates، هنا نجد حالة من تمرد الساتراب الذي لم يلقى دعما حتى من عائلته³.

¹ - Michael Weiskopf, op. cit, p 17.

² - Kaveh Farrokh, op. cit, p 92.

³ - Maria Brosius, A history of Ancient Persia, p 188.

2-2 الثورة في داسكيليوم:

سجلت هذه الثورة أو التمرد بقيادة أريوبازانس ساتراب فريجيا، أو بالأحرى ساتراب داسكيليوم باعتباره الابن الأكبر للساتراب المنحدر من الفرع الإخميني فارنابازوس (420 ق م) قبل سنة 387 ق م، في مرحلة جديدة قد بدأها أرتكسيركسس لإدارة الحدود الغربية البعيدة التي تعاني من اضطرابات، غير أنه وبالنظر للفارق الزمني بين هذين الساترين من حيث السن وتحمل مسؤولية الساتراب، نجد أنه من المرجح أن يكون حفيده لا إبنه، بحيث كانت داسكيليوم ساترية وراثية لعائلة فارنابازوس من أبناء فارناسس المنتمي للبيت الإخميني¹.

من الملاحظ أن الساترية بالنسبة لهذه العائلة متوارثة، إلا أن في عهد أرتكسيركسس تمكن فارنابازوس من البقاء على رأس ساترية داسكيليوم، ليس بمعنى أن يكون حاكما مطلقا على هذه الساترية، في حين نجد سليله أريوبازانس على رأس ساترية فريجيا، فإن كان هناك استبعاد سيصبح قرارا إداريا مهينا وتعطيلا لمهام الساتراب في ساترية داسكيليوم، وربما لا يوجد سبب معين لقرار أرتكسيركسس الثاني²، وبهذا نستنتج أن الأحقية أو المنصب على رأس الساترية ليس مطلق وثابت، إلا أن وظيفة الساتراب بقيت ثابتة ومتوارثة وإن تغيرت الساترية التي يحكمونها، أو ربما فقد حق ولاية داسكيليوم بسبب إعلانه التمرد على الملك.

حدث تمرد أريوبازانس بالتوازي تقريبا مع تمرد الساتراب داتاماس، ربما من سنة 367 أو 367 ق م إلى 364 ق م أو 362 ق م، تم تعيينه ساترابا على فريجيا حيث جاء الأمر من الملك بشكل مؤقت في انتظار أن يكبر ابن فرنابازوس وابنة ارتكسيركسس الثاني أباما Apame الذي به الأحقية على ساترية داسكيليوم حسب وجهة نظر الملك (الأحقية لابن ابنته)، الأمر الذي أوجع الغضب بداخل أريوبازانس، ربما كان التمرد نتيجة رفض الأخير الإنصياع لقرار الملك والتنازل عن سلطته على رأس الساترية لخليفة فارنابازوس القادم، حصل على دعم من القائد الأثيني ثيموثيوس Timotheus الذي حل محل إيفيكراتس Iphicrates في مصر، في المقابل أعطاه السيطرة على المواقع التراقية لسيستوس وكريثوت، ولهذا السبب حصل أريوبازانس هو وابنه على المواطنة الأثينية،

¹ - Michael Weiskopf, op. cit, p 27.

² - Ibid, p 28.

رغم انضمام الإسبرطيين والأثينيين إلى جانبه إلا أنه تخلى عن الحصار الذي كان قد فرضه، وتعرض للخيانة من قبل ابنه ميثريداتس وتم صلبه حيث عادت ساترية ليديا ككل إلى سيطرة أرتبازوس ابن أباما ابنة أرتكسيركسس الثاني¹.

3-2 ثورة الساتراب أورونتس* Orontes:

عندما عين أرتكسيركسس الثاني كل من الساتراب تيريبازوس والساتراب أورونتس كقادة يشتركان وينسقان نفس العمليات العسكرية التي حدد هدفها للإطاحة بالمتنرد إيغوراس، وقد أمل أن يعمل هذين القائدين بشكل جيد معاً، والوصول من النزاع بنتيجة ترضي الملك، كلاهما كان بجانب أرتكسيركسس في صراعه مع أخيه قورش الأصغر، كما كانا من كبار الضباط والساتريين، كل منهما قد قاد فرعا من الجيش، غير أن أورونتس قد تولدت بداخله الغيرة من زميله تيريبازوس، رغم العمل الجماعي الذي قاما به، بسبب تفوق هذا الأخير على أورونتس نظرا لمعرفته بمنطقة العمليات العسكرية، مما يجعل القادة المرؤوسين يشعرون بالراحة معه مقارنة بشخص لا يعرف شيئا عن المنطقة، مما سيجعل الجنود يتطلعون للخدمة تحت إمرته وللحصول على التوجيه منه أو حتى لإبطال القرارات الشائعة التي من الممكن أن يقرها أورونتس، كان من المؤكد أن هذا الوضع سيؤدي إلى استياء تام قد نما ربما بعد تفوق صهر تيريبازوس في المعركة البحرية على إيغوراس، والآن أصبح هذا الأخير محاصرا عسكريا على مستوى البر، وهي المهمة التي تعتبر شاقة ومدتها غير محددة على الأقل من وجهة نظر الأطراف العسكرية².

غادر تيريبازوس إلى العاصمة الملكية سوسة، بحيث ترك أورونتس كقائد وحيد، الأمر الذي استهجن من طرف الأطراف العسكرية، وعزز موقف أورونتس في نهاية المطاف، عندما لم يتمكن تيريبازوس من العودة لمواصلة العمليات مع زميله، واستنادا لهذا التقاعس في نظر أورونتس، وجه هذا الأخير اتهاماً صريحا من خلال خطاب قد أرسله للملك الفارسي الإخميني، الذي أمر بإلقاء القبض

¹ - Maria Brosius, A history of Ancient Persia, p 189.

* - أورونتس: ساتراب أرمينيا، من القادة المفضلين لدى الملك أرتكسيركسس الثاني، وزوج ابنته رودوغون Rhodogune إزدهرت في عهده ساترية أرمينيا، انظر: Xenophon, Anb, B 3.16 ; 5.18.

² - Michael Weiskopf, op. cit, p 19.

على تيريبازوس، خاصة أن أروونتس كان ذو حظوة عند الملك وموثوقا بدرجة لدرجة كافية لإجبار أرتكسيركسس على قبول التقارير حول العمليات العسكرية التي تظهر عدم تفاعل تيريبازوس¹.

لقد كانت تداعيات التدخل الفارسي الإخميني في الشؤون الأثينية، أن قام القادة الأثينيون والإسبرطيون بدعم ثورة الساتراب الكبرى، بحيث نرى أن بعضهم قد منح حق المواطنة الأثينية على غرار أريوبارزانس، الذي تلقى دعما من الحاكم الإسبرطي أيجيسلوس Agesilaus* الذي أرسل له مساعدات سنة 366 ق م².

مهما يكن فقد تمرد أروونتس أو هذا ما لُمَّح له، على الملك الفارسي وعلى السلطة الفارسية الإخمينية بعد أن عين ساترابا على ميسيا³، استنادا على منحه حق المواطنة الأثينية هو أيضا، بسبب أن باع القمح بكميات معتبرة بعد مفاوضات وتبادل للسفراء، يوفر هذا المرسوم صورة عن النشاطات على مستوى ميسيا من طرف أروونتس، غير أن العلاقة بين هذه القضية وتمرده اعتبرت ضعيفة، إذ لا يوجد شيء يدل على أن هذا التعاون يعتبر في الأصل نوعا من التمرد على الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، أو أن بيع القمح يمثل ميولا إنفصالية⁴، غير أن ديودوروس يؤكد تمرده عن طريق حشد المرتزقة وتوفير المال اللازم لقيادة التمرد⁵، وقد رضخ أروونتس في الأخير بدون مقاومة تذكر وهو الأمر الذي يطرح فرضية عدم التمرد بإعلان ثورة ظاهرة، وإنما هي عبارة عن مراوغات ومناورات منذ استيائه من زميله، فلم تشهد الأحداث عن معاقبته في حياة أرتكسيركسس الثاني إذ أنه خان المتمردين بالجنوح نحو كسب تعاطف الملك بفعلة هذه (ربما كان يأمل أن يكافأ من الملك باستعادة سيطرته على الساحل الغربي لآسيا الصغرى)⁶.

¹ - Michael Weiskopf, op. cit, p 19.

* - أيجيسلوس: ملك إسبرطي، عرف عند أكسينوفون بتقديم المساعدة لحملة قورش الأصغر ضد أخيه أرتكسيركسس الثاني، كان صديقا للمؤرخ أكسينوفون، توفي سنة 59/360 ق م، أنظر: Xenophon, Hell, B 3.4-7.

² - Pierre Briant, op. cit, p 662.

³ - Diodorus, B15.91.4

⁴ - Pierre Briant, op. cit, p 658.

⁵ - Diodorus, B15.91.

⁶ - Hyla A. Troxel, Olontes, Satrap of Mysia, Schweizerische Numismatische Rundschau, vol 60, 1981, p 27.

توفي أرتكسيركسس الثاني، بعد أن عاد أروننتس للشرق، لمواصلة القتال في جهة سوريا ضد الملك الجديد أرتكسيركسس الثالث سنة 361 ق م وبعد سنوات من عودته خضع أخيرا للملك سنة 355 ق م، وثار للمرة الثالثة أين حوَّص في بيرغاموم أو بيرغامون* Pergamum، وبعد سنوات من هذه الأحداث أي بعد 348 ق م لم يعرف عن أروننتس شيئا¹.

لقد كان تقدم المتمردين في العصيان قد أفقد الإمبراطورية الفارسية الإخمينية اقتصادها الذي أصبح مهددا، خاصة بعد إعلان هذه المدن نفسها أنها مدن طاغية، وكانت الثورة تهديدا حقيقيا لسلامة الإمبراطورية أو حتى على سيادتها، وقد فشلت الثورة سنة 360 ق م، ولحكمة الملك الفارسي أرتكسيركسس الثاني، الذي أقنع الأطراف المتخاصمة في الدخول معه في هدنة تضمن السلام في المنطقة².

3- إنهاء الإمبراطورية الفارسية الإخمينية:

لقد شكلت السنوات الأخيرة من عمر الإمبراطورية صورة نمطية عن النهاية الحتمية لسطوة الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، بحيث لم تتوقف حركات التمرد حتى بعد اعتلاء أرتكسيركسس الثالث العرش، كما حاول للمرة الأخيرة، استرجاع سلطة أسلافه المطلقة على ساترية مصر وبشكل نهائي.

3-1 ثورة ساتراب فريجيا الهلليسيونية:

يذكر أن أرتكسيركسس الثالث يعد من أقسى ملوك الإمبراطورية الفارسية من ناحية التصفية العائلية، فقد فاق باقي الملوك في القسوة وسفك الدماء، حيث وبعد وفاة الملك المزمع تقليده داريوس الثالث (أعدم ربما لتمرد في القصر) قام بقتل أخويه الغير شقيقين أرياسبس Ariaspes وأرسامس Arsames³.

* - بيرغامون: مدينة تقع في الساحل الغربي للأناضول، 110 كم شمال سميرنا، 24 كم على البحر الإيجي، استوطنت من قبل الأيونيون الإغريق الأوائل، مثلت هذه المدينة جزءا من المناطق التي تواجدت بها قوات قورش الأصغر أثناء تمرده على أرتكسيركسس، والتي قدم سكانها المؤونة لجيوش الأخ المتمرّد، أنظر: Trevor Bryce, op. cit, p 538.

¹ - Hyla A. Troxel, op. cit, pp 27-28.

² - A.T Olmstead, op. cit, pp 414, 415.

³ - Plutarch, Artaxerxes, 29.6-30.3.

أرتبازوس ابن فارنابازوس زوج ابنة أرتكسيركسس الثاني، إذن من المفترض أن يكون أرتبازوس ابن أخت الملك أرتكسيركسس الثالث، قد قام بالتمرد على الملك، بعد ان حل جيوش المرتزقة المتواجدة الساتريات الساحلية، وبالتالي حد من قوتهم العسكرية، لكن انضم هؤلاء المرتزقة للأثيني كاريس Chares الذي بدوره عرض خدماته على أرتبازوس الذي أعلن تمرده آنذاك، حيث وضع أرتكسيركسس حدا لهؤلاء المرتزقة، بقلب 5000 من المرتزقة من طيبة الأثينية الذين كانوا أنفسهم منضمين لأرتبازوس، للمحاربة ضد هذا الأخير، حيث حكم ساترية فريجيا منذ سنة 362 ق م لمدة ست سنوات إلى أن أعلن التمرد، وفر في الأخير إلى المقدونيين عهد الملك المقدوني فيليب الثاني سنة 352 ق م، إلا أن الملك عفا عنه عام 345 ق م وسمح له بالعودة إلى فارس، فهرب أرتبازوس للملك المقدوني، لا يعني وجود توترات بين هذا الملك والإمبراطورية الفارسية الإخمينية، رغم هذا التمرد إلا أن أرتكسيركسس كان مهتما بقمع الثورة في مصر، كما ركز اهتمامه في احتواء كل من المدن القبرصية وإخضاع ملك صيدا تانيس ¹Tennes.

2-3 استرجاع مصر والقضاء على التمرد:

بينما تم إخماد التمرد الطفيف في آسيا الصغرى، صب الملك أرتكسيركسس الثالث كل تركيزه على الوضع القائم في مصر، ولم يكن يعلم مدى قوة نختنبو الثاني **Nectenbu II** * آخر ملوك المصريين من الأسرة الثلاثين، ولم تتكون عنده صورة عن حجم الدمار والعصيان الذي أحدثه هذا الملك ².

¹ - Maria Brosius, A history of Ancient Persia, p 199.

* - نختنبو: نختنبو الثاني حكم منذ سنة 360 ق م إلى 342 ق م سليل نختنبو الأول مؤسس الأسر الثلاثين (320-362 ق م)، قائد عسكري وأخر الملوك الذين ينحدرون من السلالة المصرية (إثنيا يعتبر من السكان المصريين الأصليين)، ومن الواضح أنه اعتلى العرش إثر انقلاب عسكري، خلفه تيوس (362-360 ق م)، الذي أطيح به إثر انقلاب عسكري من قبل قريبه نختنبو الثاني ليعتلي سدة الحكم مستكملا حكم الأسرة الثلاثين، للمزيد أنظر:

Ian Shaw, The Oxford History of Ancient Egypt, Oxford University Press, USA, 2000, p 377 ; Plutharch, Agesilaus, 36-69.

² - Pierre Briant, op. cit, P 682.

لقد حاول أرتكسيركسس الثالث إخضاع مصر في حياة أرتكسيركسس الثاني سنة 359 ق م، ولم يستطع ذلك أن مصر قد تمتعت بإنفصالها عن حاضرة الإمبراطورية الفارسية الإخمينية زهاء عقدين من الزمن، حيث كان آخر هجوم واسع النطاق سنة 373 ق م، ونظرا لهذه المدة قامت حامية مصر تحت حكم نختنبو الثاني بالاستعداد عسكريا منذ زمن طويل يسبق هذا الملك، فقد كانت التحصينات على أعلى مستوى من ذي قبل، وهو الأمر الذي شكل صعوبة في اختراق جيوش الملك لهذه الدفاعات، خاصة وأن نختنبو قد كرس خلال العقد الماضي نشاطه في بناء المعابد والإعتناء بالمقدسات الدينية، هذا النشاط الذي لم يبق له مثيل في مصر خاصة أواخر الأسر الملكية، بهدف كسب دعم محلي من السكان والطبقة الكهنوتية، هذا الأمر الذي من المرجح أنه قد ساعده في دفع ثمن استقدام المرتزقة استعدادا لمواجهة مع الفرس الإخمينيين ودفع مستحقاتهم دون النظر للعواقب السياسية، وقد ساعده في ذلك الضريبة التي فرضها على المعابد والتي دفعت له بانتظام¹.

لقد وصف ديودور الصقلي أرتكسيركسس الثالث بالجن وقله الخبرة القيادية كم أنه نفسه ليس ملكا محاربا على غرار الملوك السابقين، بسبب فشله أكثر من مرة في إخضاع مصر أواخر حياة الملك السابق أو في بداية فترة حكمه، فعلى الرغم من غليان السكان المصريين وتهديداتهم إلى أنه بقي هادئا وتحلى بالصبر ربما بسبب شخصيته الباردة أو طبيعته المحبة للسلام(الأمر الذي يتنافى مع وصف بلوتارك لشخصية أرتكسيركسس الدموية)، لكن الانقلاب الذي حدث في شخصيته فور إعلان ملوك قبرص والفينيقيون التمرد "كتقليد" للثورة المصرية على الحكم الفارسي الإخميني، قد أغضب الملك وجعله يشن الحرب على مصر، حيث تحلى على أن يوكل قيادة العمليات لقادته العسكريين، وقرر تنفيذ الحملة بنفسه حفاظا على صورته ومملكته².

تعرض أرتكسيركسس للفشل في أولى هجماته على مصر سنة 351 ق م³، بالرغم من عدم وجود دليل على حدوث هجمات قبل هذه السنة بشكل واضح ومفصل، بحيث عزم على الانتقام من المصريين بعد سنوات من هذه الحملة بداية من سنة 347 ق م⁴.

¹ - Stephen Ruzicka, op. cit, p 161.

² - Diodorus, B 16.40.3-6.

³ - Maria Brosius, A history of Ancient Persia, p 200.

⁴ - Pierre Briant, op. cit, 682.

قام نختنبو الثاني بدعم التمرد في فينيقيا بقيادة الملك تانيس بمدينة صيدا ومعظم مدن قبرص مع تسعة ملوك أعلنوا الانفصال عن الإمبراطورية الفارسية الإخمينية¹، ففي أواخر 350 ق م حشد جيشا لإعادة قبرص، طالبا الإمدادات من ساتراب كاريا أدريوس Adreius في ذلك الوقت الذي حيث زود الحملة الفارسية الإخمينية بأربعين سفينة و8000 جندي من المرتزقة بعد أن عين القائدين (قائدان عسكريان strategos) الأثينيين فوكيون Phocion وايفاغوراس (نفسه الذي أعلن التمرد على السلطة سابقا، ص 224) على رأس قوات المرتزقة، وعندما علم السكان بقوة القائدين وامتلاكهما أموالا ضخمة تجندوا طواعية في صفوف القوات المحاربة مما زرع الرعب في نفوس القادة المتمردين في قبرص²، وقد نجح أدريوس في الوصول للعديد من هذه القوات وكسبها لصالح الملك الفارسي³.

قاد مازيوس ساتراب قيليقيا وبلشونو الثاني ساتراب سوريا، العمليات ضد المدن الفينيقية، في الوقت الذي دعم فيه نختنبو الثاني الملك الصيدوني تانيس بقوات من المرتزقة تحت قيادة منتور أرسلها من مصر، وعندما استسلمت المدن الفينيقية، فتحت أبوابها للقوات الفارسية الإخمينية التي اكتسحت صيدا أمام مقاومة جيوش ملكها، وفي النهاية سقطت صيدا وأعدم الملك تانيس سنة 345 ق م، مما أدى إلى إنقلاب قوات المرتزقة المعادية للفرس الإخمينيين وانضمامها للجانب الفارسي الإخميني بقيادة ساتراب ليديا وأيونيا روزاسس Rhoesaces، مباشرة بعد إعادة المدن الفينيقية تحت السيطرة الفارسية، استعد الملك لمهاجمة مصر، ونفذ هذا الهجوم نهاية سنة 343 ق م، حيث أرسلت طيبة 1000 من المرتزقة تحت قيادة لاکراتس Lacrates، 3000 من الأرجيفيين من أرغوس و6000 من اليونانيين من آسيا، ما مجموعه 10000 في مواجهة قوات نختنبو التي قوامها 20000 جندي، وفي صيف 342 ق م هزمت قوات الملك المصري واسترجعت مصر إلى حاضرة الإمبراطورية الفارسية الإخمينية⁴.

¹ - Maria Brosius, A history of Ancient Persia, p 200 ; Diodorus, B 16. 44.

² - Diodorus, B 16.42.7 ; 43.

³ - Eyal Meyer, The Satrap Of Western Anatolia And The Greeks, Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Doctor of Philosophy, University of Pennsylvania, USA, 2017, p 82.

⁴ - Maria Brosius, A history of Ancient Persia, p 200.

وضعت مصر تحت سيطرة الساتراب فيرننداتس Pherendates، وكان عقاب أرتكسيركسس الثالث قاسيا، بعد أن استولى على مصر قام هدم أسوار أهم المدن ونهب العديد من الأضرحة المقدسة التي تحوي كميات هائلة من الذهب والفضة¹.

3-3 داريوس الثالث ونهاية الإمبراطورية الفارسية الإخمينية:

كان من إحدى أسباب الضعف الذي شهدته الإمبراطورية الفارسية الإخمينية والسلطة المركزية، هو تفاقم وتزايد أزمات الأسرة الحاكمة والإغتيالات التي تطال الأسرة الملكية، واعتلاء داريوس الثالث العرش، مثال صارخ عن كل هذه الأزمات².

لقد سمم أرتكسيركسس من باغواس الخصي (وزير الملك) الذي يعتبر من الشخصيات القوية وعلى قدر كبير من الدهاء والخبث في أواخر العهد الفارسي الإخميني، إذ واستنادا على خلفية أرتكسيركسس الثالث واضطهاده ومعاملة رعاياه بقسوة، جعلت من شخصية الملك مكروهة الأمر الذي أدى ببغواس من دس السم في دواء الملك عن طريق طبيب معين كان قد اختاره، ونصب أصغر أبنائه على العرش والمدعو بأرسيس Arses (أرتكسيركسس الرابع)، وبالمثل تخلص من أخوة الملك الجديد الذين لم يبلغوا سن الرشد، لكي ينفرد بالملك الشاب ويسيره كيفما شاء، لكن أرسيس تظن لنوايا هذا الخصي وقبل أن يتخلص منه قام باغواس بقتله هو وأبنائه بينما كان في السنة الثالثة من حكمه فقط، وهكذا تم القضاء على أسرة البيت الملكي بحيث لم يبقى خط مباشر، واختار باغواس داريوس الثالث ابن أرسانس وحفيد أوستانس الذي كان أخوا لأرتكسيركسس الثاني ابن داريوس الثاني، غير أنه لم يرحم داريوس الثالث وحاول تسميمه هو الآخر، ومع ذلك فشلت خطته، إذ تبادل هو وداريوس الكأس وشرب الدواء بدلا منه³.

¹ - Maria Brosius, A history of Ancient Persia, p 200.

² - Pierre Briant, op. cit, p 769.

³ - Diodorus, B 17.4-6.

تبرز قوة باغواس منذ عهد أرتكسيركسس الثالث، عندما أثبت جدارته في قيادة القوات بإحدى الهجمات التي قادتها الإمبراطورية الفارسية الإخمينية أثناء حملة استعادة مصر سنة 49/350 ق م كرجل يثق به الملك، والذي أشركه مع القائد أريستازانس أحد المرشدين العسكريين للملك، حيث تم تكليفه بقيادة 5000 جندي من النخبة و80 سفينة والإستيلاء على بيليسيوم Pelusium، حيث نزل مع منتور رودس Rhodes (قائد مرتزقة رودس) في بوباستيس Bubastis، كانت نتيجة هذا التعاون، الإنخراط في خدمة الملك واحتلال مكانة مقربة من شخص الملك أرتكسيركسس الثالث، وواصل باغواس سطوته بإدارة شؤون الساتريات العليا*، حيث ارتقى لهذا المنصب إثر مشاركته العمليات مع منتور رودس، وادعى أنه السيد الأمر الناهي بدل أرتكسيركسس¹.

لم يذكر أن داريوس الثالث قد عامل رعاياه بقسوة، أو بالأحرى أن مدة حكمه لم تُره أي تمرد أو توتر يضاهاى الثورات السابقة، سوى الصدام المقدونيين الذين عزموا على الإطاحة بالإمبراطورية الفارسية الإخمينية²، يبقى هذا مجرد رأي يستند على قاعدة البدايات الأولى لحكم داريوس الثالث أين لم تسجل أحداث دموية تذكر أو تمرد ظاهر سواء من الرعايا أو الساتراب في تلك الفترة.

* - الساتريات العليا: جميع الأراضي من زاغروس شرقا حتى حدود الهند، مدرجة في هذه المناطق كالتالي: مقاطعات بيرسيس، كارمانيا، درانغيانا (الجهة الجنوبية)، ميديا، هيركانيا، بارثيا، مارغيانا، أريا، باكتريا (باختيار) وسوغديانا الجهة الشمالية، فيما بعد تلك المناطق الأبعد شرقا والتي أصبحت تابعة للإسكندر المقدوني بعد الإطاحة بالإمبراطورية الفارسية الإخمينية وهي مقاطعات الهند ووادي كابول، غير أنه فقدتها مبكرا من سنة 303 ق م، بالإضافة للمناطق أو مستوطنة موريا شاندراغوبتا Maurya Chandragupta، وبالتأكيد معظم وليس الكل من منطقتي أراخوزيا وغيدروسيا، أنظر:

G. G. Aperghis, *The Seleukid Royal Economy: The Finances and Financial Administration of the Seleukid Empire*, Cambridge University Press, USA, 2004, p 40.

¹ - Maria Brosius, *A history of Ancient Persia*, p 204.

² - E. Badian, *Darius III*, *Harvard Studies in Classical Philology*, Department of the Classics, Harvard University, vol 100, 2000, p 242.

1-3-3 تدهور الوضع الإداري والاقتصادي:

كان قد أعلن عن تمرد، عندما اعتلى داريوس الثالث سدة الحكم، في مصر وربما كان نشطا منذ سنة 337 ق م، من قبل ملك يدعى خباباش Khababash، الذي سيطر على أجزاء كبيرة من مصر، عن طريق قوته المتمركزة في ممفيس، حيث تمكن داريوس من هزيمته سنة 336 ق م في نفس السنة التي أصبح بها ملكا، لكن نجاحه كان بالكاد يخفي حقيقة أن الإمبراطورية الآن أكثر عرضة للتمرد من أي وقت مضى، خاصة أمام سحق الرعايا، والأمر الآخر أن تغير نظام الساترية الذي لم يعد يهتم بأصل الساتراب أو حتى أن يكون مواليا للعرش، الأمر الذي شكل خطرا أمام تنامي جشع النبلاء وفساد المسؤولين الحكوميين بشكل كبير، في ظل معاناة السكان من الفقر الشديد بسبب المعدلات الفائدة الضخمة، التي وصلت لنسبة 40 إلى 50% زد على ذلك الضرائب التي كانت في ارتفاع متزايد، بحلول هذا الوقت كان اقتصاد الإمبراطورية الفارسية الإخمينية مجرد ظل أو شبح لما كان عليه من قوة سابقا، ويرجع ذلك إلى التكاليف الباهظة والأموال التي أنفقتها الإمبراطورية على الحملات وقمع الثورات¹.

من أكثر الأسباب التي يتم طرحها، والتي تفضي بالسبب الحقيقي وراء سقوط الإمبراطورية الفارسية الإخمينية وانتصار الإسكندر المقدوني، هو الأزمة الهيكلية التي أحدثها اقتصاد الجزية، هذا النظام الذي أثار استياء السكان الخاضعين بالاستناد على قائمة الجزية التي فرضتها الإمبراطورية منذ اعتلاء داريوس الأول، والتي من الممكن أنها استمرت على نفس الوتيرة من أكسيركسس حتى أرتكسيركسس، والأكثر من ذلك الإغتيالات التي طالت الملوك بعد داريوس، والتي تعزى أسبابها للتضييق الذي مارسه الملوك، والاقتصاد احد أسباب هذه الأزمة كما هو معروف، بحيث كانت الإدارة المالية أحادية الاتجاه من ناحية الثروة من الساتريات إلى المركز، والدليل على ذلك الممارسات التي قام بها الإسكندر المقدوني عقب إخضاعه للإمبراطورية، وهي الإستيلاء على الأموال المقدسة الموجودة بالخزائن الملكية، حيث خلقت هذه الضريبة الإضافية مقصدا في أموال الساتريات، وبالتالي أدت إلى تضخم وزيادة في الأسعار، مما نتج عنه العديد من الثورات².

¹ - Kaveh Farrokh, op. cit, op. cit, p 96.

² - Pierre Briant, op. cit, p 801.

كما نعرف، كان الساتراب يرسل للملك مبلغا سنويا ثابتا أو كمية من البضائع، بمسمى الضرائب، فقد أرسلت كل من الهند، بابل، مصر وآسيا الصغرى ما مجموعه 41.560 طالنت ما يعادل 160.000.000 دولار إلى 218.000.000 دولار، كما كانت مصر توفر احتياجات الملك سواء سلع أو إمدادات، فوفرت سنويا 120.000 رجل، ووفر الميديون 100.000 خروف، والأرمينيون 30.000 خروف، البابليون 5.000 من الخصيان، ولدينا مصادر أخرى تبين لنا البذخ الفارسي والتي تأتينا من فترة الإسكندر المقدوني تغطي فترة 150 سنة الأخيرة من الحكم الفارسي الإخميني والثورات والحروب التي كلفتها غالبا، وبعد أن أخذ داريوس الثالث 8000 طالنت معه إثر هروبه، وجد الإسكندر المقدوني ما يقارب 180.000 طالنت تركت مع مجموعة من الكنوز في الخزانة الملكية وقدرت ب 12.700.000.000.¹

تلك الأموال التي كان يغدقها على القوى المتخاصمة لتغليب طرف على آخر قد أضعفت الإقتصاد هي الأخرى، مثل ما حدث في الحروب البيلوبونيزية (431-403 ق م)، وكانت اسبيرة المستفيد من الثروات الفارسية، كما تمتعت أثينا بدعم مالي هائل من الإمبراطورية فيما يسمى بالحرب الكورنثية (395 ق م) 500 ق م، حيث أنفقوا أموالهم بما يناسب مصالحهم، وبعد الحرب الكورنثية لم تعد الإمبراطورية الفارسية الإخمينية قادرة على تمويل البلدان التي تخدم مصالحها لانهايار مواردها المالية التي بذرتها بين الأطراف المتخاصمة، وبدأ الفرس يفقدون حظوظهم في التجارة البحرية، لاستيلاء اسبيرة وأثينا المتخاصمتين على التجارة البحرية، وقد كلف الفرس نهب أثينا لأموالها ثمنا باهظا².

بالنظر إلى استمرارية الاقتصاد والعمل بالنظام الإداري الذي نشأت عليه الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، رغم تغير الأوضاع الذي أحدثت نقلة، ربما تمثلت في زيادة الضريبة لتغطية الحملات العسكرية، غير أن جوهر الممارسات الإدارية وطريقة فرض الضريبة لا زال مستمرا حتى عهد داريوس

¹ - Will Durant, The Story of Civilization : Our Oriental Heritage, part 1, Siomn and Schuster, USA, 1954, p 363.

² - D. M Lewis, The Cambridge Ancient History, vol6, pp 556-558.

الثالث(في بعض الأحيان فرضت الضريبة حسب قدرة المنطقة على الدفع)¹، وهو الأمر الذي نلاحظه، والذي يؤكد أنه مهما تجاوز ملوك الفرس الإخمينيون في ممارسة سلطتهم، إلا أن نظامهم كان ناجحا بكل المقاييس وسلسا إلى حد ما من ناحية الحكم في الساتريات، خاصة وأن الحكام المحليون قد قدموا الولاء للإمبراطورية مقابل الإبقاء على حكمهم محليا، الأمر الذي يجعل الهرم السلطوي متدرجا بشكل مبسط، إذ نجد مساحة ولو بسيطة لإدارة محلية داخل إدارة على مستوى الساترية تُفوقها السلطة المركزية المتمثلة في سلطة الملك، يعطينا صورة عن توزيع المهام بشكل يسمح بمراقبة كل شاردة وواردة تحدث أثناء تسيير المهام.

لكن رغم كل المحاسن التي سجلت لصالح هذا النظام الفضفاض الذي لم يضيق الخناق على الممارسات الإدارية، القانونية(الدليل على ذلك احتفاظ المناطق الخاضعة بقوانينها المحلية، مع سيادة القانون العام الذي فرضه الملك، كان أساسا لمعاقبة المتمردين والعصاة ومرتكبي الجرائم التي تحدث بشكل يومي)، والممارسات الدينية، إذ بقيت الشعوب الخاضعة على ديانتها التي كانت عليها، إلا أنه لم يمنع المطالبين بالتححرر من إعلان الثورات.

أمام ثقل الضرائب الثابتة والتي تجلت معالمها خاصة عند البابليين الذين تحدث عنهم هيروdot وعن معاناتهم من الضريبة التي أثقلت كاهلهم (بأن وصل بهم الأمر إلى بيع بناتهم في سوق البغاء للحصول على الأموال)²، الضريبة التي لم تتغير إلى حد ما(سوى في حالة الحرب) والتغيرات الحاصلة آنذاك من احتكار العوائل المرابية التي كانت نفسها تعمل تحت النظام، وأمام حيازة الإمبراطورية الفارسية الإخمينية على العديد من المناطق، والتي معظمها لم تخضع بإرادتها، سارع بنهايتها وتدهورها هذا حسب المؤرخين الإغريق، من خلال ذكرهم بالتفصيل لنظام الجزية ربما هناك تضخيم من بعضهم أمثال هيروdot، ومنجزات الملوك من تشييد للقصور وإنفاق الأموال لتزيينها، والتذكير بمظاهر البذخ الذي عيشه ملوك الفرس الإخمينيون

¹ - Diodorus, B 16.25.4

² - Herodotus, B 1. 197.5.

والكنوز والحلي*، والتي كونت صورة نمطية عن الحكم الفاسد والملك المستبد المتعشش لامتنعاص أموال المواطن البسيط، واستنزاف أموال الرعايا الخاضعين.

على الرغم من التضخم المالي الذي أصاب الإمبراطورية في أواخر عهدها، إلا أنها كانت التجربة الأكثر نجاحاً في التاريخ القديم قبل مجيء روما التي كان من المنتظر أن ترث الكثير من الهيكل السياسي للإمبراطورية السابقة وجهازها الإداري، إلا أن القسوة وتبديد الملوك للمال العام في وقت لاحق، والهمجية العرضية للقوانين، والأعباء الثقيلة الناتجة عن الضرائب المحففة كانت متزامنة ومتقاربة، كما تجنح إليه الطبيعة البشرية للملوك في أواخر عهدهم نتج عنه العصيان¹.

مهما يكن، ظاهرياً كانت الأسباب الاقتصادية وتنامي قوة الساتراب والتي تناولها الكتاب الإغريق قد أدت في نهاية الأمر بسقوط الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، إلا أن إنجازات وإصلاحات الإسكندر المقدوني، لم تطل الجهاز الإداري ولا حتى الإقتصادي، الأمر الذي يتتبع وجود أيديولوجية إغريقية بحتة، والتي يتناولها المؤرخون الإغريق عمداً لإظهار القوى الكبرى وخاصة الفرس الإخمينيون (العدو التقليدي)، بأن استبدادها من جميع النواحي السبب الرئيسي لسقوطها، ففي الحقيقة ان الإسكندر المقدوني لم يكن شخصاً تشهد له أعماله من ناحية التنظيم والإدارة، ذلك أنه احتفظ بالتراث الفارسي الإخميني، حيث أبقى على نظام الساترابات، وربما كان الإسكندر المقدوني مدركاً لهذا الإرث الكبير في مجال الإدارة والتنظيم، ولا شك بان حنكة الفرس الإخمينيون وطول الفترة

* - يذكر سترابون في حديثه عن الثروة الهائلة التي غنمها الإسكندر المقدوني أنها كانت كبيرة، والذي هو نفسه تفاجأ بها، بحيث نقل جميع ما هو ثمين من بيرسيس إلى سوسة، التي كانت مليئة بالكنوز والأغراض باهظة الثمن، غير أنه لم يولي اهتماماً لسوسة يجعلها مقراً ملكياً له بل كان مهتماً ببابل كمقر ملكي محتمل له وكان ينوي تزيينه، أين أودع كنوزه أيضاً، يقال أنه إلى جانب الكنوز الموجودة في بابل وفي معسكر الإسكندر، والتي لم يتم تضمينها ضمن مجموعة الكنوز التي غنمها، فإن الكنز الذي عثر عليه في سوسة وبيرسس قدر بحوالي 40.000 طالنت، ووفقاً لبعض الكتاب يقولون 50.000 طالنت، وآخرون يقولون أن الكنز الذي جمعه من مختلف الجهات التي غزاها قد بلغ 180.000 طالنت وقد نقله إلى أكباتانا، و8000 كانت بحوزة داريوس

الثالث عندما فر إلى ميديا، قد غنمها من قتلوه، أنظر: Strabon, B15.3.9.

¹ - Will Durant, op, cit, p 363.

التي شغلها هذا النظام قد أثنى الإسكندر عن إحداث تغيير به، خاصة وأن شبكة الطرق التي أسستها الإمبراطورية لم تتغير¹.

هناك تناقض بين ما عزم الإسكندر المقدوني أن ينجزه من أعمال تجمع ما بين فتح الطرق والعمل على تحسين التداول المالي²، وباعتباره محررا لا غازيا بسبب عدم اهتمامه بإرساء إصلاحاته التي من الممكن أنه سيثبتها نظرا للظروف التي كان يعيشها سكان المناطق الخاضعة للإمبراطوري، والتي تناولها المؤرخون الإغريق أمثال هيروdot وديودور كما سبق وذكرت، ربما كان يجب عليه أن يثبت من خلال أعماله أنه جاء مغيرا ولينهى حقبة زمنية قد عانت فيها الشعوب من سياسة قد ظهرت أنها سيئة، وهو الأمر الذي لا نراه مقارنة بالإمبراطورية الفارسية الإخمينية رغم توسعها وسياسة الإخضاع التي قامت بها.

لقد مثلت الإدارة المالية فجوة في تاريخ الإسكندر المقدوني واعتبرت عثرة حسبت ضده، حيث عين مشرفين ماليين مما أحدث طبقة من الموظفين الماليين مهمتهم الإشراف على جباية الأموال مباشرة إلى خزينة الإسكندر، وقد نصب المدعو هاربالوس* Harpalus على رأس الجهاز الإداري المالي، أين أساء التصرف وشجع غياب الإسكندر في حملته على الهند هذا القائد على الفساد والابتزاز وانتشرت الرشوة بين الموظفين، كما قام كليومينيس Cleomenis باستخدام سلطته في مصر من خلال إرهاب سوق والموانئ التي تساهم في عملية التجارة خاصة

¹ - سيد علي أحمد الناصري، الإغريق تاريخهم وحضارتهم من حضارة كريت حتى قيام إمبراطورية الإسكندر الأكبر، ط2، دار النهضة العربية، مصر، 1977م، ص 559.

² - Pierre Braint, op. cit, p 804.

* - لم يمض وقت طويل من ممارسة الفساد من قبل هاربالوس، حتى خرج آسيا إلى أثينا هربا من الإسكندر، لأنه كان يدرك أن تبذيره قد قاده إلى ممارسات إجرامية، ولأنه يخاف من الإسكندر بسبب أنه أصبح قاسيا مع أصدقائه آنذاك، يقدم لنا بلوتارك تلميحا عن الأفعال الإجرامية التي قام بها هاربالوس، الذي من الواضح من خلال سياق كلامه أنه صديق مقرب من أصدقاء الإسكندر المقدوني، أنظر: Plutarch, Demosthenes, 25.1.

محصول القمح بمصر والإغريق بشكل عام* بشكل سيئ في حين أن الإسكندر ماض في مشاريعه العسكرية¹.

إذن لم تخلو فترة الإسكندر المقدوني من هذه الفئة، التي لم تترك موطأ قدم جيد بعد سقوط الإمبراطورية الإخمينية، فالظاهر أن لا تغير يذكر من ناحية الجهاز الإداري ولا حتى النظام الإقتصادي الذي أصبح يعج بالشخصيات التي جعلت الرشوة والمضاربة ميزة فارقة في التاريخ المقدوني على أراضي الإمبراطورية السابقة.

2-3-3 مرتزقة الجيش:

ظهرت قضية المرتزقة في الجيش الفارسي الإخميني كأحد عوامل انهيار الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، وكواحد من أعراض انحطاط الجيش، فالإستعانة بالمرتزقة بدل الجيش الفارسي، فمناشدة الملك لهؤلاء عند كل حملة، من شأنه أن زاد في قوتهم كما عجل بتنامي نفوذهم للحد الذي جعلهم ينقلبون ضد الجيش ومحاربه كقوة منفصلة، وأمام طمع المرتزقة في الأموال التي كانت تمنح لهم مقابل مشاركتهم في الحروب، عزفت القوى عن إشراك مواطنيها².

* - عند تسيير منطقة مصر، قام الإسكندر المقدوني بتعيين كليومنيس من نقرطيس بالإضافة للعديد من القادة على أن يبقى الحكم على حاله بشرط أن يرأسها مجموعة من ممثليه، برتبة قائد عسكري، وفرض عليهم الجزية، وكانت هذه الجزية تصب في خزانة كليومنيس وليس للخزينة العامة، كما قام بالعديد من الأفعال المشينة في مصر ووصفه أريان بالشرير، كما أنه كان مساهماً في مضاربات القمح مع كل من ديونيسيديوروس Dionysodoros وبارمينيسكوس Parmeniscus وأحدثوا الضرر بالبلاد كما في مصر، حيث اشترى الإغريق الحبوب لإعادة بيعها وتحديد سعرها مما أثقل السوق ومني التجار في الموانئ خاصة في ميناء رودس بخسائر مالية نتيجة للثمن الباهظ الذي فرض من قبلهم على محصول الحبوب، أنظر:

Arrian, Anb, B3.5 ; B7.5, Demosthenes Delphi Complete Works of Demosthenes, Norman W. DeWitt, Delphi Classics, UK, 2015, Against Dionysodoros, 6-10.

¹ - سيد علي أحمد الناصري، المرجع السابق، ص 561.

² - Pierre Briant, op. cit, p 787.

لطالما جندت الإمبراطورية الفارسية الإخمينية قوات المرتزقة ضمن جيوشها، حيث كانت تمثل جزءاً من الجيش الفارسي، كما اعتبر الجنود السقا من جنود المرتزقة¹، فاكسينوفون يعد واحداً من الجنود المرتزقة الذين شاركوا في حملة قورش الأصغر على أرتكسيركسس الثاني² حيث بلغ عدد المرتزقة آنذاك ما قوامه 13.000 جندي³، هذا وقد شاركت قوات المرتزقة أيضاً في حملة أرتكسيركسس الثالث على مصر ضد الملك نختنبو⁴، حيث عزز الملك الفارسي الإخميني والملك المصري قواتهما بالمرتزقة الإغريق، حيث كان هناك 1000 من الجنود في قوات أرتكسيكسس الثالث التي طلبها من المدن اليونانية بقيادة لاكراتيس، نفس الشيء بالنسبة للملك المصري الذي أشرك المرتزقة هو الآخر في جيشه المحارب⁵.

لقد أسهبت المصادر الإغريقية، بذكر عدد المرات التي شاركت بها قوات المرتزقة خاصة من الجانب الفارسي الإخميني، وخصت بالذكر الحروب التي فاز بها الإغريق على خصمهم، ربما جاءت هذه الإحصائيات المفصلة عن قادة المرتزقة وعددهم الذي من المرجح أن يكون مبالغاً به، خدمة للأيدولوجية الإغريقية ككل مرة وفي كل مناسبة، لإظهار مدى قوة الإغريق ونجاحهم في إرهاب أعتى الجيوش في العالم القديم، الأمر الذي يتغنى به المؤرخون الإغريق كل مرة، وإظهار أن القوات الإغريقية المكونة من المرتزقة، كانت دائماً في مقدمة الجيوش إن تعلق الأمر بنصر نختنبو الثاني على أرتكسيركسس الثالث، والأمر كذلك عند الأخير بحيث ظهر الإغريق في مقدمة جيوش الملك الفارسي الإخميني⁶.

¹ - Nick Sekunda, op. cit, p 8.

² - George Depue Hadzsits, Some Xenophon Problems and Recent Xenophon Literature, Source: The Classical Journal, Vol. 3, No. 6, (Apr., 1908) The Classical Association of The Middle West and South, pp 211-212.

³ - Plutarch, Artaxerxes 6. 4.

⁴ - جميلة محمد عبد الكريم المرجع السابق، ص 94.

⁵ - Diodorus, B 16.44 ; 15.29.

⁶ - Pierre Briant, op. cit, p 784.

مهما يكن، فالمرتزقة شكلوا جزءا كبيرا من جيوش الفرس الإخمينيين وجيوش العالم القديم على حد سواء، ومسألة الأموال التي كانت تُعَدَّق عليهم من قبل الملوك، كانت بسبب طبيعة عملهم والآلية التي تقوم عليها جيوشهم بحيث يعتمدون في خدتم على من يدفع مبلغا أكثر، ليقدّموا له الخدمة الأفضل، وبطبيعة الحال كانت الإمبراطورية الفارسية الإخمينية الوجهة الأكثر استقطابا لهذه الفئة، نظرا لما تحوزه من ثروة، تجعلها تقدم مبلغا محفزا، إلا أن الثقة بمؤلاء الجنود غير مؤكدة في حالة الضعف، وربما تدهور الوضع السياسي للإمبراطورية وكثرة الحروب المرهقة، قد يجعل المرتزقة يستخفون بملوكها، الأمر الذي سيؤدي إلى انقلابهم عكس التيار.

3-3-3 الإجتياح المقدوني للإمبراطورية الفارسية الإخمينية:

كانت تحضيرات الجيش الفارسي الإخميني في بداية المواجهات مع القوى المقدونية، إثر إعلان الملك فيليب الثاني والد الإسكندر المقدوني بعدما أعطته الرابطة الكورنثية* الضوء الأخضر لمهاجمة الفرس الإخمينيين، كانت هذه الحرب بالنسبة لفيليب الثاني بهدف الانتقام مما فعله أكسيركسس من تدمير للمقدسات الدينية وتدمير للمعابد¹، ولقد لاقى فيليب الدعم من الإغريق وقد عرف عن الوجه اللطيف والمعاملة الحسنة، الأمر الذي عزز صورته لدى المجلس الذي انتخبه مفضا للإغريق، على إثرها بدأ في تجميع الإمدادات للحملة، إذ حدد عدد الجنود الذين يجب أن ترسلهم المدن الإغريقية لهذه الحملة المشتركة².

* - الرابطة الكورنثية: هي الرابطة التي أنشأها فيليب الثاني والد الإسكندر المقدوني في مدينة كورنثيا في ربيع سنة 337 ق م، والتي استمرت حتى وفاة الإسكندر سنة 323 ق م، وهي عبارة عن تحالف العديد من المدن الإغريقية ما عدا إسبرطة من جهة وفيليب الثاني، من قراراتها السماح لفيليب الثاني ببدء الغزو نحو الشرق الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، أنظر:

Roger S. Bagnall, The Encyclopedia of Ancient History, Blackwell Publishing, USA, 2013, p 3982.

¹ - Kaveh Farrokh, op. cit, p 97.

² - Diodorus, B16. 89.1-3.

تم إرسال كل من القائدين أتالوس وبارمينيون من قبل فيليب الثاني إلى آسيا الصغرى، بحيث قام بتكليفهم بتحرير الرعايا الإغريق الموجودين هناك¹، حيث كان أتالوس شقيق كليوباترا زوجة فيليب الثاني²، الذي نجحت حملاته هو والقائد بارمينيون غداً تمكنت جسوشهم من التقدم بسرعة والتوغل في أيونيا، كانت أهمية تقدم هذين القائدين تكمن في الحصول على هليلسبونت والتي أصبحت تحت السيطرة المقدونية بشكل نهائي، الأمر الذي يعني أنه أصبح لديهم موطأً قد في آسيا الصغرى، لتكون البوابة للغزو الوشيك لبلاد فارس، وأخرى أن الجيش الفارسي الإخميني المتواجد في آسيا الصغرى وخاصة أيونيا لن يشكل صعوبة في تخطيه ويمكن التغلب عليه بسهولة، لكن قتل فيليب الثاني قبل أن يطلق حملته على الفرس الإخمينيين عام 336 ق م، واعتلى بعده ابنه الإسكندر (الثالث) المقدوني (336-323 ق م)³.

لقد قدرت القوات التي أرسلها فيليب الثاني بـ 10000، ورغم هذا العدد تمكنت القوات الفارسية الإخمينية بقيادة المرتزق الهيرودي⁴ ميمنون (من أيونيا) كان من أشجع القادة في رودس، من إلحاق خسائر بالقوات المقدونية بقيادة بارمينيون الذي استولى على المدن وباع السكان كعبيد، ولقد أربع هذا المرتزق القوات المقدونية التي اضطرها للإنسحاب من حصار بعض المدن⁵.

إذن اعتلى الإسكندر المقدوني العرش، بعد وفاة والده وعزم الإنتقام من الفرس الإخمينيين، لأنه اعتقد أن والده قد قتل من طرف عملاء داريوس الثالث بسبب هدف والده المعلن عن الحرب ضد الفرس، والهدف الأقوى يكمن في تأكيد هيئته على الرابطة الكورنثية وأنه هو المهيم آنذاك وأن الحملة المقدسة نحو بلاد فارس أصبحت من أهدافه الرئيسية، حيث بلغ عدد جيشه 40.000 فرقة مقاتلة⁶.

¹ - Maria Brosius, A History of ancient, Persia, p 209.

² - Diodorus, B17.2.3.

³ - Kaveh Farrokh, op. cit, p 97.

⁴ - Touraj Daryaee, op. cit, p 146.

⁵ - Diodorus, B17.7.1-3 ; 8-10.

⁶ - Kaveh Farrokh, op. cit, p 97.

كانت أولى الحملات في ربيع بين الإسكندر المقدوني وبين القوات الفارسية الإخمينية بداية من ربيع عام 336 ق م من خلال أولى المعارك سنة 334 ق م معركة غرانيكوس **Granicus**، حيث تولى القائد ممنون سير العمليات العسكرية إذ اقترح على داريوس الثالث أن يسحب الإسكندر المقدوني أعمق داخل الأراضي الإخمينية، وهو الأمر الذي حدث بشن الفرس الإخمينيون هجوما بحريا حاسما مما جعل جيوشهم تنزل في مقدونيا، أدت بالإسكندر للإنسحاب، وكان ممنون على دراية بالعدد الهائل للجيوش المقدونية¹ هو ومجموعة من القادة وهم أرسامس **Arsames** وريومثريس **Rheomithres**، بيتينيس **Petenes** ونيفاتس **Niphatas**، بالإضافة إلى سيثريداتس **Spithridates** ساتراب ليديا وأيونيا، وقائد الفرسان الإغريق أرسيتيس **Arsites** لساترية فريجيا الهلليسيونية، حاول ممنون نصح داريوس بعدم المخاطرة والصدام مع الإسكندر المقدوني بشكل مباشر لكن باقي القادة اعترضوا لأنهم شكوا في أن ممنون تعمد عرقلة الحرب².

إنتهت معركة غرانيكوس بهزيمة الفرس الإخمينيين، وكاد الإسكندر أن يقتل أثناء المعركة الذي كبدت قواته خسائر فادحة في صفوف الجيوش الفارسية الإخمينية، حيث أسر ألفين من المرتزقة الإغريق وأرغمهم على أن يكون عبيدا مزارعين في حقول مقدونيا مدى الحياة، وكانت نتيجة المعركة أن استسلمت سارديس دون قتال يذكر، ورحبت المدن الأيونية بالإسكندر، ولم يبقى سوى ميليتوس وهاليكارناسوس التين رفضتا الخضوع له، غير أن العمليات العسكرية المستمرة قد أسقطتهما في يده، أجبرهما على الدخول في الحلف المقدوني³.

بعد تأمين داسكيليوم وضم سارديس التي عين على رأسها مسؤولين مقدونيين وبعد إخضاع هاليكارناسوس التي قاومت الإسكندر وصولا إلى سنة 332 ق م حتى بعد أن أحرقها⁴، استولى بعدها على فريجيا، وتقدم نحو كابادوكيا وقيليقيا واستولى بعدها على ميناء طرسوس، ليتجه باتجاه سهل إيسوس⁵ **Issus** أين دارت المعركة الثانية باسم هذا السهل معركة إيسوس أوائل سنة

¹ - Kaveh Farrokh, op. cit, p 98.

² - Arrian, Anabasis B1.12.8

³ - سيد علي أحمد الناصري، المرجع السابق، ص 515-516.

⁴ - Maria Brosius, A History of ancient, Persia, p 210.

⁵ - سيد علي أحمد الناصري، المرجع السابق، ص 517.

333 ق م، إذ تحضر داريوس الثالث لمواجهة القوات المقدونية بحشد جيشه في بابل، يتكون أساسا من المرتزقة الإغريق قدروا بـ 30.000 جندي وهو عدد مبالغ به بالنسبة لجنود المرتزقة 800.000 من المشاة، 200.000 من سلاح الفرسان¹، بحيث جميع الأرقام والإحصائيات العسكرية المعطاة لعدد جنود الفرس الإخمينيون للتأكيد على عظمة الانتصارات المحققة من الإسكندر المقدوني، حاول داريوس التقدم والمبادرة ومباغته الإسكندر المقدوني الذي تحرك في هذه الأثناء متجها نحو إيسوس السهل الذي تميز بضيقه، مما جعل تحرك القوات الفارسية بحرية صعبا، وجرت المعركة بطريقة الكر والفر، كان الفوز حليفا للقوات المقدونية التي كانت بقيادة الإسكندر المقدوني الذي اضطر داريوس الثالث للهروب من ساحة المعركة، الأمر الذي اعتبر وصمة عار في تاريخ آخر ملوك الفرس الإخمينيين، استولى الإسكندر على سوريا وأسر حاشية الملك بما في ذلك العائلة المالكة أنه، زوجته وأولاده، واستولوا على الخزانة الملكية، في العام التالي استولى على مدينة صور بعد حصار دام لسبعة أشهر في حين أن غزوة شهدت مذبح في صفوف الجيش المتواجد هناك، وفي شتاء سنة 1/332 ق م استسلم ساتراب مصر مازيزس في ممفيس دون أدنى قتال، ثم اتجه إلى لتأديب فينيقيا انتقاما لقتلهم حاكمه التابع².

في سنة 331 ق م، كانت المعركة الحاسمة بين الفرس الإخمينيون والإسكندر المقدوني في موقعة غوغاميليا Gaugamela³ هذا وقبل أن يتواجه الطرفان، تفاوض داريوس الثالث مع الإسكندر المقدوني حول إمكانية إطلاق سراح عائلته شرط أن يزوجه إحدى بناته، إلا أن هذا الأخير رفض، وأخيرا كانت المواجهة الحتمية⁴، حيث خسر داريوس المعركة وسقطت المدن تباعا خلال عام من معركة غوغاميليا، حيث سقطت سوسة سنة أواخر سنة 331 ق م وفارس بداية 330 ق م حيث قتل ساتربها، ثم دخل باسارغادة وأسر داريوس الثالث الذي قتله في ربيع إلى صيف سنة 330 ق م⁵.

¹ - Diodorus, 17. 53.

² - Maria Brosius, A History of ancient, Persia, p 211.

³ - Robert Curley, The Science of War: Strategies, Tactics, and Logistics

Britannica Educational Publishing, USA, 2012, p 39.

⁴ - Maria Brosius, A History of ancient, Persia, pp 211-212

⁵ - Amélie Kuhrt, op. cit, p 449 ; 450 ; 451 ; 454.

وهكذا سقطت الإمبراطورية الفارسية إداريا واقتصاديا، لانفراط أنظمتها التي تبعثرت بين المصالح الشخصية، والأغراض السياسية التي لم تأت للإمبراطورية إلا بالخراب والحقد المبيت من طرف الإسكندر المقدوني، إثر اعتقاده بان عملاء للفرس قاموا بقتل والده فيليب الثاني سنة 336 ق م ليدخل أملاك الإمبراطورية بعد موقعة غوغاميليا إثر غزوه الشهير للشرق، حيث وصل العاصمة بيرسيبوليس في الأول من فيفري سنة 330 ق م¹.

منذ ثورة قورش الصغير على شقيقه أرتكزيركسس الثاني، بدأت تظهر مؤشرات انهيار الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، حيث حاول إحياء قوتها وشهرتها السابقة، لكنه من الصعب أن يفعل ذلك، فباستثناء هدفه في الحصول على العرش، كان يريد أن يحصل على الدعم من طبقات المجتمع، وحتى أنه أراد أن يؤثر على الفئة النبيلة من الفرس الإخمينيين، ليرسي حكومة مركزية تكن تابعة له، غير أنه لم ينجح².

حجم الخسائر التي تكبدتها الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، قد سبب ضعفا دائما في المجال العسكري، كما فقدت الإمبراطورية منذ الحروب الفارسية الإغريقية الأراضي التي كان قد استولى عليها داريوس الأول، وكانت الخسارة الأكثر حجما هي فقدان الأراضي في بحر إيجه، حيث تركت الهزائم البحرية المجال حرا للإغريق في التصرف في البحر³.

رغم القوة التي كانت عليها الإمبراطورية الفارسية بفضل آلتها الحربية ونظامها الإداري المحكم، إلا أن لكل بداية نهاية، ومع انهيار القائد المغمور الإسكندر المقدوني يارث هذه الإمبراطورية وتوالي الثورات واهتزاز الحكام أواخر عهدها، وترك السلطة العليا تتأرجح بين حكام الساتريبات الذين طغوا بسبب الامتيازات التي منحت لهم، جعل منها لقمة سائغة بيده ليأتي ويقضي على آخر دعائم الإمبراطورية المتمثلة في آخر أباطرتها داريوس الثالث.

¹ - A. T. Olmstead, op. cit, pp 419 ; 519.

² - Dandamaev, op. cit, A political History of The Achaemenid empire, p 274.

³ - Pierre Briant, op. cit, 540.

الخاتمة

كان ينظر للفرس منذ بداية دخولهم الهضبة الإيرانية ضمن هجرات الشعوب الهندو أوروبية من الناحية السياسية، على أنهم أقوام تحصل على مناطق استقرارها عن طريق الإغارة، وهي الخطوة التي اتخذتها قبائل الفرس والميديين، وعليه وضعت هذه الشعوب المنحدرة من الهندو أوروبيين قدمها على الهضبة الإيرانية، وزاد احتكاكها بالشعوب المجاورة في ظهر نزعتها التوسعية والسيادية.

اعتبرت المملكة الميدية، بداية ظهور الفرس عن طريق قورش الثاني، لأنه لا يخفى علينا وجود ذكر لها سواء في المصادر الأدبية أو حتى الشواهد الأثرية، فهيرودوت وأكسينوفون قد خصصا العديد من فقرات مؤلفيهما بالحديث عن صراع قورش مع جده ملك المملكة الميدية إذ يذكر أنه هناك اختلاف ما بين الفرع الفارسي والفرع الميدي بشكل صريح، وأن للمديين مملكة فدائما ما يذكرها باسم المملكة، وبالتالي وجود قاعدة حضارية لهذه المملكة، كذلك وجود سلطة وسيادة والتي شاعت منذ ظهور دايوكو زعيم الميديين.

رغم قلة المعلومات أو الشواهد الأثرية إلا أن المملكة الميدية تبقى واحدة من القوى الفاعلة في العالم القديم، وصراعها مع الآشوريين خير دليل عن وجود قوة لا يستهان بها، فلا غرض من الإغارة أو الدخول في حرب ما إلا وكان من أجل فرض سيادتها وفرض وجودها كقوة على الساحة السياسية للعالم القديم، وهو الأمر الذي مهد لقورش الثاني المضي في إعلان السيادة عن مملكة جده.

- قبائل الفرس التي كانت تحت زعامة قمبيز الأول والد قورش الثاني، قد اتخذت آنشان منطلقا لها لإعلان التمرد على الملك الميدي أستياجس، هذه القبائل التي وحدها قورش قد أعلنت الولاء له باسم التحرر من منير العبودية التي يعاني منها هذا الفرع، ليقوم هذا الشاب بـ:

- الإطاحة بجده وإنهاء الوجود الميدي ككيان سياسي قائم بحد ذاته، الأمر الذي جعله يتبنى مملكته كقاعدة لانطلاق مخططاته التوسعية لإنشاء الإمبراطورية الفارسية الإخمينية التي كانت من شأنها أن غيرت الخارطة الجغرافية للعالم القديم.

- توسعه على حساب الممالك على غرار المملكة الليدية والبابلية، جعل له خلفية للتشبع بثقافتهم الحضارية، بحيث مد النفوذ قد ساعده في ضم العديد من المناطق مختلفة الثقافات والأعراق، الأمر الذي ساعده على إنشاء أول إمبراطورية فارسية في التاريخ

- نظم قورش إمبراطوريته الناشئة متأثراً بالتقاليد البابلية، بحيث قضى على سلطة المعبد والكهنة في تسيير شؤون البلاد، وجعل السلطة متمثلة في الملك ومعاونيه، تلك السلطة التي أحالت العديد من الامتيازات للمعابد الدينية قبل وقبيل انهيار العهد البابلي الأخير، الأمر الذي أدى بالسكان للسخط، وإلغاء عبادة بعض الآلهة ممن اعتادوا على عبادتها، بحيث جاء مغيرا للعديد من السياسات التي نهجها ملوك بلاد ما بين النهرين.

- باعتبار قورش الثاني محاربا أكثر مما هو رجل إدارة، فقد أولى الجيش عناية خاصة، وكانت القوة والتنظيم الذي تمتع به الجيش في عهده قد جعلت له كلمة في الساحة السياسية للعالم القديم، الأمر الذي جله يمد نفوذه لحدود قد اعتبرت بالنسبة لملك ناشئ واسعة.

- خلد قورش الثاني أعماله التي جاءت بعد أن ضم بابل تحت حكمه، في اسطوانته الشهيرة وكيف كان لقوته أن أنهت العهد البابلي الجديد وآخر ملوكها نابونيدوس، من الممكن أن نطلق على ما جاء في هذه الأسطوانة مراسيم إنسانية، فهي تضمن حقوق البابليين والحرية في عبادة آلهتهم، كما أعطى لليهود حرية التصرف في ملكهم بعد أن عانوا من الأسر البابلي، ومن الملاحظ أن هذه الإنجازات التي تعتبر في الظاهر إنسانية، إلا أنه من خلالها استطاع قورش كسب الرأي العام وبالتالي الانزواء تحت حكمه بشيء من الطواعية، هنا تظهر سياسة قورش في استمالة الشعوب التي خضعت له، وبالتالي الخضوع باسم الحرية وهو ما يناهض صفة الغازي، لذا يعتبر هذا الملك رجل سياسة وحرب استطاع أن يضم العديد من المناطق المختلفة باسم تحريرها من أنظمتها المستبدة، وما هي إلا سياسة استعمارية من قبل هذا الملك.

- عكس قورش الثاني، ورغم الفترة المعتمدة من تاريخ قمبيز الثاني، إلى جميع المصادر الإغريقية قد ذمت شخصيته، واصفين إياه بالجنون، الأمر الذي شكل هالة غطت عن منجزات هذا الملك، كما أن غياب الشواهد الأثرية، جعل هذه المصادر تنفرد بدراسة تاريخ هذا الملك، غير أن حملته على مصر تعطينا لمحة عن سياسته العسكرية، والتي لا تقل عن سياسة والده قد مكنته من إتمام مخطط والده نحو غزو مصر وما ورائها وصولا إلى حدود قورينائية، وقصر المدة التي حكمها قمبيز بقبضة من حديد، والبدال على ذلك بقاء ملك والده وحدود إمبراطوريته كما هو، قد جعلت

المصادر تسهب في إبراز شخصيته السيئة وأعطى للدارس لمحة عن تاريخ هذه الملك، لكن رغم هذا النقص إلى أنه اعتبر مقتدرا لاحتفاظه بالإمبراطورية على قيد الحياة في تلك الفترة.

- كان لطول المدة التي استغرقت لمباشرة الحملة على مصر، قد جعلت الملك قميبيز الثاني يغيب عن العاصمة الملكية أكباتانا سواء في الانطلاق أو حتى في العودة، الأمر الذي جعل السلطة المركزية تتأرجح بين مقربي الملك ومستشاريه، والذي أدى في الأخير إلى ظهور المدعي بارديا، الذي استغل اغتيال شقيق قميبيز على يد هذا الأخير، ونصب نفسه الحاكم الشرعي على السلطة، موحيا للسكان أنه جاء ليُلغي بعض الأحكام التعسفية التي مارسها شقيقه خاصة من الناحية الاقتصادية والعسكري، فإلغائه التجنيد الإجباري والضريبة قد أعطى لحكمه شرعية قاعدة جماهيرية واسعة، مكنته من الاستمرار على سدة الحكم أكثر من سبعة أشهر، والشيء الذي منحه السطوة إخفاء حقيقة موت بارديا أو سمرديس من قبل قائد قورش المقرب، وبذلك تمتع هذا الماغوس بحكم الإمبراطورية الفارسية الإخمينية مدة من الزمن، لكن بالنظر للمدة التي استغرقتها قميبيز في الذهاب والإياب بخصوص حملة مصر، نجد أنه من المرجح أن بارديا المزيف قد استمر في الحكم أكثر من ثلاث سنوات والأمر الذي يضيف شيئا من الصحة مرسومه حول إلغاء الضريبة لمدة ثلاث سنوات، وهو الأمر المختلف فيه نظرا للقوة الرادعة التي تمثلت في مؤسس الأسرة الإخمينية داريوس ابن هيستاسبس.

- يعتبر داريوس الأول، أول من نسب ملوك الفرس إلى أخيمينيس، وكان يهدف من خلال هذه الشخصية الأسطورية إضفاء الشرعية على تنصيب نفسه حاميا وملكا للإمبراطورية نظرا لأن أخيمينيس الجد الأكبر، وهو حسب المصادر شخص غير معروف شخصية أسطورية أكثر من شخصية على أرض الواقع، وبالتالي ربط فرعه الأسري بالملك قورش الثاني والأحقية بخلافة قميبيز بعد وفاته، خاصة وأن قصة اغتيال بارديا قد أصبحت ورقة مكشوفة في يد داريوس، الذي كان شخصية عسكرية في خدمة الملك قميبيز الثاني، وقد ساعد التمرد والثورات التي حدثت ضد الإمبراطورية من طرف سكان الأقاليم الخاضعة، وأثناء حكم بارديا المزيف، في المسارعة بظهور داريوس، منصبا نفسه بطريق ذكية ملكا على الإمبراطورية الفارسية الإخمينية، بحيث بدأت الإمبراطورية عصرا جديدا، عصر التوسعات الكبرى بقيادة داريوس الفارسي الإخميني.

- رغم وصف داريوس الأول بأنه رجل سياسة وإدارة، إلا أن الصفة الحربية زادتته قوة، فتوسعاته التي تعد من أكبر التوسعات التي شهدتها الإمبراطورية، قد أعطت بعدا جديداً لإمبراطوريته من الناحية الجغرافية، وحتى من الناحية السياسية، بحيث أصبحت الممالك والأقوام كلها تخضع له باسم سلطته، إذا قاد توسعاته الكبرى آملاً بضم بلاد الإغريق التي شكلت حداً فاصلاً لإمبراطوريته، بحيث استعصت عليه هو وابنه أكسيركسس رغم النجاحات المحققة أثناء الحروب الفارسية الإغريقية، الحرب التي أوقفت المد الفارسي الإخميني بعد سلسلة توسعات جعلته يرسي أحد أقوى الأنظمة الإدارية.

- داريوس الأول رجل إدارة بامتياز، قد قام بتنظيم إمبراطوريته، رغم اللبنة الأولى التي أوجدها قورش الثاني، فلا استمرارية لإمبراطورية قورش الثاني وصولاً إلى قمبيز الثاني، ولو كانت في بداياتها إن ما كان عمادها أنظمة قائمة بجد ذاتها، الأمر الذي لم يتركه داريوس في طي البدائية إن صح التعبير، حيث غير العديد من جوانب الإدارة، فلم يغفل عن ما حققه قورش الثاني من نجاح، ولم يستثني الحكام المحليين من التمتع بقوانينهم، فهذه الخطوة تعتبر نقطة إيجابية بالنسبة لهذا النظام من وجود ملوك على هيئتهم السياسية ولكن على المستوى المحلي، غير أنهم يخضعون لسلطة الملك، لا لسلطة المعبد أو الآلهة كما كان الحال في بابل أواخر عهدها.

- ضبط داريوس الأقاليم في عشرين ولاية حسب هيرودوت، وازدادت في عهد ارتكسيركسس والتي سميت بالساترية يرأسها الساتراب والذي يمثل سلطة الملك في الأقاليم التابعة بصفة حامي المملكة وهي المعنى لكلمة الساتراب، بحيث تمتع الساتراب بعدة إمتيازات على غرار السلطة الإدارية إذ كانت سلطته تابعة مباشرة لسلطة الملك، بحيث أعطيت له الصلاحيات على المستوى العسكري، فطبيعة الساتراب هنا تحمل الصفة العسكرية والإدارية معاً، كما كان للعنصر الفارسي من طبقة النبلاء الحظوة الأكبر في منصب الساتراب، مع العلم أن هذا الموظف في تكوينه عسكري، بحكم أن جميع الفرس، ومع ظهور الثورات في بداية عهده حاول أن يتخلص من الإمتياز العسكري الذي منح للساتراب إلى حد ما، بتنصيب القادة العسكريين على رأس كل ساترية للسماح بتوزيع السلطة في مختلف أجهزة الساترية.

- لم يترك داريوس السلطة المطلقة في يد الساتراب بدون أن يزرع جواسيسه بالمفهوم الحديث، إذ كان مستشاروه الذي أطلق عليهم عيون الملك عينه الأولى على ممارسات الساتراب السلطوية والإدارية، اعتبروا مستشارين سرين، وكان ظهورهم مقتضب في مختلف أجهزة الدولة، ونادرا ما يعرف عن مجيئهم، ذلك لأن طبيعة عملهم الظهور بشكل مفاجئ وسري للغاية، وهو الأمر الذي أتاح لداريوس وأكسيركسس من تتبع أعمال الساتراب وفرض العقوبات في حالة الإخلال بالنظام أو العصيان.

- أما بالنسبة للنظام الإقتصادي، فقد قام داريوس بإصلاحات جذرية في هذا الجانب، ففرضه الضريبة بشكل ثابت بما يناسب الساترية قد جعلها تقدم سنويا مقدارا من المنتجات المختلفة أو من المعدن النفيس فضة أو ذهب، ومن أهم منجزاته القضاء على التبادل التجاري عن طريق المقايضة، وسك العملة عملة الداريك الذهبية والسيغولوس الفضية، الأمر الذي حسب لصالحه، مما سهل عملية التجارة، كما كان لإنشاء الطريق الملكي وربط مناطق الداخلية بالخارجية قد منح للإمبراطورية شمولية أكثر من ناحية التحكم في الإقتصاد، كما ساعد نشاطه البحري في انتعاش التجارة الخارجية.

- تنوع الأقاليم، قد ساعد الإقتصاد في التنوع من حيث المنتجات المختلفة للإمبراطورية، إذ تعددت المحاصيل الزراعية وتوفرت كما ونوعا، بشكل سمح للاقتصاد الإمبراطوري أن يكون من أقوى الاقتصاديات في العالم القديم

- تميزت الفترة الأخيرة، والتي بدأت منذ وفاة أكسيركسس وفقدانه الأمل بإخضاع الإغريق (عقب خسارته المدوية إن ما نظرنا لقوتها العسكرية) وتولي العرش من طرف أرتكسيركسس الأول أين بدأت الإمبراطورية بفقدان هيبتها وتكرر الثورات الانفصالية وخاصة في حامية مصر، وتزايد ممارسات الملوك الدموية وكثر الاغتيالات السياسية التي طالت الأسرة الملكية، حتى وصل الأمر بهم إلى اغتيال أسرة بكاملها، مما أحدث فجوة وزعزعة للاستقرار، وتفشي الفقر بين سكان الساتريات لثقل الضرائب، وأمام استعمال الساتراب للسلطة بشكل عاد بالسلب على الإمبراطورية مما سرع إنهاؤها، عقب اجتياح الإسكندر المقدوني الذي قضى على آخر ملوك الفرس الإخمينيين سنة 330 ق م

قائمة المصادر والمراجع

-1 قائمة المصادر:

- 1- Aeschylus: **The Persians, The Seven Against Thebes, The Suppliant Maidens, Prometheus Bound, The Persians** translated by Seth Benardete, The University of Chicago Press, USA, 2013.
- 2- Aristotle, **Oeconomica**, transl by E. S. Foster, Clarendon Press, UK, 1921.
- 3- Aristotle, **The Complete work : On The Universe 391a De Mundo**, translated by E. S. Forster, Delphi Classics, UK, 2013, De Mundo 391a.
Aristotle, **The Complete works**, The revised Oxford Translation by Jonathan Barnes, vol1&2, vol2 : Economics, Translated by E. S. Forster, Princeton University press, USA, 1985.
- 4- Arrian, **Annabasis of Alexander**, translated by E. Iliff Robson, Delphi Classics, UK, 2014.
Athenaeus, **The Deipnosophists**, translated by Charles Burton Gulick, Vol 7, Loeb Classical Library, GB, 1959
Athenaeus, **The Learned Banqueters : Books 3. 106e-5**, Translated by S. Douglas Olson, Harvard University Press, England, 2006.
Athenaeus, **The Learned Banqueters**, translated by S. Douglas Olson, Loeb Classical Library, USA, 2010.
- 5- Ctesias, **Persian History : Tales Of The Orient**, translated by : Lloy Llewellyn-Jones and James Robson, Routledge, USA, 2010.
- 6- Demosthenes **Delphi Complete Works of Demosthenes** Norman W. DeWitt, Delphi Classics, UK, 2015, **Against Dionysodorus**.
Diodorus of Sicily, **The Historical Library**, translated by C. H. Oldfather, vol6, William Heinemann, Great Britain, 1954.

- 7- Diodorus Siculus, **The Library of History**, translated by C. H. Oldfather, C. L. Sherman, C. Bradford Welles, Russel M. Geer, F. R. Walton and G. Booth, Delphi Classics, UK, 2014.
- 8- Herodotus, **Histories**, translated by A. D. Godley, vol3, Harvard University press, William Heinemann LTD, Great Britain, 1982.
Isocrates, **Delphi Complete Works :Panegyricus** , translated by George Norlin, Delphi Classics, UK, 2016.
- 9- Isocrates, **the complete works**, translated by George Norlin, Delphi Classics, UK, 2016. The Letters. to Philip I.
- 10- Plato, **The Complete Works**, translated by D. S. Hutchinson, Hackett Publishing Company, USA, 1997, Alcibiades 1. e. 121.
- 11- Pliny The Elder, **Natural History**, translated by W. H. S. Jones, vol7, Harvard University Press, GB, 1956.
Plutarch, **Delphi Complete Works of Plutarch Parallel Lives : Artaxerxes**, translated by Bernadotte Perrin, Delphi Classics, UK, 2013.
- 12-Plutarch, **The Parallel Lives**, translated by Bernadotte Perrin, Delphi Classics, UK, 2013.
Strabo, **The Geograpy**, translated by DuaneW. Rolle, Cambridge University Press, USA, 2014
- 13-Strabo, **The Geography**, translated by Horace Leonard Jones, Vol7, The Loeb Classical Library, GB, 1983.
Thucydides, **History of the Peloponnesian War**, translated by Charles Forster Smith, vol1, William Heinemann, Great Britain, 1980.
- 14-Thucydides, **The Complete Works The History Of The Peloponnesian War**, Translated by Benjamin Jowett, UK, 2013.
Xenophon, **Memorabilia, Oeconomicus Symposium, Apology**, trsl by E. C Loeb Classical Library, Marchant, Harvard University Press, GB, 1997

15-Xenophon, **The Education Of Cyrus : cyropaedia**, translated by Wayne Ambler, Cornell University, USA, 2001.

1-1 المصادر الدينية

World Bible Translation Center, USA, 2006.

2- قائمة المراجع:

1-2 باللغة العربية:

- 1- أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (مصر، العراق، إيران)، ج5، دار النهضة العربية، لبنان، 1989م.
- 2- أحمد محمود خليل، مملكة ميديا، مؤسسة موكرياني، العراق، 2011.
- 3- أسامة عدنان يحيى، تاريخ الشرق الأدنى القديم دراسات وأبحاث، آشوربانيبال للكتاب، العراق، 2015م.
- 4- أندريه إيمار، جانين أوبوايه، تاريخ الحضارات العام، الشرق و اليونان القديم، ترجمة: فريد م. داغر و فريد ج. أبو ربحان، ج 1، 2 منشورات عويدات، بيروت-باريس، 1986م.
- 5- بونغارد، ليفين، الجديد حول الشرق القديم، ترجمة جابر أبي جابر، خيري الضامن، دار التقدم موسكو، روسيا، 1988م.
- 6- جميلة عبد الكريم محمد، قوريناثة والفرس الإخمينيون، منذ إنشاء قوريني حتى سقوط أسرة باتوس، دار النهضة العربية، لبنان، 1996م.
- 7- جيمس هنري برستيد، إنتصار الحضارة: تاريخ الشرق الأدنى القديم، ترجمة أحمد فخري، المركز القومي للترجمة، مصر، 2011.
- 8- حسن كريم الجاف، تاريخ إيران السياسي: من التاريخ الأسطوري حتى نهاية الدولة الطاهرية، المجلد الأول، الدار العربية للموسوعات، لبنان، 2008م.

- 9- حسين محمد محي الدين السعد ، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ج 2 ، دار المعرفة الجامعية، مصر 1995 م.
- 10- خليل عبد الرحمان، الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، ط 2، روافد للثقافة و الفنون، سوريا، 2008م.
- 11- سامي سعيد الأحمد، تاريخ الشرق الأدنى القديم إيران والأناضول، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق، 1989.
- طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1، ط2، دار الوراق للنشر، لبنان، 2012م
- 12- طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، حضارة وادي النيل، جزيرة العرب وبلاد الشام، بعض الحضارات والأمم القديمة، بلاد إيران والإسكندر والسلوقيون، اليونان والرومان، ج2، دار الوراق، العراق، 2011م.
- 13- عادل هاشم علي، الدولة الميديّة أول إمبراطورية في تاريخ إيران القديم(745-550 ق م)، مجلة دراسات إيرانية، العدد 13، 2011.
- 14- محمد صبحي بن حسين حلاق أبو مصعب، الإيضاحات العصرية للمقاييس والمكاييل والأوزان والنقود الشرعية، مكتبة الجيل الجديد، اليمن، 2007م.
- 15- محمود أمهز، في تاريخ الشرق الأدنى القديم، در النهضة العربية، 2010م.
- 16- هوما كاتوزيان، الفرس إيران في العصور القديمة والوسطى والحديثة، ترجمة أحمد حسن المعيني، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، لبنان، 2014م.

2-2 باللغة الأجنبية:

1-Adam J. Silverstein, **Postal Systems in the Pre-Modern Islamic World**, Cambridge University Press, USA, 2007.

- 2- Alfred S. Bradford, **With Arrow Sword and Spear : A History of Warfare in the Ancient World**, Greenwood Publishing Group, USA, 2001.
- 3-Ali Farazmand, **Bureaucracy and Administration**, CRC Press Taylor &, Francis Group, USA, 2009.
- 4-Ali Mousavi, **Persipolis : Discovery and afterlife of World Wonder**, Walter de Gruyter, Germany, 2012.
- 5- Amélie Kuhrt, **The Persian Empire : A corpus of sources from the Achaemenid period** , Routledge USA, 2007.
- 6- Andrew Robert Burn, **Persia and the Greeks: The Defence of the West, C. 546-478 B.C**, Stanford University Press, GB, 1984.
- 7- April Fast, **Iran the People**, Crabtree Publishing, USA, 2005.
- 8- Athur Keavney, **The Persian Invasions of Greece**, Pen & Sword Military, GB, 2011.
- 9-Barry Rubin, **The Middle East : A guide to Politics, Economics, Society and Culture**, Routledge, USA, 2015.
- 10- Barry Rubin, **The Middle East : A guide to Politics, Economics, Society and Culture**, Routledge, USA, 2015.
- 11- Benjamin Rowland, **Gandhara sculpture from Pakistan museums**, The Asia Society, USA, 1960.
- 12- Bonatz Dominik, Rainer M.Czidon & oth, **Fundstellen Gesammet, Schriften Zur Archäologie und Geschicht Altvorderasiens, tharrassowitz**, Verlag, germany, 2008.
- 13- Brian Tadd Cary, Joshna B. Allfree, **Warfare in the ancient world**, Pen and Sword Military, GB, 2005.
- 14- Carol J. King, **Ancient Macedonia**, Routledge, USA, 2018.

15- Catherine Breniquet and Cécile Michel, **Wool Economy in The Ancient Near East and The Aegean : From the Beginnings of Sheeps Husbandry to Institutional Textile Industry**, Oxbow Books, UK, 2014.

16- Chris Scarre and Brian M. Fagan, **Ancient Civilisations**, 4^{ed}, Routledge, USA, 2016.

17- Christopher Tuplin, **Ctesias as Military Historian**, Ctesias' World Harrassowitz Verlag, Germany, 2011.

18- Company & Dennis L. Fink, **The Battle of Marathon in Scholarship**, Mcfarland Publisher, USA, 1942.

19- Daniel, Elton L, **The History of Iran Greenwood Histories of the Modern Nations**, Greenwood Publishing Group, USA, 2001.

20- Daniel. T. Potts, **A Companion to the Archaeology of the Ancient Near East**, vol₁, Wiley Blackwell, UK, 2012.

21- David W. Del Testa, **Lives and Lagacies, an Encyclopedia of people who changed the world : government Leaders, military rulers, and political activists**, Routledge Publishing, USA, 2013.

22- Douglas Carnine, Carlos E. Cortés and others, **World History : Ancient Civilizations**, McDougal Littel, USA, 2006.

23- Dunkan Head, **The Achaemenid Persian Army**, Montvert Publications, UK, 1992.

24- E. V. Cermenko, **The Scythians 700-300 BC**, Osprey, Publishing, USA, 1983.

25- Edwin F. Bryant and Laurie L. Patton, **The Indo-Aryan Controversy : Evidence and Inference in Indian History**, Routledge, USA, 2005.

26- Elizabeth Carter, Ken Deaver, **Excavations at Anshan (Tal-e Malyan): The Middle Elamite Period**, UPenn Museum of Archaeologie, USA, 1996.

27- Elspeth R. M Dusingere, **Empire, Authority, and Autonomy in Achaemenid Anatolia**, Cambridge University Press, USA, 2013.

28- Ernst E. Herzfeld, **Iran In Aancient East, Archaeological Studies Presented In The Lowell Lectures At Boston**, Oxford, University Press, UK, 1941.

29- Esat Uras, **Armenian History and the Armenian and the Armenian Question**, translated by Süheyla Arteme, Documentary Publications, Turkey, 1988.

30- G. G. Aperghis, **The Seleukid Royal Economy: The Finances and Financial Administration of the Seleukid Empire**, Cambridge University Press, USA, 2004.

31- Garthwaite Gene R, **The Persians**, Blackwell Publishing USA, 2005.

32- Gaston Maspero, **The Passing of the Empire 850 BC to 330 BC**, translated by M. L. McClure, Society For Promoting Christian Knowledge, UK, 1900.

33- George Cameron G, **Ancient Persia**, Yale University Press, USA, 2011.

George G. Cameron, **History of Early Iran**, The University of Chicago Press, USA, 1936.

34- George R. Law, **Identification of Darius the Mede**, Ready Scribe Press, USA, 2010.

35- George Willis Botsford, **Hellenic history**, Macmillan Company, USA, 1922.

36- Gordon S. Shrimpton, **Theopompus The Historian**, McGill-Queens University Press, Cannada, 1991.

37- Gwendolyn Leick, **The Babylonia world**, Routledge, USA, 2007.

- 38- Henry P. Colburn, **Archaeology of Empire in Achaemenid Egypt**, Edinburgh University Press, Great Britain, 2020.
- 39- I.E.S Edward, **The Cambridge Ancient History : Early History Of The Midle East**, Cambridge University Press, UK, 1971.
- 40- Ian Morris and Walter Scheidel, **The Dynamics of Ancient Empires : State Power from Assyria to Byzantium**, Oxford University Press, USA, 2009.
- 41- Ian Shaw, **The Oxford History of Ancient Egypt**, Oxford University Press, USA, 2000.
- 42- Ilya Gershevitch, **The Cambridge History of Iran : The Median and Achaemenian Periods**, vol2, Cambridge University Press, UK, 1985.
- 43- Isaac Kalimi, **New Perspectives on Ezra-Nehemiah: History and Historiography, Text, Literature**, and Interpretation, Eisenbrauns, USA, 2012.
- 44- Isaac Mendelsohn, **Slavery In the Ancient Near East**, Greenwood Press, USA, 1949.
- 45- J. Poolos and Arthur Meier Shlesinger, **Darius The Great : Ancient World Leaders**, Chelsea House Publishers, USA, 2008.
- 46- Jacob Abbot, **History of Cyrus The Great : Makers of History**, Cosimo Inc, USA, 2009.
- 47- James M. Anderson, **Daily Life through Trade : Buying and selling in World History**, ABC-CLIO, USA, 2013.
- 48- Jane R. Mcintosh, **Ancient Mesopotamia : New Perspectives**, ABC-CLIO, USA, 2005.
- 49- Janos Harmata, **History of Civilization of Central Asia**, Vol₂, Shrizainendra Press, India, 1999.

50- János Harmatta, **History of Civilizations of Central Asia : The development of sedentary and nomadic civilizations : 700 B.C. to A.D. 250**, vol2, UNESCO Publishing, France, 1994.

51- Jason M. Silverman and Caroline Waerzeggers, **Political memory in and after the Persian Empire**, SBL Press, USA, 2015.

52- Javier Álvarez-Mon, Mark B. Garrison, David Stronach, **Elam and Persia**, Eisenbrauns, USA, 2011.

53- Jean Perrot, John Curtis, **The Palace of Darius at Susa : The Great Royal Residence of Achaemenid Persia**, Translated by Gérard Collon, I.B.Tauris & Co Ltd, UK, 2013.

54- Jens Nieling and Ellen Rehm, **Achaemenid Impact in the Black Sea : communication of the powers**, Aarhus University Press, Denmark, 2010.

55- John Bagnell Bury, **A History of Greece**, Cambridge University Press, UK 2015.

56- John Boardman, **The Cambridge Ancient History**, Vol IV, 2nd ed, Cambridge University Press, UK, 1988.

57- John Curtis and Nigel Tallis, **The Forgotten Empire : The World of Ancient Persia**, The British Museum Press, UK, 2005.

58- John Curtis and St John Simpson, **The World of Achaemenid Persia : History, Art and Society in Iran and the Ancient Near East**, I.B.Tauris & Co, USA, 2010.

59- John Hackett, **Warfare in The Ancient World**, Facts On File, USA, 1989.

60- Josef Weishever, **Ancient Persia from 550 BC to 650 AD**, translated by Azizeh Azodi, I. B. Tauris, UK, 2001.

61- Joseph Roisman, Ian Worthington , **A Companion to Ancient Macedonia**, Wiley Blackwell, USA, 2011.

62- Karen Radner, **State Correspondence in the Ancient World, From New Kingdom Egypt to the Roman Empire**, Oxford University Press, USA, 2014.

63- Kathlren Kuiper, **Mesopotamia : the world's earliest civilization**, Britannica Educational Publishing, USA, 2011.

64- Kaveh Farrokh, **Shadows in the desert : Ancient Persia at War**, Osprey Publishing, GB, 2007.

Lloyd Llewellyn-Jones, **King and Court in Ancient Persia 559 to 331 BC**, Edinburgh University Press, Great Britain, 2013

65- Lloyd Llewellyn-Jones, **Persians : The Age of the Great Kings**, BASIC BOOKS, USA, 2022.

66- Lori Khatchadourian, **Imperial Matter : Ancient Persia and the Archaeology of the Empire**, University of California press, USA, 2016.

67- M. Shahin, **The Kingdom of Armenia : A History**, Curzon Press, England, 2001.

68- Manousos E. Kambouris, **Persia Triumphant in greece**, Pen & Sword Military, GB, 2022.

69- Marc Van De Mieroop, **A History of the Ancient Near East, ca. 3000-323 BC, 2^{ed}**, Blackwell Publishing, USA, 2004.

70- Margaret Cool Root, **The King and Kingship in Achaemenid Art Essays on the Creation of an Iconography of Empire**, E.J. BRILL, The Netherland, 1979.

71- Maria Brosius, **A History of Ancient Persia : The Achaemenid Empire**, John Wiley & Sons, USA, 2021.

Maria Brosius, **The Persians**, Routledge Publishing, USA, 2006.

72- Mario Livrani, **The Ancient Near East : History, Society and Economy**, USA, 2014.

73- Mark Altaweel and Andrea Squitieri, **Revolutionizing a World**, UCL Press, UK, 2018.

74- Marshall Cavendish, **World and its peoples**, Marshall Cavendish publishers UK, 2006.

75- Matt Waters, **Ancient Persia : A Concise History Of the Achaemenid Empire 550- 330 BCE**, Cambridge University Press, USA, 2014.

76- Mechael Segal, **Dreams, Riddles and Visions : Textual, contextual, Approaches to the Book of Daniel**, Walter De Gruyter, Germany, 2016.

77- Mehr Azar Soheil, **The Concept of Monument in Achaemenid Empire**, Routledge, USA, 2019.

78- Michael Burgan, **Empires Of Ancient Persia**, Chelsea House, USA, 2010.

79- Michael Hann, **Symbol, Pattern and symmetry : The cultural Significance of Structure**, Bloomsbury Publishing, GB, 2013.

80- Michael Weiskopf, **The so-called " Great Satraps Revolt " 366-360 BC**, Franz Steiner Verlag, Germany, 1989.

81- Micheal D. Danti, **Hasanlu V : the Late Bronze and Iron I periods**, the University of Pennsylvania Museum of Archaeology and Anthropology, USA, 2004.

82- Muhammad A. Dandamaev and Vladimir G. Lukonin, **The culture and social institutions of ancient Iran**, Cambridge University Press, USA, 1989.

Muhammad Abdoulkadyrovitch Dandamaev, **A Political History of the Achaemenid Empire**, translated by W. J. Vogelsang, E.J. Brill, The Netherlands, 1989.

83- Nicholas Sekunda and Richard Hook, **Marathon 490 BC : The first Persian Invasion of Greece**, Osprey Publishing, Great Britain, 2002.

84- Nick Sekunda Simon Chew, **The Persian Army 560-330 BC**, Osprey Publishing, UK, 1992

85- Nigel Stillman, Nigel Tallis, **Armies of the Ancient Near East, 3000 BC to 539 BC Organisation, Tactics, Dress and**

Equipment, A WARGAMES
PUBLICATION, 1984.

RESEARCH GROUP

86- Oded Lipschits, Gary N. Knoppers and Manfred Oeming, **Judah and the Judeans in the Achaemenid Period Negotiating Identity in an International Context**, Eisenbrauns, USA, 2011.

87- Paul-Alain Beaulieu, **The Reing of Nabonidus King of Babylon 556-539 B.C**, Yale University Press, USA, 1989.

88- Percy Sykes, **A History Of Persia**, voll1, Routledge Curzon, USA, 2004.

89- Peter Green, Peter Green, **The Greco-Persian Wars**, University of California Press, USA, 1998.

90- Peter Knight, **Ancient Mesopotamia New Perspectives**, ABC-CLIO's, USA, 2005.

91- Phillip Niewohner, **The Archaeology of Byzantine Anatolia: From the End of Late Antiquity until the Coming of the Turks**, Oxford University Press, 2017.

92- Phillip Sidnell, **Warhorse Cavalry in ancient warfare**, Hambledon Hontinum, UK, 2006.

93- Pierre Briant, **A History of the Persian Empire, from Cyrus to Alexander**, translated by Peter T, Danie Eisenbranus, USA, 2002.

94- Pierre Lecoq, **Les inscriptions de la Perse achéménide, Traduit du vieux Perse, de l'élamite, du babylonien et de l'araméen présenté et annoté par l'Auteur**, Éditions Gallimard, France, 1997.

95- Pirouz Mojtahed Zadeh, **Small Players of the Great Game**, Routledge Publishing, USA, 2004.

96- Reinhard Pirngruber, **The Economy of the late Achaemenid and Seleucid Babylonia**, Cambridge University Press, USA, 2017.

97- Richard N. Fraye, **The History of Ancient Iran**, Verlag C.H Beck, Germany, 1984.

Richard Nelson Frye, **Religious themes and text of Pre-Eslamic Irn and Central Asia : Cyrus no Achaemenid**, Dr Ludwig Reichert Verlag, Germany, 2003.

98- Richard Stoneman, **Xerxes : A Persian Life**, Yale University Press, USA, 2015.

99- Robert Curley, **The Science of War: Strategies, Tactics, and Logistics** Britannica Educational Publishing, USA, 2012.

100- Robert Drews, **Militarism and Indo-Europeanizing of Europe**, Routledge, USA, 2017.

101- Robert Morkot, **The Egyptians : An Introduction**, Routledge, USA, 2005.

102- Roland Edmund Murphy and O. Carm, **Responses to 101, Questions on the Psalms and other Writings**, Paulist Press, USA, 1994.

103- Roman Ghirshman, **Iran from the Earliest Times to The Eslamic Conquest**, Penguin Books, GB, 1954.

104- Rüdiger Schmitt, **The Bisitun Inscriptions of Darius the Great, Old Persian Text**, Corpus Inscriptionum Iranicarum, GB, 1991.

105- Sacha Stern, **Calendars in Antiquity : Empires, States, and Societies**, Oxford University Press, UK, 2012.

106- Samuel Willard Crompton, **Ancient World Leaders : Cyrus The Great**, Chelsea House Publishers, USA, 2008.

107- Stanislav A. Grigoriev, **Ancient Indo-Europeans**, RIFEI, Russia, 2002.

108- Stephen Dando- Collins, **Cyrus The Great : conqueror, liberator, anointed one**, Turner Publishing Company, USA, 2020.

109- Stephen Ruzicka, **Trouble in the West : Egypt and the Persian Empire 525-332 BCE**, Oxford University Press, USA, 2012.

110- Steven D. Anderson, **Darius the Mede : A Reappraisal**, USA, CreateSpace Publishing, USA, 2014.

111- T. Cuyler Young, Jr, **Persia, Greece and The Western Mediterranean 525- 490 BC**, Cambridge University Press, UK, 1988.

112- T. M. Lewis, **The Cambridge Ancient History**, 2nd ed, vol6, Cambridge University press, UK, 1994.

113- **The Cambridge Ancient History : Early History Of The Midle East, and the Aegean Region C. 1380-1000 B.C**, Cambridge University Press, UK, 1975.

114- Thierry Petit, **Satrapes et Strapies dand l'empire achéménide de Cyrus le Grand à Xerxès 1^{er}**, Librairie Droz, France, 1990.

115- Thomas Harrison, **Writing Ancient Persia**, Bristol Classical Press, USA, 2011.

116- Time-Life Books, **Persians : Masters of Empire Lost Civilizations**, Time Life Inc, USA, 1995.

117- Tom Holland, **The Persian Fire**, Anchor Books, USA, 2007.

118- Touraj Daryaee and Ali Mousavi and Khodadad Rezakhani, **Excavating an Empire : Achaemenid Persia in langue durée**, Mazda Publishers, USA, 2014.

Touraj Daryaee, **The Oxford Handbook of Iranian History** Oxford University Press, USA, 2012.

119- Trevor Bryce, **The Routledge handbook of the peoples and places of ancient western Asia(The Near East from the Early Bronze Age to the Fall of the Persian Empire)**, Taylor & Francis e-Library, UK, 2009.

120- Vesta Sarkhosh Curtis, Sara Stewart, **Birth of the Persian Empire**, I.B.Tauris & Co Ltd, USA, 2005.

121- Victor Davis Hanson, **Makers of Ancient Strategy : from the Persian Wars to the fall of Rome**, Princeton University Press, USA, 2010

122- Will Durant, **The Story of Civilization : Our Oriental Heritage, part 1**, Siomn and Schuster, USA, 1954.

123- William Shephered, **The Persian War In Herodotus and other voices**, Osprey Publishing, USA, 2019.

3- المقالات:

1-A. L. Oppenheim, “**Essay on Overland Trade in the First Millennium B.C.**,” *Journal of Cuneiform Studies*, vol 21, 1967.

2-A.T.Olmstead, **Darius and his Behistun Inscription**, The American Journal, of Semitic Languages and Literatur, Vol55, No4, 1938.

3-ABE Takuji, **Dascylium : An Overview of the Achaemenid satrapal City**, The Kyoto journal of Ancient History, vol 12, 2012.

4-Abolala Soudavar, **Astyages, Cyrus and Zoroaster: Solving a Historical Dilemma**, Iran Journal of the British Institute of Persian Studies, vol50, 2012.

5- Bruno Jacobs, **Achaemenid Satrapies, the administrative units of the Achaemenid Empire**, Encyclopaed Iairanica online, 2011.

6-Deirdre Fulton, **What Kind of Governor was Nehemiah?**, *Zeitschrift für die alttestamentliche*, vol 130, 2018.

7-E. Badian, **Darius III**, *Harvard Studies in Classical Philology*, Department of the Classics, Harvard University, vol 100, 2000.

8-Eduard Rung, **Some notes on Karanos in The Achaemenid Empire**, *Iranica Antiqua*, vol 50, 2015.

- 9-G. Perrot and E. Guillaume, **Les Monuments De La Ptérie (Boghaz-Keui, Aladja Et Euiuk)**, *Revue Archéologique* Nouvelle Série, Vol. 23 1872.
- 10- George Depue Hadzsits, **Some Xenophon Problems and Recent Xenophon Literature** , Source: *The Classical Journal*, Vol. 3, No. 6, (Apr., 1908) The Classical Association of The Middle West and South.
- 11- Henri Paul Frankfort et Sébastien Le Petz, **Les chevaux Achéménides : Harasetraces** Monoaraphie d'Archéologie, Méditerranéene, n°4, 2010.
- 12- Henry Colburn, **Connectivity and Communication in the Achaemenid Empire**, *Journal of the Economic and Social History of the Orient*, vol 56, 2013.
- 13- Hyla A. Troxel, **Olontes, Satrap of Mysia**, *Schweizerische Numismatische Rundschau*, vol 60, 1981.
- 14- Jakub Kuciak, **The Fleet as the Basis for Polycrates of Samos' Thalassocracy**, *ELECTRUM*, Vol. 27, 2020.
- 15- Max Mallowan, **Cyrus the Great (558-529 B.C.)**, *Iran Journal*, British Institute of Persian Studies, Vol. 10, 1972.
- 16- Michael B. Charles, **Achaemenid Elite Cavalry: From Xerxes To Darius III**, *The Classical Quarterly*, Vol. 65, No. 1, 2015, p 19.
- 17- Muhammad A. Dandamaev, **Achaemenid Imperial Policies and Provinial Government**, *Iranica Antica*, vol34, 1999.
- 18- Niki Evelpidou, **Caves – Natural and Manmade Underground European Heritage : Natural and artificial caves in Samos Island**, *cave and carst studies caves*, Greece, 2008.
- 19- Pirouz Mojtahed- Zadeh, **Iran : An Old Civilization and a New Nation State**, part₁ : *The Iranian Tradition of Statehood*, *FOCUS on Geograghy*, vol49, n°4, spring 2007.

- 20- R. Ghirshman, Edith Porada, **Dark Ages and Nomads c. 1000 B.C**, Nederlands Historisch-Archaeologisch Instituut in het Nabije Oosten, the Netherlands, 1964.
- 21- Robert Drews, **The Fall of Astyages and Herodotus' Chronology of the Eastern Kingdoms**, Historia Zeitschrift für Alte Geschichte, vol 18, 1969.
- 22- Samer Nazari, Ali Asghar Salahshoor, Mehran Norouzi, **Study of buisness and trade in the Achaemenid period, Focusing on the objects and artificats from archaeological treasures to the Achaemenid dynasty**, Archaeology Journal of Hamedan Islamic Azad University, vol. 4, No. 6, Atumn& Winter 2012.
- 23- Stuart Campbell, **The Halaf Period in Iraq: old sites and new**, *The Biblical Archaeologist*, December, 1992.
- 24- Vasilios Melfos & Bruno Helly & Panagiotis Voudouris, **The ancient Greek names “Magnesia” and “Magnetes” and their origin from the magnetite occurrences at the Mavrovouni mountain of Thessaly, central Greece. A mineralogical–geochemical approach**, *Archaeological and Anthropological Sciences Springer Journal*, vol3 no 2, 2011.

4- الرسائل والأطروحات

- 1- Eyal Meyer, **The Satrap Of Western Anatolia And The Greeks**, Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Doctor of Philosophy, University of Pennsylvania, USA, 2017.
- 2- Francis Anthony Mirko Hay, **Trade In Mesopotamia From the early Dynastic period to the early Achaemenid period with emphasis on the finance, of such trade**, submitted in fulfilment of requirments for the degree of master of arts, Southe Africa, 2014.

5- الموسوعات:

1-5 باللغة العربية:

هارفي بوتتر، موسوعة مختصر التاريخ القديم، مكتبة مدبولي، مصر، 1991 م

1-5 باللغة الأجنبية:

- 1- Marsha E. Ackerman, **Encyclopedia of world History : The Ancient World Prehistoric Eras to 600 C.E**, vol₁, Facts On File, USA, 2008.
- 2- Trudy Ring, Robert M. Salkin & oth, **Internatinal dictionary of Historic places Middle East and Africa**, vol₄, Fitzroy Dearborn Publishers, USA, 1996
- 3- Peter Bogucki, **Encyclopidia of society and culture in the Ancient World**, vol₁, Facts On Files, USA, 2008.
- 4- Jamie Stoks, **Encyclopedia of The People of African and Middle East**, Infobse publishing, USA, 2009.
- 5- Ian Show, Robert Jameson, **Dictionary of Arcaeology**, Wiley Publishers, UK, 1999.
- 6- David Sacks, Oswyn Murray, Lisa R. Brody, **Encyclopedia of the Ancient Greek, World**, Infobase Publishing, USA, 1995.
- 7- John L. Mckenzie, **Dictionary of the Bible**, Touchstone, USA, 1995, p 559.
- 8- Kathryn A. Bard, **Encyclopedia of the Arcaeology of Ancient Egypt**, Routledge, USA, 1999.
- 9- Roger S. Bagnall, **The Encyclopedia of Ancient History**, Blackwell Publishing, USA, 2013.

6- المواقع الإلكترونية:

<https://www.maps.com/blogs/journeys/indo-european-migration-routes-4000-1000-bce>

<https://www.iranicaonline.org/articles/achaemenid-dynasty>

فهرس الأعلام والأماكن

(أ)

اسفنداداتس: 155

أكباتانا (أكباتانا السورية): 63، 66، 71، 88، 96، 97، 220، 229، 256،
335، 288، 258

أهورامازدا: 76، 100، 160، 162، 175، 204، 216، 217، 218، 220.

أوتانيس: 157، 158، 316.

آسيا: 11، 12، 13، 15، 18، 19، 21، 22، 29، 35، 36، 37، 45، 46، 51،
60، 66، 107، 125، 185، 187، 192، 194، 198، 201، 216، 223، 236،
240، 241، 246، 249، 253، 256، 257، 258، 259، 261، 262، 263،
268، 272، 288، 292، 303، 310، 314، 319، 320، 329.

ارياسي: 249.

ارسس: 311

أرسامس: 162، 315، 326، 341.

ألفانتين: 304

الإمبراطورية الفارسية الإخمينية: 154، 162، 172، 174، 178، 179، 181، 182،
183، 187، 189، 193، 195، 196، 197، 198، 205، 209، 210، 212،
214، 215، 222، 226، 228، 233، 236، 237، 239، 243، 244، 245،
246، 247، 253، 257، 259، 262، 271، 275، 280، 292، 298، 301،
305، 307، 311، 313، 314، 325، 326، 328، 329، 330، 331، 333،
334، 335، 336، 337، 338، 339، 343.

إنجيل: 46، 50.

أخيمينس: 75، 195، 162، 203، 316.

ايناروس: 303، 305، 304.

اتيليا: 249

- أربارامنس: 162، 202، 203.
 أرباندس: 177، 178، 316.
 آشور: 12، 13، 15، 28، 30، 33، 69، 70، 71، 78، 79، 80، 81، 86، 126،
 168، 169، 200، 211، 231، 256، 257، 287، 292.
 الأناضول: 10، 31، 37، 80، 88، 119، 120، 121، 165، 235، 236، 237،
 238، 239، 240، 276، 288، 289، 290، 292، 293، 294، 297، 319،
 320، 322.
 ابروكوماس: 306.
 ايفاغوراس: 307، 322، 324، 329.
 افيراتس: 308، 309.
 اجيسيلوس: 309، 310.
 أورك: 170.
 أنشان (آنزان): 23، 32.
 أورارتو(المملكة الأورارتية): 12، 33، 38، 40، 69، 70، 73، 82، 89.
 ايسوس(خليج): 258، 294، 311.
 أتوس(أتوس جبل): 185، 213، 194.
 البحر الأحمر: 176، 259، 260، 318.
 البحر الأسود: 12، 174، 185، 200، 236، 258، 259، 322.
 أرمينيا: 10، 40، 69، 103، 113، 118، 169، 171، 173، 200، 236، 245،
 270، 289، 324.
 أرفالي: 267.
 إثيوبيا: 151، 152، 175، 200، 211.
 إسرطة: 122، 187، 193، 305، 306، 309، 314، 333، 339.
 البحر الأبيض المتوسط: 11، 32، 35، 128، 149، 182، 200، 235، 260، 305.

- أثينا: 46، 165، 183، 185، 187، 188، 193، 195، 196، 269، 304، 305،
308، 309، 310، 314، 319، 333، 336.
- أوكسوس: 134، 245.
- الإخمينيون: 37، 39، 45، 46، 50، 52، 57، 85، 118، 121، 123، 124، 128،
149، 151، 153، 154، 164، 182، 183، 184، 185، 186، 187، 189،
191، 192، 204، 209، 224، 226، 228، 236، 238، 239، 240، 245،
248، 260، 266، 271، 272، 274، 281، 296، 300، 301، 303، 305،
307، 308، 326، 337، 338، 339، 340، 341.
- أذربيجان: 10، 16، 19، 40، 54، 69، 82، 103.
- اوسبيريديس: 178.
- الإغريق: 10، 15، 16، 19، 20، 46، 52، 85، 109، 110، 111، 112، 113،
114، 118، 130، 131، 157، 158، 159، 163، 180، 182، 197، 204،
209، 210، 213، 224، 226، 228، 231، 232، 233، 235، 238، 239،
244، 245، 246، 250، 275، 280، 301.
- أيونيا: 47، 147، 149، 165، 166، 172، 182، 183، 184، 186، 196، 200،
207، 289، 305، 306، 316، 319، 329، 340، 341.
- أراخوزيا: 15، 164، 167، 168، 200، 211، 331.
- أوبادارما: 164.
- أوروبا: 11، 18، 37، 88، 137، 174، 181، 191، 196، 268، 292.
- أثينا يوس: 273.
- أتيكا: 279، 303.
- أميرتايوس: 305، 306، 318.
- أريلا: 169، 239.
- آريا: 133، 167، 200.

- استير: 50، 218.
أستياجس: 83، 102، 103، 105، 106، 107، 110، 111، 114، 117، 118،
156، 160، 162.
اوتيارا: 169، 173.
اوياما: 169، 173.
أورميا(بحيرة): 13، 19، 54، 55، 64، 100، 169
أراخا: 174.
أتا-هاميتو: 175
أماسيس المارافي: 177.
ارسيسيلوس: 178.
أوكرانيا: 10، 73، 180.
أرتبانوس: 180، 197، 223، 317.
أريستاغوراس: 183، 184.
بحر أيجة: 51، 121، 147، 161، 181، 186، 259، 262، 288، 299، 343.
جبال الأورال: 258، 287.
أريتيريا: 183، 185.
أريتس: 184.
افسوس: 120، 184، 293.
أكسيركسس(زيركسس): 191، 192، 193، 194، 195، 196، 203، 208، 209،
211، 213، 215، 220، 221، 223، 230، 231، 265، 299، 301، 302،
339.
أهاسونو: 263.

أرتكسیركسس(الأول، الثاني، الثالث): 197، 203، 213، 223، 225، 226، 263،
284، 300، 301، 311، 313، 314، 320، 321، 322، 323، 324، 325،
326، 327، 328، 330، 331، 332، 338.

ايشيا: 263

اكسينوفون: 47، 47، 49، 106، 114، 117، 118، 129، 136، 139، 141،
145، 161، 162، 210، 237، 266، 272، 300، 325، 338.

اماثوس: 184

ايدونيا: 184

ارتفارس: 183.

الإسكندر المقدوني: 42، 48، 51، 178، 181، 220، 222، 226، 231، 265،
274، 311، 332، 333، 335، 336، 337، 339، 340، 341، 342، 343.

إيران: 11، 13، 15، 16، 17، 18، 19، 20، 21، 22، 23، 25، 26، 28، 34،
36، 39، 47، 52، 54، 56، 57، 58، 62، 63، 66، 68، 72، 73، 87، 88،
92، 97، 129، 134، 227، 235، 255، 259، 260، 268، 270، 275، 288،
299.

أوخوس: 215، 299.

أفغانستان: 13، 20، 21، 22، 23، 69، 84، 209، 228، 256.

أتوسا(زوجة قمبيز): 146.

(ب)

باسارغادة: 108، 114، 115، 116، 119، 200، 229، 248، 257، 342.

بريكساسبس: 154، 156، 159.

بردیا: 136، 146، 152، 154، 156، 158، 159، 162، 167، 170، 224،
248، 249، 296، 313.

بارسا: 20، 59، 160، 166، 167، 169.

بارثيا: 68، 133، 164، 167، 168، 169، 170، 173، 200، 212، 331.
بيهستون: 62، 65، 130، 136، 156، 158، 159، 162، 163، 1164، 172،
173، 178، 179، 209، 216، 217، 220، 242، 247، 256، 298.
برقة: 152، 153، 154، 185.
باكتولوس: 279.
بريغي: 185.
بوتايا: 178.
باكستان: 21، 178، 209، 228.
البرز: 19، 20، 40، 268.
بلاد ما بين النهرين: 11، 17، 18، 19، 23، 25، 26، 27، 36، 37، 38، 39، 58،
59، 63، 77، 80، 102، 128، 129، 132، 166، 201، 228، 235، 241،
249، 256، 257، 261، 268، 273، 277، 285، 287.
بلوخستان: 23.
بندر عباس: 19.
بنغازي: 178.
بابل: 11، 12، 13، 24، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 33، 34، 35، 41، 47، 49،
50، 51، 53، 59، 62، 65، 70، 74، 75، 76، 77، 78، 79، 80، 81، 82،
83، 85، 87، 89، 102، 103، 108، 109، 111، 113، 115، 116، 118،
122، 123، 124، 125، 126، 127، 128، 129، 130، 131، 132، 134،
145، 146، 161، 164، 166، 167، 170، 171، 179، 198، 200، 201،
202، 205، 211، 213، 219، 226، 228، 229، 231، 232، 233، 234،
240، 241، 242، 243، 246، 248، 253، 256، 261، 263، 265، 268،
269، 270، 278، 281، 282، 283، 284، 287، 292، 297، 299، 312،
333، 342.

- بیشیوفادا: 169.
بیل-ایتیا-سیلیم: 263.
بیل-شونو: 263.
باتیریداتا: 263.
باکاریبی: 263.
باتیغرابانا: 173، 170.
بارغا(جبل): 173، 170.
باکتريا: 15، 133، 164، 168، 171، 200، 211، 236، 256، 257، 258،
266، 267، 277، 279، 288، 331.
باتوس: 177.
بیثاغوراس: 184.
بیزنطة: 184
بادراس الباسارغادي: 177.
البوسفور(مضيق): 180.
بیل-شیمانی: 211
باکتیاس: 206.
بیرسیبولیس: 25، 44، 49، 50، 88، 97، 141، 200، 213، 219، 221، 231،
239، 254، 256، 256، 257، 260، 261، 265، 267، 270، 271، 274،
276، 277، 278، 279، 282، 290، 295، 298، 299، 343.
بابیش مولا: 266
بوباستیس: 331
(ت)
تابالوس: 206
تانیوکسارسس: 155

تاخماسبادا: 169.

تياري (جبل): 169.

تيغرا: 169.

توميريس: 134.

تركستان: 175.

تاتاغوش: 178.

تراقيا: 112، 180، 181، 183، 194، 200، 289.

تساليا: 165.

تيسافرنس: 266، 306، 317.

تركيا: 11، 84، 123، 277.

(ث)

ثيرموبيلاي: 194.

(ج)

جورجيا: 245.

جاز تبي: 267.

جاكسارتس: 134.

جوزلي: 266.

جبيل: 262.

(ح)

حجاي: 174.

حلب: 273.

حمو رابي: 298.

(خ)

الخليج العماني: 19.

الخليج الفارسي: 20، 24، 25، 26، 31، 84، 188.

خوراسان: 19

خوزميا: 236، 266، 267، 268، 278.

(د)

داریوس الأول: 46، 52، 53، 62، 63، 71، 72، 93، 97، 101، 129، 139، 145،

146، 153، 156، 157، 158، 159، 160، 161، 162، 163، 164، 166،

167، 168، 169، 170، 172، 174، 175، 176، 177، 179، 180، 181،

183، 184، 186، 187، 188، 193، 202، 203، 206، 207، 213، 216،

218، 219، 220، 223، 229، 230، 231، 232، 233، 240، 241، 243،

245، 246، 247، 250، 254، 258، 260، 261، 272، 274، 276، 281،

282، 284، 291، 292، 293، 297، 298، 299، 302، 313، 315، 316،

332، 343.

داشت كاوير: 19.

داشت لوت: 19

جبل ديمفاند: 19

الدانوب(نهر): 11، 180، 181، 183، 188.

داریوس الثاني: 203، 213، 215، 223، 263، 284، 198، 304، 305، 320،

330.

داریوس الثالث: 53، 140، 198، 203، 209، 220، 222، 226، 229، 300،

311، 326، 330، 331، 332، 333، 335، 340، 341، 342، 343.

درنغيانا: 200

دادار شيش: 168

داسكيليوم: 165، 166، 172، 207، 208، 320، 323، 341.
ديودور(الصقلي): 48، 146، 172، 197، 233، 306، 308، 319، 325، 328،
336.

ديموسيدس: 179

دجلة(نهر): 18، 28، 29، 81، 122، 127، 167، 235، 257، 260، 275.

ديانا: 19

دهان-أي-غولامان: 267

دمشق: 74، 272

راغا: 169.

راخا: 169، 173.

رواندوز(مضيق): 169

الرومان: 45، 57، 104، 236.

(ز)

زاغروس: 16، 17، 18، 19، 20، 22، 24، 28، 31، 33، 34، 35، 38، 39، 40،
41، 54، 56، 58، 62، 63، 64، 65، 66، 71، 72، 75، 80، 91، 167، 235،
244، 258، 288، 290، 331.

زوروبابل: 132، 176

زوزو: 169

زكريا: 174

زابودويا: 263، 264.

(س)

سمرديس: 134، 136، 146، 152، 154، 155، 156، 157، 158، 159، 203.

سوزيانا(سيوسيانا): 19، 51، 59.

سقارة: 51

سارديس: 119، 123، 124، 165، 166، 175، 184، 193، 200، 207، 208،
235، 236، 237، 253، 256، 257، 258، 272، 277، 292، 293، 294، 31،
316، 341.

سكيت (السقا الإسكثيون): 55، 73، 174.

سوريا: 11، 12، 26، 35، 36، 38، 68، 70، 74، 80، 128، 129، 198، 240،
241، 246، 270، 272، 277، 289، 294، 309، 310، 317، 318، 326،
329، 342.

سوسة: 23، 25، 26، 27، 28، 30، 56، 57، 59، 60، 62، 98، 140، 154،
213، 216، 219، 220، 228، 229، 239، 242، 256، 257، 258، 261،
276، 277، 298، 299، 304، 324، 335، 342.

ساتاجيديا: 167، 200.

سنانيكو: 263.

السويس: 259.

ساغارتيا: 169.

سيبار: 170

سوغديانا: 133، 174، 175، 200، 236، 266، 270، 279، 289، 331.

سيبيريا: 258.

سكونخا: 175.

السند: 36، 51، 175، 176، 179، 188، 259، 260، 288.

سينوب: 258.

سكيلاكس: 176، 260.

سيستوس: 180.

سيران: 253.

غوبرياس: 158، 161، 175، 180، 191، 205.

غاندارا: 178، 200.

غزة: 245.

غاناس: 205

غاداتاس: 267.

صحراء غوبي: 19.

(ف)

فراوورتيس (فرافارتيش): 54، 71، 72، 89، 98، 166، 169، 170.

بلاد فارس: 22، 51، 109، 111، 112، 113، 115، 133، 152، 156، 177،

191، 198، 245، 259، 269، 270، 272، 274، 286، 290، 307، 315،

320، 340.

فينيقيا: 11، 74، 81، 147، 198، 240، 246، 261، 262، 278، 292، 305،

314، 329، 342.

فيدارنا: 158، 168.

فوميسا: 168، 169.

فيغانا: 164، 168.

فايزداتا: 168، 169، 170.

فيندافارنا (ايتنافارنس): 158، 170.

فرادا: 171، 172.

فيشبوذاثيش: 173.

فلسطين: 11، 12، 74، 80، 128، 130، 148، 176، 245، 261، 269، 275،

286، 309، 310.

فيريتيما: 177.

فريجيا: 119، 185، 200، 207، 211، 230، 236، 238، 256، 289، 290،
294، 315، 316، 318، 319، 320، 323، 326، 327، 341.
نهر الفرات: 18، 34، 35، 59، 81، 127، 147، 167، 211، 231، 235، 259،
260، 272، 275، 288، 296، 311.

(ق)

قورش الأول: 52، 76، 77، 102، 104، 153، 162، 203.
قورش الثاني: 16، 52، 53، 56، 62، 87، 101، 102، 103، 104، 106، 107،
108، 109، 110، 111، 112، 113، 115، 118، 121، 122، 123، 124،
125، 127، 128، 129، 131، 132، 133، 134، 135، 136، 139، 140،
143، 145، 146، 148، 149، 153، 154، 155، 157، 160، 162، 164،
165، 170، 174، 175، 178، 182، 186، 201، 202، 203، 205، 209،
212، 213، 214، 215، 216، 222، 225، 227، 232، 235، 241، 247،
248، 253، 264، 265، 268، 274، 280، 281، 286، 288، 289، 292،
297، 299، 306، 312.
قورش الأصغر: 203، 215، 225، 318، 320، 321، 322، 324، 325، 326،
338.

قمبيز الثاني: 133، 136، 146، 149، 152، 157، 162، 176، 177، 212، 213،
224، 247، 253، 260، 265، 280، 310، 313.

قورينة: 177

البحر القزويني: 15، 18، 34، 175.

القوقاز: 13، 15، 22، 69، 73، 82، 84، 91، 245، 259، 275، 288، 316

قبرص: 147، 149، 184، 259، 262، 273، 275، 288، 302، 304، 307،
310، 322، 327، 328، 329.

قيليقيا: 83، 121، 128، 186، 200، 211، 236، 239، 270، 284، 287، 288،
289، 294، 316، 329، 341.
قندهار: 247.

(ك)

كازخستان: 15
كتسياس: 42، 45، 49، 72، 109، 111، 112، 114، 115، 116، 136، 155،
158، 197، 223، 256، 318.
كياكسارس: 75، 77، 78، 79، 80، 81، 82، 83، 84، 88، 89، 98، 102، 114،
160، 162، 166.
كيدينو-بيل: 263.
كالالي جير: 263.
كوندوروش: 173
كاريا: 124، 149، 150، 184، 200، 211، 236، 298، 256، 260، 289،
314، 317، 319، 320، 329.
كاسبيا: 200.
كانغا كالا: 260.
كرويسس: 120، 121، 122، 123، 124، 125، 147، 152، 153، 186، 235،
248، 253، 289، 292.
كارياندا: 260.
كرمان (كارمانيا): 258، 287.
كورنثيا: 279، 339.
كيشون: 262.

(ل)

ليديا: 77، 82، 83، 84، 89، 113، 119، 120، 122، 124، 134، 145، 147،
165، 172، 200، 206، 207، 211، 235، 236، 240، 242، 256، 257،
270، 287، 289، 292، 294، 306، 316، 318، 319، 320، 322، 324،
341، 329.

ليونيداس: 194.

لوريستان: 18، 39، 63، 64، 92، 93، 95، 197.

ليسيا: 121، 211، 236، 289، 319.

لاكيديمونيا: 191، 303.

ليبيا: 177، 178، 181، 200، 303، 314.

(م)

ميديا: 39، 40، 41، 53، 55، 67، 68، 69، 70، 71، 74، 78، 80، 83، 84،
87، 88، 89، 90، 91، 94، 99، 101، 110، 111، 113، 118، 119، 129،
159، 161، 164، 166، 167، 168، 169، 173، 200، 211، 227، 242،
256، 290، 331، 335.

الماغوس، 100، 104، 157، 158، 224.

ماروداشت: 20، 25.

ميثراداتا: 288.

مكران: 259، 288.

مصر: 12، 38، 43، 45، 46، 50، 51، 69، 81، 102، 104، 126، 128، 129،
130، 133، 134، 145، 146، 147، 148، 149، 150، 151، 152، 153،
154، 155، 156، 157، 163، 167، 168، 176، 177، 179، 185، 188،
192، 193، 198، 200، 201، 209، 211، 218، 219، 226، 228، 229.

240، 241، 242، 246، 249، 256، 259، 260، 271، 276، 289، 295،
296، 299، 300، 302، 303، 304، 305، 322، 323، 326، 3327، 331،
332، 333، 336، 337، 338، 342.

مروش (ماروش): 168.

مارغيانا (المارغيانين): 133، 171، 172، 173، 174، 266، 278، 331.

الماساغيت (المساجيتاي): 134، 135، 136، 147، 174، 175، 198، 267.

مفيس: 150، 176، 296، 297، 302، 303، 305، 306، 307، 310، 332،
342.

موشيزب-ايلي: 263.

ميليتوس: 120، 147، 183، 184، 185، 293، 241.

مقدونيا: 181، 183، 185، 200، 341.

ميغابيزوس: 181، 182، 183، 197، 223، 303، 317، 318.

ميرسينوس: 184.

ماراثون: 185، 186، 187، 189.

مردونيوس: 185، 195، 197.

ماتيانا: 200.

موسكيا: 200.

مرو: 267.

مونديغاك: 267.

منغوليا: 267.

ماتزيش: 277.

(ن)

نيونيدوس: 108، 113، 118، 165، 167، 170.

نحميا: 50، 262، 311، 312.

نبوخذ نصر: 28، 29، 33، 80، 81، 113، 126، 127، 129، 130، 131، 165،
167، 170، 171، 248.
ندينتو-بيل: 164.
النيل: 57، 147، 148، 149، 150، 176، 188، 229، 296، 302، 304، 309.
ناكسوس: 183.
نينوى: 30، 74، 77، 79، 80، 81، 86، 277.
نابو: 30
نانا-أيدين: 263.

(هـ)

الهلال الخصيب: 10، 11، 36، 40، 91، 103.
الهضبة الإيرانية: 16، 18، 19، 20، 21، 22، 26، 36، 37، 39، 51، 63، 64، 75،
84، 87، 88، 94، 100، 102، 166، 198، 271.
هستاسبس: 52، 158، 160، 162، 170، 175، 202، 212، 230، 315.
الهندوسيون: 34
هيركانيا: 164، 168، 169، 239، 331.
الهند: 13، 15، 16، 22، 23، 37، 176، 178، 179، 198، 200، 241، 249،
256، 259، 260، 298، 273، 283، 288، 331، 333، 336.
هستايوس: 183، 184.
هيليسبونت (مضيق): 184.
وادي هلمند: 249.
هيراقليدس: 273

(ي)

اليهود: 128، 129، 130، 131، 132، 133، 150، 174، 248، 299، 304،
312، 313.

اليونان (اليونانيون): 37، 42، 45، 46، 121، 141، 329، 338.
يازازو: 263.

فهرس الخرائط والمصور

الصفحة	الخرائط، الصور، الجداول، الرسوم والمخططات
14	خارطة (1) هجرات الشعوب الهندو أوروبية
61	خارطة (2) هجرة المديين والفرس
83	خارطة (3) المملكة الميذية
190	خارطة (4) للإمبراطورية الفارسية الإخمينية في أقصى توسعاتها
199	خارطة (5) لجميع أسماء الساتريات المذكورة في نقوش داريوس
86	صورة (1) لوحة من آثار مدينة نينوى تظهر فرسان أشوريين على أحصنة ميذية المرجح أنها أنت كجزية لآشور
137	صورة (2) شكيمة حصان من معدن البرونز حفريات لوريستان (القرن 10-7 ق م)
142	صورة (3) لجندي مشاة يحمل سهم وقوس
144	صورة (4) توضح رسم على مزهية إغريقية لفرس
175	صورة (5) لصفحة من معدن الفضة تحوي مرسوما ملكيا لداريوس الأول
201	صورة (6) أسطوانة قورش الثاني (بابل)
231	صورة (7) لشظية حجرية توضح رأس نبيل من النبلاء الميذين من الممكن أن يكون موظفا
233	صورة (8) لإحدى الألواح الطينية التي تظهر نزاع بحضور الشهود وساتراب بابل غوبارو مؤرخة في السنة الخامسة 534 ق م
238	صورة (9) لأختام زجاجية وجدت في منطقة الأناضول تعود للفترة الفارسية الإخمينية
239	صورة (10) لأختام إدارية زجاجية من منطقة Dülük Baba Tepesi
253	صورة (11) العملة الذهبية والفضية لكرويسس
255	صورة (12) عملة الداريك الذهبية والسيغلوس الفضية (500-480 ق م)
173	جدول (1) يوضح المناطق المتمردة وعدد القتلى والأسرى
200	جدول (2) للمناطق المذكورة من قبل هيروdot
251	جدول (3) لعدد ساتريات الإمبراطوية والضرية المترتبة عليها

289	جدول (4) يوضح الجزية السنوية بالأناضول
294	جدول (5) الطرق التي تربط منطقة الأناضول
142	رسم (1) لجندي يحمل رمح ودرع من الخوص
250	رسم (2) رسم توضيحي لوفود التي تحمل الهدايا للملك
203	مخطط (1) ملوك الفرس الإخمينيون

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ	المقدمة
10	الفصل الأول: دراسة جغرافية وبشرية لبلاد فارس
10	1- الشعوب الهندو أوروبية
10	1-1 أصل الشعوب الهندو أوروبية
11	2-1 هجرات الشعوب الهندو أوروبية
15	2- الفرس الإخمينيون
15	1-2 أصل الفرس
16	2-2 الرقعة الجغرافية واستقرار الفرس
16	1-2-2 جغرافية فارس
20	2-2-2 المقومات الطبيعية لفارس
22	3-2 الشعوب المجاورة للفرس
23	1-3-2 العيلاميون
31	2-3-2 الولوجو
33	3-3-2 الغوتيون
34	4-3-2 الكاشيون
39	5-3-2 الميديون
40	1- ميديا أتروباتين
40	2- ميديا الصغرى
40	3- ميديا بارتياكينا
42	3- إشكالية كتابة التاريخ الفارسي الإخميني (559-522 ق م)

42	3-1 المصادر الأدبية والأثرية
52	3-2 مشكلة الأيديولوجية السياسية لمصطلح الفرس الإخمينيين
54	الفصل الثاني: المملكة الميضية وعلاقتها بالفرس الإخمينيين
54	1- نشأة المملكة الميضية
54	1-1 الميديون والفرع الفارسي
56	1-2 أهمية أنشان الجيوسياسية
63	1-3 الإطار الجغرافي للقبائل الميضية
64	2- التاريخ السياسي للمملكة الميضية
64	1-2 الميديون ككيان سياسي
72	2-2 علاقة الميديون بالشعوب والقوى بالمنطقة
73	1-2-2 السيميريون والإسكيثيون
75	2-2-2 علاقة الميديون بالفرس
78	2-2-3 صراع الميديين للتوسع
84	3- حضارة الميديين
84	1-3 المؤسسة العسكرية الميضية
88	2-3 الإدارة في عهد الميديين
90	3-3 ميديا إجتماعيا واقتصاديا
91	4-3 العمران الميضي
93	1-4-3 تلة بابا جان أة (بابا جان تبه)
96	2-4-3 نوش-أي-جان
98	5-3 اللغة والدين في المملكة الميضية

102	الفصل الثالث: تأسيس الإمبراطورية الفارسية الإخمينية
102	1- نهاية المملكة الميدية وصعود قورش الثاني
102	1-1 أستياجس
104	2-1 قورش الثاني
111	1-2-1 المعركة الأولى
113	2-2-1 المعركة الثانية
119	3-2-1 الحرب مع مملكة ليديا Lydia
125	4-2-1 غزو قورش لبابل
128	5-2-1 قورش واليهود
133	6-2-1 مخطط قورش لغزو مصر
134	7-2-1 حماية الحدود الشرقية لمملكة قورش
136	2- المؤسسة العسكرية الفارسية الإخمينية
138	1-2 التجنيد
140	2-2 تنظيمات الجيش الفارسي الإخميني
141	1-2-2 القوات البرية
141	1- المشاة
143	2- الفرسان
145	2-2-2 البحرية في عهد قورش الثاني
146	الفصل الرابع: التوسعات العسكرية للإمبراطورية الفارسية الإخمينية
146	1- حملة قمبيز على مصر
153	2- التوسعات العسكرية بقيادة داريوس الأول (522-486 ق م)
154	1-2 إخماد الثورات الداخلية
154	1-1-2 الإستيلاء على العرش

164	2-1-2 تثبيت سلطة الملك والقضاء على الثورات
147	3-1-2 مد النفوذ الفارسي الإخميني
174	1- حملة داريوس على السقا تيغراسكودا(نيغراخوندا)
176	2- الهند ومصر
174	3- أريانوس وأهل برقة
179	4- الحملة على السقا بارادرايا(السكيشيون)
182	2-1-4 بداية الأزمة مع الإغريق
182	1- الثورة في أيونيا
185	2- الحملة الأولى والصدام مع الإغريق في ماراثون
191	3- الحملة الثانية من الحروب الفارسية الإغريقية
198	الفصل الخامس: النظام الإدارية للإمبراطورية الفارسية الإخمينية
198	1- التقسيمات الإدارية
201	2- المنظومة الإدارية
201	2-1 السلطة الملكية
201	2-1-1 الملك
204	2-2 الجهاز الإداري
204	2-2-1 الساتراب
208	2-2-2 الساترية
214	2-2-3 عين الملك(المستشارون الملكيون)
216	2-2-4 القانون والإدارة
219	2-2-5 إدارة القصر الملكي
221	1- الحراس الشخصيون
222	2- أطباء القصر

224	3- خصيان القصر
226	2-2-6 النظام الإداري لأهم الساتريبات الإمبراطورية الفارسية الإخمينية
226	1- الإدارة في بابل
229	1-1 الموظفون ومهامهم الإدارية
230	1-1-1 رؤساء كورتاش أو كورداباتيش (<i>kurdabatitš kurtaš</i>)
232	1-2 التنظيم القانوني في ساترية بابل
235	2- الإدارة في الأناضول
238	1-2 الساتراب والساتريبات في منطقة الأناضول
240	3- معالم التواجد الفارسي الإخميني في مصر
240	1-3 الإدارة
243	3-2 القانون
244	الفصل السادس: النظام الاقتصادي الفارسي الإخميني وتطوره
244	1- التنوع الإقليمي
246	2- الإقتصاد والمؤسسة الاقتصادية للإمبراطورية الفارسية الإخمينية
247	1-2 النظام الضريبي للإمبراطورية الفارسية الإخمينية
253	2-2 سك العملة وانتعاش الاقتصاد
255	2-3 شق الطرق
255	2-3-1 الطريق البري
259	2-3-2 القنوات المائية
261	2-4 التجارة في الإمبراطورية الفارسية الإخمينية
261	2-4-1 التجارة الداخلية
262	2-4-2 التجارة الخارجية
263	2-4-3 تجارة العبيد

266	4-2 الأسواق
266	5-2 الزراعة
267	1-5-2 الزراعة والإنتاج الزراعي
273	2-5-2 المنتجات الزراعية والحيوانية من خلال طاولة الملك
275	6-2 الصناعة
275	1-6-2 التعدين
277	2-6-2 صناعة الزجاج
278	3-6-2 صناعة الفخار
279	4-6-2 صناعة النسيج
281	3- دراسة لاقتصاد أهم الساتريات
281	1-3 الاقتصاد في بابل
284	1-1-3 ضريبة الداسموس <i>dasmos</i>
285	2-1-3 الجبايات العسكرية
285	3-1-3 النشاط الزراعي في بابل
287	4-1-3 التجارة في بابل
288	2-3 إقتصاد منطقة الأناضول
290	1-2-3 المحاسبة في عهد الإمبراطورية الفارسية الإخمينية
292	2-2-3 التجارة في الأناضول
295	3-3 الإقتصاد ونظام الجزية في مصر
298	الفصل السابع: إنهاء الإمبراطورية الفارسية الإخمينية
298	1- أزمات الإمبراطورية الفارسية الإخمينية

301	1-1 أزمة الساتريات
302	1-1-1 ساترية مصر
311	2-1-1 أزمة إقليم يهوذا
314	2-1 التدخل الفارسي في الشؤون الإغريقية
315	2- ثورة الساتراب الكبرى 360-366 ق م
319	1-2 الثورة في الأناضول
323	2-2 الثورة في داسكيليوم
324	3-2 ثورة الساتراب أورونتس Orontes
326	3- إنهيار الإمبراطورية الفارسية الإخمينية
326	1-3 ثورة ساتراب فرنجيا الهليسبونتية
327	2-3 استرجاع مصر والقضاء على التمرد
330	3-3 داريوس الثالث ونهاية الإمبراطورية الفارسية الإخمينية
332	1-3-3 تدهور الوضع الإداري والاقتصادي
337	2-3-3 مرتزقة الجيش
339	3-3-3 الإجتياح المقدوني للإمبراطورية الفارسية الإخمينية
344	الخاتمة
349	قائمة المصادر والمراجع
367	فهرس الأعلام والأماكن
386	فهرس الخرائط والصور
388	فهرس الموضوعات